الصابئة المندائيون

بين الإنصاف والإجحاف

الكتاب : الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف

المؤلف : د. بشير عبد الواحد يوسف

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٧

رقم الإيداع : ٥٣٧١ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 9 - 248 - 493 - 977 - 978 : I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٩٥٥٩ ش طارق أبو النور. الهضبة الوسطى. المقطم. القاهرة

ت فاكس : ٢٧٢٢٣٨٠٠٤ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة



الصابئة المندائيون

بين الإنصاف والإجحاف

د. بشير عبد الواحد يوسف

أهدي هذا الجهد إلى

روح أمي وأبي

وأخي سالم أبو أماليد

وإخوتي د . فرحان ، والمهندسين قحطان ومنير ،

وأخواتي الأستاذة زهور وبشرى ،

والمهندسة إنصاف ، والأستاذتين خلود ومسيرة .

وإلى عائلتي المندائية الكبيرة

وأهلي في بلدي العراق ودول المهجر .

متمنيًا للجميع السعادة والأمان .

د . بشير عبد الواحد يوسف

تقديم



أؤمن بيقين خالص بأن سعادتي تكون عظيمة عندما تتاح لي فرصة كتابة مقدمة لكتاب كبير رائع كُتب بحيادية حرفية مهنية صافية ، يفيد البشرية ، يعني بالتربية ويقوِّم الأخلاق ... وما كتاب المبدع العراقي الدكتور "بشير عبد الواحد يوسف السالم" إلا من هذا النوع الذي يزيدني فخراً واعتزازًا وأنا أكتب له تقديمًا يُعرِّف القارئ العربي من خلاله الدور الذي قام به مؤلفه، والجهد الذي بذله، وكيف كانت بداياته حتى تمَّ له تجميع كتابه، ثم طبعه ونشره.

لكل حي جذر ؛ القمة عصير تلك الجذور بعد أن تكون قد تشربت بماء ملح الحياة، نتاج تلك القمة وثمارها لها نسيج جذرها الذي لا يشذ عنها، يأخذ منها لونها ، صفاءها ، عبقريتها ، سلامها ، لغتها ، وحتى مسامات جلدها ، والديانة الصابئية المندائية أدقُّ مثالٍ على كلِّ ما تقدَّم ؛ كونها جذر ديانات التوحيد التي عرفتها البشرية ، فجاءت نصوصها وتعاليمها، أسلوبها وخطابها، فلسفتها ونبوغها، مفاهيمها التي تقطر وئامًا وتنشر السلام في أصقاع الأرض بالتزامٍ لم يسبق له

مثيل، لم يأت بعدها ما هو مكنون في داخلها من عصير ذلك الجذر الأول الذي تشربت به أرضها ، أرض الرافدين ، عليه نما زرعها ، أخصبت ثمارها ، نضجت فأعطت ، عاشت واستمرت كل هذه العصور والدهور محافظة على جوهرها وقوامها دون أن يصيبها تغير أو تعنّ من أي تأثير.

عُرف عن مؤلف الكتاب منذ نعومة أظفاره بين صحبه وربعه بالذكاء والفطنة والطيبة ، حُبّه للآخر، نكرانه لذاته عندما يعمل... أحبه الخالق فوهب له ذاكرة قوية ، وسرعة حفظ نادرة... تعود منذ صباه أن يخدم جده يوسف السالم في ديوانه ، معجبَا بشخصيته ، كرمه ، عُمق إيمانه ، وسعة دائرة معلوماته في الدين المندائي، أحبّ الفتى جده حُبَا لا يوصف، تعلق به وبات يحلم كيف يكون مثله في صومه، صلاته، وكثرة صداقاته.

كان لجده ديوانٌ صغيرٌ يجتمع فيه كل مساء عددٌ من وجهاء طائفته، يتردد عليه رجال الدين وعلى رأسهم "الكنزبرا نجم زهرون" [1] لصداقة حميمة جمعتهما، كذلك القادمون من مدن الجنوب العراقي: العمارة والناصرية في زيارة للبصرة... كان الفتى "بشير" يفرش الديوان، يحضِّر القهوة العربية، يبدأ بقليها وتحميصها، دقها وطحنها، غلّيها على نارٍ هادئة... يدور بها على الضيوف لتوزيعها بين الحين والآخر...

تدور أثناء تلك الجلسات مناقشات كثيرة عن الدين المندائي، وحكايات مختلفة كانت تستهوي مؤلفنا بعمق ولذة دون شعور منه عما يراه ويسمعه ، اعتاد حفظها وتسجيلها في ذهنه المتقد الراغب في المعرفة، فترسخت منذ ذلك العهد مفاهيم ومعلومات ومعارف تخص ديانته التي يؤمن بها ويحبها حدَّ القاع والنخاع في صندوق محفوظاته.

---

١ الكنزبرا: مرتبة دينية متقدمة في الديانة الصابئية المندائية

انعكست تلك التجارب والخبرات التي أتقنها في طفولته دون قصد بالفطرة الربانية على شخصية الدكتور في مرحلة شبابه ونضجه ، فعمل في مؤسسات طائفته بجدٍّ وتفانٍ في مراكز متقدمة، حيث تبوأ منصب رئيس مجلس شؤون الطائفة مع نخبة ممتازة من أبناء جلدته، وتكللت جهوده بالنجاح بعد أن نادى مشجعًا بضرورة ترجمة الكتب الدينية المندائية ، فَشُكلَ الهيئة العليا المشرفة على مشروع ترجمة الكتاب المقدس الذي يؤمن به أصحاب ملتنا (الكنزا ربا) برئاسته وعضوية الأساتذة : حمودي مطشر ، داخل يوسف عمارة ، ونزار ياسر الحيدر... الذين كرّسوا جهدهم ووقتهم لإنجاز هذا العمل النبيل الذي باركتُه وشجعتُه باعتباري رئيس الطائفة الروحاني بعد أن اطلعتُ عليه بدقة وعناية وتأكد لي أن هذا السفر العظيم يجب أن يكون في كل بيت مندائي ، ومن الضروري إطلاع المؤمنين بالحي الْقَيّوم على الصحف الأولى التي أنزلها الحي تباعاً على أنبيائه بدءًا بآدم ، وليطلع الإخوة من الديانات الموحِّدة الأخرى على عمق الإيمان والتوحيد المندائي... وأكدتُ في كلمتي في مقدمة الكتاب ضرورة أن تكون النسخ الأصلية المستنسخة بالخط المندائي أساسًا لإجراء المراسيم الدينية، وإني هنا أشجِّع وأبارك كل جهد مندائي ثقافي يسعى لرفعة الدين المندائي وإعلاء اسم الصابئة المندائيين بين الأمم على مختلف مِللهم وعقائدهم وايماناتهم ... و"د.بشير" واحد منهم، والذي تابع بدقة وإخلاص المترجمين: كل من البروفسور صبيح مدلول الخميسي والبروفيسور يوسف متى قوزي ... كذلك، تابع بعناية مركزة مع إخوته في لجنة أعمال الصياغة اللغوية التي أنجزها الشاعر العربي المندائي الكبير عبد الرزاق عبد الواحد. للأمانة يشيد مؤلف الكتاب بالجهد والعمل التطوعي الذي قدمه الأستاذ مجيد جابك في بداية مشوار ترجمة كتابنا المقدس ويثني على العوائل المندائية الكريمة والهيئة الإدارية لنادي التعارف للإسناد المعنوي والمادي لإنجاز مشروعنا الذي توج بالترجمة من الآرامية إلى العربية.

في المهجر وبالتحديد في مدينة اسكلستونا في السويد عمل الدكتور بشير كرئيس للجمعية المندائية مع إخوة أكفَّاء أعزاء له، وفي العاصمة استوكهولم سكرتيراَ لمجلس العموم الذي شُكل هناك.

كان دائماً يسعى لتطوير معلوماته العلمية كونه مهندسًا متخصصًا في علوم الطيران، ويحرص على تكثيف وتوسيع دائرة معلوماته الدينية كإيمان وناصوراثا ورثها عن جده كما تقدَّم... حين قدم إلى أوروبا مهاجراً لم يضِع الوقت، التحق بجامعة بروكسل، حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية خلال ٢٦ شهراَ، ثم واصل دراسته الجامعية في لاهاي بهولندا لمدة ٣٠ شهراَ ليحصل على الدكتوراة في الدراسات المندائية التي كانت بالنسبة له حلمه المطلق،ذلك الأمل الذي راوده منذ صباه، طبق ما كان يسمعه، ركز على ذاكرته، أخرج من صندوق محفوظاته ما كان يلتصق به من نوادر ومفاهيم وحكايات حول ديانته عندما كان يخدم جده وضيوفه في ديوانه، أثمرت أفكاره، تفجرت رغباته، فحقق ما كان يصبو إليه، أن يبدع في المجال الذي عشقه يوم كان صبياَ، الدين الذي يؤمن به... كانت أطروحته متميزة، وقعت في ٦٢٦ صفحة من القطع الكبير... قرّر بعدها أن يتغلب على نفسه، ينتصر على إرادته، استعان بمصادر عديدة جمعها من بغداد ودمشق ولبنان والقاهرة، من مكتبات مركزية في بروكسل ولاهاي وأمستردام ولندن وباريس واستوكهولم، اطلع على أمهات كتب الأولين، والمستشرقين، والمعاصرين، وما كتبه رجال دينه؛ ليبدأ مشواره مع كتابة موسوعة مندائية تضمنت ٦ كتب منذ عام ٢٠١١م متكأً على المعلومات التي ذكرها أعلاه، أنجز منها ثلاثة:

١ - الصابئة المندائيون، دائرة معارف موجزة

٢ -الصابئة المندائيون، بين الإنصاف والإجحاف

٣ - الصابئة المندائيون، شيء من التاريخ

والكتب الثلاثة الأخرى قيد الإنجاز والتأليف.

ما أنهكه قلة منابع المعلومات، شحة المصا در التي تناولت المندائية موضوعًا لها، البحث عنها كان أكبر عائق يواجه الدكتور في مسعاه، بذل جهودًا استثنائية للحصول على المعلومة الدقيقة الأمينة، لاحظ حجم الغُبن الذي لحق جراء إجحاف عدد لا يُستهان به من الكُتّاب بسبب قلة المصادر وتكرار ما كتبه الأولون المتطرفون... قرّر أن يجسَد حقائق لا جدال فيها: الدين المندائي جذر التوحيد الأول، العالم العلوي عالم مندائي، الحي العظيم خلق آدم وحواء مندائيين؛ علمهم الملاك منداد هيي الوصايا والتعاليم والأسماء كما أمر هيي قدمايي[1]... الدين المندائي دين روحاني عميق الإيمان، يعتبر الدنيا فانية وهناك حياة ثانية في عالم الحق (مشوني قشطة) خالدة ليس فيها أوجاع ولا أمراض ولا شيخوخة ولا موت ثانٍ... جسّد "عبد الواحد" كل تلك البديهيات وأثبت صحتها بالعلم اليقين، بالبينة، بالأدلة المستقاة من منابع التاريخ المنصف، مما أوقنه وتعلمه من رجال دينه، من وجهاء طائفته، من علمه الخاص الذي تشرّب به، كافح وناضل من أجله...

من هذا كله خرج لنا الدكتور بإطلالة رفيعة المستوى، جاءت في كتابه القيَم "الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف"، وهو يبين للناس أجمعين خطأ البعض وصواب الآخرين في كل ما تقدم بأسلوب مكثف بليغ أقرب إلى النور، أبعد عن الظلام.

نرجو له الفلاح في مسعاه ولكتابه النجاح.

١ هيي قدمايي: الله

محتويات الكتاب

- تقديم : الريش أُمة/ ستـار جبـار حلو ٧
- مقدمة المؤلف ١٥
- الفصل الأول : نبذة تعريفية عن الصابئة المندائيين ١٩
- الفصل الثـاني : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل المؤرخين الأوائل ٥٩
- الفصل الثالث : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل المستشرقين ٨٧
- الفصل الرابع : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل الكُتّاب والمؤرخين المعاصرين ١١١
- الفصل الخامس : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل الكُتّاب والمؤرخين المندائيين ١٥٥
- الفصل السادس : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل رجال دينهم البارزين ٢٠٥
- الفصل السابع : إنصاف الصابئة المندائيين من قِبَل شخصيات مندائية مرموقة ٢٢٥
- الفصل الثامن : الإجحـاف ٢٦٩
- الفصل التاسع : الموجز و الخاتمة ٤٦٣
- الفصل العاشر : معوقات البحث عن الصابئة المندائيين ٥٠١
- مصطلحات الكتـاب ٥١٤
- مصادر الكتـاب ٥١٥
- المؤلـف في سطـور ٥١٩

مقدمة المؤلف

لم يدوِّن الصابئة المندائيون تاريخهم ، ولم يفسِّروا فكرهم وانغلقوا على أنفسهم عبر مراحل طويلة من الزمن ، ومع ذلك تعرضوا لحملات من المجازر والاضطهاد والتشريد ؛ مما جعلهم أقوامًا مهاجرة تطلب الأمان والمحافظة على حياتهم ودينهم ، وهناك فترات لا تُقاس بعمر الزمن استقروا فيها فأبدعوا في مجالات الصناعة والعلم والأدب.

فيما مضى من الزمن لم ينقلوا تعاليم كتبهم الدينية من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية واللغات الحية الأقوى ، والأدهى من ذلك تكتُّم رجال الدين على هذه الكتب وأخفوها عن العامة والخاصة رغم أنهم يعلمون أنهم غرس التوحيد الأول ، وأنهم أهل الفكر والمعرفة والتوحيد الأول والإيمان.

الكثير من المؤرخين والباحثين وخاصةً الأوائل نقل بعضهم عن بعض فمنهم مَن أصاب ومنهم مَن خاب... إذن هناك نقلٌ من الصحيح ونقلٌ من الضعيف ، مَن نقل من الصحيح فهو منصف ، ومَن نقل من الضعيف فهو مجحف.

في العصر الحديث قام نخبة ممتازة من أبناء الصابئة المندائيين بترجمة عدد من الكتب المندائية ، وفي مقدمتها (الكنزا ربا) «الكنز العظيم» ، وتعاليم النبي يحيى بن زكريا «يوحنا المعمدان» أو كما يسمونه هم «يهيا يهانا» ، تلك الكتب التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية والإنجليزية ، وقد سبقهم بعض المستشرقين بالترجمة إلى لغات حية أخرى ، وأصبح من الميسور على الباحث حاليًا أن يطَّلع على أسفار هؤلاء القوم.

ولكي نكون منصفين يجب أن نذكر أهم الأسباب التي أدَّت إلى عدم تدوين التاريخ المندائي:

١- عدم اهتمامهم بالحياة المادية، واهتمامهم بالروحانيات باعتبار هذه الحياة فانية. (**كلُّ مَن يولد يموت، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد، والعالم كله يفنى، فأين سر الألوهية التي فيه، إن عكازكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون، فانظروا إلى ماذا تستندون**)[1].

٢- تكتُّم رجال الدين خاصة وعدم بوحهم بأي معلومات.

٣- الكتب الدينية كُتِبت باللغة المندائية الآرامية الشرقية التي لا يجيدها إلا عدد من رجال الدين، وعدد محدود جدًا من المعنيين بالشأن المندائي.

٤- عبر التاريخ لم يكن لهم دولة وإمارة أو ملك أو أمير، فهم كثيرو الهجرة والارتحال؛ طلبًا للأمان والرزق الحلال.

٥- صعوبة مفاهيم الدين وطقوسه وشعائره، سبب عزوف كثير من المثقفين والمهتمين عن التأليف والترجمة والبحث.

٦- عدم إنصاف المؤرخين الأوائل، وعدم حيادهم وسطحية معالجاتهم، وعدم البحث والتقصي والمعاشرة الميدانية والعيش معهم، جعلهم يكررون الأخطاء والتقييم غير المنصف وغير الأمين.

٧- عامل التوجس والخوف عندما يكونون تحت حماية دين آخر أسس دولة قوية.

٨- انزواؤهم ردحًا من الزمن في أعماق الأهوار، وانقطاعهم عن مظاهر المدنية كان سببًا في ذلك.

لقد أزفت الساعة أن تنتخي نخبة ممتازة بكتابة التاريخ المندائي وتفسير فكر ومبادئ كتاب الكنز العظيم، وأن تنتشر كل الكتب والدواوين المندائية لتكون في متناول الباحثين ليكتبوا بصدق وأمانة ودقة؛ لينصفوا الحق، ولبيان الخيط الأبيض من الخيط الأسود. مع ضرورة التركيز على التاريخ المعاصر للطائفة وتدوينه وقراءة المستقبل والعمل بموجب خطة عمل، واستثمار الهجرة وبلدان

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

المهجر المتقدمة حضاريًا وتكنولوجيًا في كل المجالات ، وتربية النشء الجديد على العلم والمعرفة ودفعهم ليتبوءوا مراكز علمية متقدمة ، وليظهر منهم علماء وأدباء يغنون البشرية كما أغناها أسلافهم من آل قرة وآل صابي وآل سام.

من الضروري جدًا إضافة حلقات جديدة إلى سلسلة العلم والأدب والمعرفة.

كنت دائمًا أكرر ما يكتبه المنصفون وأمقت ما يكتبه المجحفون بدوافع طائفية مقيتة ؛ أو لأنهم ينظرون إلى غيرهم بازدراء ، فيبالغون بالحقد والأنانية وهم يعرفون حق المعرفة أنهم على باطل ؛ ولهذا ركزنا على المنصفين ، وأهملنا كلام المجحفين الذين خانتهم الأمانة العلمية ومبدأ الحياد والدقة.

التاريخ الإنساني لا يرحم المتطرفين الحاقدين ؛ لأنه لا يمكن حجب ضوء الشمس بغربال ، ولأن الحق هو الله ، وقول الحق هبة من الله فلا يحق إلا الحق ، ولا يصح إلا الصحيح.

بارك الحي العظيم بالمنصفين الأمناء ، ولعن المجحفين الأشقياء.

ومنه العون والتوفيق..

د. بشير عبد الواحد يوسف

الفصل الأول

نبذة تعريفية عن الصابئة المندائيين

وقبل أن نستعرض بإسهابٍ عددًا من المؤرخين والباحثين من الأولين والمستشرقين والمعاصرين ورجال الدين المندائيين ، وعددًا من المثقفين المندائيين المهتمين بالشأن المندائي ، علينا أن نفهم شيئًا ولو يسيرًا عن الصابئة المندائيين ، عن أصلهم ، ونشأتهم ، وتسميتهم ، وأركان دينهم ، وأنبيائهم ، ومهنتهم ، وعلمائهم ، ولغتهم ، ونبذة عن دينهم وإيمانهم المطلق بالحي العظيم ملك النور السامي ، وفكرهم ، والمحرمات عندهم ، وأهم كتبهم الدينية ، وأسباب هجراتهم المتكررة ، ومبادئ التوحيد عندهم ، وأهم الوصايا في كتابهم المقدس (الكنزا ربا) ، ولماذا هم جذر التوحيد الأول ، بمعنى أول الأديان الموحدة ، ولماذا يقدسون الماء الجاري ، ومعرفة مراسيم التعميد (الصباغة) ، وأمور أخرى... لنكوِّن صورة واضحة المعالم عن الصابئة المندائيين ، مما يسهل علينا تقديم الشكر والعرفان لمَن أنصفوهم بالحق والعدل من أصحاب الضمير الحي ، الذين كتبوا ودونوا المعلومات بأمانة وصدق وحيادية ؛ وليكون من حقنا أن نلعن من أجحف بحقهم ظلمًا وحقدًا وعدوانًا، أو بسبب ضعف معلوماتهم ونقلهم معلومات من الآخرين دون تدقيق وتمحيص ، والمفروض بالباحث المنصف أن يتأكد من المعلومة قبل تدوينها.

وطالما الصابئة المندائيون موجودون ، فيجب على الباحث معاشرتهم ومعرفة معلومات مؤكدة عنهم وعن دينهم عن قرب ؛ ليكون البحث دقيقًا وأمينًا.

نبذة تعريفية عن الصابئة المندائيين

- مقدمـة:

لاحظنا أن المهتمين بأمور الصابئة المندائيين وأمور الدين المندائي هم رجال ونساء الطائفة الذين تجاوزت أعمارهم العقد الرابع ، أما الشباب والشابات فلا تلاحظ لهم وجودًا أو نشاطًا في المحاضرات والمؤتمرات وحتى مجالس العزاء، وهذا يعني أن المستقبل مخيف ؛ ولهذا رأينا من الواجب علينا أن ننبه على هذه الظاهرة الخطيرة، وأن ننوِّر النشء من شبابنا وشاباتنا بدينهم وتراثهم وتاريخهم وبالقيم والعادات والتقاليد ؛ لأنهم هم المستقبل ، وهم الورثة الحقيقيون للأجيال التي تقدمت بالسنِّ أطال "لهيي قدمايي" في أعمارهم...
وهذه نبذة تعريفية:

١- الأصـل:

هناك عدة نظريات اجتهد بها الباحثون والمستشرقون مفادها:

أ) بعد الطوفان جنحت سفينة نوح على هامة جبل قردون في سلسلة جبال أرارات شمال العراق ، ومن النبي سام بن نوح وزوجته نوهوريتا تكاثر المندائيون وازداد عددهم ، وفي زمن النبي إبراهيم الخليل بنى مدينة حران في الشمال وسماها على اسم أخيه هران ، وسكن فيها المندائيون ، ومنها انحدروا جنوبًا إلى منطقة المياه البهية جنوب العراق وجنوب غرب إيران ، وعاشوا على ضفاف الأنهار دجلة والفرات والكارون والكرخة وحافات الأهوار.

وكذلك من حران اندفعوا غربًا إلى فلسطين ، وعبروا إلى أرض الكنانة في مصر.

وفي فلسطين دخلوا بحروب خاسرة مع اليهود فقُتِل منهم خلق كثير ، وتذكر المصادر التاريخية أنه في يومٍ واحدٍ قُتِل ثلاثمائة وستون ترميذًا ، وكانت تلك مجزرة سجلها التاريخ بعد وفاة يهيا يهانا نبي هذه الأمة ، وهذا الاحتمال رغم تأكيد عدد من الباحثين عليه ، إلا أنه لا تتوفر لدينا دلائل مادية قوية سوى ذكر وجود يهيا يهانا وأنه كان يُعمِّد الناس في نهر الأردن وقد عمَّد السيد المسيح ، ووجود مغطس النبي يهيا يهانا على ضفاف نهر الأردن كما ادَّعت وزارة السياحة الأردنية ، ولربما لأسباب سياحية.

ب) عدد كبير من الباحثين يؤكدون أن المندائيين موجودون في بلاد ما بين النهرين (أرض شنعار) عندما ازدهرت الحضارة السومرية في أور ، والحضارة البابلية في بابل ، والحضارة الأكدية في أكد ، وهناك كثير من الدلائل المادية ، ومنها الآثار والقحوف والرقم الطينية تؤكد على ذلك ، وقد أكده لنا عدد من الباحثين ، ومنهم الباحثة المندائية فريال زهرون ، كذلك تذكر كتبنا الدينية وأهمها كتابنا المقدس (الكنزا ربا) نهر الفرات وقدسيته وأنه مثيل لفرات زيوا السماوي في آلما دنهورا (عالم الأنوار) ، وعندما تقرأ (الكنزا ربا) –مبارك اسمه– بوثة آدم ، يذكر لنا أبونا آدم اسم دجلة والفرات فيقول **(مَن يسقي الشتلات المباركات ، ومَن يحمل لها الماء من دجلة والفرات)** ، وهو يخاطب مَلَك الموت صوروئيل ، عندما أخبر أبانا آدم أن عمره في هذا العالم بأمرٍ من هيي (الله) ، لقد انتهى وعليه أن يهيئ نفسه لتصعد نشماثته (نفسه) إلى عالم الأنوار.

بل هناك مَن يؤكد أن الصابئة المندائيين عراقيون قلبًا وقالبًا ، وأنهم من أوائل سكان بلاد ما بين النهرين وأنهم سكان البلاد الأصليين والأولين ، وأنهم أول الأديان التي وحدت الخالق وسبحته وعظمته ومجدته... ومن هذه الأرض الطيبة اندفعوا شمالاً إلى مدينة حران ، ومنها اتجهوا إلى فلسطين ، وعبروا إلى أرض الكنانة (مصر) ، ومن جنوب العراق رحل خلق منهم

إلى شبه الجزيرة العربية ، والأحناف منهم لهم نفس ملابسهم ، ونفس وضوئهم (رشامتهم)، ونفس صلاتهم (براختهم)، ونفس صومهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وإيمانهم.

وبرز منهم الخطيب قس بن ساعدة، والشعراء أمية بن أبي الصلت، وزهير بن أبي سلمى ، وطرفة بن العبد ، والحكيم ورقة بن نوفل ، وخديجة بنت خويلد، وآخرون من وجهاء القوم ومثقفيهم.

وهذا الرأي هو الأرجح؛ لكثرة دلالاته ولكثرة الباحثين الذين يؤكدونه، وما يرجح ذلك:

أولاً: أن المندائيين يؤمنون أن عالم الأنوار عالم مندائي، وأن هيي قدمايي قد خلق الملائكة الأثريين مندائيين ، وأمر بخلق آدم مندائيًا ، وعلَّمه التوحيد والوصايا التي أنزلها بالكتاب المقدس (الكنزا ربا) ، وأن هيي قدمايي قد خلق رأس السلالة البشرية آدم وحواء مندائيين، وبالتالي كانت ذريتهم التي ازدادت مع الزمن، وابتهجت بهم الدنيا جميعًا مندائيين، امتلأت بهم بلاد ما بين النهرين، وأن سبب وجود المندائيين في أعماق الأهوار لأجيال عديدة هو الفتوحات الإسلامية طلبًا للأمان، وللمحافظة على رجال الدين وكتبهم الدينية، وهروبًا من القتل أو دفع الجزية أو تغيير الدين، ولكنهم سرعان ما تعايشوا مع إخوتهم المسلمين وعاشوا في ظلهم؛ لأن الإسلام أنصفهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات في سور البقرة والمائدة والحج، إذ ذكر أنهم قوم موحدون مثل اليهود والمسيحيين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٦٢

ج) يؤكد عدد من الباحثين أن المندائيين هم بقايا من السومريين ، وأنهم ساهموا في بناء الحضارة السومرية ، وأنهم اخترعوا الكتابة المسمارية ، فنقلوا البشرية إلى مرحلة إنسانية متقدمة ؛ لأن علماء الاجتماع يُعرِّفون الإنسان أنه حيوان يقرأ ويكتب ، كذلك صنعوا العجلة (الدولاب) فأحدثوا ثورة في تطور الحضارة البشرية في الصناعة وفي الزراعة وفي التكتيك العسكري وفي المواصلات وكل شيء يدور.

وخلاصة القول إن المندائيين هم أول الأقوام التي سكنت بلاد ما بين النهرين على ضفاف دجلة والفرات ، وأنهم أصل العراقيين ، وأقدم الأقوام ، وأقدم الأديان الموحدة.

٢- لماذا سُمُّوا بالصابئة المندائيين؟

كلمة صابئة من الفعل الآرامي (صبأ) ، أي اغتسل أو غطس في الماء ، ومصدرها (مصبتا) وهي تعني اصطبغ في الماء الحي الجاري (اليردنا) فهم الصابغون ، ونبينا كان يُسمَّى يهانه الصابغ ، وهذا الرأي هو الصحيح والمؤكد من قِبَل المندائيين. إذ أن هناك مَن يقول إن الصابئة في الفعل العربي (صبأ) ، أي مَن ترك دين أجداده فاتبع دينًا آخر ؛ ولهذا أهل قريش كانوا ينادون الرسول محمد (صبئت يا محمد) ، وهذا رأي بعض المؤرخين الأوائل من المسلمين ، وهو رأي جَانَب الحقيقة وابتعد عنها.
كذلك يذكر بعض المؤرخين اليهود أن الصابئة من (صابي بن سام بن نوح) ، وهذا أيضًا رأي غير صحيح لا نقره ولا نوافق عليه ؛ لأنها اجتهادات غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقة ، فالصابئة المندائيين أدرى من غيرهم بمعرفة أصل تسميتهم (أهل مكة أدرى بشعابها).

أما كلمة (مندائيين) فتعني أهل العلم والمعرفة، وكلمة (مندي) تعني بيت العلم والمعرفة، وكلمة (مندادهيي) فهي أحد أسماء الخالق الحسنى، تعني عارف الحياة.

وخلاصة القول إن الصابئة المندائيين تعني الصابغون المعرفيون أو المتعمدون، أهل العلم والمعرفة، وأنهم بإيمانهم ومعرفتهم العقلية وإحساسهم عرفوا خالقهم فعظموه وسجدوا لجلالته.

وهذا الاسم (الصابئة المندائيون) هو الاسم المحبب لنا جميعًا، والمعروفون به عند كل الأمم والأديان.

٣- أركان الديـن:

أ. التوحيد — ب. التعميد (الصباغة)

ج. الصوم — د. الصلاة (البراخا والرشامة)

هـ. الصدقة (زدقا).

وإلى تفسير هذه الأركان:

أ) التوحيد:

الصابئة المندائيون أول الأديان التي وحدَّت الخالق.

بسم الحي العظيم

(أسبحك ربي بقلبٍ طاهر، أيها الحي العظيم، المتميز عن عوالم النور، الغني عن كل شيء، نسألك الشفاء والظُفر، وهداية الجنان، وهداية السمع واللسان، ونسألك الرحمة والغفران، آمين يا ربنا، يا رب العالمين) والحي المزكى (كنزا ربا)

وهذا مقطع من بوثة التوحيد التي تصف خالقنا بأعظم وأجمل الصفات.

(هو الحي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول والسمع والبصر ، والشفاء والظفر ، والقوة والثبات ، هو الحي العظيم ، قرة القلب ، وغفران الخطايا)

والحي المزكى (كنزا ربا)

فهل هناك أجمل أعظم من هذا الكلام المنزل في توحيد الخالق!

فالصابئة المندائيون قوم موحدون يؤمنون بالله (هيي) -مبارك اسمه-، وباليوم الآخر ، وبالحساب ، والثواب ، ورسله ، وملائكته ، وبكتبه التي أنزلها للناس.

بسم الحي العظيم

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون، فانظروا إلى ماذا تستندون)

(إن كلَّ مَن يولد يموت ، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد ، والعالم كله يفنى ، فأين سر الألوهية التي فيه إن كنتم تنظرون)

والحي المزكى (كنزا ربا)

ب) التعميـــد:

ونسميها الصباغة، ونسمي نبينا يهانا الصابغ...

ويعتبر هذا الركن مهمًا ومقدسًا ، ويقوم بأدائه رجال الدين حصرًا ، ويتم أيام الآحاد أو في المناسبات الدينية ، وأقدسها أيام البرونايا (البنجة) الخمسة البيضاء، وعيد دهفه ديمانا.

وشعيرة التعميد واجب مقدس على كل مندائي ؛ لتطهير الروح والنقاء والطهارة، فالطفل المندائي المولود حديثًا ، يجب أن يُعمَّد وأن يذكر اسمه الديني (ملواشة)، وكذلك عند الزواج وفي المناسبات الدينية ، وحتى المرأة التي تلد

عليها أن تتعمد لطهارتها. وحتى رجال الدين يصبغ بعضهم بعضًا ؛ للنقاء والطهارة، ويكون التعميد في اليردنا الماء الحي الجاري.

والمندائي المؤمن عليه أن يهيئ نفسه للصباغة، ويجب أن يعرف اسمه الديني، ويجب أن تكون لديه رسته يصطبغ بها ، التي تتكون من سروال وقميص وعمامة ونصيفة وهميانة ، والرسة تُخاط يدويًا وتُلبَس وفق ضوابط وأصول ، أما الهميانة فتُحاك يدويًا، وهي حزام يُربَط أضوليًا.

ج) الــصــلاة:

الصلاة عند المندائيين ثلاثة أوقات ، كلها في النهار ؛ لأن المندائيين يعطون أهمية بالغة للنور ، والصلاة تسمى الرشامة والبراخا ، والقبلة جهة الشمال ، ويُستدَل على الشمال بالنجم القطبي أو باستخدام البوصلة ، أو بمعرفة جهة الشمال ، وهذا الاتجاه يمثل لهم باب عالم الأنوار (الجنة) ، وأن الملاك أباثر (أواثر) سادن باب الجنة. والرشامة تعني الوضوء بالماء الحي الجاري (اليردنا) أما البراخا فتعني قراءة التسابيح والصلوات ، وذكر اسم الحي العظيم وملائكته المسبحين المعظمين للحي العظيم.

د) الــصــوم:

وهو شعيرة مقدسة ، وللمندائيين صومان ، صوم صغير وصوم كبير ، فالصوم الصغير امتناع عن تناول كل ما هو حي في أيام معدودات مقدارها ستة وثلاثين يومًا موزعة على مدار السنة بنظام ، وفيها يُمنَع الذبح ، ونسميها (أيام مبطلات). أما الصوم الكبير فيأمرنا هيي قدمايي بالصوم الكبير: **(صوم العقل والقلب والضمير ، لتصم عيونكم ، وأفواهكم ، وأيديكم ، لا تهمز ولا تلمز).**

(لا تنظروا إلى الشر ولا تفعلوه ، والباطل لا تسمعوه ، ولا تنصتوا خلف الأبواب ، ونزهوا أفواهكم عن الكذب ، والزيف لا تقربوه).

امسكوا أجسادكم عن معاشرة أزواج غيركم
امسكوا قلوبكم عن الضغينة والحسد والتفرقة
امسكوا أيديكم عن القتل والسرقة
امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان ولأصنام الزيف
امسكوا أرجلكم عن السير إلى ما ليس لكم.
إنه الصوم الكبير فلا تكسروه حتى تفارقوا هذه الدنيا الفانية ، فطوبى لمن سمع وآمن أنه يصعد ظافراً إلى بلد النور.

هــ) الــزدقــة (الصدقــة):

شعيرة عظيمة تحتاج إلى شجاعة ، فالكرم من شيم الشجعان ، والدين المندائي وتعاليم الكتاب المقدس (الكنزا ربا) توصينا إذا وهبنا صدقة باليمين يجب ألا تعلم الشمال ، وإذا وهبنا صدقة بالشمال يجب ألا تعلم اليمين، فبئس من أعطى صدقة وشهَّر بها فأفسدها.

(إذا رأيتم جائعًا فأطعموه ، وإذا رأيتم عريانًا فاكسوه ، وإذا رأيتم عطشانًا فاسقوه)
والصدقة هي الهبة الصادقة التي يقدمها المؤمن الصادق ، فالهبة لوجه الحي العظيم ، ملك النور السامي ، وهي اعتراف بنعمة خالقنا علينا ابتغاءً للتقرب ورضاه عنا. وهي أحد أسرار النور ونعمتها ، إذ تفيض على واهبها ينابيع الحكمة والخير فيستنير عقله وتبتهج نفسه بها ، وأداؤها واجب وفرض مقدس ، وهي صفة من أخلاقيات الدين المندائي ومبادئه التي توصي بالكرم والعطاء والهبة لمَن يستحقها.
والنبي يهيا يهانا يوصينا بالصدقة ؛ لأنها تفتح لنا طريق الصعود والارتقاء إلى عالم الأنوار ، لنحيا حياة ثانية أبدية دون مرض وأوجاع ودون موت ثانٍ.
الصدقة تعني فعل الخير ، وتعني أعلى المثل والقيم العليا وحاجة المحتاجين لها مثل حاجة الفم لليد عند الإنسان، أو مثل حاجة الأعمى لدليل يدله على الطريق.

٤- الأنبياء:

أ) آدم:

رأس السلالة البشرية ومنه ومن حواء تكاثر المندائيون وابتهجت بهم الدنيا.

بسم الحي العظيم **(وخلقنا آدم من الدم والطين الأحمر والمرارة ومن أسرار هذا الكون) كنزا ربا.**

إن الصحف الأولى في الكتاب المقدس نزلت على أبينا آدم ، فبعد أن جبلَّ آدم وتخللته النشماتا التي جُلبت له من عالم الأنوار ، دبَّت فيه الحياة وتنفس وتحرك. فأمر الحي العظيم الملاك منداهيي أن يغرس في قلبه الإيمان ويعلمه الوصايا كلها ليزداد إيمانًا وحكمة؛ لكي لا يغويه الشيطان.

عاش آدم ألف عام[1] ، فقال الحي العظيم وهو مستوٍ على عرشه **(ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا، فليخرج من جسده قبل أن يشيخ ، وقبل أن توهنه الأسقام).**

ونُفذ الصوت

نحن نسميه الحق، وأنتم تسمونه الموت.

فنزل ملاك الموت صوروئيل ليخلص نشماتا آدم ويصعد بها إلى الواحد الأحد، الذي لا تقبل لديه شفاعة ولا قربان، ولا يستبدل إنسانا بإنسان.

نزل صوروئيل إلى عالم العوز والنقصان

ونادى آدم وعلمه الحكمة والإحسان

وقال له:

كنت أخرس فأنطقناك

وأصم فأسمعناك

وجاهلاً فعلمناك

ومستوحشًا فآنسناك

---

(١) لا نعلم كيف كانت تحسب الأعمار

ولكن آدم طلب من خالقه أن يمهله ألف عام أخرى ورجاه وأعطى ولده شيتل بدلاً عنه، وتلك يمكن متابعتها بكتاب (الكنزا ربا) القسم الأيسر.

ب) شيتل (شيت):

كان ابن ثمانين عامًا، ولم تكن له زوجة ولا غلام، وكان راغبًا في هذا المقام، وأن يكون بديلاً لأبيه آدم.
وعندما صعدت تشماثة شيتل إلى عالم الأنوار ورأى آدم كل ذلك ندم لأنه رأى ولد شيتل محاطًا بالملائكة معززًا مكرمًا مرحبًا به في بلد النور يعيش حياة ثانية أبدية.
يعتبر شيتل من أنبيائنا المبجلين وهو الميزان الذي تُوزن به الأرواح، فشيتل يعتبر النموذج المثالي؛ لأنه لم يقترف ذنبًا ولم يعمل عملاً باطلاً في حياته، فعندما تحاسب روح الإنسان في محطات الحساب (المطراثي) بعد الموت تُقَاس حسناته وسيئاته خلال مرحلة حياته بالنموذج شيتل عند سادن باب عالم الأنوار الملاك أباثر.

ج) سام بن نوح:

بعد أن حل الطوفان وغرق العالم بقيت سفينة نوح طافية على وجه الماء وفيها من كل زوجين اثنين، وفيها نوح وابنه سام وزوجة سام نوهوريتا، وبعد أحد عشر شهرًا جنحت سفينة نوح على هامة جبل قردون شمال العراق، ومن الرجل سام وزوجه نوهوريتا ومن ذريتهم تكاثر الناس وابتهجت بهم الدنيا.
لقد تكاثر المندائيون وكانوا من الموحدين، بعدها استقروا في مدينة حران، ثم انحدروا جنوبًا إلى المياه البهية، وغربًا إلى فلسطين.
لقد نزل عدد من الصحف الأولى من الكتب المقدسة (الكنزا ربا) على نبينا سام بن نوح الذي أعاد للبشرية رونقها وبهاءها وأنقذها من دمار الطوفان.

د) إدريس (دنانوخت):

نسميه نحن المندائيون دنانوخت ، ورد اسمه في القرآن الكريم نبي الله إدريس ، ويسميه الفراعنة (أخنوخ) ، ويسميه الغنيوصيون (هرمس الحكيم) ، ويُعتبر هو مؤسس المذهب الغنوصي ، لقد هذَّب الروح وطوعها وأخضعها للحساب القاسي لكي ينقيها ويُبعدها عن الخطيئة والعوز والنقصان.

نحن المندائيون معرفيون ، نؤمن بقدرات العقل ونعطيه حقه ، والغنوصية توحد الخالق جلت قدرته بمواجد القلب ، فهناك نوع من الاختلاف في الرؤية والتفكير بالتقرب والتعرف على الخالق جلت قدرته.

لقد ورد اسم دنانوخت في الكتاب المقدس (الكنزا ربا) ، يمكن الإطلاع عليه في القسم الأيمن.

كذلك للنبي هرمس مواعظ وحكم كثيرة لا مجال لذكرها الآن ، ومَن يحب التوسع في المعلومات فليقرأ كتاب هرمس الحكيم.

هـ) بهــرام ربــا (إبراهيم الخليل):

ظهر النبي إبراهيم الخليل في أور في الناصرية على ضفاف نهر الفرات ، وكان نبيًا مندائيًا ، بُشِّر بعبادة الخالق عبادة خالصة دون وسيط ، فقد أنكر على أهل الجزيرة عبادة الغرانيق كواسطة بينهم وبين الخالق ، كذلك اختلف مع المندائيين حول تقديس الملائكة كوسطاء بينهم وبين خالقهم ، بعدها أصابه مرض في غلقته فاضطر للاختتان ، فهاجر مع عدد من أتباعه إلى مدينة حران التي بناها وسماها على اسم أخيه هاران ، ثم هاجر إلى فلسطين ومنها بعد حين عبر إلى مصر... ويعتبر الأحناف من أتباع نبي الله إبراهيم وعلى ملته ، وعدد من الباحثين يعتبرون الأحناف مندائيين والمندائيين أحنافًا ؛ للتشابه بينهم في التوحيد والصوم والصلاة والتعميد. [1]

---

(١) الصابئة المندائيون يعتبرون بهرام ربا ملاك أثيري

و) يهيا يهانا:

خاتم أنبياء الصابئة المندائيين، وُلِد في بيت نبوة أبيه زكريا وأمه أنشبي وتسمى الياصابات أي (الشيخة).

دعا زكريا ربه وعمره تسعة وتسعون عامًا، وعمر زوجته ثمانية وثمانون عامًا، وكانت عاقر، لم يتقرب منها منذ عشرين عامًا، أن يكون له ولد يرثه ويرث آل يعقوب.

وكثف الدعاء والصلاة فاستجاب له هيي، فولدت أنشبي له ولدًا مباركًا سماه يهيا يهانا، كان يعمد الناس في اليردنا ويذكر عليهم أسماء هيي قدمايي، ولقد عمَّد السيد المسيح بأمرٍ من هيي ليصبح نبيًا بعد ذلك، قال بحقه السيد المسيح وذكر ذلك في الإنجيل (لن تلد النساء مثل يوحنا المعمدان...)، وقال بحقه الرسول محمد (كل إنسان يقف يوم الحساب وله ذنب إلا يحيى بن زكريا)، وذُكِر في القرآن الكريم في سورة مريم ذكرًا كريمًا.

وعند المسلمين يذكرون يهيا يهانا باسم يحيى، والمسيحين يذكرون يهانه (يهانا) باسم يوحنا، فيقولون النبي يحيى بن زكريا ويوحنا المعمدان.

يعتبر نبي الله يهيا يهانا من الأنبياء الأنقياء الأتقياء الحكماء الوعاظ الصادقين الكاملين.

لقد ذكره كتابنا المقدس وذكر تعاليمه ووصاياه، كما ذكره الإنجيل فقد قال في حقه السيد المسيح (لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان).

كذلك ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة مريم، بسم الله الرحمن الرحيم: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي).

و(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا).

و(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا).

و(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسمه يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا).

صدق الله العظيم

إن تعاليم النبي يهيا يهانا ومواعظه مدونة في كتابه (دراشة اد يهيا) أي تعاليم النبي يهيا، ومن الضروري على كل مندائي، وخاصةً الشباب أن يطَّلعوا على هذه التعاليم العظيمة، خاصةً وأن لجنة الترجمة قد ترجمت هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

وُلِد يهيا بن يهانا من أبوين مندائيين، وكان أجداده مندائيين، وكانت ولادته معجزة عظيمة عززت الإيمان لدى المؤمنين.

٥- أهم الكتب الدينية المندائية:

- (الكنزا ربا) (الكنز العظيم):

ويُسمى الكتاب أو الصحف الأولى، أنزله الحي العظيم بالتتابع على أنبيائنا من آدم إلى يهيا يهانا، ونُقِل شفهيًا إلى أن دوِّن باللغة الآرامية (اللهجة المندائية).

ويتكون من قسمين، قسم أيمن يتضمن التوحيد والوصايا والخلق والتكوين وتسابيح عديدة، وقسم أيسر يعني بالنشماثا وخروجها إلى عالم الأنوار بعد الوفاة ليحيا الإنسان حياة ثانية أبدية ليس فيها مرض ولا أوجاع ولا موت ثانٍ، حياة أثرية ملائكية بعد أن تجتاز روحه محطات الحساب (المطراثي)، وتتحد مع النفس وتعود إلى موطنها الأصلي الدموثا.

- سيدرا اد نشماثا (كتاب الأنفس):

وهذا كتاب متخصص بهبوط النشماثا وتغلغلها جسد آدم، ويضم عددًا من التراتيل الخاصة بالعروج والتعميد.

- دراشة اد يهيا (تعاليم النبي يهيا):

تعاليم ومواعظ ودروس وعبر ووصايا وحِكَم نبينا يهيا يهانا -مبارك اسمه-.

- قلستا:

وهذا كتاب متخصص بالزواج المندائي ، وما أروع وما أجمل الزواج المندائي وطقوسه وشعائره!

- انياني الرهمي:

كتاب متخصص بالدعاء والصلوات.

- نياني مصبتا:

خاص بالصباغة (التعميد).

وهناك ستة وعشرون ديوانًا كشروحات تفصيلية لإجراء الطقوس.

٦- اللغة المندائية:

المندائيون يتكلمون اللهجة المندائية ، وكل كتبهم الدينية مدونة بها ، وهذه اللهجة إحدى اللهجات الآرامية الشرقية ؛ لأن اللغة الآرامية القديمة التي تكلمها الآراميون قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة قد تأثرت باللغة الفينيقية الكنعانية قبلها ، ثم تشعبت إلى آرامية غربية وآرامية شرقية ، تمثلت الغربية باللهجات التدمرية والعبرية ، والشرقية بالسريانية والكلدانية والمندائية والآشورية.

واللهجة المندائية تتكون من ٢٤ حرفًا تبدأ بحرف الألف وتنتهي به ؛ لإيمانهم أن كل الأشياء تعود إلى أصولها وبداياتها

واللهجة المندائية قريبة جدًا من اللهجة السريانية والكلدانية ، وتعتبر حاليًا لغة دينية للمندائيين ، وجميع الكتب الدينية قد دوِّنت بها ، علمًا بأنه قد تم ترجمة عدد منها إلى اللغة العربية ، وخاصةً الكتاب المقدس (الكنزا ربا) ، وكتاب دراشه اد يهيا (تعاليم النبي يهيا).

بُذِلَت جهود في الوطن الأم، وأُنشِئت مدرسة مندائية في مندي بغداد في القادسية وتخرجت دورات عديدة ، وتمكن الدارسون من التفاهم بينهم ؛ ولكن لأنهم لا يتكلمون هذه اللغة في البيت سرعان ما تضعف ويتم نسيان الكثير من مفرداتها.
وفي بلاد المهجر جدت محاولات عديدة لإحياء مثل هذه المدارس ، وبادرت الجمعية المندائية في مدينة اسكلستونا في السويد بفتح مدرسة مندائية بمساعدة منظمة **A.B.F** الإنسانية السويدية ، ونأمل خيرًا ونشجع الجميعات المندائية أن تحذو حذوها ، وتستفيد من خبرتها ومن مناهجها.
ولغرض أن يتعلم المندائيون لغتهم الأم مثل السريان والكلدان والآشوريين ، عليهم أن يتكلموها في البيت وفيما بينهم ، ويتطلب الأمر إنشاء مدارس تعليمية على شاكلة المدرسة المندائية التي أنشأها مجلس الشؤون العام في بغداد ، والمدرسة المندائية التي أنشأتها الجمعية المندائية في اسكلستونا حاليًا.

٧- صفات الخالق جلَّت قدرته :

يصوِّر الكتاب المقدس (الكنزا ربا) الخالق وكأنك تراه وتحسه ، فهو ملك النور السامي ، كله نور لا ظلمة فيه ، كله إشعاع ، كله خير ، كله طيبة ، رب العوالم جميعًا ، العليا والوسطى والسفلى ، انبعث من ذاته قبل الضياء والماء.
ومنه انبثقت الطاقة والحرارة الحية ، وبأمره تكوَّن عالم الأنوار والعالم الأرضي ، وبأمره خُلِق كل شيء ، وبقوله كان كل شيء.
وأمامه الملائكة مسبحين لرب العظمة السامي ، ليس له والد ولا ولد ، ولا يشاركه مُلكه أحد.
ومن صفات الخالق المحببة الرائحة الطيبة العطرة ، من شمها شعر بالحياة والشذى العبق ، وصوته بهيج يسر النفوس ويأسرها ، ومن صفاته جمال الوجود، الكلمة التي خلق بها العوالم النورانية.

كذلك جمال الهيئة وعظمتها ، هو هيي قدمايي ملك النور السامي ، أصل النيرات كلها ، ورب الملائكة النورانيين وخالقهم ، ومن قدراته طُبِع اسمه على أفواه المؤمنين ، فهم جميعًا له مسبحون.

هو الله الأول منذ الأزل ، خلق كل شيء وبأمره كان كل شيء.

وللدين تعاريف كثيرة منها ، شعائر وطقوس تميز أتباعه عن غيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

والشكر ، كل الشكر لخالقنا الذي هدانا لتوحيده ، والإيمان بقدراته ، فهو ملك النور منذ الأزل ، ثابت عرشه ، عظيم ملكوته ، مبارك هو في كل زمان ، موجود منذ القدم ، باقٍ إلى الأبد.

خلق الإنسان في جسدٍ ماديٍّ ونشماثة روحية في عالم الأنوار ، فيها سره وفيها عظمته وفيها قدرته.

فالحي العظيم أبدي ليس له بداية ، وسرمدي ليس له نهاية ، لا نعرف متى كان ، ولا نعرف متى لا يكون.

(ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون) كما ورد في الكنزا ربا.

ولهذا فالصابئة قوم موحدون يؤمنون بالحي العظيم ، ويسمونه بأسمائه الحسنى ، وباليوم الآخر ، وبرسله وأنبيائه الذين بعثهم بالحق ، وبملائكته ، وبالثواب والعقاب (المطراثي دار الحساب).

يا جميع الذين تسمعون نداء الحي العظيم حين تقومون وحين تقعدون ، حين تذهبون وحين تؤوبون ، تأكلون أو تشربون ، أو أنتم في مضاجعكم ، وأنتم تعملون: اذكروا الحي العظيم كثيرًا ، وهيئوا يردنا واصطبغوا بها ، اصبغوا نفوسكم بالصبغة الحية التي أنزلها الحي العظيم عليكم ، من أكوان النور ، والتي اصطبغ بها كل المؤمنين الكاملين المسبحين المعظمين الممجدين لملك النور السامي.

٨- تجليات الخالق:

يؤمن الصابئة المندائيون أن العالم العلوي (عالم الأنوار) تم خلقه في خمسة أيام يسمونها الأيام البيضاء أو البنجة ودينيًا البرونايا:
في اليوم الأول منها تجلى هيي قدمايي ملك النور السامي،
وفي اليوم الثاني منها تجلى الحي العظيم رب العظمة ماري دريوثا،
وفي اليوم الثالث منها تجلى الحي العظيم عارف الحياة مندادهي،
وفي اليوم الرابع منها تجلى الحي العظيم الحق الكامل،
وفي اليوم الخامس بدأت الحياة وتفجرت الينابيع الحية العذبة وجرت اليردنا في الأنهار، وبدأت الحياة الملائكية في عالم الأنوار، وتكونت جنة الحي العظيم في العالم العلوي.
وتعتبر الأيام الأربعة الأولى كأنها يوم واحد بيضاء لا ليل فيها ولا تعد هذه الأيام الخمسة من أيام السنة المندائية التي مقدارها ثلاثمائة وستون يومًا مقسمة على اثني عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا بالتمام والكمال.

٩- التوحيد و الوصايا:

الصابئة المندائيون أول الموحدين وأول مَن آمن بالحي العظيم ووحَّده وسبحه ومجَّده، وكتاب (الكنزا ربا) هو أول الصحف التي نزلت على آدم رأس السلالة البشرية وعلى مَن بعده من الأنبياء المندائيين، والكتاب المقدس (الكنزا ربا) يعتبر أول الكتب السماوية التي أنزلها الخالق على الأنبياء آدم وشيتل وسام بن نوح ويهيا يهانا، وهناك كثير من البحوث التي تمجد وتعظم خالقنا رب الناس جميعًا.

(أسبحك ربي بقلب طاهر
أيها الحي العظيم
المتميز عن عوالم النور

الغني عن كل شيء
نسألك الشفاء والظفر
وهداية الجنان
وهداية السمع واللسان
ونسألك الرحمة والغفران
آمين
يا ربنا يا رب العالمين)

والحي المزكى (كنزا ربا)

(هو الحي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول والسمع والبصر ، والشفاء والظفر ، والقوة والثبات ، هو الحي العظيم ، قرة القلب ، وغفران الخطايا)

والحي المزكى (كنزا ربا)

الكتاب المقدس (الكنزا ربا) -مبارك اسمه- يصف الخالق وصفًا دقيقًا يصوره لك وكأنك تراه وتتصوره ، فالحي العظيم أبدي ليس له بداية وأزلي ليس له نهاية.

بقوله كان كل شيء وبقدرته خُلِق كل شيء ، خلق الإنسان من جسدٍ مادي ونشماثا روحانية وضع فيها سره وقدراته وعظمته ، وهي هبه من الحي العظيم باقية إلى أبد الآبدين ؛ ولهذا فالصابئة المندائيون قوم موحدون يؤمنون بالحي العظيم ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه التي أنزلها عليهم ، وبكل تعاليمه ووصاياه ، ويؤمنون بالحساب والثواب ، وبالحياة الثانية الأبدية في عالم الأنوار حيث لا مرض ولا أوجاع ولا شيخوخة ولا موت ثانٍ.

فيجب على الإنسان أن يكون أمينًا صادقًا نزيهًا ، لا يقترف ذنبًا عن عمد ، وأن يتميز بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة ، وأن يحب الناس ويكون عضوًا نافعًا في المجتمع ، وأن يحترم والديه ويستمع لنصائحهما وتوجيهاتهما ، وأن يحب

إخوته وأخواته وأقرباءه ويقدم لهم العون والمساعدة ، وأن يكون محبًا للناس ولدينه وتعاليمه ولرجال الدين ، ولديه من الحب ما يكفي الجميع ؛ ليباركه الحي العظيم ويرزقه الصبر والخير والذكاء والحظ ، وينير دربه ويرسم له مستقبلاً زاهرًا.

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون، فانظروا إلى ماذا تستندون)

والحي المزكى (كنزا ربا)

لأن كتابنا المقدس (الكنزا ربا) يعلمنا أن كلٌّ مَن يولد يموت ، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد ، والعالم كله يفنى ، فأين سر الألوهية التي فيه إن كنتم تنظرون.

ويعدنا الخالق جلت قدرته بحياة ثانية أبدية طالما عشنا هذه الحياة أنقياء أصفياء مؤمنين ، نقدم الحب والخير للناس ، ونوحد خالقنا رب العباد ، ونهتدي بتعاليمه ووصاياه.

والوصايا المدونة في كتابنا (الكنزا ربا) كثيرة، نذكر شيئًا منها:

- قل يا عبادي لا تزنوا ولا تسرقوا ولا تنتهكوا حرمات الناس.
- احترموا آباءكم ، واحترموا أمهاتكم ، واحترموا إخوتكم الكبار أجمعين ، إن مَن لا يحترم والديه مدان إلى يوم الدين.
- أرشدوا الأعمى ، وأحسنوا إلى الفقير ، وإذا تهبون صدقة يا أصفيائي لا تشهدوا عليها ولا تشهروا بها ، لا تعلم يمينكم بما وهبت شمالكم ، ولا تعلم شمالكم بما وهبت يمينكم.
- لا تأكلوا الميت ولا الدم ولا المشوه ولا الحامل ولا المرضعة ولا الحائض ولا التي أجهضت ، ولا الجارح ولا الكاسر ، ولا الذي هاجمه حيوان مفترس.
- أيها المندائيون الصالحون إذا اخترتم لأنفسكم أزواجًا فاختاروا من بينكم (من دينكم) وأحبوهن، وليحفظ أحدكم الآخر، واعتنوا ببعضكم عناية العيون بالأقدام،

وليحب بعضكم بعضًا ، وليتحمل بعضكم بعضًا ، ولا يفارق أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم، بهذا تعبرون بحر سوف العظيم.

– لا تبكوا موتاكم ولا تقيموا عليهم الأحزان ، إن مَن مزَّق ثيابه على ميت فقد دنَّسها ، ومَن خلع شعره على ميت فسُيربَط بجبل الظلام بحبلٍ لا يبيد.

مَن أحب موتاه فليطلب لهم الرحمة ، وأقيموا عليهم الصلاة والتسبيح ، واقرؤوا الابتهالات ، وأقيموا مسقثا الرحمة من أجلها ، عندئذٍ يسير الضياء أمامها ، والنور ورائها ، ورسل الحي على يمينها ، وملائكة النور عن شمالها ، فتنجو من دار الحساب (المطراثي) ومن مراجل النار.

– هبوا الخبز والماء والمأوى لبني البشر للمتعَبين وللمضطهَدين ، وكونوا عادلين ، وتحابوا صادقين.

– لا تحلفوا كذبًا ، ولا تبدلوا أيمانكم ، ولا تأكلوا مال الربا ، وإن أقرضتم فلا تقرضوا سرًا.

– أحبوا لأصحابكم ما تحبون لأنفسكم ، واكرهوا لهم ما تكرهون لها ، وتزودوا لآخرتكم بالعمل الصالح، فانظروا واسمعوا وآمنوا ، وتقبلوا كلمات ربكم.

١٠- الماء والتعميد:

الماء الضياء شكلت الحياة بأمرٍ من ملك النور السامي ، وهي حلقات مترابطة بين عالم الأنوار وعالمنا الأرضي.

وبأمرٍ من خالقنا هيي قدمايي

حلَّ الثمر العظيم داخل الثمر العظيم

وبأمره سبحانه

كان أثير الضياء العظيم

ومن آير زيوا ، أثير الضياء العظيم ، كانت الحرارة الحية ومن الحرارة الحية كان النور.

بقدرة ملك النور السامي صارت الحياة

وصار الثمر ، الثمر العظيم ، وصار فيه يردنا (الماء الحي الجاري)

وإذ صار يردنا العظيم صار الماء الحي الجاري

الماء المتألق البهيج

ومن اليردنا نحن الحياة صرنا ، ثم صار الأثريون بأمرٍ من الحي العظيم.

وبعد أن صارت الحياة، صار الظلام ، ثم صار بعده العوز والنقصان.

كانت الأرض يغطيها الماء الآسن ، وعندما صُبّ بها الماء الحي من عالم الأنوار أصبح الماء الذي يغطي الأرض ماءً عذبًا، ماءً حيًا بهيجًا جاريًا (يردنا) لغرض نشر البهاء والخير وتقديم العون للنشماثا للصعود والارتقاء ، ولغرض تهيئة المناخ للتعميد والشفاء.

إن اختلاط الماء الحي السماوي بماء الأرض عزز العلاقة بين عالم النور والعالم الأرضي مما أدَّى إلى نشوء الحياة في هذا العالم وكل شيء تمَّ بأمرٍ من خالقنا سبحانه.

إن الماء الحي الجاري (اليردنا) عنصر أساسي في كل الطقوس المندائية ، التعميد (الصباغة) ، المسقثا ، طراسة (تكريس) رجل الدين ، الزواج ، النحر والتطهير ، الرشاما (الوضوء) والطماشه وتكريس المندي.

فلا شعيرة دينية تتم دون اليردنا والنور فهما رمز الحياة، بل هما الحياة نفسها.

فلا تعميد دون وجود النور والماء ، فعادةً يتم التعميد يوم الأحد من كل أسبوع وفي الأعياد والمناسبات الدينية ، والتعميد ضروري عند الولادة والزواج وتطهير الروح والجسد من كل ذنب.

وأثناء مراسيم التعميد التي تجري في اليردنا تُتلى تراتيل عميقة المعنى ؛ لأن الماء الحي يقيم الحياة ويعززها لأنه عنصر خالق للحياة وبهائها ، وتكون الماء ونشوء الحياة من مائها وقيام الحياة بتكوين الأشياء داخل المياه الحية بقدره الحي العظيم.

وكما يذكر لنا القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]. دلالة واضحة وتعزيز لما ورد في كتابنا المقدس (الكنزا ربا).
إن الماء الحي هو حلقة الوصل بين عالم الأنوار والعالم الأرضي، ويكون الماء الحي ممرًا للنشماثا عند عروجها أثناء التعميد أو في رحلة ما بعد الموت الدنيوي ومفارقة النشماثا الجسد.

١١- المُحرَّمات:

المحرمات في الدين المندائي كثيرة، ففي الوصايا في الكتاب المقدس (الكنزا ربا)، ستجد أن هيي ربنا قد نهى عن القتل والسرقة والكذب، وعن الربا وعن هتك أعراض الناس، وعن النميمة وشهادة الزور، والكفر بالخالق، وخيانة الأمانة، والزنا، والسجود لغير الخالق، وعبادة الأصنام والأوثان والكواكب والأفلاك والبشر والنار وكل شيء، ما خلا الخالق رب الناس أجمعين.
كما حرم السحر والشعوذة، وقتل الحيوان دون سبب أو إيذائه أثناء ذبحه، كما حرم البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى، كما حرم عدم التحدث بالصدقة، وحرم تلويث الأنهار، والإجهاض المتعمد، والقسم والحلف بالباطل، وأمور كثيرة.
أما فيما يخص الطعام فالمحرمات هي:
الدم، والميت، والحامل، والحائض، والتي أجهضت، والمشوه، والكاسر، والجارح، وكل ما مسَّه حيوان مفترس.
والدين المندائي يحرم كل ما يلحق الإنسان من ضرر، وكل ما يخالف وصايا وتعليمات الخالق ورسله وكتبه المنزلة.

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية ٣٠

١٢- كيف زوَّج أبونا آدم ولديه لبنتيه؟

يُعتبر آدم رأس السلالة البشرية، أول أنبيائنا وأول مَن نزلت عليه آيات بينات من كتابنا المقدس (الكنزا ربا) على شكل تعاليم ووصايا نقلها له الملك النوراني مندادهيي بأمرٍ من هيي.

وقد خلق هيي قدمايي آدم من الطين والدم والمرارة ومن أسرار الكون، ونزلت له نشماثا من عالم الأنوار حملها له الملاك مندادهي بعد أن أخذت من الدموثا (النظير) آدم كسيا (آدم الخفي).

ولهذا لا يوافق الصابئة المندائيون على ما قاله الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

إذا مـــا ذكرنـــا آدم وفعالـــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

ومن حقنا أن نستغرب من فيلسوف مثل الشاعر أبي العلاء المعري الذي كتب رسالة الغفران، وكان من رواد مجلس الشريف الرضي، صديق العالِم المندائي أبي إسحاق الصابي، أنه لم يطلع على كتابنا المقدس (الكنزا ربا).

ولا يعرف أن الحي العظيم أرسل الدموثا (النظير) مشوني قشطا في عالم الأنوار، أي الفتيات وتزوجهن أولاد آدم، وأرسلت البنات من مشوني قشطا وتزوجن الأولاد. ولهذا فالمرأة أتت من عالم الطهارة والنقاء؛ ولهذا يسمون المولود باسم أمه (اسمه الديني) أي الملواشة التي تجري له كل الطقوس الدينية بهذا الاسم... والحق يُقال ربما الابن يُسمى باسم أمه؛ لأنها الوحيدة التي تعرف هو ابن مَن، إذا استثنينا العلم الحديث ومسألة D.N.A.

١٣- الإنسان وما أدراك ما الإنسان:

الدين المندائي يعلمنا أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية (الجسد ، النفس ، الروح).
أ) الجسد: جُبِل من طين ويعود إلى الطين ، وهو الوعاء أو الجذع الذي يحتوي على النشماثا (النفس + الروح).

ب) النفس: وهي قبس من هيي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة.

ج) الروح: تمثل الفعاليات والغرائز التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد ، وهي خاضعة للحساب في محطات الحساب (المطراثي).
فعندما يموت الإنسان تحرر النشماثا من الجسد وتبقى ثلاثة أيام تحوم بين القبر وبيت المتوفى ، بعدها تعرج إلى أباثر سادن باب الماه دنهورة ، وهناك تنفصل الروح عن النفس ، وتعرج الروح إلى المطراثي للحساب.
فإن ثقلت حسناتها وقلت سيئاتها مقارنةً بالنبي شيتل الذي يمثل ميزان أباثر ، صعدت إلى الملاك أباثر واتحدت (لوفا) مع النفس وكونت النشماثا التي تعود إلى أصلها الدموثا (النظير) الذي أخذت منه عند الصيرورة.
أما الدموثا فيغادر جسمه الأثيري ويتحول إلى ملاك نوراني ، وهناك العقل والقلب والضمير ، ولكل منهم واجبات وعمل ، وباختصار شديد هذه فلسفة عميقة تحتاج إلى تفسير وتنظير.

١٤- الدين المندائي و المرأة المندائية:

لقد أنصف الدين المندائي المرأة حين ساوى بينها وبين الرجل في مناحي الحياة واحترم المرأة وأعلى مكانتها. ولقد عملت المرأة المندائية جنبًا إلى جنب مع الرجل ، إضافة لمسؤولية البيت وتربية الأطفال والعناية بالأسرة المندائية ،

وشغلت المرأة المندائية مراكز علمية متقدمة ، فهناك المعلمات والمهندسات والطبيبات والأكاديميات والشاعرات والعالمات.
ومسؤولية المرأة تجاه زوجها مسؤولية اجتماعية وإنسانية وأخلاقية، فهي القسم المتمم للزوج، وكتابنا المقدس يأمرنا بالزواج والإنجاب والإخلاص.
(زوجوا أولادكم وبناتكم وليعتني بعضكم ببعض وليحب بعضكم بعضًا ، ولا يفارق أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم ، تزوجوا ولا تكونوا كالنبات الرديء الذي يشرب الماء ولا يعطي الثمر).
وهذا يعني أنه لا يوجد عندنا طلاق بل نسميه فراقًا ؛ لأن الرجل الذي يفارق زوجته من حقه أن يعود إليها دون الحاجة إلى إجراء مراسيم دينية مرة أخرى.
والمرأة المندائية المؤمنة الصادقة يجب أن تكون مخلصة لزوجها مثلما يجب أن يكون الزوج مخلصًا لزوجته ، وعليها الالتزام بالوصايا والتعليمات الدينية المندائية وبالمُثُل والقيم والأخلاق النبيلة، فإن (الأم مدرسة إن أعددتها أعددتَ شعبًا طيب الأعراق)[1].

١٥- الزواج من الديانات الأخرى:

مستقبل الأولاد والبنات المتزوجين من ديانات أخرى، وهل من حلول بالأفق؟
هذه بالحقيقة مشكلة معقدة تحتاج إلى حلول واقعية ومنطقية ، والتفكير فيها يتطلب عقلاً نيرًا وروحًا أبوية عالية وبُعد نظر وحسابات دقيقة لمستقبل الطائفة وأبنائها ودراسة المتغيرات والمجتمعات الجديدة وحركة التطور ، والقوانين والنظم الحديثة ، والأمر بما هو مستطاع وممكن بعيدًا عن التزمت والسلفية دون المساس بجوهر الدين والتعاليم التي أنزلها الحي العظيم، والتطور والتقدم ضرورة حضارية يفرضها الواقع وقوة الشباب والقوانين التي تحميهم من التزمت ومصادرة الحقوق.

---

١ من قصيدة "الأم مدرسة" للشاعر حافظ إبراهيم.

أرى لزامًا علينا وعلى رجال ديننا الأفاضل الموازنة ومجاراة العصر والتطور دون المساس بالجوهر.

وهناك بالحقيقة فريقان:

فريق يمثل رجال الدين ومؤيديهم، ومعظمهم من كبار السن لا يقبلون بزواج بناتهم وأولادهم من الديانات الأخرى، ولهم أسبابهم وقناعاتهم وأهمها:

أ) تشجيع زواج أولادنا من بناتنا، أي من بعضهم البعض لمحدودية العدد وضرورة ترغيبهم بهذا الزواج؛ لكي لا يفكروا بالزواج من غير دينهم، وهذا إحدى واجبات المجالس والجمعيات والمنتديات الثقافية المندائية، وواجب أساسي من واجبات رجال الدين الأفاضل.

ب) ضرورة المحافظة على العائلة المندائية وتماسكها بوشائج القربى وصلة الرحم ونقاء الدم؛ ولكي لا تذوب العوائل المندائية في المجتمعات الكبيرة من الأديان الأخرى.

ج) الدين المندائي دين مغلق، أي ليس دينًا تبشيريًا؛ ولأن كل مندائي ومندائية يحمل اسمًا مدنيًا وآخر دينيًا يُسمى الملواشة التي تأخذ من اسم الأم، كذلك ملواشة الأم تُؤخذ من اسم أمها، وهناك معادلات أخرى يدخل فيها شهر الولادة وساعة الولادة.

وهذه الملواشة ضرورية لإجراء كل المراسيم والطقوس الدينية لكل مندائي ومندائية.

فمثلاً لو تزوج رجل مندائي من امرأة ليست مندائية وأنجب منها أطفالاً، فهؤلاء الأطفال لا يمكن أن يحملوا أسماء دينية، وبالتالي لا يستطيع رجل الدين إجراء أي طقوس دينية لهم.

ولهذا أصدر رجال الدين مجتمعين قرارًا ملزمًا بعدم الزواج من غير الدين المندائي، والذي يخالف يتحمل مسؤولية نفسه.

وهناك فريق له رأي آخر وأسباب أخرى:
لا يخفى على أحد الهجرة وأسبابها ودوافعها ، وانتشار المندائيين في بقاع المعمورة الواسعة واختلاطهم بمجتمعات متطورة وظروف معيشية معقدة ، واحتياج بعضهم للإقامة الشرعية ، وسرعة الحصول على جنسيات وعلى عمل وتعلم اللغة... كل هذا دفعهم للزواج من دين آخر وأنجبوا أولادًا وبنات ، وحبهم لأهلهم وتمسكهم بصلة القربى والأرحام يتمنون زواج أولادهم وبناتهم من المندائيين ، وأن يندمجوا بالمجتمع المندائي ، ويمارسون الطقوس والشعائر المندائية.
يلاحظ أن الأديان السماوية عند دراستها مع مرور الزمن تطورت وخففت كثيرًا من القيود وسُهِّلت إلى الأحسن والأبسط مع المحافظة على الجوهر.
فمثلاً لو أخذنا إحدى وصايا السيد المسيح لأحباره (إن ما تفعلونه في الأرض من جديدٍ أوافق عليه في السماء) ، ومعنى هذا أنه أعطى لأحباره حق التطور والتجديد.
بينما نجد شعيرة التعميد عندنا مثلاً بقيت كما هي ، كما عَمَّد النبي يهيا يهانا السيد المسيح قبل أكثر من ألفي عام ، ولاحظ كيف خفف المسيحيون شعيرة التعميد.
وإني في الحقيقة هنا أتساءل (ما هي نسبة المندائيين الذين يرشمون ويبرخون ، أهي ١% أم ٢% أم أقل من ذلك؟) ، والسبب يعود إلى صعوبة إجراء هذا الطقس المهم الحيوي مع تطور الحياة.
لذلك أرى ضرورة أن يكون عندنا رجال دين أكاديميين يفكرون بعقلانية وحكمة ومنطق وينصفون الشباب ويحببون دينهم إليهم ليتمسكوا بتعاليمه ؛ ولهذا أنادي بتأسيس كلية الدراسات المندائية.

١٦- أعلام مندائية خلَّدها التاريخ:

أ) **ثابت بن قرة:** عالم فذ عظيم مقتدر ، وُلِد سنة ٢٢١ ، وتوفى سنة ٢٨٨هـ ، ألَّف هذا العالِم الجليل أكثر من مئة وخمسين كتابًا في مجالات الطب والهندسة والفلك والفلسفة والرياضيات ، ومن وصاياه الطبية:

راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام
وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام

ما أروعك يا ثابت ، وما أغزر علمك ، وتعدد مواهبك ، وما أعظم ما أنجبت من أبناء وأحفاد علماء في الطب والهندسة والفلك وكل ضروب العلم والمعرفة.
انظروا الشاعر العباسي أبو أحمد يرثيه بقصيدة عصماء ، مطلعها:
أَلا مَا خَلا الله كلُّ شيءٍ مائتُ ومَن هَاجَر يرتجي ومَن مَاتَ فَائتُ
نَعَينَا العُلُومَ الفَلسفيَّات كلها خَبَا نورُها إذ قِيل مَاتَ ثَابِتُ

رحم الحي العظيم ثابت أبا سنان ، فلقد كان مدرسة متعددة الفنون ، نقل علمه بأمانة وإخلاص إلى أولاده وأحفاده من العلماء الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ بغزارة علمهم ، وما قدموه للبشرية من خدمات

ب) **البتاني:** من أعظم علماء الفلك ، وله مؤلفات عديدة.

ج) **سنان بن الفتح:** برع في علم الحساب والأعداد والجبر.

د) **المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي:** كان أديبًا بارعًا في الأدب والنحو والشعر والنثر.

هـ) أبو **إسحاق الصابي:** نابغة جيله ومن أعلم علماء زمانه ، تقلَّد أعمالاً جليلة في ديوان الخلافة العباسية منها رئاسة ديوان الرسائل لأهميته ، وكان موضع تقدير واحترام الخلفاء ، وكان له صداقة حميمة مع الشريف الرضي من أشراف بني هاشم ، وكان له مجلس علم وأدب. ويعتبر أوحد الدنيا زمن الدولة العباسية

في البلاغة وفي إنشاء الرسائل ، وقد رثاه بعد وفاته صديقه وصاحب مجلسه الشريف الرضي بقصيدة عصماء تعتبر من روائع الأدب العربي ، مطلعها :

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى الأعْوَادِ أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي

جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ

ما كنتُ أعلمُ قبْلَ اليومِ أنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الأَطْوَادِ

والشكر موصول للبروفيسور قيس السعدي لإعداده كتاب قيم دوَّن فيه مآثر أبي إسحاق الصابي.

و) العالم الدكتور عبد الجبار عبد الله السام: وهذا العالِم الفذ الجليل غني عن التعريف ؛ لسعة علمه ومؤلفاته ونظرياته التي تُدرَّس حتى اليوم في مختلف جامعات العالم المتقدم... والده عالِم دين جليل هو الكنزبرا عبد الله السام... ، ويعدُّ الدكتور عبد الجبار من العلماء الذين يُشَار لهم بالبنان ، وصاحب نظريات عديدة وكبيرة ، أسَّس جامعة بغداد ، ومن العلماء الذين وضعوا الخطط التربوية للنهوض بالتعليم والعلم والعلماء ، عالم الأنواء الجوية وصاحب نظرية عين الإعصار المشهورة ، له نظريات عديدة في علوم الأعاصير ومركز الزلازل الذي يُسمى بلغة العصر تسونامي.
من حق كل مندائي أن يتباهى بالعالِم الفذ عبد الجبار عبد الله ؛ لأنه من العلماء المعدودين الذين قدَّموا خدمات جليلة للبشرية جمعاء.

والمهم الآن كيف لنا أن نبني جيلاً ينبغ فيه علماء وأدباء ومفكرون أمثال ثابت بن قرة ، وأبي إسحاق الصابي ، وعبد الجبار عبد الله ، هذه الحلقات من العباقرة الأفذاذ. فيجب أن ينبغ عدد من أبنائنا ؛ لأننا نملك جينات العبقرية من أجدادنا ، ولأننا قوم من الأذكياء المتفوقين في مجالات الحياة ، ولأن أبواب العلم فُتِحت أمام شبابنا مشرعة في العالم المتقدم.
إن أي أمة تنال شهرتها واحترامها وتقدمها بسلسلة من علمائها وأدبائها ومفكريها ، فلنستثمر الزمان والمكان ولتتواصل سلسلة العباقرة والمبدعين.

١٧- أهم الحِرَف والمهن التي يمارسها الصابئة المندائيون:

لا أعتقد أن أجدادنا كانوا مزارعين أو رعاة ولا غزاة وأهل حروب كما يذكر عدد قليل من الباحثين، حيث ادَّعوا أننا من الأنباط، والأقباط مزارعو ميسان، ومَن قال إنهم غزاة عاشوا في جبال ميديا، وكل هذا لعمري غير صحيح؛ لأن الأجداد تورث مهنتها إلى الآباء، والآباء يورثونها إلى الأبناء، فلم نرَ أن أجدادنا أو آبائنا كانوا -كما يزعم البعض- مزارعين أو رعاة أو غزاة، وإنما أُناسًا مسالمين لا يأخذون أكثر من حقهم ويؤمنون بالناصوراثا ولا يؤمنون بالقوة والسلاح وكتابنا المقدس يوصينا وكذلك يعلمنا:
بسم الحي العظيم
(سلحوا نفوسكم بسلاح أمضى من الحديد، سلاح الناصوراثا وكلمات ربك الصادقة)
والحي المزكى (كنزا ربا)

ولهذا فهم حرفيون أتقنوا الحِرَف وبرعوا بها، وهي الحِرَف التي تخدم الإنسان وتسهل عمله وتيسر له لقمة العيش والكسب الحلال، برعوا في صناعة الأدوات الزراعية التي يحتاجها الفلاح مثل المسحاة والمنجل والمحراث، وأدوات الصيد التي يحتاجها صيادو الأسماك مثل الفالة والشباك وغيرها، كذلك برعوا في صناعة الزوارق بأنواعها مثل المشحوف والطرادة والجليكة والبلم والمهيلة والسفينة وغيرها مما يُستفَاد منه في الصيد وفي النقل.

كذلك برعوا في صناعة الخناجر والسكاكين والسيوف، ومع تطور الأسلحة صنعوا البنادق والمدافع وأنواع الإطلاقات، تطور الأمر إلى صناعة الحلي الفضية، وتفننوا بصناعة الميناء وحافظوا على أسرارها، ثم تطوروا إلى صناعة الحلي الذهبية وبرعوا فيها، وتحولوا إلى صاغة ماهرين فتحسن وضعهم المعيشي، وبالتالي وضعهم الاجتماعي؛ ولأنهم مسالمون، ولأنهم أمناء صادقون، ولأنهم أهل نعمة وخير، أَحَبَ الناس التقرب منهم وإقامة علاقات صداقة ومودة معهم، وأصبحوا محبوبين من قِبَل كل الناس.

ولكونهم ورثوا جينات الذكاء والإبداع من أجدادهم تفوقوا في الدراسة والعلوم والآداب ، فظهر منهم علماء ، وأدباء ، وشعراء ، وأطباء ، ومهندسين ، وعلماء فلك ورياضيات مشهورين.

والمهم في هذا ، الأجيال الصاعدة والنشء الجديد من شبابنا وشاباتنا ، وكيف نهيئ لهم الظروف الملائمة ليبدعوا وقد فتحت أبواب العلم والمعرفة والبحث مشرعة في دول أوروبا وأفريقيا وكندا وأستراليا ، ومن أحفاد هؤلاء العباقرة العِظام تتواصل حلقات العبقرية في سلسلة العلم والمعرفة المندائية التي تمتد عميقًا عبر الزمن. فإن كمنت هذه الجينات الخلاقة ردحًا من الزمن بسبب ظروف القهر والاضطهاد والتخلف ، آن لها الآن أن تتحرر وتنطلق بطاقة حركية هائلة لتنتج لنا عباقرة ينقلون البشرية نقلات نوعية ممتازة ، وليكون لنا نحن المندائيون قصب السبق في هذا المضمار ، ولنكون موضع احترام وتقدير واهتمام هذه الأمم الحرة الديمقراطية التي تُقدِّر العلم والعلماء ، ونحن لها ونحن أهلها... وعلى المؤسسات المندائية أن تخطط لمستقبل شبابنا ، وأن لا تشغل نفسها بالخلافات والمهاترات التي تقودها إلى تداعيات ، وعلينا أن نعلي شأن بعضنا البعض ، فنحن أمة مسالمة مؤمنة ذكية صادقة أمينة.

١٨- الهجرة (أسبابها ، دوافعها ، إفرازاتها) :

الصابئة المندائيون عبر التاريخ أقوام مهاجرة تطلب دائمًا الأمان والمحافظة على دينهم وعقيدتهم ؛ ولذلك نجد التاريخ يذكرهم أنهم عاشوا في فلسطين وعاشوا في مصر وعاشوا في حران ، وكذلك جنوب العراق وشبه الجزيرة العربية ، وحاليًا أعداد كبيرة منهم هاجرت إلى أستراليا وأمريكا ودول أوروبا كلها تقريبًا ، خاصةً بعد سلسلة الحروب المدمرة والغزو الأمريكي الغاشم لبلادنا وتدمير البلاد ، ونهب العباد ، وتدمير البنية التحتية للوطن الأم.

وأهم دوافع الهجرة في العهد السابق، وبعد الغزو الأمريكي وحاليًا:

أ) مطاردة قوى الأمن والمخابرات للقوى التقدمية وتنغيص حياتهم ، وإعدام عدد منهم، وسجن عدد آخر ، إضافة إلى التعذيب والفصل والمطاردة.

ب) ضيق الحالة المعيشية لعددٍ لا يُستهان به من أبناء الطائفة ؛ بسبب عدم انتمائهم لحزب البعث، وفصل عدد منهم أو نقلهم إلى مناطق موبوءة نائية.

ج) ضعف الرواتب التي لم تكن مجزية ، ولا تكاد في وقتٍ من الأوقات أن تكفي لمدة أسبوع واحد.

د) تفشي الفساد والرشوة والمحسوبية والتعصب الديني والطائفية البغيضة ، وخاصةً بعد الغزو الأمريكي.

هـ) السلب والنهب والقتل وهتك الأعراض والخطف والابتزاز ، وخاصةً للأساتذة والأطباء والصاغة وميسوري الحال.

و) طلبًا للأمان والاستقرار والحرية والعيش في مجتمعات ديمقراطية متقدمة تحفظ للإنسان كرامته وتصون حريته وتُؤمِّن له العيش والسكن والرعاية مهما كان دينه ولونه ومعتقده.

ز) الابتعاد قدر الإمكان عن الأوبئة والأمراض الناجمة عن الإشعاعات والأسلحة الفتاكة المحرمة دوليًا والمسرطنة والملوثة للزرع والضرع والماء.

ح) حماية الشباب من الحروب المدمرة والصراعات الطائفية، ومن التعصب الديني ، ومن كل مظاهر التخلف ومصادرة حقوق الغير والحطِّ من شأنهم ، ومن التمييز بين الناس بسبب الدين والطائفة والقومية. والعيش في أوطان جديدة، الناس كلهم سواسية كأسنان المشط.

ط) استشهاد عدد من شباب الطائفة المجندين في الحروب لفترات طويلة دون مبرر (الطايح رايح).

ي) أمور كثيرة تعاظمت، معيشية ونفسية، وخوف من المستقبل المجهول.

ك) ضعف الخدمات وندرة الكهرباء وشحة مياه الشرب ورداءة الاتصالات والمواصلات ، وتدمير البنية التحتية بالكامل ، ولا أمل في الإصلاح والتطور ، حيث زُجَّ الشعب بكامله في نفق مظلم لا بصيص ضوء في نهاية النفق.

كانت الهجرة قرارًا صائبًا رغم أنه لم يُخطَّط له. ولم يصدر توجيه مركزي من رئاسة الطائفة أو المؤسسات المعتمدة ، وإنما كانت هجرة عشوائية ، كل فرد وكل عائلة تحملت مسؤوليتها ، ولاحقًا أسس اتحاد الجمعيات ومجموعة محاميين للدفاع عن الصابئة المندائيين بعد أن أسس المندائيون في بلدان المهجر جمعيات تجمعهم وتوجههم.

١٩- معرفة الاسم الديني (الملواشة) واسم العائلة:

الملواشة مهمة لكل مندائي ومندائية ، وعلى كل مندائي أن يحفظ عن ظهر قلب ملواشته ؛ لأنه يحتاجها في كل الطقوس والمراسيم الدينية ، وعليه أن يعرف ملواشة أمه وشهر ولادته وساعة الولادة ، وهناك جداول ومعادلات نستخرج منها الاسم الديني.

أما اسم العائلة فنحن المندائيون أحساب وأنساب ، ولو أن المندائيين عائلة واحدة بحكم صلة الدم والرحم ، ولكن هناك سبع عشرة عائلة ، وعمومًا المندائيون حريصون على معرفة أصولهم وجذورهم ؛ لأنها غريزة إنسانية وسُنة كونية.

يُذكَر أن عدد الكنيانات المندائية ثلاث وثمانون كنيانة (لقب) ، ولكن ذهب منها الكثير ، ولم يتبقَ سوى إحدى وعشرون كنيانة ، وهناك قائمة نادرة مدونة حسب الحروف الأبجدية من الضروري الإطلاع عليها.

٢٠- الناصروثـا:

وتعني الإيمان الروحي العميق ، وهذا الإيمان يعني التوحيد المطلق لرب العظمة الحي العظيم في علاه ومعرفته ، وتطبيق ما أنزله علينا من وصايا وتعاليم بواسطة رسله وكتبه السماوية المنزلة ، فعلى كل مندائي أن يتعلم تعاليم الكتاب المقدس ويحفظها ويتخذها دستورًا وعقيدة روحانية له في حياته ليباركه الحي العظيم وينعم عليه وعلى ذريته وليمنحه الحكمة والعقل والقوة والثبات.

فالدين المندائي يعلن لكل المؤمنين وبوضوح **(كل مَن لا يعلم أن ربنا هو ملك النور السامي ملك السماوات والأرض الواحد المعبود ، ليس له والد ولا مولود ، وانبعث من ذاته ، لا نعلم متى كان ولا نعلم متى لا يكون بقوله كل شيء وبأمره خلق كل شيء)** ملعون وموصوم بالعار مَن لا يعلم ذلك ، ومَن لا يصدق ذلك إلى يوم الحساب. فالديانة المندائية قامت على مبدأ التوحيد وتعظيم الحي العظيم وتسبيحه وتمجيده.

والمندائي الذي يعتمد الناصورثا يكون قد وصل إلى أعلى درجات الإيمان ، وتعني نكران مغريات الحياة وملذات الدنيا الباطلة والشهوات والغرائز اللاأخلاقية ، وتعني الصوم الكبير بكل تفاصيله الدقيقة بروحٍ طيبةٍ وعقل منفتح محرر من السيطرة والعبودية والحقد والغل ونكران حقوق الناس والتسلط والابتعاد عن الضالين القتلة المجرمين.

والناصروثا تمنح المندائي المؤمن الحب والصدق والسلام والتفوق على عناصره السلبية من غرائز وشهوات وأعمال ضارة لا يرضى عنها الحي العظيم ولا تقرها وصاياه وأحكامه ورسله وكتبه.

وبهذه الناصروثا يستطيع الإنسان أن يرسم طريق حياته بعيدًا عن الخطيئة ويكسب رضا الحي العظيم وحب الناس أجمعين.

إن الناصروثا سلاح عظيم ، فهي وحدها تكفي لديمومة الصابئة المندائيين باعتباره دينًا ثابتًا وقويمًا باقيًا إلى أبد الآبدين ؛ لأنها متجذرة بالنفوس ، والجذر لا يموت لأنه لا بد أن يورق من جديد.

إن رجال ديننا الأفاضل يجب أن يكونوا ناصورائيين، بمعنى مؤمنين إيمانًا عميقًا مبتعدين عن ملذات الدنيا وغرائزها وشهواتها ، وعن الجشع المادي في خدمة الدين والإنسان المندائي.

وأن تتوفر فيهم مقومات كثيرة وكبيرة، وأن يكونوا قدوة حسنة لنا جميعًا، وأن يتعلم منهم الشباب الأمانة ، والصدق ، والنزاهة ، والعلم والمعرفة ، والحب الصادق ، ونكران الذات ، والعمل من أجل إرضاء الخالق وإرضاء الناس ، ويتوجب عليهم أطال الهيي قدمايي في أعمارهم أن يكونوا أنقياء أتقياء ورعين، أهل علم ومعرفة وتبحُّر في الدين وفي فلسفته وتفسيره ، فهم يجب أن يكونوا قدوة حسنة للجميع ، بعيدين كل البعد عن الدجل والشعوذة والأنانية ، عقولهم نيرة وقلوبهم صافية طيبة يحب بعضهم بعضًا متصافين متآخين ، لا ينابز أحدهم الآخر ، ولا يختلف معه من أجل مطامع الدنيا ومن أجل مصلحة خاصة ؛ ولهذا على شبابنا وشاباتنا ، لا بل على الجميع حين ينتخبون أو يختارون رجل دين لقيادة الطائفة أو أي عضو من أبناء الطائفة يجب أن تتوفر فيهم مقومات القيادة وسماتها الأساسية من صدق ، وأمانة ، ومقدرة على إقناع الناس ، واحترام رأي الأكثرية ، والتشاور مع أهل الرأي والمعرفة والحكمة والعقل ، والتحاور مع المعارضة إن وُجِدت ، والاستفادة من آرائهم وأطروحاتهم ، وعلى القائد أن يكون محبوبًا مقنعًا محترمًا من جميع المندائيين.

٢١- الخاتمة:

الغاية من هذه المعلومات شرح مبسط وبلغة واضحة ومفهومة للجميع عن تاريخهم وتراثهم وفكرهم ، وباختصار عن المندائيين لأهل المعرفة والبحث ليكون مدخلاً للموضوع.

ذكرنا شيئًا عن أصولهم، وعن تسميتهم، وأركان دينهم، وأنبيائهم، وعن طرق معيشتهم، وعملهم وعن عدد قليل من عباقرتهم، وعن لغتهم وتوحيدهم لخالقهم الذي خلقهم من جسد مادي ونشماثا روحانية حلت بهذا الجسد من عالم الأنوار.

وركزنا بعض الشيء على المحرمات في الدين المندائي، وعرجنا عن مستقبل أولادنا وبناتنا المتزوجين من ديانات أخرى بسبب ظروف الهجرة والغربة وأسباب ودوافع هذه الهجرة القسرية ؛ بسبب ما أصاب الوطن الأم من تدمير وخراب وأعمال نهب وسلب واختطاف وقتل ؛ بسبب غياب القانون وضعف الإيمان وتردي الأخلاق، والتطرف الديني، والنزعة الطائفية البغيضة. وذكرنا شيئًا عن التوحيد والوصايا التي أنزلها الحي العظيم على عباده الصالحين ، وقدسية اليردنا والتعميد وأهمية الصباغة للمندائيين وضرورة التمسك بالناصروثا ؛ لأنها أقوى من أي سلاح ؛ لأنها تمثل الإيمان العميق والصوم الكبير ، وأكدنا على شبابنا عند اختيارهم لقادتهم أن يتوخوا توفر المقومات الأساسية بالقائد، وأن يختاروا بملء إرادتهم دون مجاملة أو محاباة أو مصلحة، وأن يبتعدوا عن العائلية والعلاقات الخاصة باختيار مَن يمثلهم ؛ لأن في ذلك مصلحة الطائفة العليا ومستقبلها وديمومتها وسر تطورها. فالمصلحة الخاصة أحيانًا تسبب ضررًا بليغًا للمصلحة العامة ؛ لأنها مرتبطة بها، وقد سُئل يومًا السيد المسيح عن ذلك فقال:

مثل أربعة أشخاص اشتركوا بشراء مركب وتقاسموه ، لكل منهم ركن من المركب، وأمسك أحدهم فأسًا وأخذ ينقر قعر المركب في ركنه، فصاح شركاؤه: ما أنت فاعل يا هذا؟ سيغرق بنا المركب. فأجاب: هذه حصتي وأنا حر فيها. فقالوا له: لعنك الله إنك تُغرقنا جميعًا بفعلك المشين هذا.

وذكرنا أن السرقة والكذب والزنا من المحرمات الأساسية عند المندائيين ، ويُحكَى أن آراميا جاء إلى نبينا يهيا يهانا ، وهو يصبغ الناس وطلب منه أن يصبغه ويقرأ عليه الأسماء التي يذكرها على المصطبغين.

فقال نبينا يهيا يهانا: بلى

فقال الآرامي: ولكنني أكذب وأسرق وأزني.

فقال له: عليك ترك واحدة.

فأجاب الآرامي: ما أترك يا نبي الله؟

قال: اترك الكذب.

فقال: والله تركته من الساعة.

فعمَّده في اليردنا ، بعدها لم يتمكن الآرامي من السرقة والزنا ؛ لأنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالكذب.

هذه معلومات مركزة ومبسطة استقيتها من خلال إشرافي مع زملائي على ترجمة كتابنا المقدس (الكنزا ربا) ، حيث كنت رئيسًا للجنة الترجمة ، ومن خلال عملي في صفوف الطائفة ومؤسساتها ، ومن دراستي للعلوم المندائية وحصولي على شهادة الدكتوراه في الدراسات المندائية.

وبقدر ما يستفيد الإنسان من الدراسة عليه أن يفيد الناس ؛ لأن بخيل العلم أسوأ من بخيل المال عندما يغادر هذه الدنيا بترك ماله لغيره ، أما بخيل العلم فيأخذ علمه معه دون أن يفيد الآخرين. وأنا هنا أشجع الشباب على الدراسة والتعلم والاستفادة من مجالات العلم والبحث المفتوحة والمتوفرة في هذه البلدان، فاحترامنا وتقديرنا بين هذه الشعوب بعلمائنا وعباقرتنا وأساتذتنا وكرمائنا. فليس من المعقول نحن في السويد لا نستطيع أن نبني منديًا أو ناديًا أو مؤسسة دينية أو ثقافية ، وقد بلغت أعدادنا عدة آلاف ، وفينا الكثير من الميسورين.

أرجو المعذرة في التقصير ؛ لأن الدين علم واسع وعميق ويحتاج التفسير والفلسفة والتحليل إلى مجمع علمي مندائي مثل الأديان الأخرى ، وإلى مراكز بحث ودراسات ، وإلى كلية دراسات مندائية التي نسعى بكل جهد لإنشائها.

الفصل الثاني

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل المؤرخين الأوائل

هنالك عدد لا يُستهان به من المؤرخين والباحثين والمستشرقين من الأوائل والمعاصرين ، أنصفوا الصابئة المندائيين وأعطوهم حقهم ؛ لأنهم إما اطلعوا على كتبهم وإما عاشوا معهم أو استقوا معلوماتهم من مصادر أمينة ، صادقة ، محايدة ، نزيهة. وسنذكر بكل أمانة وصدق وحيادية أهم هؤلاء العلماء المنصفين ، أصحاب الضمير والوجدان والإطلاع الواسع الأمين:
المنصفون الأوائل:

- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي:

صاحب المذهب الحنفي (٦٩٩م – ٧٦٧م)
(الصابئة المندائيون من أهل الكتاب ويعبدون الله وما تعظيمهم للكواكب إلا بقايا عبادات قديمة سابقة لا تضير معتقداتهم التوحيدية ، كتقديس المسلمين للحجر الأسود ، ويجوز أكل ذبائحهم والزواج منهم).
وقال في باب الجزية: (تُؤخذ الجزية منهم لأنهم أهل كتاب)

- **تعقيب:**

الجزية فرضها الإسلام على غير المسلمين الموحدين كضريبة لحمايتهم في حينها ، لكن العصر تطور والإنسان تقدم في مجال حقوق الإنسان والمساواة بين الناس ، وكل دساتير العالم ترفض رفضًا قاطعًا شيئًا اسمه الجزية ؛ لأنه يتعارض مع حقوق الإنسان ومع الحضارة البشرية ومع كل القوانين الإنسانية ، والجزية مرفوضة بكل المقاييس وبكل النظم الإنسانية ، واعتُبِرَت شيئًا من الماضي من منطق القوي على الضعيف ، منطق الظالم على المظلوم.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي: (٧١٨ – ٧٨٩)

قال في معجم العين نقلاً عن الأصمعي:
(إن العرب تجعل الظاء طاءً، ألا تراهم سموا الناظور ناطورًا. وهم يبدلون الصاد والضاد، فيقولون لِما يُلقَى في النار الحصب والحطب والحضب... تمامًا كما فعلوا بكلمة (صبغ) بمعنى عمد بالماء التي بدلوها بكلمة (صبع)، ثم حولوها لكلمة (صبأ) ومنها (الصابئون)، كما قاله اللغويون البصريون (إن قوله تعافى الصابئون محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء).

▪ تعقيب:

إن كلمة (الصابئون) أو (الصابئين) قد وردت في القرآن الكريم، ولم ترد في الكتب الدينية المندائية كلها، فنحن مندائيون وكلمة (صابئون) وردت في السور القرآنية: البقرة والمائدة والحج.
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].
ويتكرر ذلك في سورة المائدة وسورة الحج، والحقيقة كما قلنا نحن مندائيون، وهذه صفة عرفنا بها المسلمون وفسروها أنها من صبأ أي مَن ترك دين آبائه واتبع دينًا آخر، وكانت العرب أيام الجاهلية تسمي النبي محمد وتناديه صبئت يا محمد، أي تركت دين أجدادك واتبعت دينًا آخر.
ونحن المندائيون كرد فعل قلنا إن كلمة (صابئون) من الفعل الآرامي صبأ أي اغتسل أو غطس في الماء، من المصدر مصبتا، وقال آخرون إنها نسبة إلى صابي من أحفاد نوح... وهكذا.

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٦٢

- أبو يوسف القاضي (٧٣١ – ٧٩٨م)

قال القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج:

(الجزية واجبة على جميع أهل الذمة ممَّن في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة، ما خلا نصارى بني تغلب وأهل نجران خاصةً).

كذلك قال:

(ولا يحل للوالي أن يدع أحدًا من النصارى واليهود والمجوس والصابئين والسامرة إلا وأخذ الجزية منهم، ولا يرخص لأحد منهم ترك شيء من ذلك، ولا يحل أن يدع واحدًا ويأخذ من واحد، ولا يسع لذلك؛ لأن دماءهم وأموالهم إنما أُحرِزَت بأداء الجزية وهي مال الخراج).

- **تعقيب:**

الجزية وسيلة ضغط لدخول الناس في الأديان الموحدة الأخرى الإسلام، رغم أن كلمة مسلم (مشيلماني) كلمة آرامية مندائية ورد ذكرها في كتاب الصابئة المندائيين (الكنزا ربا) ويفسِّرها بعض المفسرين أنها تعني مَنْ وجَّه وجهه إلى رب العالمين، ويفسرها آخرون مِن سلم الناس من يده ولسانه.

- المؤرخ ابن هشام الحميري:

قال المؤرخ ابن هشام الحميري في مستهل الرسالة الشريفة:
(... إن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، اتفقوا في الرأي والعقيدة وتعاهدوا على نبذ عبادة الأصنام وما كانوا عليه من ضلال ، وتصادقوا وكوّنوا عصبة خرجت على عبادة قريش ، فلم يشتركوا معهم ولم يشاركوهم في عباداتهم حتى ماتوا على عبادة قومهم صابئين).

▪ تعقيب :

كان في الجزيرة العربية الكثيرون المثقفون من الشعراء والخطباء والأدباء ، منهم مَن ذُكِروا في أعلاه ، ومنهم مثلاً الشاعر أُمية بن أبي الصلت ، وقس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل ، وطرفة بن العبد ، وكعب بن زهير الأيادي ، وغيرهم كثيرون كانوا من الأحناف ، أي من أتباع النبي إبراهيم الخليل ، وعدد من الباحثين يعتبرون إبراهيم الخليل أبي الأنبياء من أنبياء المندائيين ، ويقولون كلمة (حنفي) تعني كلمة (صبأ) ، ويذهبون أبعد من ذلك فيقولون إن الأحناف من الصابئة المندائيين ، وأنهم اختلفوا مع النبي إبراهيم الخليل ؛ لأنه دعاهم إلى عبادة الله عبادة خالصة دون الملائكة.
وكان العرب في الجزيرة العربية زمن الجاهلية كما يسمونها يعبدون الله من خلال أصنامهم يتشفعون بها زلفى ؛ لأن البدوي يريد شيئًا يراه ويلمسه ، فكانت الأصنام وسيلة لهم يعبدون الله من خلالها ، وفاتهم أن الأشياء الروحانية لا تُرَى ولا تُلمَس ، وإنما الأشياء المادية هي التي تُرَى وتُلمَس.
وهناك مسألة أخرى ، وهي أن المندائيين لا يؤمنون أن إنسانا عاديًا يأكل ويشرب ويمرض ويشيخ ممكن أن يكون نبيًا ، وإنما النبي لا بد أن يكون ملاكًا.

وثمة مسألة أخرى ، وهي أن إبراهيم الخليل قد اختتن بسبب ورم في فلقته ، والاختتان عند الصابئة المندائيين حرام ؛ لأن الله خلق الإنسان كاملاً ، مما اضطر إبراهيم الخليل للهجرة من أور إلى حران.

يقول عدد من الباحثين إن الفرق بين المندائيين والأحناف مثل الفرق بين الكاثوليك والأرذوثكس ، ولكن يبقى الاثنان مسيحيين ؛ ولهذا يؤكد عدد من الباحثين أن الأحناف والصابئة المندائيين حالة واحدة.

• • • •

- سيبويه (٧٦٥ – ٧٩٦)

مفسرًا كلمة (الصابئون):

أي مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر ، فهؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ لأنهم من الموحدين.

- المسعودي (٨٨٥ – ٩٥٧م)

صاحب مروج الذهب قال:

(إن معاني الشرف الكامل والصلاح الشامل ، ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع ، وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات ، هي التي برزوها من أفلاكها وقطعها مسافاتها ، واتصالها بنقطة ، وانفصالها عن نقطة سبب ما يكون في العالم ، من آثار من امتداد الأعمار وقصرها ، وتركيب البسائط ، وانبساط المركبات ، وتتميم الصور ، وظهور المياه وفيضها ، وفي النجوم السيارة ، وفي أفلاكها التدبير الأعظم وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والإيجاز.

ويُقال إن هذا الرجل؛ويقصد به بو داسف الذي ظهر في زمن الملك طهمورث؛ هو أول مَن أظهر آراء الصابئة المندائيين).

كما قال المسعودي:

(وقام أخنوخ، وهو إدريس النبي، والصابئة تسميه هرمس (أي عطارد)، وهو الذي أخبره الله عز وجل في كتابه أنه رفعه مكاناً عليًا ، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وأُنزلت عليه ثلاثون صحيفة ، وأُنزلت على شيث تسع وعشرون صحيفة، فيها تهليل وتسبيح).

▪ تعقيب:

هناك صابئة البطائح الذين عاشوا في جنوب العراق وجنوب غرب إيران قرب المياه البهية (الأهوار) وقرب مصبات الأنهار دجلة والفرات وشط العرب في العراق والكارون والكرخة في إيران.

وهناك صابئة حران الذين اشتُهروا بعلم الفلك ، وفي العصر العباسي اشتهر منهم علماء كثيرون في هذا المجال ، وفي علم الطب والفلسفة والآداب ، منهم آل قر وآل صابي والبتاني ، وغيرهم.

والمسعودي اطلع على علومهم وفلسفتهم فعمم كلامه ، ويتضح أنه لم يعاشرهم ولم يطَّلع على كتبهم الدينية ؛ لكونها كانت مكتوبة باللغة الآرامية المندائية ، ولأن رجال الدين كانوا يتكتمون عنها.

• • • •

- ابن حـزم (٩٩١ – ١٠٦٤م)

(الدين الذي انتحله الصابئون ، أقدم الأديان على وجه الدهر ، والغالب على الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث ، فبعث الله تعالى خليله إبراهيم بالدين الذي نحن عليه الآن).

▪ تعقيب:

بُعث إبراهيم الخليل في مدينة أور إلى أتباعه الأحناف ، ودعا لعبادة الله عبادة خالصة ، أي بدون وسيط ، وتبعه كثير من الشعراء والخطباء في شبه الجزيرة العربية ، وعدد من الباحثين يعتبرونه أحد أنبياء الصابئة المندائيين ؛ للتشابه الكبير بين الأحناف والصابئة ، علمًا أن اللغة السائدة في ذلك الزمان هي اللغة الآرامية ، ولكونهم يعيشون في نفس المكان ، ولتقارب الشعائر والطقوس.

- أبو الفرج الأصبهاني (٨٩٧ – ١٠١٥م)

ذكر في كتابه (الأغاني) المشهور:
(العرب قبل الإسلام كانوا على معرفة تامة بالعقيدة الصابئية، وإن دين الصابئة كان يعني بنظر المشركين الإيمان بالله والبعث والجنة والنار).

- **تعقيب:**

كان قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية أديان موحدة مثل المندائية واليهودية والمسيحية، وكان أيضًا الأحناف القريبون جدًا من الصابئة المندائيين، حتى أن الشاعر أمية بن أبي الصلت وهو ابن عمة النبي محمد جاء للرسول الكريم وقال له: من أين جئت بهذا الدين الجديد يا محمد؟ قال: إنه دين الحنيفية، دين إبراهيم الخليل. قال أمية: إني سبقتك إليه يا محمد.
ولأمية بن أبي الصلت، وزيد بن نفيل، وقس بن ساعدة، أشعار وخطب تدل دلالة قاطعة على التوحيد بالله قبل الدعوة المحمدية، ويمكن للقارئ مراجعة كتب الكاتبة أبكار السقاف، ويوسف زيدان، وعباس محمود العقاد، وغيرهم؛ ليتأكد من ذلك.
وهنالك عاملان أساسيان بالتقارب الكبير بين الأحناف والصابئة:
الأول: إيمانهم بالله الواحد الأحد.
الثاني: وجودهم في نفس الفترة في شبه الجزيرة العربية، وكثرة أتباعهم من الشعراء والخطباء والمطلعين من مثقفيهم، على مبدأ التوحيد والإيمان بالله.

- الشريف الرضي (٩٧٠ – ١٠١٥م)

ربط بين الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي صداقة متينة صادقة ، تبادلا خلالها الرسائل والأحاديث ، وكان أحدهما معجبًا بالآخر ، وكانا يتباهيان لأنهما من الموحدين. ومدح الشريف الرضي صاحبه كثيرًا بقصائد خالدة في الأدب العربي ، فيقول في إحدى قصائده العصماء:

أنت يا فــارس الكــلام تقــدمت   وخليـــت لـــي مكـــان الرديـــف

وعندما مات أبو إسحاق الصابي حزن عليه الشريف الرضي حزنًا شديدًا ، ورثاه رثاءً مريرًا:

أعلمْــتَ مَـــنْ حمَلُــوا علـــى الأعْــوَادِ   أرَأيْــتَ كَيْــفَ خَبَــا ضِــيَاءُ النّــادِي

جَبَلٌ هَوَى لــوْ خَــرّ فــي البَحــرِ اغتَــدى   مِـــنْ وَقْعِـــهِ مُتَتَـــابِعَ الأزْبَـــادِ

مـــا كنـــتُ أعلـــمُ قبْـــل اليـــومِ   أنَّ الثَّـــرَى يَعْلُـــو عَلَـــى الأَطْـــوَادِ

▪ تعقيب:

الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري ، كان من جلساء مجلس الشريف الرضي رغم الخلاف الذي حصل بينهما ، وعندما ألَّف أبو العلاء المعري كتاب (رسالة الغفران) التي نسج على غرارها دانتي الشاعر (الكوميديا الإلهية)... يظن القارئ أن أبا العلاء المعري قد قرأ كتاب الكنز العظيم (الكنزا ربا) ، الكتاب المقدس لدى الصابئة المندائيين ، فكتب رسالة الغفران ، ولكن هناك سقطة لسان من أبي العلاء المعري حين يقول:

إذا مــــا ذكرنــــا آدم وفعالــــهُ   وتزويجــه بنتيــه لابنيــه فــي الخنــا

علمنــا أنَّ النَّــاس مــن نســلٍ فــاجرٍ   وأنَّ جميع الخلــق مــن عنصــر الزنــا

وهذا المنطق والمفهوم يخالف تمامًا الفكر المندائي ؛ لأن آدم عندما نادى ربه كيف يزوِّج أولاده لبناته ، أمر أن ترحل البنات إلى مشوني قشطا ليتزوجنَّ

(المثيل) دموثا أولاد آدم ، وجلبوا دموثا (المثيل) البنات ليتزوجنَّ أولاد آدم ، وهكذا فإن نسل آدم نسل نقي طاهر ؛ ولهذا الأولاد والبنات يكون لهم الاسم الديني (الملواشة) على اسم الأم ؛ لأن رحمها نقي طاهر لأنها جاءت من مشوني قشطا (عالم وسط بين عالم الأنوار وعالمنا).

• • • •

- الشهرستاني (١٠٨٦ – ١١٥٣م)

قال الفيلسوف الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عن الصابئة المندائيين :
(إنهم كانوا على عهد إبراهيم الخليل (ع) وكانوا يقولون إنَّا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، وهذا المتوسط يجب أن يكون روحانيًا لا جسمانيًا ، أي أن يكون ملاكًا من عالم الأنوار ، وذلك لذكاء الروحانيات وطهارتها ، وقر بها من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا ، يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، ويماثلنا في المادة والصورة).

▪ تعقيب:

يذكر بعض الباحثين أن سبب اختلاف الصابئة المندائيين مع النبي إبراهيم الخليل(ع) أنهم قالوا له: أنت بشر مثلنا ، والنبي يجب أن يكون ملاكًا.
إن كل شيء مادي كما هو معروف للجميع يُرى ويُلمَس ، وكل شيء روحاني لا يُرى ولا يُلمَس ؛ ولهذا العرب في الجاهلية على بداوتهم صنعوا التماثيل والنصب ؛ لأنهم يرونها ويلمسونها فيتشفعون بها زلفى إلى الله ، وهم يعلمون أنها من صُنع أيديهم.

- **ياقوت الحموي (١١٧٨ – ١٢٢٩م)**

ذكر في كتابه الشهير (معجم البلدان):

(إن الطيب من عمارة شيت بن آدم (ع) وما زال أهلها على ملة شيت ، وهو مذهب الصابئة إلى أن جاء الإسلام فأسلموا ، وكان فيها عجائب الطلسمات).

أما حران فهي مدينة عظيمة ، ويُذكر أنها أول مدينة بُنيت بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب الملل والنحل ، وقال المفسرون في قوله تعالى (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) إنه أراد حران ، وقالوا في قوله تعالى (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إلى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) هي حران.

وإن ياقوت الحموي امتدح أبا إسحاق الصابي في خمسة وسبعين صفحة في كتابه النفيس (معجم الأدباء) ، حيث قال:

(إنه أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل ، والاشتمال على الفضائل ، وكان قد خدم الأمراء والوزراء والخلفاء من "بني بويه"، وتقلَّد أعمالاً جليلة، ومدحه الشعراء، وعرض عليه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ، الوزارة إن أسلم ، فامتنع ، وكان حسن العشرة للمسلمين ، عفيفًا في مذهبه ، وكان ينوب أولاً عن الوزير أبي محمد المهلبي في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة ، وكان بينه وبين الشريف الرضي مودة ومكاتبات ، مع اختلاف الملل وتباين النحل ، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب ، مع تبدد الدين والنسب).

- **تعقيب:**

يذكر لنا بعض المؤرخين أنه بعد أن انحسر الطوفان وجنحت سفينة نوح على سفح جبل قردون في سلسلة جبال أرارات شمال العراق... من الرجل سام بن نوح وزوجته نهوريتا تشكلت الدارة المندائية الجديدة في وادي قريت في مدينة حران التي بناها لاحقًا النبي إبراهيم الخليل (ع) عام ١٨٥٠ قبل الميلاد ، قبل

أن يسافر إلى مصر ويتبنى تعاليم النبي إدريس (دنانوخت) الحكيم هرمس أو أخنوخ كما يسميه الفراعنة المصريون.

والغريب في الأمر أن كثيرًا من الباحثين يكتبون ويفسرون على هواهم ويشتقون المعلومات من مصادر الأولين، ولا يكلفوا أنفسهم العيش مع الصابئة المندائيين، ويطلعون على دقائق الأمور بشكلٍ مباشرٍ منهم، فتجد مثلاً كثيرًا من الباحثين يختلفون في تفسير كلمة (الصابئة)، وممكن سؤال الصابئة المندائيين بشكلٍ مباشرٍ.

فهناك مَن يفسرها أنها من كلمة "صبأ" أي مَن ترك دين أجداده واتبع دينًا آخر، والمندائيون يقولون (صبأ) من الفعل الآرامي (صبأ) أي غطس في الماء.

وهناك مَن يقول هم الصابغة؛ ولأن الغين في العربية تحولت إلى همزة في المندائية لهذا سُموا بالصابئة، علمًا أنه لم ترد في الكتب المندائية كلمة (صابئة) وإنما وردت في القرآن الكريم.

- ابن أبي أصبيعة (١٢٠٠ – ١٢٧٠م)

ذكر في كتابه النفيس (عيون الأنباء في طبقات الأطباء):
(الصابئة قوم يزعمون أنهم قوم على دين نوح "ع" وقبلتهم في مهب الشمال عند منتصف النهار ، ونقل عنهم أن شيت نقل الطب وأظهره ، وأنه ورثه عن أبيه آدم).
ورجح نسب الصابئة إلى (صاب) ابن النبي إدريس.
(ليس بمستبعد أن يكون الفيلسوف العربي الكندي قد اطلع على تعاليم الصابئة ، أو قد يكون قد قرأ الكتب التي ألفوها عن مذهبهم أو الكتابات التي ترجموها عنه ، فقد ذكرت المصادر العربية الإسلامية أن ثابت بن قرة كتب رسالة في المذهب الصابئي وديانتهم ، وذكر أن سام بن ثابت بن قرة نقل إلى اللغة العربية جانبًا من السور والصلوات التي يصلي بها الصابئون).

- **تعقيب:**

الكتب المندائية وعلى رأسها الكنز العظيم (الكنزا ربا) تؤكد أن العالم النوراني عالم مندائي ، وأن آدم وحواء خلقهم الله (الحي العظيم) مندائيان ، وعلمهم التعاليم والوصايا ، ويُعتبر آدم رأس السلالة البشرية أول أنبيائهم ، وأن سام بن نوح أحد أنبيائهم ؛ لأنه بنى الدارة المندائية بعد الطوفان.
أما قبلتهم ناحية الشمال فهذا صحيح ؛ لأنهم يؤمنون أن عالم الأنوار في الشمال العلوي القصي ، وأن الجنة التي يحرسها الملاك أباثر باتجاه الشمال ، ويستدل على الشمال بالنجم القطبي في قديم الزمان.

- **القزويني (١٢٠٨–١٢٨٣م)**

ذكر في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد):
(عن قدم وجود الصابئة المندائيين في مناطق مختلفة من بلاد وادي الرافدين).

- **تعقيب:**

فعلاً عاش الصابئة المندائيون في بلاد ما بين النهرين ، قرب مصبات الأنهار دجلة والفرات وشط العرب والكارون والكرخة ، وكان لهم وجود ، ورغم قلة عددهم ولكن بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ واختلال القانون وكثرة النهب والسلب والقتل ، وتصاعد الطائفية البغيضة ، هاجر معظمهم إلى دول أوروبا الغربية وأمريكا وأستراليا ونيوزيلندا ؛ طلبًا للأمان ، ولن يبقَ في العراق وإيران إلا عدد محدود منهم ، وهناك عدد منهم ما زالوا عالقين في دول الانتظار مثل الأردن وسوريا وتركيا ، وغيرها من الدول التي تمنح اللجوء الإنساني ، وحاليًا هناك جاليات كبيرة في السويد تُقدَّر بعشرة آلاف مندائي ، وفي أستراليا تُقدَّر بسبعة آلاف مندائي ،وفي هولندا تُقدَّر بخمسة آلاف مندائي ، وفي أمريكا تُقدَّر بثلاثة آلاف مندائي ، ومثلها في ألمانيا ، وهناك عدد في بريطانيا وفرنسا ونيوزيلندا والدنمارك والنرويج وفنلندا وغيرها.

- النويري (١٢٧٨ – ١٣٣٣م)

ذكر في كتابه (نهاية الأرب في فنون الأدب):

(الصابئة المندائيون عباد الروحانيات ، ومذهبهم أن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدثان ، وكانت الصابئة تقول إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ، ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط ، ولكن ذلك المتوسط يجب أن يكون ملاكًا لا بشرًا مثلنا ؛ وذلك لذكاء الملائكة وطهارتهم وقربهم من رب الأرباب ، والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في الصورة والمادة ، وقالوا الواجب علينا معرفة العجز في الوصول إلى جلاله ، وإنما تقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه ، وهم الروحانيون المقدسون عن المواد الجسمانية ، والمبرؤون عن القوى الجسمانية ، أي منزهون عن الحركات المكانية والتغييرات الزمانية ، فلقد جُبلوا على الطهارة ، وفُطروا على التقديس والتسبيح ، كما ذكر العلامة النويري نقلاً عن المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عن الصابئة فقال:

إن الصابئة المندائيين تزعم أن الكعبة هي هيكل زحل ، وأن نبي الله إدريس أوصى بالحج إليه ، وإنما طال بقاء هذا البيت لأن زحل تولاه.

والثاني بيت المريخ يزعمون أنه كان في صور ، والبيت الثالث المشترى وكان بدمشق ، والبيت الرابع هو بيت شمس وكان بمصر ، ويُسمى عين شمس وآثاره باقية لحد الآن ، والبيت الخامس الزهرة وكان في منبج وخرب ، والبيت السادس عطارد في صيدا وقد خرب ، والبيت السابع بيت القمر وكان في حران وهو بيت الصابئة الأعظم.

- **تعقيب:**

لاحظ تكرار الكلام ، أي أن الكُتَّاب أحدهم ينقل من الآخر ، ولا يكلفوا أنفسهم معرفة الحقيقة بالدقة العلمية والأمانة التي يجب أن يتمتع بها المؤرخ والباحث ،

كان المفروض على المؤرخ أن يتعلم اللغة الآرامية المندائية ويقرأ الكتب المندائية، ويعاشر الصابئة المندائيين ليكتب بأمانة وصدق ودقة وحياد.

وهذا يذكرني بطالب أمريكي وطالب ألماني ، كانت أطروحاتهما عن الجمل العربي ، الطالب الأمريكي جمع بعض المصادر التي تحكي عن الجمل من مكتبة الجامعة ، أما الطالب الألماني فشد الرحال إلى شبه الجزيرة العربية وعاش مع الجِمال ، وتعلم عاداتها ، وأسلوب تربيتها ، ومعيشتها ، وأحوالها ، فجاءت أطروحته أمينة صادقة دقيقة.

وهذا حال الباحثين الذين ينقلون المعلومات دون أن يعرفوا الحقيقة والواقع ودون أن يعيشوا عمليًا مع الناس الذين يقيموهم ويقيمون دينهم، فتأتي بحوثهم ضعيفة غير أمينة، وهذا يضعف البحث ويحرج الباحث.

- ابن الـوردي (١٢٩٢ – ١٣٤٩م)

قال الشاعر والأديب والمؤرخ ابن الوردي في كتابه (تتمة المختصر في أخبار البشر): (رأيت صحيفتين من صحف الصابئين ، ولكنها عن إدريس نقلاً عن أبي الفداء الدمشقي ، الأولى منها صحيفة الصلاة ، فمنها:

"أنت الأزلي الذي ترتبط به الرياسات ، رب جميع المكونات المعقولات والمحسوسات ، رئيس البرايا وراعي العوالم رب الملائكة ورؤساء الملائكة منك تنزلت العقول إلى مدبِّري الأرض ؛ لأنك السبب الأول أحاطت قدرتك بالكل وأنت الوحدانية التي لا تحد ولا تدرك ، مدبر سلاطين السماء وينابيع النور الدائمة الإنارة ، أنت ملك الملوك الآمر بالخيرات كلها، المتقدم لكل شيء بالوحي والإشارة منك تنبث المخلوقات، وبرمزك ينتظم العالم بأسره ومنك النور ، وأنت العلة القديمة السابقة لكل شيء نسألك أن تزكي نفوسنا وتوفقها لاستحقاق نعمتك الآن وفي كل أوان إلى الأبد يا ظاهراً متعالياً عن كل دنس ، أحلل عقالنا ، وعافنا من كل مرض ، وبدل أحزاننا أفراحا ، بك نعتصم ومنك نخاف ، نسألك أن توفقنا لتمجيد عظمتك التي يشار إليها ولا ينطق بها منك الكل وبك يستنير الكل ، وأنت رجاء العالمين ومعين الناس أجمعين").

الصحيفة الثانية ، صحيفة الناموس:

(لا يجرين أحد منكم في معاملة أخيه إلى ما يكره أن يعامل بمثله ، و إياكم و التفاخر والتكاثر ، لا تحلفوا بالله كاذبين ، ولا تنقلوا الأباطيل والأضاليل ، ولا تكثروا الهزل والضحك والهمز واللمز ، لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحشاء ؛ فإنها ترديكم العار والمنقصة ، وتلحق بكم العيب والهجنة ، وتجر عليكم المآثم والعقوبة ، مَن كظم غيظه وقيّد لفظه ، ونظف منطقه وطهر نفسه فقد غلب الشر كله ، استشعروا الحكمة واتبعوا الديانة ، وعودوا أنفسكم الوقار والسكينة ، وتحلوا بالآداب الحسنة الجميلة ، ترووا في أموركم ولا تعجلوا في مجازاة المسيء ، إن تورط أحد منكم وارتكب عملاً منكراً ، فليقلع عن هذا العمل ، ولا يعاوده ، فإنها إن سُترت عليه في هذه الدنيا ، فإنه سينفضح أمره يوم الدين على رؤوس الأشهاد... والله أعلم).

▪ تعقيب:

تصور أن ابن الوردي قرأ صحيفتين من صُحف (الكنزا ربا) التي ينسبها إلى النبي إدريس فانبهر بها، فكيف إذا قرأ فصول من هذا السفر العظيم وبترجمة دقيقة وبلغة عربية سليمة، إن تسبيح التوحيد يصف لنا الله (الحي العظيم) جل جلاله وكأنك تراه، ولنذكر هنا مقاطع قليلة جدًا من تسبيح التوحيد:

بسم الحي العظيم

(هو الذي لا حد له ولا كيل، ولا تدنو عتمة في ضوئه ولا ليل، هو الجلال والإتقان، هو العدل والأمان، هو الرأفة والحنان، الأول منذ الأزل، خالق كل شيء، ذو القوة التي ليس لها مثيل، صانع كل شيء جميل، رب أكوان النور الذي لا ظلمة فيه، الحي الذي لا موت فيه، والخير الذي لا شر فيه، هو الهادي دون غضب، اللذيذ الذي ما نضب، البهي، الساكن في الشمال العلوي، أصل النيرات جميعًا، وأبو الأثريين جميعًا، المقيم في ملكوته، العادل في جبروته، أطلق الكاملين الصادقين، وطبع اسمه على أفواه المؤمنين، وباركهم ببركته أجمعين، قدرته لا تُحصى في العد والحسبان، ولمعات تاجه تنطلق إلى كل مكان، وإشعاعات نوره تنبعث من بين أوراق إكليلة ملء الأكوان).

- ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦م)

ذكر في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ، ما يلي:

(كانت كتبهم مفقودة إلا ما وُجِد في كتب الأولين فيما قبل نبوءة موسي "ع" مثل النبط والكلدانيين ، فإن جميع مَن تقدمه من الأنبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام، وإنما جاءت كتبهم مواعظ وتوحيد بالله وتذكير بالجنة والنار.

وكانت هذه العلوم في أهل بابل السريانيين ، وفي أهل مصر القبط وغيرها ، وكان لهم فيها التأليف والآثار ، ولم يُترجَم لنا من كتبهم إلا القليل، مثل الفلاحة النبطية من أوضاع أهل بابل ، فأخذ الناس منهم هذا العلم وتفننوا فيه، ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب وغيرها.

ثم ظهر في المشرق جابر بن حيان ، كبير السحرة في هذه الملة، فتصفح القوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها، ووضع فيها غيرها التأليف وأكثر الكلام فيها وفي صناعة الكيمياء ؛ لأنها من توابعها لأن حالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية ، فهو من قبيل السحر).

- السيوطي (١٤٤٥ – ١٥٠٥م)

حيث قال:

(والصابئون قوم من اليهود والنصارى ، مَن آمن منهم بالله واليوم الآخر في زمن نبينا وعمل صالحًا بشريعته فلهم أجرهم ، أي ثواب أعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

(إن النبي إدريس "ع" قد دعا الخلق إلى الله فأجابوه وكانت عقيدة الصابئة ، وهي التوحيد "توحيد الله تعالى" والطهارة والصوم وغير ذلك ، والقبط تزعم أن الأهرام قبور وأن أحدهم قبر شيت ، والآخر قبر هرمس والملون قبر صابي بن هرمس وإليه تنتسب الصابئة ، وهم يحجون إليها ، وكانت الصابئة تأتي فتحج الواحد وتزور الآخر ولا تبلغ مبلغ الأول في التعظيم).

- **تعقيب:**

نلاحظ أن ما دوَّنه المؤرخون الأوائل في كتبهم ومؤرخاتهم معظمها على ما أعتقد اجتهادات أو روى فلان عن فلان ، ولم يقل لنا واحد على الأقل أنه قرأ كتبهم أو اطلع على كتابهم المقدس الكنز العظيم ، أو قرأ كتاب تعاليم النبي يحيى بن زكريا "ع" وفهم ما فيه ، ورغم علو كعب هؤلاء العلماء الأفذاذ في اللغة والبحث والتدوين ولكننا نرى أن معظمهم لم يصب كبد الحقيقة ، وأن أحدهم لم يتخصص ويعطي مزيدًا من الوقت والجهد لاستيعاب معلومات وافية عن الصابئة المندائيين.

فهذا ابن خلدون العالم الكبير والمؤرخ المشهور يذكر أنهم تفننوا في الفلاحة ، وأن الناس تعلمت منهم هذا العلم ، والحقيقة أن الصابئة المندائيين لم يمتهنوا يومًا الفلاحة ولم يكونوا عبر تاريخهم فلاحين أو رعاة ، وإنما أصحاب حِرَف صناعية مثل النجارة ، والحدادة ، وصناعة الزوارق ، والصياغة ، والطب ،

وهندسة الأفلاك ، والترجمة ، والكتابة ، وعلم الجبر ، والكيمياء ، والفلسفة ، وغير ذلك من العلوم.

كذلك نستغرب عندما نرى الفيلسوف ابن خلدون يتهم العالم الفذ جابر بن حيان بالشعوذة والسحر ، ويعتقد أن له قدرات روحانية بتحويل الشيء من حالة إلى حالة لجهله بعلم الكيمياء ، وكأن العالم الكبير جابر بن حيان يملك عصا موسى ، وليس عالمًا كبيرًا في علم الكيمياء الذي على أساسه وأساس علم الفيزياء والعلوم الأخرى تطورت البشرية كل هذا التطور ، وأن ابن حيان ساهم مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإنسانية وتطور العلوم.

كما يذكر لنا المؤرخ السيوطي أن الأهرامات في مصر قبور لأنبياء الصابئة المندائيين ، والصابئة يحجون إليها ، ولم أسمع أنا أو غيري من المندائيين يومًا أن أحدًا منهم زار الأهرامات يتبرك بها أو يقدسها لأنها قبور أنبيائهم ، وكلنا يعرف أن الصابئة المندائيين ليس لهم أضرحة أو أولياء يزورون مراقدهم ويقدسونها.. وعلى حد معرفتنا وكما تذكر كتب التاريخ أن الأهرامات قبور لملوك الفراعنة المصريين الغابرين ، خوفو وخفرع ومنقرع ، وهذا ما يعرفه كل المُطَّلعين وما تؤكده كل المصادر التاريخية والآثارية.

والغريب أن السيوطي مصري من أرض الكنانة فكيف ذهب هذا المذهب ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نقل المعلومات دون تدقيق وتمحيص ودون أمانة علمية ، ونحن نقول إن هؤلاء الأولين كانوا منصفين ؛ لأنهم لم يسيئوا بسوء نية ، وإنما نقطة ضعفهم نقل أحدهم من الآخر لا غير.

ونعود ونقول إن السبب الرئيسي في جهل المعلومات الوافية والكافية عن الصابئة المندائيين وعن دينهم التوحيدي هم رجال الدين وتكتمهم على هذا الدين غرس التوحيد الأول وتكتمهم وإخفائهم الكتب الدينية وعدم نقلها إلى لغات حية أخرى ، ولكن المشكلة أنهم حرموا منها حتى أبناء ملتهم من الإطلاع عليها ، أضف إلى ذلك عامل اللغة الآرامية المندائية التي لا يعرفها قراءةً وكتابةً إلا عدد من رجال الدين بدقة عالية ، هذا ما كان ولكن الآن تغير الحال حيث قام

عدد من أبناء هذه الأمة المثقفون بترجمة معظم هذه الكتب إلى اللغة العربية واللغة الإنجليزية وبلغة سليمة ، وتم طبع أعداد كبيرة منها وخاصةً الكتاب المقدس (الكنز العظيم) ووزع أحيانًا مجانًا ليكون في كل بيت ، ووزعت نسخ كثيرة منه على المراكز العلمية والأدبية والمكتبات المهمة ، وأصبح حاليًا من الميسور على الباحثين الإطلاع على معظم الكتب الخاصة بالدين المندائي التوحيدي.

- أبو إسحاق الصابي:

أبو إسحاق من صابئة حران تربع على عرش الكتابة في عصر نهضة الدولة العباسية ، أثبت جدارة عالية لترؤس ديوان الكتابة في دولة إسلامية وهو الصابئي المندائي ، وكان من صناع القرار وكتابة القرار وقد كتب رسالة من رسائله المعروفة إلى أبي الفتح بن العميد يعزيه بأبيه:

(قد سبق في العلم ، وثبت في العقل _أطال الله بقاء سيدنا الأستاذ الجليل_ أن الله عز وجل جلت كبرياؤه ، وتقدست أسماؤه ، القديم بلا ابتداء ، الباقي بلا انتهاء ، لا يشركه في ذلك غيره ، ولا يختص به سواه ، وأنه تعالى أبدع المخلوقات على اختلاف ذواتها ، وتباين موجوداتها ، وأعطى كلاً منها ما أوجبت الحكمة أن يُعطَاه ، فلا سبيل إلى مزيدٍ لها على حدودها التي وقفت عندها ، ولا نقصان من غاياتها التي انتهت إليها. ولهذه المخلوقات منازل في الأعمار لا تتعداها ، ومواقيت في الآجال لا تتخطاها ، فلو أمكن فيها البقاء لارتفع الحدث ولساوى المفعول فاعله ، والمجبول جابله ، وسقط التفاضل بين الأدنى والأشرف ، والأقوى والأضعف. فوجود شخص الإنسان كأن لم يزل مودٍ إلى عدم وكأن لم يكن. ولله عز وجل في ذلك منةٌ على البرية لا يعرفها منهم إلا الفذ الفريد ، والشاذ الوحيد ، لأضعاف عدد عوامهم على خواصهم ، وجهالهم على علمائهم. وكلهم مركب من نفسٍ تسمو إلى الأرفع الأسنى ، ومن جسد يسف إلى الأدون الأدنى ؛ فمن غلب أخس ما فيه أشرفه ، قنط من الموت قنوط الغبي وكرهه كراهة الغر ، وظن أن الله عز وجل قد قطع به عصمته ، وأزال معه نعمته. ومن غلب أشرف ما فيه أخسه أيقن أن الله لا يعبث في خلقه، ولا يفكه في نطقه ، ولا يخلفه ما وعد ، ولا ينكل عما ضمن ، وأنه عز وجل قد جبر مصاب الميت جبرين ظاهرين يشهد بأحدهما العيان عاجلاً ، وبالآخر العقل آجلاً ، فالعاجل النسل ، والآجل النشر. فإن أخطأه الأول على عادة الدنيا في تلون أحداثها وتفاضل أرزاقها فهو حاصل على الثاني لا شك فيه ولا شبهة عند كل ذي لبٍّ وديانة...).

وتستمر الرسالة على هذا النهج البديع الذي يمتاز به أبو إسحاق على أهل زمانه.

كان الشريف الرضي معجبًا بمقدرة أبي إسحاق في الرسائل وما يتمتع به من قوة العبارة وجزالة اللفظ وعمق المعنى وفلسفة الطرح ، ولقد حزن الشريف الرضي على وفاة أبي إسحاق حزنًا شديدًا ورثاه بقصيدة عصماء مطلعها:

أعلمْتَ مَنْ حمَلُوا علَى الأعْوَادِ   أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي

جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى   مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ

ما كنتُ أعلمُ قبْل اليومِ   أنَّ الثَّرَى يَعْلُو علَى الأَطْوَادِ

الفصل الثالث

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل الباحثين المستشرقين

الباحث عندما يبحث ويطَّلع على ما كتبه الكُتَّاب والمؤرخون العرب والمسلمون وحتى المعاصرين منهم ، مرَّوا على هذه الطائفة مرور الكرام ، تجد أفكارهم وآراءهم سطحية غير معمقة منقولة من الكُتَّاب والمؤرخين الذين سبقوهم ، أما الباحثون والمستشرقون الأجانب فقد تعمقوا في بحوثهم ودراساتهم وعايشوهم وتعلموا لغتهم المندائية الآرامية ، وقرأوا كتبهم الدينية ، واحتكوا بهم وخاصةً برجال دينهم ، واطلعوا عن قرب على إجراء الطقوس والشعائر الدينية والحياة الاجتماعية ، وتمكنوا من حل بعض الرموز والنقوش والمخطوطات الأثرية والقحوف من الفخاريات القديمة ، وترجموها إلى لغات حيَّة مثل الألمانية والروسية والإنجليزية والفرنسية والأسبانية ، ولقد تمكنوا من حل كثير من الرموز وربط عدد من الحلقات المفقودة ، وتصحيح بعض المفاهيم ، فهناك عدد من الباحثين الأجانب رجالاً ونساءً لهم آراء مفيدة وأفكار قيمة ، فهؤلاء المتطوعون قد قدَّموا جهدًا عالميًا ووقتًا ثمينًا وأسفارًا مضنية.

- ليدزبارسكي

عالم ألماني فذ وبروفيسور مشهور قام بعملٍ جليلٍ بترجمة الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) من المندائية مباشرةً إلى الألمانية ، ويعتبر من العلماء الأوائل الذين أقدموا على هذه الترجمة ، ونجح فيها رغم أنه ترك فراغات كثيرة ، ربما يكون بسبب عدم فهمه النص أو لوجود كلمات سومرية أو بابلية ، ولكن مع هذا يعتبر عمله رائعًا وكبيرًا ، وله آراء وأفكار محترمة وتحليلات وتفسيرات تفوق بها على أقرانه من الباحثين.

- نـودلكـه :

عالم ألماني وأستاذ أكاديمي تخرج على يد رهط من الأساتذة والباحثين، وهو من المهتمين بدين الصابئة المندائيين، وله آراء وأفكار ممتازة عنهم، إذ يقول في أحد بحوثه القيمة:

(إن كلمة صابئة مشتقة من صب الماء؛ لكونهم يصطبغون بالماء الجاري، وإن المسيحيين أخذوا منهم التعميد بالماء؛ لأن نبي الله يحيى بن زكريا عمَّد السيد المسيح بأمرٍ من رب العالمين، وإن تسميتهم بالصابئة جاءت من الأقوام المجاورة لهم الذين يتكلمون الآرامية، فسموهم بهذه التسمية؛ لأنهم يكثرون من الاغتسال بالماء، وكلمة صبأ أو مصبتا أو صابئة تعني "المغتسلة" باللغة الآرامية).

▪ تعقيب :

يعتمد كثير من الباحثين الذين يجيدون اللغة الألمانية على ترجمة ليدز بارسكي لكتاب (الكنزا ربا)، ويعتبرونه مرجعًا أساسيًا، وفي بداية الأمر عام ١٩٩٨ عندما اهتم عدد من أبناء الطائفة بالترجمة اعتمدوا بدايةً على ترجمة ليدز بارسكي فنقلوا من الألمانية إلى العربية، ولكن لاحظنا نحن النخبة المشرفة على الترجمة، أن ليدز بارسكي قد ابتعد قليلاً عن بعض المفاهيم الدقيقة في جوهر الدين المندائي، ثم جاءت ترجمة عن ترجمة فابتعدت أكثر، بمعنى حصل انحراف في بعض النصوص، ولم يوفق المترجمون بنقلها بالدقة والمعنى المركز الصحيح؛ ولهذا قررت اللجنة يساندها عدد كبير من المندائيين المهتمين بالشأن المندائي ضرورة الترجمة المباشرة من اللغة المندائية إلى اللغة العربية لتكون الترجمة أمينة ودقيقة وصادقة؛ ولهذا شكلت عدة لجان لإنجاز هذا العمل الكبير، وقد تحقق ذلك والآن نستطيع القول إنه أصبح في كل بيت مندائي كتاب (الكنز العظيم).

أما عن البروفيسور نودلكه فهو يركز على كلمة صابئة وأنها من الفعل الآرامي صبأ وتعني المغتسلة بالماء.
المطلع على الدين المندائي والكتب الدينية من المندائيين لا يجد ذكرًا في كتبهم لكلمة صابئين أو صابئة ، وكما يفسرها البعض أنها من الفعل صبأ العربي أو الآرامي ، أو من كلمة صابي بن شيت ، أو أنها تحوير لكلمة "الصابغون" وقد دُمجت الغين إلى همزة فأصبحت "صابئون"، وغير ذلك من التفسيرات.
إنها تسمية عربية سبقت الإسلام ، حتى أن أهل قريش أطلقوا على النبي محمد "ص" بالصابي وقولهم (صبئت يا محمد) أي تركت دين أجدادك واتبعت دينًا جديدًا.
والحقيقة أنهم المندائيون أي المعرفيون (أهل المعرفة) ومعبدهم يسمونه المندي أي بيت المعرفة ، وأن كلمة الصابئة فُرِضَت عليهم من قِبَل الأقوام المجاورة ، وخاصةً بعد أن وردت في القرآن الكريم في ثلاث سور (البقرة والمائدة والحج) فأغلب الظن احتموا بها ليكونوا من أهل الذمة ورضوا إكراهًا بدفع الجزية للمسلمين ؛ لأنهم عبر تاريخهم الطويل لم يؤسسوا دولة أو إمارة وإنما كانوا دائمًا يحتمون بظل دين أسس دولة قوية، وهذا ما كان، وأضافوا كلمة الصابئين إلى كلمة المندائيين فعُرِفوا بالصابئة المندائيين (الصابغون المعرفيون) ، والآن هناك مقترحات من عدد من مثقفي أبناء الطائفة والمختصين يركزون على كلمة (مندائيون) فقط والمسألة مسألة وقت ، خاصةً بعد عملية الهجرة الواسعة إلى بلدان الغرب وأستراليا ونيوزيلندا وأمريكا ، وتمتعهم بفسحة من الحرية والديمقراطية.

- الليدي دراور:

من الباحثين البارزين في الديانة المندائية في العصر الحديث ، ولكونها عاشت مع المندائيين لمدة ربع قرن وتعلمت اللغة المندائية ، ومنذ عام ١٩٢٣ فرغت نفسها وهي في عمر الزهور لدراسة المجتمع المندائي وفهم دنيتهم ودراسة شعائرهم وطقوسهم ومعايشتهم ميدانيًا ومرافقة رجال الدين المشهورين ، فلقد ضحت هذه الباحثة بوقتها وجهدها ومالها ، مما مكنها من تقديم بحوث قيمة أغنت المكتبة العالمية باللغة الإنجليزية ، وتُرجِمَت قسم من مؤلفاتها إلى اللغة العربية من قِبَل الباحثين نعيم بدوي وغضبان الرومي رحمهما الله.

لقد كانت الباحثة ملمة باللغة المندائية واللغة العربية مما ساعدها على فهم كثير من الأمور من رجال الدين مباشرةً ، ودوَّنت ما شاهدته واقعيًا من ممارسات للشعائر والطقوس المندائية وهي تشاهد بعينيها وتسمع بأذنيها وتستفسر عن دقائق الأمور ، ولقد قامت بترجمة الكثير من المخطوطات ، وتدوين كل ما شرحه لها رجال الدين.

لقد ترجمت الباحثة وألفت اثني عشر كتابًا ، وإن أهم ما قالته الباحثة في الصابئة المندائيين:

(إن جوهر الدين المندائي هو عبارة عن قوانين الحياة القديمة ، فالحياة العظمى عندهم مقدسة ، ورمز الحياة العظمى هو الماء الحي الجاري ، وهذا أمر طبيعي لأقوام عاشت على ضفاف الأنهار في منطقة المياه البهية ، فكل شيء في بلاد ما بين النهرين يلتصق بالماء ، حياة البشر والحيوان والنبات.

ولهذا تجد أن الطقوس الرئيسية عندهم الاغتسال بالماء الجاري (أي الصباغة) ، أما القوة الأساسية الثانية فهي تعظيم النور (ملك دنهورا) والملائكة النورانيين الذين يمنحون بأمر من ملك دنهورا النور والصحة والقوة والفضيلة والعدل.

كما ينص الدستور الأخلاقي لدى الصابئة المندائيين على العناية المركزة بالنظافة وصحة الجسم والطاعة لكل الطقوس التي تفرضها كتبهم الدينية ، كما

يعطون أهمية بالغة لسلامة العقل والضمير وإطاعة وصايا وتعليمات الحي العظيم.

والأمر الجوهري الثالث عندهم هو الاعتقاد بخلود الروح، ويقصد هنا بالروح بمعنى النشماثا (الروح + النفس).

وأردفت الباحثة أن العرب تسميهم بالصابئة وهو يسمون أنفسهم بالمندائيين، ويعتبرهم المسلمون من أهل الكتاب وهم يقولون إن لهم صلة روحية وثيقة بالمسيحية؛ لذا يسميهم البعض بمسيحيي القديس يوحنا المعمدان، إنهم يعيشون ضمن المجتمع الإنساني إخوة أعزاء متحابين لكنهم لا يتزاوجون من غيرهم من الأديان إلا فيما ندر.

إنهم قوم يلازمون الأنهار ولا يستطيعون أن يعيشوا بعيدًا عن الماء الجاري؛ لأن الاغتسال والتطهير شيء مهم في حياتهم، ومن عاداتهم وطباعهم الحرص كل الحرص على أسرار دينهم.

والصابئة مثل المسيحيين والمسلمين يؤمنون بالله الواحد، لكن هيي قدمايي لا يقرب الشر ولا يحبه، وهو فوق الجميع ولكنه أناب عددًا من الملائكة الأثريين بعض الصلاحيات التي يمارسونها على العالم المفطور، وهم مبعث قوة وسبب الطهارة فلقد خلقهم الرب بمجرد نطق أسمائهم وهم يعيشون في عالم الأنوار ويترفعون عما عليه البشر، وعالمهم عالم خلود وينفذون وصايا الحي العظيم وتعاليمه، وهؤلاء الملائكة لهم أسماء يعرفها المندائيون.

وللمندائيون مُثُل عليا يؤمنون بها ولا يؤمنون بالخرافات والأساطير، وتمثل طقوسهم مُثُلاً عليا تتصل بالسلوك الروحاني، وطقوسهم وصلواتهم مطولة تميل ميلاً شديدًا لطهارة القلب ونقاء النشماثا؛ لذلك يعتقدون أنهم أقرب للسماء وأن طهارتهم قريبة من طهارة المخلوقات المعصومة من الخطأ التي تسكن عالم الأنوار، لذلك نجدهم يحفظون الأمانة ويتجنبون الكذب والقتل والزنا، ولكن لكل قاعدة شواذ كما يُقال).

▪ تعقيب:

صحيح أن الباحثة ليدي دراور قد عاشت التجربة حية وعن قرب وقد واصلت الدراسة والبحث على مدى خمسة وعشرين عامًا دون كلل أو ملل، وحاولت جاهدة أن تنقل نقلاً مباشرًا ما تشاهده وتسمعه، ومن خلال مناقشاتها اليومية مع رجال الدين وقراءتها للكتب الدينية بالتعاون مع رجال الدين، ولكن لكونها غير مندائية هنا الشعور والإحساس ومواجد القلب والإيمان الحقيقي قد يختلف.

وهم، وأقصد رجال الدين أحيانًا يجاملونها فيقولون لنا صلة وثيقة بالدين المسيحي ويذكرون لها شعيرة التعميد، وتعميد يوحنا المعمدان للسيد المسيح، وأمورًا أخرى، لكنهم قد لا يتفقون مع الفكر المسيحي بأن عيسى ابن الله أو أنه يجسد بهيئة الله، وأن يهيا يهانا (يوحنا المعمدان) فعلاً هو خاتم أنبيائهم.

أما الملائكة الأثريون ففعلاً لهم قدسيتهم وهم خالدون في عالم الأنوار **(كلهم لُطَفاءُ طيِّبون، وحُكَماءَ صادقون، لا إساءةَ فيهم ولاخداع. بَعضُهُم يَحلُّ في منازلِ بعض لا يُخطئون، ولا بعضٌ إلى بعضٍ يُسيئون. مُعزَّزون مُكرّمون. كمثْل أهدابِ العَينِ مُتَشابهونْ. نَواياهُم بعضٌ لبعضٍ مكشوفة، وأخبارُ ما تَقَّدمَ وما تَأَخَّرَ لدَيهِم مَعروفةٌ. يُنير بَعضُهم بَعضًا، ويُعَطِّرُ بَعضُهم بَعضًا، ويَمدَّون الكشطا بعضُهم إلى بعض. هُم بمشيئةِ الله خالدون، لا زَوال لهم ولا يَشيخونْ، ولايتوجَّعون ولا يَضعُفون. ثيابُهُم أنقى، وأكاليلُهُم أبقى، وأولادهم أتقى. لا يجوعونَ ولا يعَطَشون، ولا يحَترّون ولا يَبرَدون، ولا يُساءَ إليهم ولا يَغضَبون. لا خُبثَ في أشجارهم، ولا مرارةَ في أثمارهم، ولا ذُبولَ في أزهارهم. مَواقعُهُم سامية وبحارُهُم هادية، ومياهُهُم جاريةٌ... أعذَبَ من الحَليبِ وأبَرد. لا يذوقُ شاربُها مَوتًا، ولا يَسمعُ للحُزنِ صَوتًا. أعوامُهُم لاعَدَّ لها، وحياتُهُم لا كَيْلَ لها. فرحونَ مُبتَهجونْ، بخطى سريعة ينطَلقون، وفي أرض آيرَ البيضاءَ يطيرون، حيثُ الضّياء التَّام لا غروبَ ولا إضلام، وجوهُهُم من نور. شفَّافونَ كالبلور. جميعُهُم خاشعونْ، لله يُسبّحون)**.

فهل رأيتم وصفًا للملائكة أدقَّ وأصدق من هذا الوصف الذي يصف به كتاب (الكنزا ربا) الملائكة الأثريين.

أما عن الخرافات والأساطير: فهناك الخرافة والأسطورة كما يسميها العلمانيون أو الماديون ، وهناك المعجزات أو الخوارق كما يسميها الروحانيون ، والأمثلة كثيرة وفي كل الأديان ، وأحياناً يسمونها ميثولوجيا أي علم الأساطير ، وهناك الكثير من الملاحم لكثيرٍ من الشعوب يتباهون بها ويعتبرونها من التراث الخالد والفرق بين الملحمة والأسطورة أن الملحمة أبطالها من البشر ، أما الأسطورة أبطالها من الآلهة.

أما ما ذكرته ليدي دراور عن الزواج من الأديان الأخرى ففعلاً المندائي الصحيح يجب أن يكون من أبوين مندائيين ومتزوج/ متزوجة من مندائي/ مندائية.

إن الهجرة يا سيدتي ليدي دراور يرحمك الله قد فرضت على المندائيين بعض المفاهيم ، وأجبر البعض بسبب هذه الظروف القسرية على الزواج من أديان موحدة أخرى وكثير منهم يرغبون في العودة لدينهم ولحد الآن لا توجد حلول لهذه الحالات.

• • • •

- بوسيه:

إن شعائر التعميد كانت منتشرة بين نحل كثيرة لا نعرف كيف انبثقت كلٌّ منها ، لقد مارسها الكاشيون كطهارة كما يفعل الصابئون.

- أولبري:

إن الصابئة المندائيين في جنوب العراق هم أصل معمدي الآباء المسيحيين الأوائل ، والكُتَّاب الربانيين الذين حصلوا على اسم المعمدين من إجراء تطهيرهم المستمر بالماء الجاري كانوا يسمون بالآرامية بالصابئين المشتق من الفعل الآرامي صبأ بمعنى يغطس بالماء أي يتعمد.

كذلك قال في اللغة المندائية إنها أسهل اللهجات الآرامية القديمة وأكثرها مرونة صوتية وأقلها تأثرًا باللغات الأجنبية اليونانية ؛ وذلك بسبب عزلتها وانزوائها ، كما أن المندائية ما زالت لغة الأدب مما يسهل دراستها ومقارنتها باللهجات الآرامية القديمة المندثرة والحية معًا.

- **تعقيب:**

لقد كان يهيا يهانا (يوحنا المعمدان) يعمد الناس على ضفاف نهر الأردن ، وكانت أقوام عديدة تسكن في حوض البحر الميت أو على ضفاف نهر الأردن ، منهم المندائيون ، ولسنا متأكدين إن كان النبي يوحنا المعمدان يعمد الصابئة فقط أو أي إنسان يرغب بالتعميد ، ولما يوحنا المعمدان عمد السيد المسيح فطبيعي أن يعمد الآباء الأوائل تلاميذ المسيح وأحباره ، أما عن جزالة العبارة وقوتها في الأدب المندائي ، فهذا البروفسور ليدز بارسكي يشهد حين قال:

أي أدباء عظماء كتبوا هذه الأسفار المندائية.

أما عن كلمة صابئة ، فالمسلمون يدَّعون أنها من كلمة صبأ العربية ، ويقول المندائيون أنها من الفعل الآرامي صبأ ، وباعتقادي لا هذا صحيح ولا ذاك صحيح ، والصحيح نحن المندائيون.

- وليم شميث:

باحث ألماني الأصل ، تخصص في دراسة القبائل البدائية ومعتقداتها ، يقول: (إن العرب كانوا بالأصل موحدين ، ثم تركوا التوحيد وأشركوا وعبدوا الأوثان، ولكن الإسلام أعادهم للتوحيد على يد النبي محمد (ص) الذي نشر الإسلام في أطراف الجزيرة ، أي نشر التوحيد وحطم عبادة الأصنام ، والصابئة المندائيون قد سبقوا المسيحية والإسلام بالتوحيد).

▪ تعقيب:

العرب في شبه الجزيرة العربية كانوا يعيشون حياة البداوة ، والبدوي يريد شيئاً يلمسه ويراه ويحس به ليقتنع ، فرغم أنهم يؤمنون بوجود الله ولكنهم أوجدوا الأصنام كواسطة ملموسة يتشفعون بها لله زلفى وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع ، وكان كثير من الخطباء والشعراء يدركون ذلك ، وكان الأحناف والمندائيون يعلمون علم اليقين بوحدانية رب العالمين.

- رايت:

(إن استقلال الصابئة المندائيين باللغة الدينية والكتابة الأبجدية قد اشتركوا مع أديان أخرى في شعائر وطقوس كثيرة، ولا يعرف دين من الأديان لا يوجد فيه تشابه مع الطقوس المندائية، فهم يشبهون اليهود والمسيحيين والمسلمين، كما يشبهون الفلاسفة والمذاهب العقلانية في تفسير الموجود والموجودات، وهم كما يشبهون الجميع يخالفون الجميع كما يقول العقاد فيهم).

▪ تعقيب:

التشابه في الشعائر والطقوس موجود في كثير من الأديان، فالمندائيون يشبهون اليهود في المحرمات ويشبهون الإسلام في الوضوء ويشبهون المسيحيين في التعميد والوصايا والتوحيد والمحرمات وأمور كثيرة أخرى، وإن الشعائر والطقوس هي التي تميِّز ديناً عن الدين الآخر.

وأذكر في أحدث زياراتي للهند وحضوري زواج ابن رئيس الأكاديمية الفنية، وكان والده مهراجا، أي من الأغنياء، شاهدت أن لباسهم وطقوسهم مشابهة لطقوس المندائيين، كذلك عندما زرت الإخوة الإيزيديين في شمال العراق، وجدت هناك نوعًا من التشابه، وحدثني أحد أقربائي من أهل إيران أن الطقوس الزرادشية تشبه إلى حد بعيد طقوس المندائيين في إيران والعراق.

- سفولسون:

ذكرت الباحثة الليدي دراور في كتابها "الصابئة المندائيون" ترجمة طيبيٍّ الذكر غضبان الرومي ونعيم بدوي ، أن العالم الدكتور سفولسون قد أعطى في كتابه اعتبارًا وقيمة خاصة للصابئة المندائيين وخاصة الحرانيين من خلال علمهم وثقافتهم وعملهم في بلاط الخلفاء في العصر العباسي من خلال التراجم في اللغة العربية التي قام بنقلها الصابئة المندائيون في عاصمة الخلفاء العباسيين بغداد.

لقد كان العلماء والأدباء والمترجمون المندائيون زينة الحضارة العربية ، ولقد ساعدوا على تأسيس شهرتها ، ويذكر أن الله سبحانه وتعالى أنزل على بني شيت (شيتل) خمسين صفحة من (الكنزا ربا) (الكنز العظيم) ، وهو أول مَن بنى الكعبة بالطين والحجر الأسود ومنه أُخذت الشريعة ، وهو هبة من هبات الحي العظيم ، ومن أولاده صابي وإليه تنتسب الصابئة ، وهم علماء وأدباء وكتبة ذلك الزمان.

▪ تعقيب:

ظهر في مدينة حران شمال العراق ، عدد كبير من العلماء والأدباء والكتبة والمترجمون مثل آل قرة ، وآل صابي وأولادهم وأحفادهم ، قدموا خدمات جليلة للنهضة العربية في العصر العباسي في مراحل ازدهاره في زمن الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والمتوكل ، في علوم الفلك ، والطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والأدب ، والرسائل ، والترجمة ، ونقلوا الحضارة الإغريقية ، والرومانية ، والفارسية ، وغيرها إلى اللغة العربية بمهارة وإتقان.

- البابا بولس الثاني (يوحنا) :

لقد استقبل البابا بولس الثاني وفدًا يمثل المجلس الروحاني الأعلى للصابئة المندائيين عام ١٩٩٥ وألقى بهم كلمة قيمة، رحب بهم أجمل ترحيب قائلاً:

(هناك كثير من نقاط اللقاء بين المندائيين والمسيحيين، وأنهم يؤمنون بالرب الواحد خالق الكون، وأن التقديس الكبير الذي تكنونه إلى يوحنا المعمدان والشرف الذي تتمسكون به بشخصية السيد المسيح (ابنة خالة يوحنا المعمدان) هو سبب سروركم بأن تدعونا أولاد الخالة، إذن أنتم أقارب البابا. إن السيد المسيح عندما عُمِّد من قِبَل يوحنا المعمدان صهرت روح القدس بهيئة حمامة على نهر الأردن، أنا سعيد بمعرفتكم وباللقاء بكم وأرجو أن يستمر الحوار والتعاون).

ولكن كما يذكر الباحث المندائي المهندس القدير حامد نزال السعودي في كتابه "حقيقة الصابئة المندائيين"، أن المندائيين بعد ذلك لم يديموا هذه الصلة ولم يكرروا هذه الزيارة؛ بسبب الأحداث الجسام التي ألَّمت بالوطن الأم العراق، وأصبح واجبًا على الجمعيات المندائية في بلدان المهجر إدامة هذه العلاقة.

- **تعقيب:**

حدثني الريش أمة عبد الله الكنزي برا نجم السبتي، بعد هذه الزيارة أنه قلَّد البابا بولس الثاني قلادة ثمينة تحمل الدرابشا صنعها الصاغة المندائيون في بغداد قائلاً له: (إن يوحنا المعمدان قد عمد السيد المسيح وأنا ألبسك قلادة الدرفش؛ لنوثق العلاقة بيننا وبينكم يا أولاد الخالة).

- براندن:

(إن شعيرة التعميد بالماء الجاري ، وهي شعيرة مندائية بامتياز قد مارسها كثيرون من النِحل والأديان كما يمارسها الصابئون).

• • • •

- فراوسهايدة:

بروفسور هولندي متخصص في الديانات طبع موسوعته عام ١٩٣٤م وأعطى تعريفاً للكلمة سيبا أو شيبا المذكورة في قائمة جنسيس للديانات والأقوام.

(مملكة شيبا) كانت تعود للميديين شرق البحر الأحمر ، وأن شعب هذه المملكة كانوا يدعون بالصابئة ، والميديون هم سكان جبال ميديا ، قرب مدينة حران التي سكنها الصابئة المندائيون لفترة طويلة من الزمان.

- بورن باكلي:

تعتبر هذه الباحثة القديرة النرويجية الأصل الأمريكية الجنسية، الوريثة المقتدرة للباحثة الإنجليزية الليدي دراور مؤلفة كتاب "الصابئة المندائيون".

وهذه الكاتبة حذت حذو زميلتها دراور بأن عايشت المندائيين في أماكن وجودهم في العراق وإيران، واختلطت بهم وكسبت ودهم وثقتهم، وخاصة صابئة إيران، مما سهل عليها معرفتهم عن قُرب وفهم طقوسهم وشعائرهم وقضاياهم الاجتماعية ومعرفة لغتهم.

ولهذه الكاتبة الناشطة عدة كتب ومقالات مهمة نشرتها في مجلة نوفوم العالمية، وفي مجلة المتحف الجيكية عام ١٩٩٧ وكذلك في مجلة الأديان الصادرة عن جامعة شيكاغو عام ١٩٩٩ ولها كتاب مهم بعنوان (المندائيون نصوص موقرة وشعب معاصر) نشرته جامعة أكسفورد في نيويورك عام ٢٠٠٢م.

الدين المندائي غالبًا ما يوصف بالغنوصية، وممكن أن يكون أصل المندائيين متأثرًا بالمنطقة الأردنية الفلسطينية.

إن النصوص المندائية مثل اليردنا (الماء الجاري) والكشطا (الحق أو العهد)، والمندا (المعرفة) كلها تشير إلى احتمالية غربية أصول المندائيين، تمامًا كهجرة المندائيين من سهل نهر الأردن باتجاه أهوار العراق وإيران التي ما زالت حتى الآن موضع نقاش، وفي القرن الثاني والثالث هاجر المندائيون من حوض نهر الأردن باتجاه منطقة المياه البهية كما يذكر الباحث كورت رودولف.

وفي كل الأحوال وصل المندائيون إلى العراق وإيران قادمين من مدينة حران قبل وصول المسيحية المبكرة، وتمكن المندائيون من أن ينسجموا مع إخوانهم المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية لتلك البلاد، واستفادوا من التسامح، وعلينا

أن نتابع النصوص التي وجدت مؤخرًا في نجع حمادي ، هل هي نصوص غنوصية قبطية أم نصوص مندائية.

ويذكر كتاب حران كويثا المندائي أن المندائيين لم يهاجروا من فلسطين بسبب خراب القدس ومعبدها سنة ٧٠م. ويعتبر الصابئة المندائيون أن مريم واسمها المندائي ميرياي أم عيسى (ع) مندائية وأن نبي الله عيسى قد انحرف عن إرثه المندائي بعد أن عمده نبي الله يحيى بن زكريا ، تؤكد الوثائق المندائية عن أن الأم شلاما بنت قدره هي الأولى في الكهانة، والناسخ الأقدم لكتاب (الكنزا ربا) الأيسر الخاص بصعود نشماثا إلى عالم الأنوار).

كما كتبت الباحثة باكلي كتابها (العالم المندائي) في الجزء الأول منه عن معاناة المندائيين المستمرة خلال حياتهم، وأشارت بدور الناسخين من أمثال يحيى بن بهرام الكاهن.

تقول الباحثة في أحد بحوثها المهمة:

(يشكل المندائيون من كلمة مندا الآرامية أي المعرفة المجموعة الوحيدة للغنوصيين الذين ما زالوا على قيد الحياة ، أما الآخرين من الغنوصيين فلقد اندثروا وذهبت ريحهم ؛ بسبب نمو المسيحية ، لكن المندائيين أصروا وحدهم على البقاء ؛ وذلك لأنهم يملكون الكثير من الكتب الدينية التي تحوي نصوصًا شاملة وكاملة للدين المندائي).

وحاليًا تبذل جهود من قِبَل الجاليات المندائية في السويد وأستراليا لإنقاذ اللغة المندائية.

وللباحثة بحوث كثيرة ومتعددة منها (من بغداد إلى كاليفورنيا) كما التقت الباحثة بالشاعرة المندائية الموهوبة العراقية الأصل لميعة عباس عمارة، والباحثة من المعجبين بشعر لميعه وقد ترجمت شيئًا منه إلى اللغة الإنجليزية.

وفى أحيان كثيرة تلصق صفة الغنوصية بالمندائيين ، لقد لاحظ الباحث "كورت رودلف" بواقعية أنه لا يوجد مذهب غنوصي مشترك ذو صلة بالتعميد ؛ لأن المصبتا المندائية يجب أن تترجم وفقًا لعلم الكونيات وعلم أصل الجنس البشري وعلم اللاهوت المندائي ، وعن عالم النور ؛ ولهذا فإن كثرة الارتماس بالماء أي تكرار الصباغة تعني تحضيرات وتمرينات وطهارة الدخول لذلك العالم.

ويحتم على المندائي قبل اجراء طقس التعميد أن يلبس (الرستة) ، وهي ملابس بيضاء متشبهًا بعالم النور ، ويجب أن يجرى التعميد بالماء الجاري في بحر أو في قناة مائية فيها ماء حي ، وحاليًا تطورت بعض الأمور فيجرى في حوض خاص له مدخل ومخرج للماء أيام الآحاد أو الأعياد وخاصة البنجة ودهفة ديمانة ، حيث يجرى تعميد جماعي للمندائيين.

وبشكل عام فإن التعميد الجماعي له هيبة ووقار وخشوع حيث يصطف المندائيون رجالاً ونساءً في نسق جميل على حافة النهر بملابسهم البيضاء الأنيقة الموحدة كاملة (سروال وقميص وعمامة ونصيفة وهميانة) ووضع في إصبعه كليلة الآس ، وقد تم نصب الدرافشا (علم يهانا) ، ويبدأ رجل الدين بمراسم الصباغة وفق سياقات لا يحيد عنها ، على أن تحضر كل المستلزمات الضرورية مسبقًا من أوانٍ وقناني ونبات الآس رمز الحياة ، والطين والملح والسمسم ووعاء طيني للبخور ، وأمور أخرى.

- **تعقيب:**

المندائيون كما تدل الآثار والقحوف والمخطوطات القديمة من بلاد ما بين النهرين ، وعندما ظهر نبي الله إبراهيم الخليل في أور ، وقال إنه نبي مرسل لكم أيها المندائيون لم يصدقوا به في أول الأمر ؛ لأنه إنسان مثلهم وليس ملاكًا ، والنبي يجب أن يكون ملاكًا لا يتوجع ولا يشيخ ولا يأكل ويشرب ولا يموت ، ثم حصل أن قطع نبي الله إبراهيم غلفته بسبب المرض فانفضوا عنه ، فقرر

الهجرة مع زوجته سارة وتبعه رهط منهم إلى حران ، ومن حران إلى فلسطين وبعد ذلك لأرض الكنانة، ويقول بعد ذلك عاد عدد منهم إلى منطقة المياه البهية في جنوب العراق وجنوب غرب إيران. وهذا يعني أن أصل المندائيين بلاد ما بين النهرين وربما هم بقايا السومريين أو السومريين منهم.

وعدد من الباحثين يقول إن سفينة نوح بعد الطوفان رست قرب مدينة حران ، وأن سام بن نوح وزوجته نهوريتا أسسا الدارة المندائية ، وعندما بنى نبي الله إبراهيم مدينة حران تجمع المندائيون في حران ، ومنها حصلت هجرة نحو الغرب إلى فلسطين ونحو الجنوب إلى العراق وإيران قرب مصبات مجاري الأنهار.

وعدد من الباحثين يذكر أن سبب معيشتهم في الأهوار جاء عندما بدأت الفتوحات الإسلامية اندفعوا إلى الأهوار بزوارقهم التي يصنعونها بأيديهم لحماية أنفسهم ودينهم وهم يعلمون أن المسلمين أهل صحراء يخافون الخوض في المياه البهية ؛ لأنهم يملكون الإبل والخيول ولا يملكون الزوارق... ولكنها اجتهادات وآراء ينقصها التوثيق الدقيق والأدلة الدامغة.

أما عن معاناة المندائيين فقد تعرضوا عبر تاريخهم إلى مذابح كثيرة وكبيرة في إيران والعراق وفلسطين ، كانت سببًا لهجراتهم عبر التاريخ وآخرها هجرتهم من إيران ؛ بسبب التطرف الديني في إيران ، وهجرتهم من العراق بعد الاحتلال كذلك بسبب التطرف الديني وغياب القانون.

أما عن الصباغة في الماء الجاري في الأنهار ، فالصابئة المندائيون في العراق طوروا هذه الشعيرة وبنوا أحواضًا نظامية يدخل الماء فيها ويخرج بنظام هندسي محسوب ، تقبّله عدد من رجال الدين ورفضه آخرون ؛ بسبب أن هنالك نصًّا في كتاب (ترسر ألف شيالة) يقول لا تبنوا سدودًا في طريق الماء.

العالم تطور وعلينا مواكبة العصر ، وإعطاء أهمية للطقس خاصةً في الدول الإسكندنافية وهولندا مثلاً ؛ لأن فصل الشتاء في هذه البلدان طويل ومتجمد ، ولا يمكن الصباغة في مجاري الأنهار.

أما عن الغنوصية فإنها تؤمن بأن الله يُعرَف بالحس والشعور ومواجد القلب ، ولا تؤمن بوجود وسيط بين الله وعباده ، أما المندائية فتؤمن أن الحي العظيم (الله) يُعرَف بالشعور والإحساس ومواجد القلب وبالعقل والمعرفة ، وأن الملائكة الأثريين وسطاء بين البشر وخالقهم.

أما عن اللغة المندائية وتعليمها فلقد جرت محاولات عديدة خاصةً في بغداد وتم تأسيس مدرسة مندائية ومناهج تعليمية ، ونجحت عدد من الدورات وتعلم كثير من الدارسين ، ولكن بسبب عدم الاستمرار وبسبب عدم التحدث باللغة المندائية في البيت وبين المندائيين سرعان ما ينسونها ، واللغة العربية هي الغالبة لأن الحاجة أم الاختراع ، وكنا في العراق بحاجة إلى اللغة العربية فأتقناها ونبغ بها الكثير من الشعراء والأدباء ، وحاليًا تعلمنا اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية ، والألمانية ، والهولندية ، والسويدية وغيرها ؛ لأننا نحتاجها في حياتنا اليومية وفي العمل.

- سينازي كوندوز:

باحث تركي ألف كتاب (معرفة الحياة):

(يؤكد الكتاب أن المندائيين ينتمون إلى فلسطين وما جاورها ، وأن المندائيين عاشوا في الغرب قبل أن يهاجروا إلى بلاد بابل ، وأن المندائيين سبقوا المسيحيين ، وأنهم كانوا على اتصال وثيق بالنبطية ، التي أخذ منها المندائيون أبجديتهم ، لقد اضطهد اليهود المندائيين ، فقُتل منهم خلق كثير ، وهاجر خلق كثير إلى الشرق تحت حماية البارثيين.

لقد هاجر المندائيون إلى بلاد ما بين النهرين على شكل جماعات ، ونزلوا في حران ، ثم واصل عدد منهم الهجرة باتجاه جنوب العراق حيث وفرة المياه ، واستقر هناك مع مطلع القرن الثاني الميلادي كما يؤكد الباحث ، وهناك عايشوا ثقافات عديدة منها البابلية ، والفارسية ، والنسطورية المسيحية أثروا فيها وتأثروا بها ، ولقد عاشوا في زمن البارثيين بحرية ، فبنوا منادي العبادة ، ولكن عندما تغلب الساسانيون على البارثيين ، انتهى توسعهم ، وانتهت حرياتهم فانغلقوا على أنفسهم.

وبعد الفتح الإسلامي عومل المندائيون على أنهم من أهل الكتاب ؛ نظرًا لذكرهم في القرآن الكريم وعاشوا متآخين مع المسلمين والمسيحيين.

ويؤكد الكاتب أنه كلما ظهرت ديانة اضطهد أتباعها المندائيين ، وهذا يفسر لنا أسباب الهجرات المستمرة، وبالتالي قلة عددهم كما هو الحال اليوم).

▪ تعقيب:

لقد بيَّنا أن أسباب الهجرة كثيرة منها دينية ومنها سياسية ومنها اقتصادية... إلخ.

- الموسوعة البريطانية الحديثة:

(التعاليم المندائية لا تختلف عن بقية التعاليم الأخرى، فقد بقيت هي الأخرى أزمنة طويلة محفوظة في الصدور، وبقي منها ما هو أصيل ودخلها ما هو دخيل عبر الأجيال حتى دونت بعد اكتشاف الكتابة باللغة المندائية التي هي إحدى اللهجات الآرامية.

تبدأ السنة المندائية وهي سنة الخليقة بداية شهر شباط، وأشهرهم شبيهة بالأشهر العربية، والاثنان شبيهان بالأشهر البابلية، وهم الذين وضعوا أصح وأوضح تقويم عرفة الإنسان.

كما يعتقد المندائيون: لقد قام آدم (ع) يعلِّم ذريته وينقل لهم الوصايا كلها من هيي قدمايي ربهم العظيم في علاه، والتزم المندائي بما قاله له ربه في علاه، بكل التعاليم والوصايا آملاً بالحياة الثانية في عالم الأنوار بأن يعود إلى الدموثا (المثيل)، وهذه الأمنية يتمناها كل مندائي مؤمن ويحفظها في ضميره على مدى الأجيال ينقلها إلى أبنائه).

▪ تعقيب:

إن عدد الباحثين والمستشرقين الأجانب كثير جدًا، وإن معظمهم يكتبون بعد إطلاع دقيق ومعايشة ميدانية ويشاهدون بأعينهم ويسمعون بآذانهم؛ ولهذا جاءت بحوثهم ودراساتهم أكثر دقة وصوابًا وقريبة من الحقيقة والواقع، بينما نجد أن كتابات الأولين جاءت تكرارًا لما كتبه مَن سبقوهم دون مشاهدة أو معايشة ودون معرفة اللغة المندائية وقراءة الكتب الدينية.

وأذكر أني مرة قرأت في مقالٍ أن جامعة أكسفورد قد كلفت طالبين من طلابها لإجراء بحثًا تفصيليًا عن الجمل، أحدهم أمريكي والثاني ألماني، فراح الأمريكي إلى جمع عدد من المصادر عن الجمل وجلس في مكتبه يقرأ ويفهم

ما يكتبه عن الجمل ، بينما الألماني شد الرحال إلى الجزيرة العربية ؛ ليعايش الجمل ورعاة الجمل ، ويتعلم عاداته وطباعه، وليصفه وصفًا دقيقًا واقعيًا ، فجاء بحثه أمينًا ، دقيقًا ، حقيقيًا ، صادقًا ، وهذا هو سر تفوق الباحثين الأجانب والمستشرقين في كتاباتهم وبحوثهم وتوثيقهم.

الفصل الرابع

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل الكُتَّاب والمؤرخين المعاصرين

حيث قال في كتابه (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب):
(الصابئة أمة كبيرة من الأمم الكبار ، وقد اختلف الناس فيهم اختلافًا كثيرًا ، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم ، فذكرهم الله في الأمم الأربعة التي تنقسم كل أمة فيهم إلى ناجٍ وهالك ، وذكرهم أيضًا في الأمم الستة التي انقسمت جملتهم إلى ناجٍ وهالك.
وذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهم ولا تنقسمان إلى شقي وسعيد ، وهما المجوس والمشركون في آية الفصل ، ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة التي ذُكِر الصابئون فيها ، فعلم أن فيهم الشقي والسعيد ، وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل (ع) ، وهم أهل دعوته ، وكانوا بحران فهي دائرة الصابئة ، وكانوا قسمين صابئة حنفاء ، وصابئة مشركين ، وطوائف منهم تصوم شهر رمضان ويستقبلون في صلواتهم الكعبة ويعظمون مكة ويرون الحج إليها ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ، ويحرمون من القرابات في الزواج ما يحرمه المسلمون.
وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد ومنهم إبراهيم بن هلال الصابي صاحب الديوان الإنشائي وصاحب الرسائل المشهورة ، وأصل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وفعلاً ؛ ولهذا سموا صابئة أي خارجين.
فقد خرجوا عن تقييدهم بحملة كل دين وتفصيلة إلا ما رأوه فيه من الحق ، وكان كفار قريش تسمي النبي محمد (ص) صابي والصحابة الصباة ، والمقصود أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم ، والحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في الحنفية.
والمشركون شاركوا عبادة الأصنام ورأوا أنهم على صواب ، وأكثر هذه الأمة فلاسفة ، والفلاسفة يأخذون بمحاسن ما دلت عليه العقول.

وعقلائهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرِّمه، وهم يقرون أن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن العيوب والنواقص، ومنهم قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وعامر بن ضرب العدواني، وعلاف بن شهاب التميمي، والمتلمس بن أمية الكناني، وزهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبسي، وعبد الله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب، وغيرهم كثيرون).

▪ تعقيب:

الألوسي مؤرخ عراقي كبير قريب من الصابئة المندائيين، ولكنه لم يطَّلع على كتبهم، فرغم أنه أنصفهم بعض الشيء، وفسَّر الآيات القرآنية التي ذُكروا فيها بالشكل الصحيح، ولكن فاته بعض الأمور؛ حيث للصابئة المندائيين صومهم الصغير الذي يمتنعون فيه عن أكل كل شيء حي لمدة ستة وثلاثين يومًا موزعة، والصوم الكبير الذي يحرِّم عليه كل ما حرمه الله في وصاياه لهم.
كذلك لهم قبلتهم باتجاه الشمال القصي أي باتجاه بوابة عالم الأنوار الجنة الذي يستدلون عليه برؤية النجم القطبي كدلالة لهم لا غير، أما الحج فهم ليس في أركان دينهم الحج، فأركان الدين الصابئي المندائي هي (التوحيد، التعميد، الصلاة، الصوم، الصدقة).

- شيخو اليسوعي (١٨٥٩ – ١٩٢٧م)

وذكر في كتابه (شعراء النصرانية قبل الإسلام):
(زهير بن أبي سلمى المزني، وقس بن ساعدة الأيادي، وطرفة بن العبد، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقد استنتج من إيمانهم بالله أنهم كانوا نصارى، وكان ذلك مجرد استنتاج، إلا أن كتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" للعلَّامة الألوسي والشيخ الكبير محمد بهجت الأثري، يذهب إلى أنهم كانوا على الحنفية البيضاء ملة سيدنا إبراهيم الخليل (ع) الذي يقصد أنهم كانوا صابئين موحدين.
وذلك التقارب بين بعض طقوس الدين المندائي وطقوس الدين النصراني في التعميد وغيره.
لأن أولئك الشعراء الذين تذكرهم الأساطير المندائية القديمة تؤكد صابيئتهم؛ لأنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية والألوهية ناهجين نهج مَن اعتنقها، وليسوا يهودًا ولا نصارى بنصرانيتهم).

▪ تعقيب:

إن الصابئة المندائيين يلتقون مع المسلمين بالتوحيد، ويلتقون مع النصارى بالتعميد، ولكن المسيحيون خفَّفوا مراسم التعميد كثيرًا عبر الأزمان اللاحقة، بينما بقي الصابئة المندائيون على مراسيم التعميد القديم الذي عمَّد به النبي يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) السيد المسيح، عليهم السلام أجمعين.

- رشيد مطر الهاشمي:

نقلاً عن مجلة اليقين العراقية الصادرة في بغداد سنة ١٩٢٢م:

(إن أهل هذه الأمة يكتمون ديانتهم كل الكتمان ويضنون بها على أتباعها وعلى أهلها ، فإن الصابئي لا يكاد يعرف شيئًا من هذا الدين ، وهو محصور في صدور مشيختهم وعبادهم ، وهؤلاء بلغوا الغاية التي ما وراؤها زيادة لمزيدٍ في الحرص والتكتم.

فإن أحدهم لا يبوح بسرٍ من أسرار هذه الديانة ، سألتهم عن أصلهم فخلطوا الجواب خلطًا فعميت عليَّ الحقيقة ، حيث قالوا عنه من فارس والهند ومصر والغرب ، وقد حدثني رجل فاضل من المسلمين أن أصلهم من مصر وقد أخرجهم المصريون فهاجروا إلى فارس فذبحهم الفرس ، فهبطوا إلى وادي العراق ، فعاشوا آمنين مطمئنين ، ولا يزال قسم منهم يسكن تخوم فارس كمدينة الناصرية الإيرانية الموجودة قرب شوشتر ودسبول ، أما لغتهم فهي السريانية).

▪ تعقيب:

فيما يخص التكتم فهذا صحيح ولكن كان هذا أيام زمان ، الآن للصابئة المندائيين مراكز ثقافية متعددة وإصدارات كثيرة ومجالس تدير شؤونهم ، وهذه كلها تُدار من قِبَل نخبة مثقفة منهم وأساتذة أجلاء ، وقد ترجمت معظم كتبهم إلى اللغة العربية ، وحتى رجال الدين الذين احتكروا المعلومات كما يذكر الكاتب حاليًا انفتحوا على الناس ، فهناك المحاضرات والمناظرات والمقابلات والترجمة والتأليف وأنواع الإصدارات.

أما عن موضوع أصلهم فقد وضحنا ذلك في الفصل الأول.

أما لغتهم فهي المندائية وهي لهجة من اللغة الآرامية التي تشبه إلى حد بعيد اللهجة السريانية الآرامية أيضًا.

- الأب أنستاس الكرملي (١٨٤٦ – ١٩٤٧م)

حيث قال العلامة الكرملي ، نقلاً عن مجلة المشرق:

(إن كلمة صابئة مشتقة من صبَّ الماء إشارة إلى اعتمادهم بالماء ؛ لأنهم يتعمدون كما يتعمد النصارى ، والصابئة أول ديانة وُجدت بعد فساد الدين الحقيقي ، وهذا الفساد يرتقي إلى ما بعد الطوفان).

▪ تعقيب:

للأب الكرملي مواقف ممتازة مع الصابئة المندائيين وهو واسع العلم كثير الإطلاع ، يملك دائرة معلومات واسعة وكبيرة ، وعندما اشتكى رئيسهم آنذاك الشيخ دخيل علي المؤرخ العراقي عبد الرازق الحسني ؛ بسبب تجنيه على دينهم ظلمًا وعدوانًا ولضعف معلوماته ، قام الأب الكرملي في قاعة المحكمة بترجمة نصوص من كتابهم المقدس (الكنز العظيم) تسبيح التوحيد ، حاسبت المحكمة الكاتب عبد الرازق الحسني على ادعاءاته الباطلة ، وطلبت سحب الكتاب وتصحيح ما ذهب إليه الكاتب ظلمًا وجورًا.

- **فيليب حتى** (١٨٨٦–١٩٥٤م)

(إن النبي هود "ع" باني الجدار القبلي في معبد الصابئة في الشام ودُفن فيه ، ومن بعده النبي يحيى "ع" ، وقد تمَّ فيها بعد تطوير ذلك المعبد ، فأصبح كنيسة للمسيحيين ، ومن ثم جامعًا بعد ظهور الإسلام).

- **تعقيب :**

ويقصد به الجامع الأموي في دمشق قرب سوق الحميدية الآن ويوجد في هذا الجامع مرقد للنبي يحيى بن زكريا "ع".

بينما الكتب الدينية المندائية تقول غير ذلك ؛ لأن نبي الله يهيا يهانا كما يسمونه قد صعدت نشماثته (نفسه) إلى خالقها واستقرت في المثيل في عالم الأنوار ليحيا حياة ثانية أبدية ليس فيها موت كحياة الملائكة الأثريين الصالحين.

- عباس محمود العقاد (١٨٨٩–١٩٦٤م)

حيث قال في كتابه (أبو الأنبياء):

(والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم ؛ لأن استقلالهم باللغة الدينية ، والكتابة الأبجدية ، لم ينشأ في عصر حديث... وقد سموا بالصابئة ؛ لكثرة الاغتسال في شعائرهم الدينية وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك.

ولكنهم يطلقون على ملتهم "منداي" ، ومع استقلال الصابئة باللغة الدينية والكتابة الأبجدية ، يشتركون مع أصحاب الأديان في شعائر كثيرة ، ولا يعرف دين من الأديان تخلو عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر... وهم كما يشبهون الجميع يختلفون مع الجميع).

- **تعقيب:**

العقاد كاتب من الوزن الثقيل ، وهو رقم صعب بين أدباء عصره وله همة عالية وعزة نفس أعلى ، ولا يعرف بالحق لومة لائم ، أما مشابهتهم للأديان التوحيدية الأخرى ، فإما بسبب المحيط ، فالحضارات تتأثر وتؤثر ، وكذلك العادات والأعراف الدينية والعامة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فالأديان التوحيدية المنزلة مصدرها واحد هو رب الناس الله جل جلاله ، وما دام المصدر واحد سبحانه وتعالى ، فالتشابه حتمًا موجود مع اختلاف اللغة.

- عبد المنعم الغلامي (١٨٩٩ – ١٩٦٧م)

حيث قال في كتابه (الأنساب والأسر):

(إن قس بن ساعدة الأيادي الصابئي المندائي كان مؤمنًا بالله وبالبعث والحساب وكان على دين التوحيد بمكة المكرمة).

- **تعقيب:**

كان قس شاعرًا وخطيبًا يجيد إجادة تامة سجع الكُهَّان ، فكان يركب بعيره في سوق عكاظ في مكة ويخطب في الناس مناديًا بتوحيد الله وبالحساب.

• • • •

- مصطفى جواد (١٩٠٥ – ١٩٦٩م)

حيث قال في كتابه (التراث العربي):

(إن الطيب بلدة كانت بين واسط وعربستان ، كان أهلها قبل أن يسلموا نبطًا على ملة الصابئة، والظاهر أن موضعها قرب العمارة الحالية، خرج منها أدباء ورؤساء وفضلاء).

- **تعقيب:**

مَن منا نحن العراقيون لا يعرف العلامة مصطفى جواد على الأقل في صيحته المعروفة (قل ولا تقل) فلقد كان صديقًا حميمًا لعدد من الأدباء والشعراء من ملة الصابئة المندائيين ، وكان معجبًا بأدب أبي إسحاق الصابي ورسائله المعروفة وصداقته مع الشريف الرضي.

- سيد قطب (١٩٠٦ – ١٩٦٧م)

حيث قال في تفسيره (ظلال القرآن):

(والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم في عبادة الأصنام ، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها ، واهتدوا إلى التوحيد وقالوا إنهم يتعبدون على الحنفية الأولى ملة إبراهيم الخليل واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم ، فقال المشركون أنهم صبئوا ، أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن عدد من المسلمين بعد ذلك ، ومن ثم سموا بالصابئة ، وهذا القول أرجح من القول إنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير ، والآية تقرر مَن آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعًا وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم).

- **تعقيب:**

فهذا سيد قطب الكاتب والمفسر والفقيه يقر ويعترف بوحدانية الصابئة ويرجح كفتهم بالتوحيد رغم أنه يظهر أنه لم يقرأ كتبهم... والغريب أن معظم الكُتَّاب يرون القشور ولا يرون الجوهر أي اللُب ، فالصابئة المندائيون من أهل حران كانوا علماء ونوابغ في الفلك والطب والحساب والأدب ، والأفلاك تسبح بها الكواكب والنجوم ، فكيف يدرسون الأفلاك ولا يذكرون هؤلاء العلماء النجوم؟!

كما نقول الآن على الغربيين إنهم عبيد الآلة أو عبيد الحاسوب ، وربما هناك مَن يقول مستقبلاً إنهم يعبدون الكومبيوتر ويؤمنون به.

يؤكد الصابئة المندائيون أن اسم الصابئة جاء من فعل (صبأ) المندائي الآرامي وليس من فعل (صبأ) العربي ، ومصدرها (مصبتا) أي الصباغة (التعميد) الارتماس أو الغطس بالماء الجاري لغرض النقاء والطهارة.

- فؤاد جميل (**المتوفى عام ١٩٧١م**)

حيث قال في كتابه (بلاد الرافدين):

(فرقة دينية قديمة اسمها "مندايا" والعامة تسميها "الصبة" والفصحاء يسمونها "الصابئة" وسلفنا الصالح سماها "صابئة البطائح" والطابع المميز لهذه الفرقة أنها من اليهود واليزيدية تحصر نفسها في نطاق ضيق ولا تختلط بمَن يحيط بها ، وإن تزوج الصابئي من غير صابئية خرج من الطائفة تلقائيًا وكذلك المرأة الصابئية ، إن موطن الصابئة في العراق هو البطائح والعمارة والناصرية والبصرة والقرنة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوح ، وقد توجد منهم جماعات في سائر مدن العراق وبيروت ودمشق والإسكندرية ، وفي خوزستان في إيران ، ولكن العدد هذا أخذ بالتناقص.

وقد ذُكر اسم الصابئة في القرآن مقرونًا باسم النصارى واليهود باعتبارهم من أهل الديانات المعترف بها ، وقد كان الكثير منهم في بلاط الخلفاء ، وقام بعضهم بترجمة الكتب الإغريقية إلى العربية ، كما كان منهم الأطباء والمنجمون والفلاسفة والشعراء).

▪ تعقيب:

صابئة البطائح الصابئة الذين يعيشون قرب المياه البهية في جنوب العراق وعرب ستان، أما صابئة حران فهم الذين عاشوا في مدينة حران شمال العراق، وإن سبب مَن يتزوج منهم من غير دينه يخرج منهم ، أولاً لأنه يختن والختان عندهم حرام ؛ لأنهم يقولون إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم فيجب أن يكون كاملاً وما خلقه الله لا يبدله إنسان ، وثانيًا لأن كل صابئي له اسم ديني يسمى به في عالم الأنوار ، وتُجرى له الطقوس والشعائر الدينية مثل التعميد وغيرها بهذا الاسم ، وهذا الاسم يعتمد أساسًا على اسم الأم الديني المأخوذ من

أمها أصلاً، فإن تزوج من غير صابئية ضاع الاسم الديني لذريته، كما أن دين الصابئة المندائيين ليس بدين تبشيري فغير جائز دخول الناس من الأديان الأخرى إليه ليحافظوا _حسب قناعتهم_ على نقاء الدم وصلة الرحم؛ ولهذا تجد أن معظمهم أقرباء أو من عوائل تربطها صلة قربى، ورغم أنهم عوائل عديدة يقولون "الصابئة المندائيون عائلة واحدة" إلا أنهم كثيرو الاختلاط بمَن حولهم، فلهم علاقات واسعة وصداقات كثيرة ومصالح مع غيرهم من الملل كبيرة وخاصة في العصر الحديث، حيث أنتشروا في المدن الرئيسية في العراق كالعمارة والبصرة والناصرية وكركوك وأربيل وخاصة العاصمة بغداد، وبعد الأحداث الجسام التي عصفت بالعراق بعد سنة ألفين وثلاثة انتشروا بهجرة عشوائية كبيرة في دول أوروبا وأمريكا وأستراليا ونيوزيلندا طلبًا للرزق والأمان.

- **عبد الحميد السحَّار (توفي عام ١٩٧٤م)**

نشرت له مجلة روز اليوسف المصرية مقالاً جاء فيه:

(وبعث الله النبي إدريس للناس يدعوهم إلى عبادة الله الذي له ما في السماوات والأرض ، ويحثهم على البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي أُعدت للمتقين ، فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ بآلاف السنين.

وعُرف أتباع النبي إدريس "ع" بالصابئين ، وعُرف الكتاب الذي جاءهم به كتاب (الكنزة) ، ولم تقم دعوة إدريس داخل حدود مصر وحسب ، بل ذهب إلى بلاد العرب يدعو إلى عبادة الله وحده ، وكان إدريس يعُرَف قبل أن يدوِّن البشر تاريخهم أن الأرض التي بين الفرات والنيل أمة واحدة.

فذهب إلى العراق يدعو أهلها لعبادة الله الواحد القهار ، فانتشر الصابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل.

- **تعقيب:**

السحار كاتب معروف وله مؤلفات عديدة وباحث واسع الإطلاع غزير العطاء، وصحيح أن إدريس أحد أنبياء الصابئة المندائيين ولكنه نزلت عليه بعض صحف الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) وليست كلها ، فهناك صحف تسمى صحف آدم نزلت على آدم رأس السلالة البشرية "ع"، وصحف نزلت على سام بن نوح أحد أنبيائهم ، وصحف نزلت على النبي يهيا يهانا ، فالصحف الأولى نُقِلت شفاهًا وحُفظت على الصدور إلى أن دُوِّنت.

أما وجود الصابئة المندائيين في مصر وهجرتهم منها بعد أن أدعى فرعون مصر الألوهية وطلب منهم أن يعبدوه ، فاضطروا إلى الهجرة وعبروا بحر سوف (البحر الأحمر أو في برزخ فيه) إلى سيناء ومن ثم إلى فلسطين ، وهذه

القصة كما يذكرها الصابئة المندائيون وينسبونها لهم يذكرها اليهود وينسبونها لهم أيضًا ، والنبي هرمس ويسمى (نبي الله إدريس) يعتبره المفكرون صاحب الغنوصية الأول ومفكرها الأول ، ورجال الدين المندائيون لا يقبلون أن يُقال عن الصابئة المندائيين غنوصية ؛ لأن الغنوصيين يؤمنون بالله بالقلب إيماناً روحانيًا ، بينما الصابئة المندائيون يؤمنون بالله بالقلب والعقل ؛ لأنهم معرفيون أي مندائيون.

والغنوصيون يدَّعون أن هيي قدمايي (الحي القديم) منزه عن الخطأ ، ولا يمكن أن يأتي الشر أو الظلام بأي حالٍ من الأحوال ؛ لهذا فهو خلق (النفس) النشماثا وخلق الملائكة الأثريين المنزهين الكاملين الأصفياء.

وأمر الحي القديم ملائكة كبار خلقهم ، وكلفهم بإكمال باقي التعليمات ، ويذهب الغنوصيون إلى أبعد من ذلك ، بوجود الله الصانع الذي أكمل الخلق بأمرٍ من الحي القديم وهو في علاه.

- أحمد الخشاب (توفي عام ١٩٧٤م)

حيث قال في كتابه "الاجتماع الديني":

(يدَّعي المندائيون أن كتبهم المقدسة سماوية المصدر ، وأنها أقدم ما أوحى الله بها إلى الإنسان... فهي تمثل ما أُوحِيَ به آدم "ع" ، فلا عجب إذن أن يدَّعي المندائيون أن عقيدتهم أقدم عقيدة في الوجود ، واللغة التي كُتِبَت بها كتب الصابئة هي المندائية ، وهي لهجة سامية قريبة من السريانية ، وكلتاهما فرع من اللغة الآرامية ، وكانت هذه اللغة في قديم الزمان ، ويعتقد المندائيون أنها اللغة التي كان يتكلم بها آدم "ع").

- **تعقيب :**

سنلاحظ أنه كلما تقدمنا إلى الأمام زال بعض الغموض عن الصابئة المندائيين ، وأصبح الباحثون والمؤرخون والكُتَّاب أكثر معرفة بهم وبدينهم وأكثر قدرة على إنصافهم وإحقاق الحق وتوضيح الحقيقة للآخرين.

• • • •

- مراد كامل ومحمد حمدين البكري:

قال الباحثان في (تاريخ الأدب السرياني ونشأته إلى الفتح الإسلامي):

(إن اللهجة المندائية ومعناها المعرفة ، وإن المندائيين قبائل آرامية سكنت سهل الأردن ثم هاجرات إلى سهل ما بين النهرين ، وأن أهل مدينة حران منهم يسمون أنفسهم " الناصورائيين" أي المؤمنين بالله وحده ، وهم فرقة دينية من العارفين بالله).

- أبو القاسم الخوئي:

حيث أفتى في رجل أشهر إسلامه، فطالبته زوجته بالنفقة: (والصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر).

▪ تعقيب:

زار ممثل الحوزة العلمية في النجف المستشار البروفيسور حسين محفوظ الصابئة المندائيين في قاعة المندي في القادسية وكان في استقباله جمهرة من المثقفين المندائيين يتقدمهم الريشما عبد الله الرئيس الروحاني للصابئة المندائيين في حينها، وكلف الأستاذ الفاضل لعيبي خلف عضو المجلس الروحاني الأعلى بإلقاء كلمة ترحيبية بالضيف الفاضل استحسنها كثيرًا، ثم قدمت له افتتاحية (الكنزا ربا) مترجمة إلى اللغة العربية وبعد قراءتها وضعها على رأسه وقبَّلها وقال والله هذا كلام الله عز وجل.

- طه باقر:

قال عالم الآثار العراقي في كتابه (تاريخ الحضارات القديمة):

(جعل الصابئة المندائيون قبلتهم جهة الشمال ؛ لأنهم اعتبروا ريح الشمال أنقى وأصح وباعثة الشفاء كون هبوبها من مناطق جبلية ، عكس ريح الجنوب المحملة بالرطوبة والثقيلة كونها آتية من مناطق الأهوار ذات الماء الآسن ، ولكون انسياب دجلة والفرات من الشمال إلى الجنوب وما لنهر الفرات من قدسية لديهم).

▪ تعقيب:

جعل الصابئة المندائيون جهة الشمال القصي قبلتهم ؛ لأنهم يقولون إن باب عالم الأنوار (باب الجنة) من هذه الجهة يحرسها ملاك كبير يسمونه أباثر (أواثر) وليس بسبب نقاء الرياح وأن دجلة والفرات ينبعان من الشمال ، والسؤال هل كانت قبلة الصابئة المندائيين في مصر جهة الجنوب لأن النيل ينبع من الجنوب إلى الشمال؟ هذا منطق ليس له أساس من الصحة ولكنه اجتهاد ؛ لأن العلامة طه باقر عالم جليل.

- أحمد سوسه :

جاء في كتابه (العرب واليهود في التاريخ):

(يُعتَقد بأن جماعات نزحت من جزيرة العرب إلى وادي النيل واستقرت بحدود الرابعة (ق.م) فجاءت هذه الجماعة إلى مصر من برزخ السويس أو عن طريق جنوب الجزيرة عبر مضيق باب المندب ، ومعها حضارة أرقى مما كان في مصر فجاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية ، وأدخلت معها معرفة المعادن... إلخ).

- **تعقيب :**

فن التحنيط فن برع فيه الفراعنة وكل الحفريات والآثار تنسبه إلى الحضارة الفرعونية ولا يوجد مثيله في جزيرة العرب.

- إبراهيم السامرائي:

من مخطوطة عن النبي يحيى "ع":

(قد فات الباحثين أن يعرفوا أن الصابئة المندائيين هم من الطوائف الدينية التي كان العراق الجنوبي من مستقراتها ، تتخذ من يحيى نبيها الذي تقدسه وتتجه إليه).

▪ تعقيب:

نعم ، استقر الصابئة المندائيون في جنوب العراق وفي مناطق عربستان على حافات الأهوار وعلى ضفاف دجلة والفرات والكارون والكرخة ، وأن خاتم أنبيائهم يهيا يهانا "ع" الذي أسماه المسلمون يحيى ؛ لأنهم يعطون أهمية للاسم الأول ، وأسماه المسيحيون يوحنا ؛ لأنهم يعطون أهمية للاسم الثاني وأعطوه صفة المعمدان ؛ لكونه عمَّد السيد المسيح في نهر الأردن.

- **محمد الفرحاني:**

ذكر في كتابه (أقوام تجولت بينها فعرفتها):

(الصابئة قوم من أصحاب الديانات القديمة لعلها أقدم ديانة عرفتها البشرية ، وهؤلاء القوم يوشكون أن ينقرضوا ، وهم يكتمون ديانتهم أشد الكتمان ويضنون بها على ملتهم وهم يعتقدون ، بأن الخالق واحد أزلي أبدي ، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد ، وأنه علة وجود الأشياء ومكنوناتها ، ولا شك في أن اعتقادهم هذا بالخالق لا يختلف البتة عن اعتقاد المسلمين فيه ، ويعبدون الله ويوحدونه ، ويرون أن لكل كائن وجودًا علنيًا وسريًا ، فالعالم السرى عالم فسيح أكبر من العالم العلني المسكون ، وهو عالم مستور عنا لا يمكننا مشاهدته في حياتنا ، ويعتقدون أن سكان ذلك العالم هم بشرٌ مثلنا ، لكنهم منزهون عن كل وصمة ، ولا يخلو ذلك من موت وفناء ، إلا أن الذي يموت هناك ينقل فورًا إلى عالم الأنوار من غير أن يمر بموضع من مواضع العذاب ، وأن اسم ذلك العالم "مشوني كشطه" أي "عالم العهد" أما العالم الثاني المدعو "أرض تيبل" أي "الأرض البالية" فهو عالمنا المنظور.

ولما كان الوجود السري مثلاً للوجود العلني ، كان للعالم السري آدم خاص به يدعى (آدم كسيا) ويسمون زوجته "كانات" أي "تامة الجمال" كما لنا آدم وحواء، ولكي يتخلص الصابئة من قضية زواج الأخوة من أخواتهم من أبناء آدم وبناته منذ بدء الخليقة قالوا:

إن لكل من هذين الآدمين أولاد وبنات ، فجمع بينهما "هيبل زيوة" وزوج كلاً منهما بأخت الآخر ليتم التناسل البشري على طريقة مشروعة ؛ لأنهم لا يقرون الزواج ببنت الأخت أو ابنة الأخ، وأنهم يتبعون تعاليم آدم "ع".

غير أن تقادم العهد على الرسول الأول ونشوء بعض المذاهب الزائفة، تحولت إلى وثنية وأُدخلت عليها تعاليم غريبة، فجاء يحيى بن زكريا "ع" ليخلص الدين من هذه المذاهب الدخيلة، وكان نبيًا ورسولاً خاصًا بهم.

ويتكلم الصابئة اللغة المندائية وهي أقرب إلى السريانية من غيرها ، ويعتقد الصابئة أن لغتهم هي التي تكلم بها آدم "ع"، أما صفاتهم فهم أهل زهو وصلاح قريبون من الخير بعيدون عن الشر ، والسائل لا ينهرونه حين يطرق أبوابهم ومجالسهم، بل يعاملونه كأحدهم برقة واحترام.

ويصوم الصابئة كصيام المسلمين في أيام مختلفة من السنة، ويصومون كصيام النصارى ثلاثين يومًا مقسمة على أيام أشهر السنة ، ويصلون بعد غسل ووضوء ، فالغسل عند الجنابة واجب كل الوجوب كما هو الحال عند معشر المسلمين.

ويزعم الصابئة أن سيدنا آدم كان يصلي سبع مرات في اليوم، خمسًا منها في الأوقات التي يصلي بها المسلمون حاليًا واستمرت عندهم الحال على هذا المنوال حتى ظهور النبي يحيى "ع" الذي جعلها ثلاثًا.

- **تعقيب:**

نرى كلما تقدم بنا التاريخ أصبحت معرفة الباحثين بالصابئة المندائيين أدق وأحسن ، فهذا كاتب سوري حاول أن يعيش فترة من الزمن قربهم وأن يفهم بعض الأمور مباشرة منهم ، ففهم واستوعب أشياء كثيرة ولكن زيادة في التوضيح نقول:

إن الدين المندائي يؤكد أن لكل إنسان مثيلاً (دموثا) موجودًا في عالم الأنوار أُخذت منه النشماثا (النفس) عند الصيرورة في رحم الأم، ووفق الفكر المندائي فكل شيء يعود لأصله، فبعد الوفاة يعود الجسد إلى الطين ؛ لأنه جُبِل من طين

، وتعود النفس (النشماثا) إلى المثيل الذي أُخذت منه الذي يسمونه (الدموثا) الموجود في عالم الأنوار.

أما زواج أولاد آدم وبناته فحسب الفكر المندائي، أن الله أمر أن يرسل المثلاء لبنات آدم ليتزوجوا أولاده وأن يرسل المثلاء لأولاد آدم ليتزوجوا بناته، وهكذا فأصل الناس وذرية آدم صالحة نقية لا تشوبها شائبة، لا كما يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى:

إذا مـــــا ذكرنـــــا آدم وفعالــــــهُ   وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنـــا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ   وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

هكذا سمعته في أحد المجالس الثقافية والعهدة على الراوي، وعلى مصداقيته، وعلى قدرتي على الحفظ الشفوي.

- د. خزعل الماجدي:

ذكر في كتابه الموسوم "جذور الديانة المندائية":

"إنني أرى أن الديانة السومرية ، بعد زوال النفوذ السياسي للسومريين ودخول المؤثرات الأكدية والأمورية لم تستسلم بهذه السهولة ، وصحيح أن كل عناصرها انتقلت أفقيًا إلى الديانة البابلية ، لكنها أيضًا انتقلت إلى العمق وأصبحت هذه الديانة تُمارَس سريًا بعيدًا عن المشهد المجلل والمنتصر للعناصر الأكدية والبابلية.

إن الدين الجديد الذي أتى به الأكديون ثم البابليون لم يعد يسمح مطلقًا للطقوس واللاهوت والمثولوجيا السومرية أن تُمارَس كما كانت تُمارَس أيام السومريين ، سواءً كان اضطرار الدين السومري إلى السرية والخفاء قد حصل نتيجة اضطهاد ديني أو بشكل طبيعي.

فالمهم أن هذه الديانة بقيت عند فئة سومرية معينة لا بد أن تكون قصية وبعيدة عن الأنظار وفي أطراف يصعب الوصول إليها كالأهوار ، وفي هذه النقطة نرى أن الديانة الصابئية قد بدأت من المناطق السرية للديانة السومرية.

إن أصول الديانة الصابئية القديمة تكمن في الديانة السومرية ، لكن نشأتها تبدأ مع النمو الباطني للسومرية تحت شبكة العقائد الأكدية والبابلية الجديدة ، إن هذا وحده هو الذي يفسِّر قول المندائيين عن دينهم بأنه أقدم دين ظهر على وجه الأرض، وبعبارة واحدة يمكننا القول إن الدين المندائي هو بقايا الدين السومري).

وللكاتب مقارنة بين الدين السومري والدين المندائي ترتكز على ثلاث ركائز:

١- الماء: تشترك الديانتان السومرية والمندائية في تقديس الماء الحي الجاري.
٢-النور: وهو الجوهر الثاني في الديانتين السومرية والمندائية.
٣-الظلام: وهو الجوهر الثالث في الديانتين.

ويستطرد الباحث الماجدي فيقول:

(إن العلاقة الخلاقة لجوهر الماء والنور والظلام في الديانتين المندائية والسومرية ملفتة للنظر حقًا ولم نجدها في أي عقيدة دينية أخرى بهذا الشكل المتداخل والمتواشج ، وهذا يعني أن جوهر العقيدة الدينية لكليهما من أصلٍ واحد قد يمتد إلى ما قبلها عندما ظهر الإنسان في جنوب العراق في الألف الخامس ق.م ، وكوَّن حضارة أريدو والعبيد).

كذلك قال الباحث العالم الماجدي (ليس هناك دين اهتدى دفعة واحدة إلى التوحيد ، بل إلى التوحيد متدرجًا ومر بتاريخ طويل).

أذكر مرة أني حضرت محاضرة في نادي التعارف للدكتور الماجدي ، حيث قال في محاضرته:

(لو تصورنا رأس بصل ، فإن الديانة المندائية هي لُب هذه البصلة ، وإن الديانات الأخرى ما هي إلا أغلفة تحيط بهذا اللب).

وقد اعترض على ذلك عدد من الأساتذة الحاضرين حسب وجهة نظرهم وحسب تعصب كل واحد لدينه ؛ لأن كل واحد يعتقد أن دينه هو الصحيح وهو الأسمى والأحسن بين الأديان.

تذكرت أني قرأت في دائرة الحضارة لمؤلفها ول ديورانت في زمن الخان على أكبر خان عظيم المغول عندما سيطروا على معظم بلدان العالم وأسسوا عاصمتهم في الهند ويقال إنه كان مثقفاً واسع الإطلاع ، طلب من رجال دين مملكته المترامية الأطراف أن يتفقوا معه على توحيد الأديان في دينٍ واحد وكتابٍ واحد يؤخذ من جميع الكتب الدينية ما هو مشترك وما هو متفق عليه وما يفيد البشر والإنسانية ، وتُحرق باقي الكتب ويُعتمد على هذا الكتاب الجامع.

فرفض رجال الدين الفكرة وكلٌّ منهم قال إن دينه مُنزّل وله رب يحميه وعليه يجب اعتماد هذا الدين دون سواه ، فأمر أن يشعل نارًا كبرى بحطبٍ كثيرٍ وأن

يصطف رجال الدين واحدًا بعد الآخر ، كل واحد يمسك كتابه في يمينه ويدخلون النار واحدًا بعد الآخر ، فإن خرج أحدهم من الجهة الثانية من النار سالمًا وكتابه في يمينه نتبعه جميعًا ويكون دينه دين الجميع وكتابه كتابًا لكل الناس.

وبينما الحرس منشغلون في إعداد النار وإشعالها تسرب رجال الدين واحدًا بعد الآخر ولم يبقَ منهم واحد.

- د. خزعل الماجدي:

حاصل على درجة الدكتوراة في التاريخ القديم ، كاتب غزير الإنتاج ، أعطى اهتمامًا خاصًا لدراسة الدين المندائي وأصدر كتابًا قيمًا عنهم (جذور الديانة المندائية) ، وهناك عدد من المعترضين على أفكاره وتفسيراته ومقارناته ، له العديد من الإصدارات في العقائد والأفكار والميثولوجيا والطقوس للحضارات القديمة وخاصة حضارات بلاد ما بين النهرين ، ألقى محاضرات عديدة في الجمعيات المندائية والمراكز الثقافية ، كاتب متبحر وكأنه دائرة معارف في مجال اختصاصه، يعتقد أن المندائية تمثل الغنوصية الآرامية:

(الغنوصية وتعنى العرفان ، وهي معرفة الأسرار الإلهية عن طريق الشعور والقلب لا عن طريق العقل والحكمة.

وهي عقيدة باطنية قياسًا إلى العقائد الظاهرية كعمل ودين ، والغنوصية شرقية المنشأ ، وإن تاريخها كنزعة تعتني بالسري والباطن يغوص في التاريخ ليصل إلى سومر ، التي كانت عقيدتها التموزية عقيدة غنوصية النزعة. لكن المناخ الذي ظهرت فيه الغنوصية كتيار عقيدة فلسفية كان مناخًا آراميًا ، وقد ساهم هذا المناخ وهذه النزعة بظهور الأديان التوحيدية (اليهودية والمسيحية).

ولعل أبرز مظاهر الغنوصية الآرامية قد تجلت في العقيدة المندائية ، وهي معتقد صابئة البطائح في جنوب العراق ، ويبدو أن هذا الشعب العريق الجذور الآرامي الأصل أعاد صياغة عقائده القديمة وفق نوع جديد من العرفان يسمى (مندا) ، وكلمة غنوص كلاهما تعني العرفان أي معرفة صفات الله وأسراره.

انتعشت العقيدة المندائية في القرون الأولى للميلاد وسُمِّي أصحابها (المغتسلة) ، وكانوا ينتشرون من ميسان حتى الكوفة وبابل.

ويذكر أن النبي ماني كان أحد أتباعهم لأنه شبَّ على المندائية في بداية حياته، ثم قام بدمجها بالعقيدتين المسيحية والزرادشتية بطريقة غنوصية.

وتظهر لنا اللغة المندائية كلغة عقيدة آرامية للصابئة المندائية في جنوب العراق إلى يومنا هذا ، يستعملون في حياتهم الدينية وما زالت الكتب المندائية المقدسة مكتوبة بها ، وأكثر الكتب قداسة هو كتاب (الكنزا ربا) المكتوب باللغة المندائية.

إن عقائد الأسرار هي ما تشترك به المندائية والغنوصية ، حيث تشكل هذه الأسرار الإلهية وفق رؤى باطنية سريعة عميقة لا يستطيع الإنسان العادي إدراكها بل تستوجب نوعًا نادرًا من المعرفة الإلهية الخاصة ، ولهذا يسمي المندائيون أنفسهم بهذا الاسم الذي يعني المعرفيين أو المعارف أو العرفانيين.

واسم المندائية اسم شرقي ؛ لأن منشأ العقيدة آرامي شرقي ، أما كلمة الغنوصية كلمة يونانية (لاتينية) لاحقة لهذه التسمية.

كان الآراميون يؤمنون أن الإنسان عندما يموت يذهب إلى العالم السفلي ، وكان القبر مدخلاً لهذا العالم الذي تتجمع فيه الأرواح.

فالسومريون يسمون العالم السفلي (كور) والبابليون والأشوريون يسمونه (آرالو) والمصريون يسمونه (دوات) أما المندائيون فيسمونه (آلمه دهشوخا) أي عالم الظلام ، ويذكر الكاتب أن جثة الميت مقدسة ، وأن الآراميين يميزون بين الروح وهي على قيد الحياة ويسمونها (فنمو) والروح بعد الممات ويسمونها (روح) ، وأن طقوس النواح والبكاء على الميت كانت موجودة عند الآراميين ، وأن النصوص الآرامية لا تخبرنا عن طبيعة عالم ما بعد الموت بالتفصيل... كما لا تخبرنا عن وجود أو عدم وجود حساب أو عقاب أو ثواب أو جنة أو نار. ويستطرد الكاتب بالقول: إننا لا نرى أثرًا لهذه العقائد في فكرها العقائدي ؛ ولذلك نستطيع أن نستنتج أن الآراميين لا يملكون أفكارًا عن الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار ، فقد اكتفوا بالفكرة البسيطة عن الموت المحتم للإنسان وعن نزول الروح سجينة إلى العالم الأسفل).

▪ **تعقيب:**

بدايةً هناك فرق بين الغنوصية كفكر وبين الفكر المندائي ، ولو أن الاثنين يعنيان المعرفة ، فالغنوصية تؤمن بوجود الله المتعالى ووجود الله الصانع ، وأن الله تتم معرفته بالحس والشعور ومواجد القلب ، أما المندائية فتؤمن بوجود الله هيي قدمايي ملك النور السامي وبوجود الملائكة النوارنيين الذين يكلفهم الله بالتعليمات ، وأن معرفة الله تتم بالعقل والمعرفة وبالشعور ، والمندائيون يؤمنون أنهم جذور التوحيد الأول ، وأن الأديان التوحيدية كلها جاءت بعدهم وهم أصل التوحيد ، أما عن الكتب المندائية فصحيح أنها مكتوبة باللغة المندائية ولكنها اليوم تُرجِمت إلى لغات عديدة ويمكن للباحث أن يطلع عليها وأنها ليست حكرًا لرجال الدين أو لأبناء الطائفة حصرًا.

المندائيون لا يؤمنون أن الإنسان عندما يموت يذهب إلى العالم السفلي وأن جثة الميت مقدسة ، وأن الروح ستعود إليها كما كان يؤمن الفراعنة ؛ ولهذا اهتموا بتحنيط الجثث والاعتقاد بها.

إن المندائيين يؤمنون أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي الجسد ، النفس ، الروح ، وثلاثة عناصر ثانوية هي العقل ، القلب ، الضمير.

الجسد فانٍ جُبِل من تراب ويعود للتراب وهو جذع حُبست فيه النشماثا (النفس + الروح) مدة حياة الإنسان.

أما النفس فهي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة ؛ لأنها هبة من الحي العظيم (الله) لا تُحاسَب ، والروح هي الأعمال والفعاليات التي يرتكبها الإنسان من المهد إلى اللحد ، فإن كانت صالحة لا يُحاسَب عليها وإن كانت طالحة فهناك محطات الحساب (المطراثي) تحاسب الروح فيها لأن حسناتها وسيئاتها توزن في ميزان شيتل عند الملاك أباثر فإن ثقلت حسناتها تتحد مع النفس وتذهب إلى مشوني كشطة (عالم النور الأول) لتحيا حياة ثانية أبدية دون مرض أو شيخوخة أو موت ثانٍ ، أما إذا ثقلت سيئاتها فتذهب للحساب ، أما العقل فهو مركز التفكير

والمعرفة ، والقلب مركز الطاقة والحياة والحب والحنان ، والضمير يعني الصدق والأمانة والنزاهة والإنسانية.

وللكاتب خزعل الماجدي كتاب قيم (الجذور الحقيقية للديانة المندائية) وكتاب (أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر) ، يؤكد أن المندائية أقدم ديانات التوحيد عالمها أبعد من السماء ، وهو دين توحيدي عرفاني جاء قبل الأديان التوحيدية المعروفة ويُعتبر من أعرق الديانات الموجودة.

- **الكاتب صباح الموسوي:**

كتب مقالاً بعنوان: صابئة الأحواز (المندائيون) بين اضطهاديين

(مما لا شك فيه أن وجود الأثنية في أي شعب أو مجتمع هو ثروة حضارية ؛ بحكم أن هذه الأثنية قومية كانت أو دينية، تحمل آدابًا وثقافات متباينة، وأن كلاً منها تعمل على إغناء وتطوير ما لديها من خزين ثقافي حضاري ؛ وذلك للحفاظ على ذاتها وإبراز شخصيتها وبالوقت نفسه تكون قد أثرت الرصيد الثقافي والتراث الحضاري للمجتمع أو البلد الذي تنتمي إليه.

ومن هنا فإن شعبنا العربي الأحوازي يعد من الشعوب العريقة في المنطقة ؛ وذلك لما يمتلكه من تراث وثقافة غنية ولها جذورها الضاربة في التاريخ التي تم إنجازها بفضل جهود أبنائها الذين شكلت الأثنية الدينية والمذهبية لوحة فسيفسائية في إنتاجهم العلمي والأدبي ، وكأي شعب عريق فقد وُجِد من بين أبناء شعبنا مَن آمن بالموسوية ومنهم مَن آمن بالنصرانية ، ومنهم مَن آمن بالمندائية (الصابئة) ، إلى جانب الأغلبية الذين آمنوا بالإسلام عقيدةً ونظامًا ، وكلٌّ من هذه التيارات العقائدية ساهم بعلمه وأدائه في إغناء الهوية الثقافية والتراث الحضاري لشعبنا ، هذا الإرث الذي يشكل جزءًا من الرصيد الحضاري العربي والإسلامي.

ومن بين الطوائف التي ساهمت في إغناء تراث شعبنا وثقافته هم الصابئة (المندائيون) الذين برز منهم رجالات علم وأدب وثقافة ساهموا في بناء حضارة الأمة وتراثها من خلال ما أنجزوه في مجالات العلوم والآداب والفنون، وكان من هؤلاء العلماء المشاهير ثابت بن قرة الذي كان طبيبًا وفيلسوفًا بارعًا في علم الرياضيات، وكذلك سنان بن ثابت بن قرة وكان رئيس الأطباء في بغداد زمن الخلافة العباسية، وكان منهم أيضًا البتاني وهو عالم رياضي وفلكي وله كتابات مهمة في علم الفلك، وهناك غيرهم من المهندسين والفلكيين والأدباء من أبناء ذات الطائفة.

إلا أن هذه الطائفة المعطاءة لم يكن حالها أفضل من أحوال سائر أبناء الشعب الأحوازي طيلة العقود الماضية من عمر الاغتصاب الفارسي لأرض الأحواز وشعبهم ، لقد عانى المندائيون من اضطهاد قومي وديني مزدوج حيث حرمتهم الأنظمة الفارسية العنصرية من ممارسة شعائرهم الدينية وحقوقهم القومية بعد أن استثنت ديانتهم التوحيدية من ضمن الديانات المعترف بها في دستور الدولة الذي تمت صياغته على أسس عنصرية وطائفية مقيتة.

فقد اقتصر اعتراف الدستور الإيراني الراهن في مادته الثالثة عشر على الديانة الزرادشتية (المجوسية) واليهودية والمسيحية ، واستثنى منها الصابئة الذين أورد القرآن الكريم ذكرهم في ثلاث آيات محكمات وهي الآية ٦٢ من سورة البقرة والآية (٦٩) من سورة المائدة ، والآية (١٧) من سورة الحج ، وكما هو معلوم أن الصابئة قوم يأخذون بنبوة يحيى بن زكريا عليه السلام ، وهم من الموحدين وهم الأقرب للإسلام من المجوسية ، إلا أنه ولدوافع قومية عنصرية رفض نظام الجمهورية الإسلامية الاعتراف بالصابئة الأحوازيين الذين يفوق عددهم الزرادشتيين واليهود على حدٍّ سواء.

فالزادشتيون الذين يبلغ عدد نفوسهم (٢٥) ألف لهم عضو في البرلمان ، وكذلك اليهود الذين يبلغ عدد نفوسهم (٣٦) ألف أيضًا لهم ممثل في البرلمان ، وهم يحظون بكامل حقوقهم السياسية والثقافية ولهم مدارسهم التي تدرس لغتهم العبرية ولهم صحافتهم وأهمها صحيفة تموز اليهودية ، هذا ناهيك عن الأرامنة الذين يحظون بوضعٍ خاصٍ شبيهٍ بإدارة ذاتية كاملة في جميع المناطق التي يقطنونها ولهم ثلاثة أعضاء في البرلمان.

الآن الصابئة بقوا محرومين ليس من حقوقهم القومية فقط وإنما من حقوقهم الدينية أيضًا ، فما زال أبناء هذه الطائفة يهربون للقرى والأرياف لأداء شعائرهم العبادية ، ويبنون مراكزهم الدينية من أكواخ القصب ؛ خوفًا من ملاحقة السلطات الفارسية التي حرمتهم من بناء أي معبد أو مركز ديني لهم ،

وقد وجه بعض المثقفين ورجال الدين من أبناء الطائفة عدة رسائل إلى المسؤولين في النظام الإيراني وعلى رأسهم على خامنئي على أمل الحصول على موافقة السلطات الغاصبة بالسماح لهم ببناء مركز ديني ، إلا أن الحقد العنصري والطائفي منع هذه السلطات الفارسية من الموافقة على هذا الطلب المشروع إنسانيًا ودينيًا.

ومن هنا نجد أن أبناء الصابئة الأحوازيين يعانون من اضطهاد مضاعف في الوقت الذي يتصارخ فيه المسئولون الإيرانيون بدعواتهم لما يسمى بحوار الحضارات وحوار الأديان وهي صرخات دعائية تخلو من أي مضمون حقيقي، ولا نعلم كيف يريد هؤلاء المسئولون للعالم أن يصدق دعواتهم هذه ودستورهم قائم على العنصرية والطائفية العمياء وممارساتهم ضد شعوبهم القائمة على الاضطهاد).

- **تعقيب:**

الصابئة المندائيون في الأحواز لهم جالية مندائية كبيرة حاليًا في أستراليا وقد اندمجوا مع المندائيين المهاجرين في العراق وأسسوا جمعيات ومراكز ثقافية ومركزًا دينيًا ، كذلك العلاقة وثيقة بين المندائيين الذين يعيشون في العراق وإيران ودول المهجر ، ويتميز الصابئة الأحواز عن غيرهم أنهم يجيدون اللغة المندائية وهي لغة المحادثة عندهم، ولكن بحدود.

- أبكار السقاف:

كاتبه يمنية عاشت في السعودية وتتلمذت على يد عباس محمود العقاد في مصر، لها مؤلفات عديدة منها (نحو آفاق أوسع) في أجزائه الأربعة ، مُنِعت كتبها من النشر ولكن أختها ضياء السقاف نشرتها كما أرادت صاحبتها ، وكما تمنت لتنير العقل الإنساني وتطلعه على حقائق الأمور.

ومن كتابها الموسوم (الدين في شبه الجزيرة العربية):

(ديانة الصابئة هي أحد الأديان الإبراهيمية وهي أصل جميع الأديان ؛ لأنها أول الأديان الموحدة ، وأتباعها من الصابئة يتبعون أنبياء الله آدم ، شيت ، إدريس ، نوح ، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا ، وقد كانوا منتشرين في بلاد الرافدين وفلسطين ، ولا يزال يوجد أتباعها موجودين في العراق ، كما أن هناك تواجد للصابئة في إقليم الأحواز في إيران الآن ويطلق عليهم في اللهجة العراقية (الصبة) كما يسمون ، وكلمة الصابئة مشتقة من الجذر (صبا) والتي تعني باللغة المندائية (اصطبغ) ، غطَّ أو غطس في الماء ، وهي من أهم شعائرهم الدينية ، وبذلك يكون معنى الصابئة أي المصطبغين بنور الحق والتوحيد والإيمان.

تدعو ديانة الصابئة للإيمان بالله ووحدانيته مطلقة لا شريك له، واحدًا أحد ، وله الأسماء والصفات عندهم مطلقة ، ومن جملة أسمائه الحسنى ، والتي لا تعد ولا تحصى عندهم (الحي العظيم ، الحي الأزلي ، المزكى ، المهيمن ، الرحيم ، الغفور) حيث جاء في كتاب الصابئة المقدس (الكنزا ربا): **باسم الحي العظيم:**
(هو الحي العظيم ، البصير ، القدير ، العليم ، العزيز ، الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول ، والسمع ، والبصر ، والشفاء ، والظفر ، والقوة ، والثبات ، مسرة القلب ، وغفران الخطايا)

إن الله انبعث من ذاته ، وبأمره وكلماته تكونت كل الأشياء وجميع المخلوقات ، والملائكة التي تمجده وتسبحه في عالمها النوراني كذلك بأمره ثم خلق آدم

وحواء من الصلصال عارفين بتعاليم الدين المندائي ، وقد أمر الله آدم بتعليم هذا الدين لذريته لينشروه من بعده.

يعتقد الصابئة بأن شريعتهم الصابئية الموحدة تتميز بعنصري العمومية والشمول ، فيما يختص ويتعلق بأحكامها الشرعية المتنوعة ، والتي عالجت جميع جوانب وجود الإنسان على أرض الزوال (تيبل).

ودخلت مفاهيمها في كل تفاصيل حياة الإنسان ، ورسمت لهذا الإنسان نصيحة ومنهجية فيها ، فتميزت هذه الشريعة بوقوفها من خلال نصوصها على مفردات حياة الإنسان الصابئي ، فاستوعبت أبعادها ، وشخصت تطورها ، وأدركت تكاليفها ، ودخلت في تفاصيلها ، فهي شريعة الحي القيوم ، وشريعة أول أنبيائه (آدم وشيتل ونوح وسام بن نوح وإدريس ويحيى) مباركة أسماؤهم أجمعين.

وعندهم أن الإنسان الصابئي المؤمن التقي يدرك تمامًا أن (القوة الغيبية) هي التي تحدد سلوكه وتصرفاته ، ويعلم أيضًا أن أي إنسان مؤمنًا ضمن الإطار العام لهذا الكون الواسع وضمن شريعته السماوية اليهودية والمسيحية والإسلامية ، يشاطره هذا الإدراك العام ، حيث أن مصدر جميع هذه الأديان الله مسبح اسمه.

واعتبرهم مشايخ المسلمين من أهل الذمة ؛ لأن جميع شروط وأحكام أهل الذمة تنطبق عليهم ؛ لكونهم أول ديانة موحدة ، ولهم كتابهم السماوي ، وأنبياؤهم التي تجلها جميع الأديان ، مع ذكرهم في القرآن الكريم ، ولكونهم لم يخوضوا حروبًا طيلة تعايشهم مع الأديان الأخرى التي تهتم بالتوحيد ، وعند دخول سعد بن وقاص العراق وعدهم بالأمن والأمان).

▪ **تعقيب:**

إنها تقول إن الصابئة المندائيين أحد الأديان الإبراهيمية ولا تذكر اسم النبي إبراهيم ضمن أنبيائهم حين تذكرهم بالترتيب ، وتذكر أن له أسماء عديدة في الحقيقة هذه صفات الحي العظيم لكن الدين المندائي يعلمنا أن للحي العظيم تجليات تجلَّى بها في أيام البرونايا البيضاء (البنجة):

في اليوم الأول منها تجلى هيي قدمايي ملك النور السامي ،

وفي اليوم الثاني منها تجلى الحي العظيم رب العظمة ماري دريوثا ،

وفي اليوم الثالث منها تجلى الحي العظيم عارف الحياة منداده‍ي ،

وفي اليوم الرابع منها تجلى الحي العظيم الحق الكامل ،

وفي اليوم الخامس بدأت الحياة وتفجرت الينابيع الحية العذبة وجرت اليردنا في الأنهار ، وبدأت الحياة الملائكية في عالم الأنوار ، وتكونت جنة الحي العظيم في العالم العلوي.

أما خلق آدم... (وخلقنا آدم من الطين الأحمر ومن الدم والمرارة وأسرار الكون).

الشريعة المندائية فيها الشعائر والطقوس مثل بقية الأديان الموحدة ، وهذه الشعائر والطقوس هي التي تميز ديناً عن دين آخر ، وكذلك منها الفكر المندائي العميق الذي يمثل جوهر الدين المندائي ، ويُلاحَظ أن القسم الأيسر في (الكنزا ربا) يركز على النفس (النشماثا) بتسابيح عديدة موضحًا مفصلاً من أين تأتي النفس وكيف تستقر في الجسد وكيف تغادر الجسد وكيف تعود للتمثيل في عالم الأنوار ، وهذه تنفرد بها الديانة المندائية بهذا التوضيح الفريد الدقيق ، وشرح وافٍ عن خلق آدم ومراحل خلقه مع حواء ، فقد خلق في هذه الآلمة (العالم) وعاش ومات في هذه الآلمة.

من الضروري قراءة كتاب أبكار السقاف (الدين في شبه الجزيرة العربية) للإطلاع على جزءٍ من الحقيقة.

- الشيخ بسَّام جرار:

مَن هم الصائبة؟

الصابئة موجودون مثلما توجد اليهود والمسيحية والإسلام.
والمفروض سؤالهم لماذا سُمِّيتم بالصابئة المندائيين؟
الصابئة تؤمن بأربعة أنبياء: آدم ، شيتل بن آدم ، سام بن نوح ، يحيى بن زكريا.

لهم كتب دينية ويؤمنون أنهم أول الموحدين ، لهم كتب دينية عديدة ، هربوا من فلسطين سنة ٧٠م وأنا أرى أنهم تركوا فلسطين وجاءوا إلى بلاد ما بين النهرين قبل هذا الزمان ، بمعنى أنهم لو كانوا في فلسطين بعد وفاة يحيى لاتبعوا السيد المسيح ؛ لأن نبيهم يحيى بُشِّر بمجيء المسيح مثلما بُشِّر السيد المسيح بمجيء النبي محمد ، ولكن الناس لم تصدق في الحالتين ؛ لأن الناس تخالف أي شيء ضد المألوف.

سُمِّي الصابئة المندائيون بالصابئة أي الذين يصطبغون بالماء وهو أهم طقس ديني عندهم أي الصبغ في الماء الجاري ؛ ولأن الغين عندهم همزة قيل الصابئة من الفعل صبا ، وتتم الصباغة في اليردنا المأخوذة من نهر الأردن.

الصابئة تقول يهيا الصابئ أي يحيى الصابغ ، وورد ذكرهم في القرآن ملازمًا للمسيحيين إذ يقول (الصابئون والنصارى) ، ويقول (النصارى والصابئين) في سورة أخرى ، ومن غير المعقول إن يكون معنى كلمة صبأ من خرج عن دينه ؛ لأنه لا يمكن أن يقول القرآن (والذين آمنوا والذين هادوا والذين غيروا دينهم وخرجوا عن دين الحق) ، ومن الخطأ تفسير كلمة صبأ من العربية ، ويجب سؤالهم لِمَ سميتم أنفسكم صابئة وهم يجيبون على هذا السؤال لأنهم موجودون؟).

أما عن منشأ الصابئة هل في فلسطين أم بلاد ما بين النهرين؟

فقد اختلف فيها الباحثون ، وعمومًا الصابئة المندائيون عبر التاريخ قوم مهاجرون طلبًا للرزق والأمان ، وقديمًا الرزق والأمان والماء الجاري ؛ ولهذا تجدهم يعيشون قرب الأنهار الجارية.

تطور الحال حاليًا عند عددٍ كبيرٍ منهم وخاصة صابئة العراق وأسسوا الأحواض وصمموها على أن يكون الماء فيها جاريًا ، أي له مدخل ومخرج لكي يتجدَّد ؛ لأن الصباغة تعني الطهارة وتجديد الحياة.

▪ **تعقيب:**

رجل دين مسلم له أسلوب جميل في إلقاء المحاضرة ، ويبذل جهودًا مُرضيةً في إقناع مستمعيه ، لكن معلوماته محدودة:

إذ أن كلمة صابئة لم ترد في الكتب الدينية المندائية وإنما وردت في القرآن الكريم في ثلاث سور (البقرة ، المائدة ، الحج) ، إذن فهي تسمية إسلامية ، والصابئة يسمون أنفسهم بالمندائيين ، أي أهل المعرفة أو العرفانيين ولكنهم عُرِفوا باسم الصابئة و(الصابئون) ، ويقول بعض المفسرين أنها من كلمة صبغ أي أنهم الصابغون ويسمونهم المسيحيون المعمدانيين ، ويُسمَّى يحيى باسم يوحنا المعمدان ، أي الذي يُعمِّد الناس بالماء الجاري ، ويسمونه المسلمون يحيى الصابغ بمعنى الذي يصبغ الناس بالماء الجاري ، ويسميه المندائيون يهيا يهانا ، والظاهر أن المسلمين قد أخذوا كلمة يهيا فسموه يحيى كما ورد ذكره في القرآن ، وأخذ المسيحيون كلمة يوهانا فسموه يوحنا ؛ لأن العرب تعتمد الاسم الأول ، والغربيون يعتمدون الاسم الثاني ، أما كلمة صبأ العربية أو كلمة صبأ الآرامية فهي اجتهادات لعددٍ من المفسرين ، وكما قال الشيخ بسام جرار اسألوا الصابئة أنفسهم ؛ لأنهم موجودين.

- د. زيـد الفضيـل:

حكاية الصابئة المندائيين في ذاكرة إنسان:

مَن هم الصابئة المندائيون؟ وأين أماكن وجودهم اليوم؟

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج ، وهكذا يتكرر اسمهم مع اسم الإسلام والنصارى واليهود ، فهم إذن أهل كتاب من الموحدين ، ولهم كل حقوق أهل الكتاب طالما بقي منهم أحد.

ترجع أصولهم إلى شعب آرامي عراقي قديم ، استوطنوا وسط العراق في التاريخ القديم ، وكانت لغتهم الآرامية هي السائدة.

واهتم المندائيون باللغة والكتابة ؛ ولهذا أصبحوا في العصر الساساني هم الكتبة والنُسَّاخ الأساسيين في كل اللغات السائدة في ذلك الزمان ، وفي العصر الإسلامي شكَّلوا همزة الوصل بين الثقافة الآرامية والثقافة الإسلامية ، تعززت أسماؤهم في الكتب القديمة ، وأُطلق عليهم اسم الكشطيين أي أهل الحق ، والناصورائيين أي المؤمنين بالله الموحدين وأسموهم المندائيين أي العارفين ، وكذلك اليحياوين أي أتباع النبي يحيى بن زكريا ، وكذلك المغتسلة لكثرة اغتسالهم بالماء الجاري ، والمصطبغة أي الذين يصطبغون (يتعمدون) بالماء ، وأُطلِق عليهم المتنورون ، كان لهم وجود كبير قبل الإسلام ، ولكن بعد الإسلام أفل نجمهم وقلت أعدادهم ولم يتبقَ منهم إلا القليل يسمونهم في العراق باسم "الصبة" التي تعني اصطبغ وغطس بالماء ، وأن الصباغة من الشعائر المهمة عندهم.

تقوم الديانة المندائية على ركنين أساسيين هما الشهادة والتوحيد ، فهم يعبدون الله وحده ولا يشركون معه أحدًا أبدًا ، فهو واحد أحد وهو خالق الكون وليس له أب أو أولاد وما من أحد قبله فهو ملك النور السامي ، وهو الذي وهب النور

لكل الكواكب والنجوم، والله وحده يُعظَّم ويُسبَّح ويُمجَّد فهو كله نور، كله حق، كله حياة، كله رحمة، كله معرفة وعلم، كله جلال ووقار.

وهم جذر التوحيد الأول وأول أنبيائهم آدم "ع" وكتابهم الكنز العظيم أي صحف آدم... ومن كتبهم كتاب تعاليم النبي يحيى... وقد بعثه الله لإعادة اليهوطايي في الدين المندائي وبعد وفاته صعد إلى السماء... وهناك كتاب القلسنا ويعنى بأمور الزواج وسننه والنكاح الشرعى.

ولديهم كتاب سيدرا اد نشماثا الذي يتحدث عن النفس (النشماثا).

هناك عداء بين المندائيين واليهود بسبب الأذى الذي سبَّبه اليهود للمندائيين.

وتمثل الصلاة لديهم ركنًا أساسيًا ولديهم الوضوء في المياه الجارية كطهارة قبل بدء الصلاة والوضوء عندهم فرض واجب لغسل الذنوب والطهارة يعيشون قرب الأنهار ويعتبر نهر الأردن مقدس عندهم لأن النبي يحيى اصطبغ فيه فغسل كل الذنوب.

والصباغة وصية لارتباط العالم المادي بالعالم الروحي وتهيئة الطريق لخروج النفس إلى عالم الأنوار وأن صلاتهم وصباغتهم يجب أن تكون في النور أي قبل غروب الشمس. وعندهم التعميد على أربعة أنواع.
أولاً: تعميد المولود الجديد قبل أن يبلغ خمسة وأربعين يومًا.
ثانيًا: المتزوجون ويتم بمراسمهم الدينية.
ثالثًا: تعميد الجماعة في أيام البنجة.
رابعًا: عند تكريس رجل الدين الجديد وتعميد الجماعة.

يلبس المندائي الرستة الملابس الدينية البيضاء ويشد الهميانه... ويدخل الماء الجاري ويقوم رجل الدين بإجراء المراسيم الدينية.

والصباغة طهارة وحياة جديدة.

والصلاة عندهم ثلاث مرات وقبلتهم ناحية الشمال لأن عالم الأنوار ناحية الشمال ولأن مجرى الأنهار من الشمال إلى الجنوب وأن ريح الشمال أنقى وأزكى وأعذب حتى أن البوصلة تتجه دائمًا للشمال.

فى عهد آدم كانت الصلاة سبعًا وفي زمن يحيى أصبحت ثلاثاً: صلاة الصبح والظهر والمغرب قبل غروب الشمس.

وعندهم الصدقة ركنٌ أساسيٌ من أركان الدين، ويجب عدم التحدث في الصدقة إذا وهبت بيمينك لا تعلم شمالك، وعندهم الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير أما الصوم الصغير فهو الامتناع عن أكل اللحوم، والمحرمات عندهم كثيرة كما وردت في الوصايا في كتابهم المقدس (الكنزا ربا).

لا يجوز عندهم البكاء على الميت... ولا يحبون الرهبنة ويشددون في أمر طاعة الوالدين، ويحرمون الغش والكذب والقتل والزنا والحسد... وعندهم الموت حق... وسنتهم ٣٦٠ يوم وخمسة أيام يسمونها البنجة عيد الخليقة للعالم العلوي.

وللذباحة عندهم طقوس جميلة في ذبح الطير أو الخروف ويجب أن تتم بوجود شاهد (شكنده) والصابئة المندائيون يحبون النظافة والطهارة: وعندهم رجال دينهم على مراتب عدة تبدأ من الحلالي وتنتهي إلى رتبة رباني.

- **تعقيب:**

فيما يخص القِبلة فهي ناحية الشمال لأن عالم الأنوار في الشمال العلوي القصي ويستدل على الشمال بالنجم القطبي قبل معرفة البوصلة ولا علاقة لمجرى الأنهار ولا الريح بالشمال فهناك أنهار عظيمة مجراها من الجنوب للشمال مثل نهر النيل مثلاً.

أما عن الصلاة فحقًا هي ثلاثة... وتشمل الرشامة والبراحة... ولكن معظم المندائيين لا يؤدونها لصعوبتها وللوقت الطويل الذي يحتاجه، ولأنها تتم باللغة المندائية التي لا يجيدها معظم المندائيين أما موضوع ذباحة الطير والأغنام الذكور فقد تعقدت الأمور بعد الهجرة القسرية إلى الغرب...

ففي السويد مثلاً من بالغ الصعوبة ذبح الخروف أو الطير في البيوت لأنه مخالفة قانونية ولهذا معظم العوائل المندائية تشترى اللحوم المجمدة أو الطازجة من الأسواق كسائر الناس ولكن يبقى رجال الدين وعدد من كبار السن المندائيين يبذلون جهودًا استثنائية للحصول على هذه اللحوم من المزارع في الريف وبطرق شتى وأحيانًا بأسعار عالية وأغلبهم يعيشون على أكل الأسماك المتوفرة والخضروات اضطرارًا.

الفصل الخامس

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل الكُتّاب والمؤرخين المندائيين

- **الشاعر المندائي عبد الرازق عبد الواحد:**

كان للشاعر بيتٌ قُرب مندي الصابئة المندائيين في بغداد القادسية وما زال ، فهو يرى عن قرب كل نشاطات أبناء الطائفة ويتردد الرجل أحيانًا على المندي ويحضر بعض مجالس الفواتح التي تقام في قاعة المندي ، كذلك شاهدته كثيرًا يحضر الاجتماعات العامة ، ولكنه لم يعمل في مؤسسات الطائفة التي يديرها المندي وإنما عمل في نادي التعارف.

وقد تطوع الرجل بصياغة الترجمة الحرفية للكتاب المقدس (الكنزا ربا) ولم يكن هو الذي ترجمه إنما صاغه الصياغة الأدبية أو اللغوية بلغة عربية سليمة.

وفى إحدى مقابلاته الصحفية قال:
الصابئة جماعة دينية قديمة قدم العراق ، فآثارها وجدت منذ العصر السومري ، وديانتهم كما ثبت بعد ترجمة كتابهم المقدس أولى الديانات الموحدة في تاريخ البشرية، عمر دينهم إذن يمتد إلى قرابة ست آلاف عام.

وللصابئة أكثر من نبي واحد فإنهم يؤمنون بأن نبيهم الأول هو آدم "ع" وأن آخر أنبيائهم يحيى بن زكريا "ع" ، والمعروف عن تاريخهم أن فئة كبيرة منهم رحلت مع إبراهيم الخليل "ع" في أور إلى حران وفلسطين ثم إلى مصر وهم يعتبرونه واحدًا منهم.

وفى مصر أسسوا مملكة اسم ملكها "أردوان" هذا ما جاء في أخبارهم. وقد حدثت بينهم وبين اليهود في فلسطين معارك طاحنة ، تمكن اليهود فيها من ذبح عدد كبير من الصابئة المندائيين وخاصة من علمائهم الدينين ، وقد روى تاريخهم أن ثلاثمائة وستين رجل قتلوا في ليلة واحدة على أيدى اليهود في أورشليم.

عاد خلقٌ كبير من الصابئة من مهجرهم في مصر إلى فلسطين مارِّين بمدينة حران وتوجهوا إلى جنوب العراق من جديد ، واستوطنوا في المحافظات

الجنوبية وخاصة ميسان وذي قار ، وبقي دينهم سرًّا مغلقًا لا يبوحون به ولا يكشفونه للناس ، أولاً خوفًا من ملاحقتهم خاصة من قبل اليهود ، وثانيًا لأن دينهم لم يكن دينًا تبشيريًا ، ولأن لغتهم غير لغة الناس ، وهي إحدى البنات الأربع للآرامية ، وهن العربية والمندائية والسريانية والعبرية. ولأن علامة الاستفهام ظلت مرسومة عليهم لجهل الناس بدينهم ، حتى اعتقد البعض بأنهم ليسوا أصحاب كتاب وليسوا موحدين.

هذه الدوافع كلها ، شجعتهم على المباشرة بترجمة كتابهم المقدس إلى العربية ، ويقع الكتاب في أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، ويبدأ بقسم التوحيد الذي يتضمن عددًا كبيرًا من أسماء الله الحسنى كما وردت في القرآن الكريم ، وكتاب الصابئة المندائيين يقع في قسمين: اليسار واليمين ، اسمه بالمندائية (الكنزا ربا) وتعني الكنز العظيم ويلفت النظر في هذا السفر العجيب أن قارئه حيثما قلبه استطاع أن يدخل إليه ، وهذا يدل عندهم على اللانهاية واللابداية.

إذا آمنا أن الكتب السماوية جميعًا هي تنزيل العزيز القدير فإذن مصدرها واحد وتوجيهاتها واحدة ، ولهذا تتشابه في كثير من مضامينها ، مشيرًا إلى أن هذه المضامين أنضج تعبيرًا دينًا بعد دين ، وعندما ترجم الكتاب ووضع بين يدي لوضعه بصيغته النهائية الأدبية ، بذلت أعظم جهد بذلته في حياتي لإخراجه بحلة تناسب تاريخه ومكانته ، نظرًا لأن ثقافتي عربية ولأنني أساسًا متخصص بالأدب العربي ولسعة إطلاعي على الأدب العربي قديمه وحديثه ، وحفظي للقرآن الكريم وتمثلي به ، وللكثير من النثر الجاهلي ونثر صور الإسلام ، وخاصة خطب الخطباء ، فقد سلكت طريقًا بيِّنًا في صياغة جُمل الكتاب المقدس العربية ، وهي قريبة من سجع الكُهَّان الذي ألفناه وحفظناه من أدب الجاهلية مثل خُطب قُس بن ساعدة وحِكم أكثم بن صيفي ، وغيرهما.

قلت إن الصابئة يؤمنون بإله واحد هو الله سبحانه وتعالى ولهم عدة أنبياء أولهم آدم "ع" ، وهم يسمون أنبياءهم المعلمين الكبار ، لأن الصابئة لا يؤمنون بوسيط من البشر بين الخالق والمخلوق.

الديانة الصابئية فيها الصلاة والصيام ، صيامها أربعون يومًا متفرقات على مدار السنة يمتنع فيها صاحبها عن أكل اللحوم ومشتقاتها ، وصلاتهم ثلاث أوقات ، يقف الصابئي منهم قارئًا تلاوات للكتاب المقدس ، بعد أن يغتسل بالماء، تمامًا كما يتوضأ المسلم.

وغالبًا تفضل الصلاة على الماء الجاري على ضفاف الأنهار ، فالماء الجاري لدى الصابئة من أهم مقومات ديانتهم ، فمنه كل شيء وبه يطهر كل شيء ، ولهذا كان سكناهم ومعابدهم دائمًا على ضفاف الأنهار.

يحرمون في الطعام ما يأتي: الميتة ، المرضعة ، الحامل ، الجريحة ذات العلامة. ويشترط أن يكون الذبح بسكين حادة ، لكي لا يتعذب الحيوان المذبوح ، بعد غسله وتطهيره تمامًا بالماء الجاري ، ويلبس عند ذبحه ملابس الطقوس الدينية الخاصة البيضاء ، ويوضع الكبش على فرشة من القصب كي لا يمس الأرض.

الملابس هي نفسها في الزواج والعماد والوفاة ، هي الكفن نفسه ، يمكن للصابئي أن يتعمد في أي وقت يشاء ويكون التعميد في أيام الآحاد فقط وأيام الأعياد الدينية المقدسة ، والعماد هو تطبيق للمتعمد جسدًا وروحًا بإدخاله في النهر في الماء الجاري من قبل رجل الدين ، وقراءة التسابيح عليه ، وهذا العماد يرافق الزواج دائمًا وهو طقس من طقوسه.

لدى الصابئة أربعة أعياد: عيد الخليقة وهو خمسة أيام ، يتم في سادسها خلق السماء والأرض وما بينهما وهو من أهم الأعياد الدينية ، ثم العيد الكبير وفيه طقس غريب أنهم يدخلون بيوتهم ويغلقون أبوابها لليلتين ويوم واحد بينهما ، ولهذا الطقس أكثر من تفسير: الأول: هو الأكثر جدية ، أن الصابئة يؤمنون بأن

لكل إنسان صابئي ملاكًا يحرسه ويحميه وفي كل عام مثل هاتين الليلتين وهذا اليوم يصعد الملائكة الحُرَّاس إلى السماء يقدِّمون عن أصحابهم الحساب، ولهذا تبقى المعمورة بدون حماية.

أما العيد الثالث هو العيد الصغير. وهناك عيد ديني ليوم واحد، وهو عيد الرحمة على ٣٦٠ رجل دين قتلهم اليهود.

مراتب رجال الدين: المرحلة الأولى الترميذة أي التلميذ، بعدها الكنزورا (المعلم)، ثم تأتي مراحل أعلى إلى أن يصل إلى الريشما أي رئيس الأمة، وهذه المرتبة لم يبلغها أحد إلا في العصر الحديث، حيث ارتقى ثلاثة رجال دين لمرتبة ريش أمة (رئيس أمة).

كانت تجمعات الصابئة معظمها في جنوب العراق على الأنهار والأهوار، ثم بدأوا ينتقلون إلى محافظات العراق الأخرى، وخاصة بغداد والبصرة، الآن تفرقوا في عدة بلدان.

أما شخصياتهم العلمية والأدبية اللامعة عبر التاريخ، في العلم: من أكبر علماء العصر العباسي إسحاق بن حنين، وحنين بن إسحاق، وثابت بن سنان، وسنان بن ثابت وثابت بن قرة. ومن أحبائهم المشهورين في العصر العباسي: أبو إسحاق الصابي، وفي المعاصرين عالمهم الكبير الذي ارتحل قبل سنوات الدكتور عبد الجبار عبد الله، وهو واحد من أكبر علماء العالم في الجيوفيزياء تأتي درجته حسب تقرير العلماء الأمريكان، الثاني في العالم بعد أينشتاين... ومن شعرائهم: الشاعرة لميعة عباس عمارة، وعبد الرزاق عبد الواحد.

- **تعقيب:**

إنه صاحبي وصديقي وقد عشنا أيامًا حلوة معًا، عندما كلفناه بصياغة الترجمة الحرفية للكتاب المقدس (الكنزا ربا) بلغة عربية سليمة، بعد أن اختلفنا نحن اللجنة العليا التي كان برئاستي وعضوية السيدين حمودي مطشر ونزار ياسر،

قلت اختلفنا مع الأستاذ الفاضل مجيد جابك الذي صاغ جزءًا منها بأسلوب السرد ولأمور أخرى اختلفنا معه واتفقنا مع الشاعر عبد الرزاق فاطلع عبد الرزاق على هذا السفر وأعجب به وقال هذا عمل عظيم سيكون مجدي فيه ، وعاهدنا أن يبذل قصارى جهده لإخراجه بلغة عربية راقية ، وهكذا تم الاتفاق على اعتماد سجع الكُهَّان الذي كان يخطب به المندائي قُس بن ساعدة الإيادي في الناس أيام سوق عكاظ.

وكما قال الشاعر: الصابئة يسمون أنبيائهم المعلمين الكبار وهكذا كانوا ينادون بها يهانه ، ولكن بعد أن انتقل إلى ربه وكان مسراه عالم الأنوار اعترفوا أنه آخر أنبيائهم ، إذ كانوا يقولون كيف لبشر مثلنا يأكل ويشرب ويمرض ويموت أن يكون نبيًا.

أما الصيام عند الصابئة المندائيين فمدته ستة وثلاثون يومًا موزعة على أيام السنة وليس أربعين يومًا ، أما صلاتهم تفضل أن تكون على الماء الجاري في الأنهار ، فإن الحياة تطورت وتعقدت ، فتطور المندائيون معها ، وحاليًا حتى مراسيم الزواج والصباغة تجرى في المنادي في أحواض خاصة يدخل لها الماء ويخرج منها.

أما المحرمات فالدين المندائي يحرم الميت والدم والمشوه والحامل والمرضع والتي أجهضت والحيوان الكاسر والجارح وكل ما مسه حيوان مفترس. ولهذا تجدهم يتجنبون ذبح الإناث ، وصحيح كما قال الشاعر يجب أن يكون الذبح بسكين حادة ولكنها معقمة وذلك بحرقها بالنار.

أما عن عيد الخليقة ويسمونه البنجة أي خمسة أيام بيضاء يكون فيها باب عوالم الأنوار مفتوحًا وفيها تمَّ خلق عالم الأنوار ، ويعتقد المندائيون أن من يموت منهم في هذه الأيام يصعد إلى عالم الأنوار دون حساب.

أما أن يكون لكل صابئي مندائي ملاكًا يحميه فالصحيح أن لكل مندائي مثيل (دموثا) في عالم الأنوار فإن مات هذا المندائي تعود النشماثا إلى هذا المثيل

عند عروجها، والعيد الكبير والاختباء في البيوت، لمدة ست وثلاثين ساعة عدة تفسيرات منها أنه هناك ثلاث ملائكة هيبل وشتيل وآنوش يحرسون الناس في هذا العالم وكل سنة مثل هذا الوقت يعرجون إلى السماء ثم يعودون فتكون رحلتهم ذهابًا اثنتي عشرة ساعة ومثلها في العودة، ويبقون في عالم الأنوار مثلها أيضًا، ولا أحد يعلم أن كانت رحلتهم لزيارة عالم الأنوار أم لتقديم المعلومات كما يقول الشاعر.

لقد بذل الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد جهدًا كبيرًا في صياغة (الكنزا ربا) لمدة عام وكنا معه نتابعه خطوة خطوة وكان متعاونًا ومتطوعًا وفتح مكتبه وبيته لنا، ولقد شكلنا لجنة سميناها لجنة التدقيق والسلامة الفكرية من أساتذة مندائيين لهم حضورهم واحترامهم وتقديرهم أن يتابعوا ويطبقوا ويقارنوا نصوص الترجمة الحرفية مع نصوص الصياغة اللغوية لأن الترجمة الحرفية قام بها الأستاذان الفاضلان يوسف متى قوزي وصبيح مدلول الخميسي أما الصياغة اللغوية فكلف بها الشاعر عبد الرزاق وتولت اللجنة العليا ولجنة التدقيق سلامة جوهر النص بعد الصياغة، وهكذا أقرت الترجمة لأنها أمينة ودقيقة من اللغة المندائية مباشرة إلى اللغة العربية وأقرت الصياغة اللغوية لأنها حافظت والتزمت بجوهر النص دون زيادة أو نقصان ونضرب مثلاً في ذلك الترجمة العربية مثلاً ورد فيها ركب حصانه والصياغة تكون "امتطى جواده" تغيرت الكلمات ولكن بقى جوهر النص أي المعنى المقصود نفسه ولكن بلغة عربية أرقى وأحسن.

وأعتمد أسلوب سجع الكُهَّان لأنه أسلوب لغة عربية سبقت القرآن الكريم وهو أسلوب رصين وله قوة بيان وهيبة وخشوع وأن عددًا من الأدباء المندائيين في الجزيرة العربية قبل الإسلام اعتمدوه في خُطبهم، وبينهم قس بن ساعدة الإيادي وغيره كما أسلفنا.

- الشاعرة لميعة عباس عمارة:

نسرد شيئًا مما كتبته الشاعرة في مجلتها التي ترأسها (المندائي) التي تصدر في المهجر منذ عام ١٩٩٠...

(وأن ألفت الأنظار إلى أول دين وحَّد الله، وقدَّس الطبيعة والكون، وميَّز الخير من الشر والنور من الظلمة، ونادى بالسلام والمعرفة، هذا الدين غير التبشيري وقد أغلق أبواب الانتماء إليه منذ مئات السنين بعد كوارث وقعت لهذه الأسباب. إن اعتزازنا الكبير بأن يعتز المسيحيون بدينهم ويعتز المسلمون بديانتهم، فنحن نشعر بالفخر لأن هذه الفروع من ذلك الأصل، ونحن نعرف تمامًا نقاط الالتقاء في المعتقدات مع الإسلام والمسيحية).

وقالت في محاضرة لها في (كاليرى الكوفة) في لندن عام ١٩٩٥م في جمهور غفير من المثقفين العراقيين بعنوان هل ضاعت صحف إبراهيم "ع":
(إن الصحف المقدسة لا يمكن أن تضيع، يمكن أن تقتبس منها، وتُحرَّر ويعاد صياغتها، أو تُسرق كليًا ويراعيها آخرون إلى أن تظهر الحقيقة، ويمكن أن تكون محفوظة في أماكن عند حُفَّاظ استماتوا في صيانتها وحفظها ونسخوها كما هي متّبعين طريقة الإسناد في الكتابة. وظلت هذه الكتب سرَّ الأسرار إلى يومنا هذا... ولكنها لم تضيع، ولا يمكن أن تضيع مهما حدث من ثورات سياسية وقتل وتدمير، وزلازل وأعاصير، وأوبئة وفيضانات، لأنها كلمات الله تعالى... هذه الكتب غير قابلة للفناء ما بقيت على الأرض بقية من ناس... وهذا هو ما حاصل في اعتقادي أن صحف إبراهيم هي التي تحتفظ بها الصابئة حتى يومنا هذا... وهي كتاب (الكنزا ربا) الذي هو أقدم الكتب السماوية).

▪ **تعقيب:**

من قال إن كتاب (الكنزا ربا) قد ضاع، فهناك منه عشرات النسخ قبل الترجمة إلى العربية محفوظة عند رجال الدين وفي بيوت المؤمنين مكتوبة باللغة المندائية الآرامية ولكن خوف المندائيين عليها جعلهم يتكتمون عليها.

وعندما بدأنا الترجمة حصلنا على نسخ كثيرة وجدنا أن أوضحها ما نسخه بيده الكريمة الكنزبرا دخيل فأُعتمدت نسخته للترجمة لكونه رجل دين ورع وأمين وموضع ثقة واحترام كل المندائيين وفقيه في الدين المندائي.

والسؤال: هل حقاً هذه الصحف نزلت على إبراهيم "ع" ؟ أم على آدم وشيت وإدريس وإبراهيم و يهيا يهانا وحفظت على الصدور ثم دونت... مع اعتزازي بما ذهبت إليه الشاعرة المبدعة لميعة.

- مجيد جابك جاري:

أستاذ اللغة العربية في مقال له (لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن صابئة حران).

(فى رأيي أن الصابئة طائفة واحدة، أصلها من الشرق في وادي الرافدين، مهد الحضارات عاشوا في تلك المنطقة فأثروا فيها وتأثروا بها، ثم انتشرت فلسفتهم الدينية في شمال الحجاز وفلسطين والأردن وحران والرقة والخابور وفي مواقع في أعالي الفرات. كما استقرت جماعة منهم في مصر بالإسكندرية، وإلى غيرها من الأماكن حاملين لواء التوحيد أينما حلوا، فكانوا من الأقوام القديمة التي بشرَّت بالتوحيد؛ إن لم تكن أقدمها.

وحينما كانوا في فلسطين، حدث بينهم وبين اليهود نزاع ديني، لاسيما بعد وفاة نبيهم يحيى "ع" فساموهم سوء العذاب وأذاقوهم مرارة الاضطهاد، فتفرَّق أنصاره ومؤيدوه، فاضطروا للهجرة إلى حران ذات المركز التجارى... وهنا نسأل لماذا هاجر الصابئة من فلسطين إلى حران دون غيرها من المدن؟

يجيبنا على هذا السؤال الكتاب التاريخى "حران كويتا" حين ذكر في بدايته "واستقبلتهم حران" أي صابئة حران، وذكر أيضًا "أن للمهاجرين إخوان في الدين" وهذا يدل على أن حران كانت موطن الصابئة المندائيين كما أنها موطن لأقوام آخرين تعايشوا معهم. وإلا فلماذا قصدهم المهاجرون دون غيرهم؟ وكيف يستقبل صابئة حران هؤلاء المهاجرين بحرارة، إن لم يكونوا موحدين على دينهم؟ وهل يجوز أن يستقبل صابئة حران وهم وثنيون وعبدة نجوم وكواكب موحدين ليسوا على دينهم؟

▪ تعقيب:

الأستاذ مجيد جابك غنيٌ عن التعريف خاصة في الأوساط المندائية، وهو أستاذ لغة عربية مقتدر ويجيد اللغة المندائية، سبق أن كلفته اللجنة العليا للترجمة

بصياغة الترجمة الحرفية لكتاب (الكنزا ربا) ، ولكنها اختلفت معه ؛ أو قل اختلف معها لأسباب لا مجال لسردها ، فتم الاتفاق بعدها مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد.

وإني كرئيس لجنة أعتز بهذا الرجل وبكفاءته وبقدراته ودقته رغم زعله على اللجنة.

- الأستاذ/ حامد مغشغش السعدي:

كتب الأستاذ الفاضل حامد السعدي في مجلة "الصدى" التي تصدر في السويد (ستوكهولم) عن الجمعية المندائية العدد ١٧ ص ٤ مقالاً جاء فيه:

(إن من يتمعن ويتعمق بدراسة النصوص المندائية ، يقف إجلالاً للإيهاب الإيماني الذي يتجلى من خلال القيم الإيمانية السامية والمُثل النبيلة والوصايا والمواعظ والحكم التي تهدف إلى إرساء مجتمع بشري مسالم يتعايش فيه أبناء آدم بأمان واطمئنان ، مجتمع يسوده الحق والعدل والمساواة ، بعيدًا عن الظلم والعنف والطمع ، ولعل الصور الرمزية في تلك النصوص ، تزيدها بهاءً وصفاءً وكمالاً ، وتضفي عليها هيبة وجلالاً لتعرش في قلوب المؤمنين.

إن أول ما يجذب انتباه القارئ لافتتاحية كتابنا المقدس (الكنزا ربا) ، هو أن الله جلَّ جلاله لا يرد إلا بأوصافه وأسمائه الحسنى فهو "النور" وهو "الملك" وهو "ملك النور" والنور هو الحياة.

ومن الصور الرمزية الفريدة من النصوص المندائية ، طلب المغفرة للمعلمين بعد الوالدين مباشرة ، وكأن الله يشير بذلك إلى أهمية العلم ومن يغرس العلم ، كما أنها إشارة ترمز إلى أن الحياة ستبنى على العلم والمعرفة.

صورة رمزية أخرى تتم في مراسيم عقد القرآن من خلال اقتسام حبة التمر مناصفة بين الزوجين ، إشارة إلى رمزية المشاركة بين الزوج والزوجة في بناء الأسرة وتحمل المسؤولية في تنشئة الأبناء على الصلاح والفضيلة. يلي ذلك ترديد القسم أمام رجال الدين بأن يربط كل من الزوجين برباط روحي لا انفصام له والعهد بالاحترام والتعاون وعدم الخيانة.

وفي كتمان تقديم الصدقات ، تكمن صورة أخرى تهدف إلى حفظ كرامة المتصدق عليه وكي لا تعتبر الصدقة سبيلاً للمباهاة والتفاخر.

أما المركزية في الصباغة (المصتبا)، فتكمن في نزول المندائي إلى الماء برمز إلى نهاية الحياة سابقة وبداية الحياة جديدة مليئة بالصلاح والتقوى، وقسم للاستقامة والنزاهة والعدل والحق.

وهناك كثير من الصور الرمزية في النصوص المندائية، وهي غنية بمضمونها ومحتواها، تنير الطريق أمام المندائي.

- **تعقيب:**

السعدي أستاذ فاضل ومعلم قدير قدَّم جهودًا كبيرة في خدمة الصابئة المندائيين متطوعًا مع شقيقه الدكتور قيس السعدي، ولا تخلو تشكيلة في مؤسسات الطائفة من واحد منهما.

عملت معه في مجلس الشؤون العام فكان المعلم والموجه والإنسان وهو أحد الذين أرسى دعائم مجلة آفاق مندائية عندما كانت طفلاً رضيعًا يحبو وساهم في تطورها، وله إصدارات جميلة محببة للنفوس، إنسان بسيط وادع يحب الخير لكل الناس فتحس بمندائيته في طيبته وتسامحه وابتسامته العريضة المرسومة على وجهه باستمرار.

ولغرض فهم النصوص المندائية الدينية والتاريخية علينا فهم الرمزية التي يمتاز بها الأدب المندائي، وهذا الأسلوب تميزت به الكتب الدينية المندائية للحيلولة دون معرفة أسرارهم من قبل الآخرين... ولهذا من بالغ الصعوبة فهم النصوص إلا من المندائيين المبحرين بالدين المندائي من الفقهاء.

- الدكتور قيس السعدي:

الوجود المندائي ببلدان المهجر

لا يذكر أحد قدم وجود الصابئة المندائيين وإن اختلف المهتمون بدراستهم عقيدة وأُمةً وتاريخاً ، فإن وراء ذلك الاختلاف تلك الأقدمية إضافة إلى عوامل أخرى تمثلت في الانغلاق والتحدد بما يوفر البقاء ويحرص عليه.

وحيث لا يعيننا التاريخ كثيرًا على معرفة أحوال هذه الطائفة ولا يسجل سيرة تتبعية ، فإن في بقائها عقيدة وطقوسًا ولغةً وتراثًا ما يسجل للمندائية وأتباعها قدرتهم على مصارعة الظروف القاسية التي عصفت بمواقع تواجدهم.

ومن جملة ذلك نستقرئ:

١. صحة العقيدة وقوة الإيمان.
٢. المعايشة الحريصة على البقاء.
٣. القدرة على الدفاع عن الكيان.
٤. اعتماد المرجعية في قيادة شأن الأمة.
٥. وحدة قرار الأمة في الجوانب المصيرية.

ونتوقف عن التدليل وسوق الأمثلة اختصارًا ، ولأن ما تقدم هو استشهاد واقع وليس مبررات إقناع ، هذا الواقع الذي يؤشره بقاء الطائفة كل هذه الآلاف من السنين. وقد شهدنا ، نحن أبناء الجيل الحالي ، مواقع التواجد والتجمع وشكل كيان الطائفة على امتداد جنوب العراق وبعض الجنوب الغربى الإيراني ، ثم شهدنا نزوح أبناء الطائفة إلى ما هو أرحب في المدن الكبيرة وفاعلية وجودهم فيها بما عرفوا به من ذكاء مهني وأكاديمي وحس وحرص وطنيين وإخلاص وظيفي واجتماعي استحق أن يكون سجلاً لها في سفر الوجود الوطني الذي عززته بما سال من دماء أبنائها الزكية مخصبة تراب وطن يحبونه.

وحيث أصبحت الحروب فقدًا للأمن ، طويلة ممتدة لا تكفيها الدماء ولا تقف عند حد تقدمه الأسرة أحد أبنائها ضحية ، بل توجهت بمختلف أشكالها لتأتي على الأسرة وغدت تهدد الكيان كله فقد أصبحت مغادرة الوطن نوعًا من الهجره حينما وجد فيها الأبناء حلاً وتخلصًا من الظروف الصعبة التي أصبح يعيشها العراق والنتائج السلبية التي أفرزتها الحروب على المجتمع عامة وما تتأثر به الطوائف الصغيرة قبل غيرها ، هكذا عند المندائيون على قلة عددهم يتوزعون اليوم البلدان قياسًا بقدرات الوصول وظروف اللجوء في البلدان المتاحة.

وما بين صدمة مغادرة الوطن ومشكلات الوصول ودوامة الأحداث اللاحقة وضعف الإمكانيات وعدم وجود مرجعية أو كيان ثابت يعني بالجميع ، فأن النظر في المال يكون أمرًا صعبًا ومحيرًا.

ومع ذلك فإن التحسب للمندائية المرتبطة ببقاء أبنائها يمكن النظر في التحديات التي تواجه وجود الطائفة في المهجر ومنها:

١. ازدياد نسبة المهاجرين من أبناء الطائفة باستمرار دون إشراف محدد.
٢. ضياع التوجه وتوزع التواجد ببلدان المهجر بما يزيد على عشرين بلدًا.
٣. قادت النقطة السابقة إلى توزع الأسرة أحيانًا على أكثر من ثلاث بلدان بثلاث قارات.
٤. استمرار الحروب وفقد الأمن على الوطن الأم وتوطن البعض ببلدان المهجر بحصولهم على الجنسية الجديدة يزيد من توجهات البقاء واستمرار التوزع بما يضعف التجمع.
٥. تعلم الأبناء لغات وعادات المجتمعات الجديدة يزيد من تكيفهم للوضع الجديد بما سيضعف أية توجهات لاحقة لأي تجمع أو عودة.

٦. فاجعة ترك الوطن وصعوبات الحصول على فرصة اللجوء تجعل الأسرة مصدومة لفترة طويلة بالواقع الجديد والانشغال بمتطلباته بما يبعدها عن التفكير بالمصير الجماعي.
٧. بذرة الجهود الموجهة لتجمع الطائفة وتوحيد بلد هجرتها بأسباب صعوبة هذا الإجراء من جهة، وضعف قدرات تبنيه المادية والبشرية من جهة ثانية رغم الحاجة لطرق أبواب من يمكن أن يسهم ويساعد فيه.
٨. كبر حجم أغلب بلدان المهجر جعل أبناء الطائفة المتواجدين متوزعين فيها بما أضعف فرص اللقاء بفقد حق التجمع وصعوبته حتى في البلد الواحد.
٩. حاجة بعض الشباب للحصول على الإقامة وآخرين ممن توطنت فيهم الغربة والاغتراب أدت إلى ارتباطهم بزيجات غير مندائية مما يمكن أن تكون نتائجه سلبية خطيرة.
١٠.انشغال أبناء الطائفة ممن كان لهم تواجد قديم ببلدان المهجر بظروف ومتطلبات أعمالهم والعيش الذي اعتادوا عليه أبعد أغلبهم أن يكونوا السند الموجه للآخرين.

ومع كل ما تفرزه وتفرضه هذه التحديات والتي تشكل عوامل تهديد لكيان الطائفة، فأن الآمال ما تزال معقودة على بقاء المندائية حيَّة بطائفتها ومن ذاك:

- انبثاق المجالس والجمعيات والتشكيلات المندائية خطوة صحية ومطلوبة مع ضرورات السعي الدائم لمعنية جماعية وتعاون ونكران ذات في هذا العمل الطوعي الذي يعول عليه كثيرًا في خدمة الطائفة وديمومة بقائها.
- المتابعات الكيانية والفردية لكثير من الشخصيات المندائية بمساهماتها في المحافل الدولية بما يديم صوتها ويعمل على التعرف بها وبمتطلبات بقاء كيانها.

- تزايد الأنشطة الأكاديمية والإعلامية الخاصة بالمندائية بما يزيد من التعرف بها من جمهور ويحفز أبناءها على التعرف بها وبمتطلبات بقاء كيانها مع الحاجة لصوت أعلى ومساهمات أوسع.
- تزايد الأدوات والوسائل الإعلامية المعتمدة من قبل الطائفة بما يمكن أن يوصل الصوت المندائي إلى مناطق التواجد قدر المستطاع مع الحاجة لدعم هذه الوسائل وتطويرها.
- اعتماد التقنية الحديثة في وسائل الاتصال ومنها صفحات الإنترنت وسعي بعض أبناء الطائفة لإنشاء صفحات مندائية خاصة وعامة إضافة لجهود الجمعيات مع ضرورة الحرص على تقديم الإيجابي والصحيح والابتعاد عن التقاطع في المعلومات والتوجهات.
- الحرص المندائي لإقامة الزيجات المندائية سواء بالاقتران من الوطن الأم أو ما بين دول المهجر أو البلد نفسه والحاجة أساسية في هذا الأمر للتسهيل والتشجيع وتقليص المتطلبات.

- **أحمد راهي صالح:**

باحث مندائي مقتدر في هيئة التوعية والإرشاد، أصدر كتابه "مندائيو أورشليم" دراسة مقارنة للبحث في موضوع الأصول الحقيقية للنبي يهيا يوهانا وعلاقته بالطوائف المندائية المتخفية في أورشليم.

يخبرنا كل من الأدب المندائي وكذلك المرويات التي تتناقلها الأجيال إلى تعرض المندائيين أينما رحلوا إلى كم هائل من الاعتداءات من قبل الأقوام المحيطة عمومًا والمؤسسات الدينية لليهود بشكل خاص، حتى باتت ذاكرة القتل والترويع جزءًا لا يتجزأ من الموروثين الديني والمثيولوجي، ومن المجازر التي لا تزال شاخصة وحيَّة في ذاكرة المندائيين مجزرة الإبادة الجماعية لرجال الدين في أورشليم على أيدي اليهود إبان بروز المليشيات اليهودية بعد وفاة النبي يهيا يوهانا والتي راح ضحيتها ٣٦٠ رجل دين، وهذا رقم رمزي ربما يشير إلى دورة السنة المندائية... وكذلك المجازر التي حصلت على يد الماشيح اليهود الذين لم يتركوا حيًّا عام ١٣٢م والتي تمَّ خلالها القضاء التام على ما تبقى من المندائيين ممن آثر البقاء بعد رحيل القسم الأكبر من إخوانهم إلى بلاد الرافدين. وبشكل عام فإن حالات الاضطهاد على أيدي اليهود وكذلك المجوس والمسلمين لا تنفك في التداول بين المندائيين.

وفيما يخص مندائيو فلسطين تحديدًا، فإن أشد ما تعرضوا له من اضطهاد كان على يد المؤسسة الدينية لليهود منذ استيطان العبريين المنطقة بداية القرن العاشر قبل الميلاد، والذي على أثره تشرذم المندائيون آنذاك إلى قسمين، القسم الأول وهم القلة الملتزمة بأصول الدين فقد هربوا إلى الجبال البعيدة حتى بنوا بداخلها مساكن خفية، كجبل طورا أد هيورا (الجبل الأبيض) وطور أد فادي (جبل المندائيين)، والمحدد في منطقة حران... وقد استطاعوا أن يكيفوا حياتهم في تلك المناطق، محافظين على المنهج المندائي.

أما القسم الثاني ، وهم عامة المجتمع المندائي ممن تمكن من النجاة ، فقد كيفوا أنفسهم على العيش عن الراية اليهودية من خلال مبدأ التقية والذي تجيزه نصوص الدين المندائي كما ورد في (الكنزا ربا) :

(إذ ضيق عليكم الخناق فقولوا له: نحن من أتباعك ونعتقد دينك ولكن لا تدينوا له بصحيح قلوبكم ولا ترتدوا عن دين ربكم ملك النور السامي...)

وهذا القسم لم يستطع المحافظة على كامل الشرائع المندائية لاندماجهم مع اليهود لعدة قرون... وبالرغم من بقاءهم كمجتمع مندائي باكتفاء ، إلى أن الناصورائيين الحقيقيين أصحاب المخابئ... كانوا ينظرون لهم على أنهم أقل منزلة دينية منهم ، ولهذا كانوا يطلقون عليهم تعبير الخاطئين أو الخطائين (اليهوطائي)... بمعنى النازلين مثلهم مثل مندائي تزوج زواجًا غير شرعي مثلاً.

▪ تعقيب:

تذكر لنا المصادر البحثية أن اليهود قتلوا ٣٦٠ رجل دين فتصور عدد المندائيين من عامة الناس الذين قتلوا ، إنها إبادة جماعية... أما مشكلة اليهوطائي فهو ظاهريًا يهودي وباطنيًا مندائي بمعنى ازدواج في الشخصية بسبب الخوف وهذه مشكلة معقدة تضعف الشخصية المندائية... والمندائيون عبر تاريخهم تعرضوا لأعمال إبادة جماعية في إيران أيضًا بسبب التطرف الديني البغيض وهنالك حالات محدودة حدثت في العراق أيضًا، وهذا السبب الرئيس لهجرة المندائيين كل فترة من الزمن وربما كان سببًا في انزوائهم في أعماق الأهوار لعدة أجيال.

كان الناصورائيون المختبئون في الجبال يستقبلون أعدادًا من اليهوطائيين ويتبنونهم... كما فعلوا مع الرضيع النبي يهانا يوهانا ، الذي ترك كل الدلائل على مندائيته ومندائية زكريا وأنشبي... وكان يسمى أبوه زكريا أما سابا أي

شيخ المؤمنين وأمه يلقبونها الياصابات أي (الشيخة). ومن يريد التأكد من مندائية يهانا يوهانا وأبيه زكريا وأمه أنشبي عليه بقراءة كتاب (مندائيو أورشليم والمنقذ المنتظر) لمؤلفه أحمد راهي صالح.

- **همام عبد الغني المراني:**

في عام ١٩٩٧ والصابئة المندائيون في قمة عطائهم ونشاطهم لبناء مؤسساتهم وتطويرها ؛ نشر السيد سامي الجيتاوي في جريدة (العربي اليوم) التي تصدر في الأردن مقالاً عن الصابئة المندائيين تحامل فيه عليهم لغرض في نفسه دون أن تكون لديه معلومات ومعرفة كافية عنهم ودون أن يطلع على كتبهم ويتعرف عليهم عن قرب ، فردَّه الأستاذ المراني وكان يشغل وقتها سكرتير مجلس العموم في تشكيلات الصابئة المندائيين:

ولكون المقال طويل نوعًا ما نختصر هنا ما ورد فيه[١]:

يذكر الأستاذ الفاضل أن كلمة الصابئة مأخوذة من الفعل المندائي صبأ والذي يعني الارتماس بالماء الجاري والتعمد، وليس من الفعل صبأ العربي الذي يعني من ترك دينه واتخذ له دينًا جديدًا ، ولمَّا كان أهل مكة أدرى بشعابها فإن الصابئة المندائيين حتمًا أدرى من تفسير الجيتاوي.

والشيء الثاني الذي أكَّد عليه الأستاذ المراني أن الآيات القرآنية الثلاث تؤكد أن الصابئة المندائيين قومٌ موحِّدون كالمسلمين والمسيحيين واليهود ، فإن شكَّك الجيتاوى بالتوحيد فهذا التشكيك يشمل الجميع لا سمح الله ، وفي سورة الحج قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢]. فيسخر الأستاذ المراني من الكاتب الجيتاوي قائلاً له إن الله يفصل بينهم ولم يقل الجيتاوي ، إن الله من يقرر يوم القيامة من كان موحِّدًا ومن كان مشركًا يا جيتاوي وليس أنت وعليك أن تحترم نفسك لأنك خضت في أمر لا تملك عنه معلومات وافية.

---

١ يمكن الإطلاع على المقال كاملاً في الفصل الثامن (الإجحاف)

٢ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

ويستطرد الأستاذ المراني قائلاً:

"... وأخيرًا نصيحتي للسيد جيتاوي، أن يقرأ القرآن الكريم قراءة معمقة، وأن يطلع على تفسير المفسرين الصادقين وما كتبه المؤرخون الموضوعيون المحايدون، لا أن يعتمد على بعض الآراء المتزمتة، وأن يتجنب الاسلوب الانتقائي المزاجي في اختيار بعض الاقتباسات، وأن يرقب وبإمعان في كل ما يقال إذا أراد أن يدلي بدلوه في هذا الميدان الواسع".

- **تعقيب:**

الأستاذ همام عبد الغني المراني من وجهاء الصابئة المندائيين ومن المثقفين الواعين والمدافعين المتمرسين، عمل في الصحافة زمنًا وأبدع فيها، وترأس نادي التعارف وطوره، وانتخب سكرتيرًا لأول مجلس عموم و أداره بجدارة ونجاح مع الأستاذ صلاح جبار عوفي عندما كان مقررًا للمجلس، هذه كفاءات يعتز بها الصابئة المندائيون ويفخرون بها على مرِّ الأجيال.

- الأستاذ مؤيد مكلف سوادي:

كتب الأستاذ مؤيد أستاذ اللغة الإنجليزية ومدرسها في مجلة "هيمنوثا" التي تصدر في بغداد التالي:

"إن من يقول بأن الدين المندائي دين مغلق هو على خطأ ، إنه دين منفتح بعلاقاته الإنسانية وأفكاره ، وإن المندائيين أناس متضامنون فيما بينهم كأقلية دينية لها تقاليدها وقضاياها الروحية ، وهذا شيء طبيعي ولا يعني انعزالهم عن الآخرين ، لأنهم يحسون بمسؤولياتهم تجاه غيرهم من الأقوام والأديان ، فديانتهم إنسانية توصي باحترام الإنسان إلى أبعد الحدود ، والدليل ، أن أكبر المحرمات عندهم هو قتل النفس البشرية وإيذاؤها أو استعمال السلاح للفتك بالآخرين ، كما أنهم لا يؤمنون بالخلافات العنصرية ، ويؤمنون بالمبادئ الأخلاقية بقوة ، تلك التي تحضُّ على احترام الإنسان ، كما أنهم من الطيبة والبراءة بحيث يندفعون لعمل الخير وإيجاد المناسبات لعمل القضايا الصالحة لهم ولغيرهم.

إن القضايا الأخلاقية تتطلب أولاً احترام الحياة ، والعمل من أجل القضايا الإنسانية عمومًا ، وهذا ما نجده بارزًا في تصرفات المندائيين ، لأنهم أناس واقعيون ، يفهمون الحياة ويعيشون الجانب المشرق منها.

وللأستاذ مؤيد بحث بعنوان (شيء من تاريخ الصابئة المندائيين) المنشور في مجلة "المندائي" التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية.

"... الحديث عن أقوام نزحت من شمال شبه الجزيرة العربية ، بسبب ضيق موارد العيش والجفاف الطارئ الذي حلَّ في هذه الأصقاع ، مما دفع بهذه الأقوام إلى النزوح والتوجه إلى المناطق الخصبة ومصبات الأنهار ، والذي يتابع ما ورد في بطون كتب التاريخ ، يعلم أن هجرات متعاقبة قد حدثت على مرِّ القرون قبل الميلاد قصدت مصر والهلال الخصيب ، ومنها هجرة الآراميين عام ١٥٠٠ ق.م... فمن هم أولئك الآراميون!؟

ينسب المؤرخون الآراميين إلى "آرام" أو "رام" ويقولون إنه جدهم الأعلى ، ومنه جاءت التسمية... أما كيف يستندون إلى ذلك ، فمرده إلى ما ورد في الكتب الدينية للطوائف الأخرى مثل سفر التكوين ، وإلى ما تركته بصمات وبقايا الآثار التي عثر عليها في موطنهم.

والمندائيون الموجودون حاليًا منحدرون من أصل آرامى ، ولغتهم هي لهجة من اللهجات الآرامية ، ومما ورد في الكتب المندائية المقدسة ، هو أن "آدم كبرا قدمايي" أي آدم الرجل الأقدم ، هو أول أنبياء الصابئة المندائيين.

والكتاب المقدس الذي أنزل عليه اسمه (كنزا ربا) أي الكنز الكبير أو العظيم.

إن دين الصابئة المندائيين هو أول دين موحد ظهر بين البشر ، وانتشر في مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وبلاد الرافدين.

ثم حمل راية التوحيد نبيهم الثاني "شتيل" أو شيت بن آدم ، ثم ظهر النبي نوح ويسمى بالمندائية (نو) ، ثم سام بن نوح وهو أصل الساميين قاطبة ، وإبراهيم الخليل (بهرام ريا) أو إبراهيم الكبير ، ثم كان آخر الأنبياء المندائيين (يهيا بر زكريا) أي يحيى بن زكريا ، وهو الذي أحيا الدين المندائي بعد انتكاسه.

- **تعقيب:**

هناك آراء عديدة حول هجرة المندائيين فهم أقوام مهاجرة عبر التاريخ ، أما الكتاب المقدس (كنزا ربا) فلم يُنزل كله على آدم وإنما الصحف الأولى ثم تتابعت على شتيل وإدريس وسام ويهيا يهانا عليهم السلام.

والأستاذ مؤيد شخصية يحبها الجميع فهو موسوعة ثقافية يحفظ الكثير من الشعر الفصيح والعامي والمواويل والأبوذية وكثير من المساجلات والقصص الطريفة ، وينظم الأناشيد ويكتب قصصًا شيقة للأطفال... هذه حقائق ولا أجامله فيها لكونه خالي.

- الأستاذ حكمت شناوه السليم:

كتب الأستاذ الفاضل حكمت مقالات عديدة نشرت مواضيعها في مجلة آفاق مندائية التي تصدر في بغداد عن مجلس الشؤون العام نوجز بعضها لقيمتها: فقد كتب الأستاذ حكمت عن "الفيض الإلهي". حيث قال:

"الثابت أن الديانة المندائية أقدم ديانة موحدة عرفها التاريخ، وإن كانت ما تزال حيَّة حتى الآن فلأن في عقيدتها القوة والمنعة التي زود بها الله سبحانه آدم (ع) وأملى عليه ديانتها بفلسفتها ومعتقداتها التوحيدية، وبالأقدمية أثرت هذه الديانة بشكل مباشر في بشر أصقاع عديدة "العراق، فارس، مصر، سوريا، فلسطين" من خلال الاعتناق، وبشكل غير مباشر في آخرين من خلال تأثرهم بفلسفة العقيدة المندائية التي يطلق عليها البعض الفلسفة الهرمسية نسبة إلى هرمس وهو "اخنوخ" اي إدريس (ع)، ومن أهم الأمور التي أحدثتها الفلسفة المندائية في الفلسفات الأخرى العديدة هو موضوع هبوط النفس "النشماثا" من العالم النوراني باعتماد مبدأ الحلول أو الفيض الإلهي "جلا"... وإذا كان الإنسان أرقى خلق الله، فإن النفس أرقى ما في الإنسان، وقد تجلت قدرة الله في خلقها بذكر واضح في النصوص المندائية، ومنها ما جاء في كتاب القلستا مجموعة الصلوات والتراتيل المندائية حين وقفت النفس بين النور الإلهي وبين الملائكة الأثريين سُئلت تكلمي أيتها النفس، من بناكِ؟. من هو المنشئ والباني والمكون؟ من أوجدك؟ قالت "أبي وهو واحد، واحد الذي خلقني ثم أخذني أحد الطيبين المخلصين، فلفني برداءٍ من نور وأعطاني لآدم، وحللت في الجسد بعذابه ومرارته وعوالقه، وبقيت أنتظر وأنا في ضيافة الجسد حتى أكملت قدري.

وتميز فلسفة الديانة المندائية بين خلق آدم بأمر من الحي العظيم في أنه أوكل "بثاهيل"، وبين وضع "النشماثا" في الجسد وهي العملية الأصعب، التي جاءت لاحقًا وبقدرة الحي العظيم، حيث فاضت النفس (نسمة الحياة) في جسد آدم، وهي النسمة النورانية التي رفضت أن تحط وتُحبس في الجسد المادي وأن

تنزل إلى عالم الماديات البغيض وتنادي ربها بضعفها عن مواجهة الشرور... وتأمل جمال ومصداقية تعبيرها حين تقول: "أعاني أنا ومبعد عن الفردوس... رعاني الله والأثريون أبغضوني وأتوا بي من دار طيبة... بدار شرٍّ أبدلوني".

لكنها تعود فتقول: "سمع الحي صرختي ، فأرسل لي منقذًا ، ملاكًا سماويًا. كلمني بصوته الطاهر النقي... لا تخافي أيتها النفس المسكينة ، لا تقولي أنا وحدي من أجلك ارتفعت السماوات واستوت الأكوان وأوجدت الأرض. ادخلي جسد آدم وسأرعاك ، وحينما يتم قدرك سننقذك من الأشرار وأعيدك إلى المكان الأقدس".

إن خلاص آدم نموذج الخلاص في العقيدة المندائية فبعد هبوط النفس (نشماثا) في جسد آدم ، يأتي "منداد هي" ويكشف له أسرار الكون ويكسبه المعرفة والحصول على الخلاص وهو عودة النفس سعيدة إلى عالم النور.

وعلى هذا يعد يوم الموت يوم الانطلاق "يوم فروقانا" وتتحرر النفس من حبس الجسد فترجع إلى أصلها { إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـــا إليه رَاجِعونَ } وتصبح مرة ثانية جزءًا من عالم النور ، وحتى تصله لابد من أن تكون طاهرة بمعرفتها وعملها وإيمانها (ناصوراثا) حتى تنال الجزاء الحسن...

وكتب الأستاذ حكمت مقالاً قيمًا في مجلة الصدى بعنوان "وحدة الكون وعوامل التأثير بين مكوناته" جاء فيها: (تنظر العقيدة المندائية إلى الكون المترامي ، وكوكب الأرض جزء منه ، على أنه يمثل وحدة متكاملة ، وكل جزء من هذا الكون يؤثر أو يتأثر بالجزء الآخر ويتعاطف معه ، وتكوين هذا الكون لم يأتي صدفة ، بل و فق أسس أمر بها الله (إلهي ربي قدمايي) أي الخالق العظيم... وبأمر منه نشر عددًا لا يحصى من الأرواح النورانية ، وهي كائنات جاءت إلى العوالم لتفعل الأفعال الإلهية ، ولكنها ليست بآلهة ، وفي جميع العوالم والكواكب والغيوم والكون بأجمعه. إذ ترى العقيدة المندائية أنه إلى جانب عالم الأرض ، هناك عوالم أخرى مكونة من الأثريين والملائكة ، كعالم (مشوني كشطة) أي

عالم الحق الذي يسكنه الشبيه (الدموثا) لسكان الأرض المندائيين. فعندما تتحرر النفس من سجنها (الجسد) تتحد بشبيهها في عالم الحق وفي عوالم الكون الأخرى ، عالم النور وعالم الطهارة... وهناك عالم الظلام... وبجانب هذه العوالم الموجودة في الكون المترابط المتعاطف توجد الكواكب والنجوم المسكونة من قبل الملائكة الأثريين بأمر من الحي العظيم.

ولشدة اهتمام الفلسفة المندائية بالتأثيرات المتبادلة للكون ودراسة مكوناته ، اهتموا بأكثر العلوم تقدمًا آنذاك ، وهو علم الفلك ، فأخذوا يقضون الليالي وخاصة في أوقات أعيادهم للتطلع إلى السماء ومراقبة الكواكب والكون بأكمله والتأثير المتبادل لمكوناته.

وقد تناول كتابهم "أسفر ملواشة" هذا العلم فدرسوا الشمس وشعاعها ورمزوا له بالعلم "الدرفش" ، كما اهتموا بملاحظة القمر ، وربطوا بين حركته في هلاله وتربيعه وبدره وتأثير ذلك على حركة الإنسان.

وبحثوا الفصول الأربعة وقسموا السنة إلى اثني عشر شهرًا واعتقدوا أن لكل فصل وشهر ويوم ووقت تأثيرًا محددًا على الإنسان في طالعه وعمله... كذلك الولادة في فصل معين ويوم معين ووقت معين ، يخلف طالع المولود وفقًا لوقت الولادة ، فأعطوا للوليد اسمًا دينيًا "الملواشة" يتفق مع فصل وشهر ووقت ويوم الولادة.

▪ تعقيب:

للأستاذ حكمت مقالات متعددة ، وهو من المثقفين المندائيين البارزين ، وله حضور في كل المحافل ، والرجل اسم على مسمى ورغم أنه يحمل أفكارًا تقدمية يعتز بها ويدافع عنها لكنه متعمق بدراسة الأديان وفهم فلسفتها وأفكارها ومن المؤمنين بالعقيدة المندائية والمدافعين عنها بقوة.

إن اهتمام علماء وأهل حران بدراسة الكون ومراقبة الأفلاك والكواكب وبناء الأبراج العالية ونصب ما يشبه التلسكوبات اليوم غاية علمية، وعلم واسع اهتم به أهل حران ونبع منهم عدد من العلماء الذين سبروا أغوار الفضاء، وأناروا العلم والحضارة والإنسانية، وليس العاملين في مرصد هابل اليوم والمراصد الأخرى من علماء الفلك والفيزياء هم عبدة كواكب كما يدَّعي بعض الجهلة، وإنما هذا علم واسع ومعقد يحاول الإنسان حل بعض رموزه فالله تعالى وهب الإنسان العقل وتعلم بالقلم ليزداد علمًا وإلا كيف تطور الإنسان كل هذا التطور وما سيأتيه المستقبل أعظم.

- **الدكتور صباح خليل مال الله :**

عرفته في بغداد ، فقد بدأ في شارع النهر كان يملك محلاً لصياغة الذهب ، وكان صديقًا لي ، فكنا أوقات كثيرًا نتجاذب أطراف الحديث ، ولم أعرفه من المهتمين بالمندائيين وهو واحد منهم ، فلم يكن له حضور في المندي أو في إحدى مؤسسات الصابئة المندائية في العراق ، كان من المثقفين المندائيين ويجيد اللغة الإنجليزية وقد عشق الترجمة ووسع دائرة معلوماته من خلال قراءته وإطلاعه على المصادر باللغة الإنجليزية.

هاجر إلى إنكلترا وأكمل دراسته الأكاديمية هناك وحصل على شهادة الدكتوراة، التقيته ثانية في السويد عام ٢٠١٠ ولاحظت من خلال مناقشتي معه تطور كبير في معلوماته عن الصابئة المندائيين وعن الدين المندائي... وهذا مقالٌ له نُشر على الصفحة المندائية بعنوان "الصابئة المندائيون في العراق القديم":

لا أحد يعلم على وجه التحديد متى ظهر الصابئة المندائيون في العراق القديم ، ولكن اسمهم ارتبط بالنبى إبراهيم الخليل (ع) الذي عاش في مدينة أور السومرية "مدينة إلهة القمر نانا" منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان إبراهيم (ع) أول من نبذ عبادة الأصنام ودعا إلى رب واحد عظيم القدرة أطلق عليه السومريون ملك إلهة ما هو فوق وما هو تحت "رب السماوات والأرض" وقد آمن الصابئة المندائيون بتعاليمه واحتفظوا بصحفه ومارسوا طقوس التعميد التي سنَّها لهم واستمروا عليها إلى يومنا هذا.

وقد هاجر قسم منهم معه إلى حران والقسم الآخر بقي في العراق ، وقد عرفــوا فيما بعد بــ(ناصورايي اد كوشطا) أي حُرَّاس العهد الذين أسسوا بيوت النور والحكمة (المنادي) على ضفاف الأنهار في وادي الرافدين لعبادة مار اد ربوثا (الله ــ رب العظمة)، واتخذوا من النجم القطبي (أباثر) الذي دعاه السومريون (نيبورو) قبلةً لهم، وأنه هو الذي يشرف على الممرات بين الأرض والسماء لا أحد يعبر إلى ما هو فوق أو إلى ما هو تحت دون التوجه إليه.

كذلك كتب الدكتور صباح خليل مال الله في مقدمة كتابه كتاب يحيى (دراشا إديهيا):

لا أحد يمكنه أن يجزم بتاريخ المندائيين في بلاد الرافدين وما زالت أصولهم لغزًا محيرًا ومثار جدل بين العلماء والباحثين، فمنهم من ذهب إلى أنهم ظهروا قبل المسيحية بقرون في زمن بابل، ومنهم من ذهب إلى أنهم فرقة بقيت في فلسطين وهاجرت نتيجة لاضطهاد اليهود لهم فهاجروا إلى سورية وحران ثم نزحوا إلى المناطق المحيطة ببابل وذلك سنة ٧٠ ميلادية، والرأى الأخير مطابق لما ورد في إحدى مخطوطاتهم التي تذكر أن مجموعة من الناصورائيين لجأت إلى إديابين (جدياب) التي سموها حران كويتا، نتيجة لاضطهاد اليهود لهم في فلسطين، واستطاعوا أن يشيدوا هناك معابد (بيمندى) وكانوا يؤمنون بنداء الحياة وبقدرة ملك النور العلمية، بينما كان اليهود في جداياب يعبدون ربهم أدوناي إله بيت إسرائيل ثم انتقل هؤلاء الناصورائيين إلى جبال (ميداى) ومنها إلى طيب ماثا (مدينة الطيب) ومملكة ميشان في جنوب العراق.

من الوثائق المهمة التي تثبت بشكل لا يقبل الشكل وجود الناصورائيين (المندائيين) في العراق في القرن الثالث الميلادى هي وثيقة (نقش) "كاريتر" الحبر الاعظم للمجوس أيام الشاه شاهيور الأول التي سجل فيها اضطهاده لليهود والمسيحيين و الناصورائيين وغيرهم.

▪ تعقيب:

الصابئة المندائيون لا يذكرون النبي إبراهيم الخليل عندما يذكرون أنبيائهم آدم وشيتل وإدريس ونوح وسام بن نوح ويهيا يوهانا (يحيى بن زكريا) ويوحنا المعمدان، وعندما دعاهم نبي الله إبراهيم في أور إلى عبادة الله عبادة خالصة

وعدم جعل الملائكة وسطاء بينهم وبين الله. قالوا له أنت إنسان مثلنا تمرض وتتوجع وتشيخ وتموت... أنت ليس ملاكًا لتكون نبيًا مرسلاً... وهكذا اختلفوا معه... بعدها هاجر إلى حران وفلسطين ثم مصر.

ورد ذكر بهرام ربه أي إبراهيم الكبير في كتاب (الكنزا ربا)... ولكن ليس هناك ما يؤكد أن بهرام ربا هو إبراهيم التي تعني مختار الأمة أو كبير الأمة لكن بعض الباحثين يؤكدون أن إبراهيم الخليل أحد أنبياء الصابئة ومؤسس المذهب الحنفي الذي يلتقي مع الصابئة.

- ليث رياض الخميسي:

الصابئة المندائيون في التاريخ

الصابئة المندائيون أول الموحدين في عهد آدم وكانوا يسكنون شبه الجزيرة العربية ، وكتابهم الكنز العظيم ، ومن أنبيائهم إدريس الذي ذهب إلى مصر ، وعلمهم العلم والفن والفلسفة والنحت والرسم وكل الفنون.

وكلمة مندائي تعني المعرفة أو المخلص أو المعين أو الشفيع.

يقدسون نهر الفرات ، ويسمونهم الصابئة أو الصابغة الذين يصطبغون في الماء الجاري ، وهناك خلط بينهم وبين صابئة حران.

وهناك نصوص عظيمة في كتاب (الكنزا ربا) تمجِّد وتعظِّم الحي العظيم... وهناك الوصايا التي على كل مندائي الالتزام بها... وهناك التسبيح والتوحيد بالحي العظيم... وفي كتاب (الكنزا ربا) نصوص رائعة تدل على أن الله ملك النور السامي.

وتبقى النفس أمانة عند الملاك أباثر وفي المطراثي تحاسب الروح حسابًا عسيرًا وقد تطول فترة الحساب أو تقصر فتحاسب عن كل خطاياها الثقيلة والخفيفة ولكل محطة حساب ، فإن ثقلت حسناتها وقلت سيئاتها ونالت رضا الحي العظيم تعود ثانية إلى الملاك أباثر وتتحد (لوفا) مع النفس وتشكل النشماثا وتصعد إلى (مشوني كشطا) عالم الأنوار الأول لتبحث عن الدموثا المثيل أو النظير الذي أخذت منه عند صيرورة الإنسان وتعيش في عالم الأنوار حياة ثانية لا يدنو فيها موت ولا أوجاع ولا هرم في السن ، حياة بيضاء ناصعة صادقة كاملة لا كذب ولا غش ولا نفاق فيها. أما إذا ثقلت سيئات الروح وخفت حسناتها فستموت موتًا ثانيًا وهذا أقسى ما يلاقيه الإنسان.

- الأستاذ/ سرمد بشير عبد الواحد يوسف:

تزويج آدم ولديه لابنتيه

كان للشريف الرضي مجلسٌ يرتاده الأدباء والعلماء والشعراء... وكان من رواده البارزين أبو إسحاق الصابي الأديب المعروف وأبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف صاحب ديوان سقط الزند ورسالة الغفران. ويحكى أن الشريف الرضى كان يومًا يتباهى على أبي العلاء في حسبه ونسبه... فردَّ عليه أبي العلاء بقصيده جاء فيها بيتان ما معناهما.

إذا مــــا ذكرنــــا آدم وفعالـــــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنـــا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

عندما ناجى آدم (عليه السلام) ربه راغبًا بزواج ولديه وبنتيه أرسل له الحي العظيم نظرائهم (الدموثا) نظراء الأولاد ليتزوجوا البنات ونظراء البنات ليتزوجوا الأولاد... وهكذا ازدادت ذرية آدم وابتهجت بهم الدنيا. وهذا يعني أن لكل إنسان دموثه... حتى آدم له دموثا يسمى آدم كسيه (آدم الخفي) عندما انتقل إلى جوا ربه عادت نشمة الحي آدم إلى كسيه لأنها أخذت منه.

وهكذا نستدل أن أبا العلاء لم يكن موفقًا في رأيه هذا وأن بنو البشر ذرية آدم عليه السلام طاهرة كما أراد لها الحي العظيم. ولو قرأ أبو العلاء كتاب (الكنزا ربا) (الكنز العظيم) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين بإمعان لما قال هذين البيتين وبهذا المعنى.

فالصابئة المندائيون يؤمنون بأن الحي العظيم (الله جل جلاله) خلق الإنسان من ثلاثة عناصر رئيسية:

١- الجسد: وهو فانٍ ، جُبِل من تراب وإلى تراب يعود **(وخلقنا آدم من الدم والمرارة ومن الطين الأحمر (الصلصال) ومن أسرار الكون)** -كما ورد في (الكنزا ربا) - وهذا تجسيد يعتبر بمثابة السجن للنفس والروح.

٢- النفس: وهي قبس من الحي العظيم، طاهرة نقية لا تشوبها شائبة.

٣- الروح: هي الأعمال والممارسات، أي الفعاليات التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد، أفعال خيرة وأخرى سيئة، تحاسب عليها في محطات الحساب (المطراني) حسابًا عسيرًا وتكون روح شتيل أبن آدم هي النموذج الذي تقاس عليه أرواح الناس لكونها طاهرة نقية لأن شتيل انتقل إلى ربه وعمره ثمانون عامًا ولم يرتكب أي معصية.

عندما تفارق النشماثا الجسد (النشماثا هي اتحاد النفس مع الروح) تبقى ثلاثة أيام بلياليها بين دار المتوفى وقبره وتحوم وتذكر كل حسناته وسيئاته... وبعدها تعرج باتجاه أباثر الملاك الأثري الكبير سادن باب ألما دنهورا (عالم الأنوار) الجنة، ويستدل عليه باتجاه النجم القطبي في الشمال العلوي القصي... وعند الملاك أباثر تنفصل النفس عن الروح لتذهب الروح إلى محطات الحساب.

- د. بشير عبد الواحد يوسف:

محاضرة بعنوان:

التبشير في الديانة المندائية

سأناقش الموضوع من الجانب الديني والجانب الموضوعي الفعلي:

١ – الجانب الديني:

نحن المندائيون نؤمن ووفق ما ورد في كتبنا الدينية أن ألما دنهورا (الجنة) عالم مندائي ، وأن هيي قدمايي خلق النشماثا والملائكة مندائيين ، وقام بخلق آدم وحواء مندائيين وطلب من الملاك المبجل مندا اد هيي أن يعلمهم الصلاة والتسبيح لخالقهم وأن يعلمهم الأسماء كلها والتوحيد والوصايا:

(عَلِّمْ آدَمَ لِيَسْتَنِيرَ قَلْبُه ، وَقَوِّمْهُ لِيَسْتَنِيرَ عَقْلُهُ وَجَنَانُه ، كُنْ أَنَساً لَهُ أَنْتَ وَالْمَلاَكَانِ اللَّذَانِ مَعَكَ إِلَى الْعَالَمِ سَيَهْبِطَانِ ، عَلِّمْهُ وَزَوْجَهُ وَذُرِّيَّتَهُ الْحِكْمَةَ كَيْلاَ يُغْوِيهِمْ الشَّيْطَان ، عَلِّمْهُمُ الصَّلاَةَ يُقِيمُونَهَا مُسَبِّحِينَ لِمَلِكِ النُّورِ السَّامِي) . "كنزا ربا يمينا"

وعندما أراد آدم أن يزوج أولاده وبناته ، أخذوا الأولاد إلى آلما دنهورا (مشوني كشطا) وزوجهم دموثا (النظير) البنات وجئ بدموصا الأولاد من آلما دنهورا وزوجوهم بنات آدم... وهكذا ازدادت ذرية آدم في البداية وتكاثرت لا كما يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

إذا ما ذكرنا آدم وفعالهُ وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا أنَّ النَّاس من نسلٍ فاجرٍ وأنَّ جميع الخلق من عنصر الزنا

ثانيًا: كلما أصابت المندائيين عبر التاريخ مصيبة أو كارثة يرسل هيي قدمايي لهم رسول ليعيد الدارة فأرسل بعد آدم شيتل ثم نوح وابنه سام ثم إدريس (دنانوخت)... وخاتمهم يهيا يهانا مباركة أسماؤهم جميعًا.

ثالثًا: الأنبياء المندائيون الذين بعثوا وجدوا أمة موحدة مندائية تدين بالدين المندائي، وحتى النبي يهيا يهانا -مبارك اسمه- الذي عاش في فلسطين والذي كان يصبغ (يعمِّد) المندائيين في نهر الأردن كان يصبغ المندائيين حصرًا لأنه يعرفهم وهم يعرفونه لأنه عاش وسطهم وتربى بينهم رغم كثرة الأقوام التي كانت تعيش على ضفاف نهر الأردن وحوض البحر الميت مثل الأسنيين، واليبوسيين، الكنعانيين (الفلسطينيين)، السامريين، الحسح الصدوقيين، الصيدناويين، وغيرهم من الأقوام حتى أنه صبغ "عمد" السيد المسيح لكونه ابن خالته وكان يعيش معه في نفس البيت ونهل من تعاليمه وحكمته وإيمانه وكان أكبر منه بثلاث عقود، ولم يعلن عيسى بن مريم نبوءته إلا بعد وفاة يهانا -مبارك اسمه- بثلاث سنين، وقد خفف السيد المسيح والآباء الأوائل كثيرًا من غلواء وتعقيدات الدين المندائي واليهودي في الصلاة والصباغة "التعميد" وكل المراسيم الدينية وجعلوها ذات هيبة وأبهة وفخامة على بساطتها فانضم لدينه أعداد غفير من الناس لبساطة الدين وسهولة التطبيق.

رابعًا: الخالق يرسل الأنبياء بشيرًا ونذيرًا يبشرون الناس بالجنة وبالحياة الأبدية التي لا وجع ولا أمراض ولا موت ثان فيها، ونذيرًا ينذرهم أن من يخالف تعاليم الله أو من يرتكب معصية في حياته يحاسب في المطراثي "محطات الحساب" ويكون مصيره النار الحامية إن لم يتوب ويرجع إلى خالقه، وكل الأنبياء الموحدين بعثوا لوحدهم فبشروا بأديانهم لتكون لهم أمة مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ما عدا آدم والأنبياء المندائيين -مباركة أسماؤهم- والذين جاءوا بعده لأنهم وجدوا أمة مندائية تدين بالدين المندائي فلم يكونوا بحاجة للتبشير.

خامسًا: يحسب على الأمة المندائية أنها لم تؤسس دولة أو دويلة أو سلطنة أو إمارة، ولم يكن لها عبر التاريخ ملك أو سلطان أو قائد مشهور أو أمير، بل كانت دائمًا تلوذ بظل دين آخر أسس دولة قوية، ومن غرائب الأمور أنهم لا

يستطيعون الدفاع عن أنفسهم لتمسكهم بالناصوراثا (**سلِّحوا نفوسكم بسلاحٍ أمضى من الحديد ، سلاح الناصوراثا**) ، (**فإن اضطهدتم فاحتملوا الاضطهاد إلى أن تقضوا آجالكم ، بعضهم لبعض مساندين**) "**كنزا ربا اليمين ، الوصايا**".

وهكذا ضعفوا على مرِّ الزمان أو قلَّت أعدادهم بسبب الخوف والاحتماء بالأديان الأخرى القوية وهروبهم إلى أعماق الأهوار حيث الحياة البدائية والأمراض الفتاكة وانعدام التعليم.

ومع هذا كله فالمندائيون نسيج متماسك نقي ورحمهم طاهر ودينهم مغلق يرفضون التبشير بكل أشكاله وهذا ما أتفق عليه كل رجال الدين.

٢- الجانب الموضوعي الفعلي:

أولاً: تشتت المندائيون على أرض الله الواسعة بسبب الحروب طلبًا للأمان وتركوا بلادهم التي عاشوا فيها منذ فجر التاريخ مكرهين وأضطر عدد من أولادهم وبناتهم للزواج من الأديان الأخرى ولأسباب مختلفة ولو كان الآن عدد الخارجين عن الدين المندائي ألفًا فبعد عقد من السنين كم سيصبح، وبعد جيلين أو ثلاثة كم سيكون العدد؟ إنها متوالية عددية لا تقف عند حدود. إذن لا بد من دراسة الموضوع ووضع الحلول المناسبة ووضع هذه الأمة تحت التحكم والسيطرة قدر الإمكان وبالإقناع وبالحوار المتمدن وزيادة الإيمان وإيجاد سُبل ووسائل حديثة نطوِّر بها الأداء، إذ لا يعقل أن ٩٩% من المندائيين لا يصلون لصعوبة إجراء الصلاة ، ولا يعقل أن رجال الدين لم يتعلموا أكاديميًا وهم يمنحون لأنفسهم رُتبًا دينية دون دراسة أو شهادة أكاديمية كما هو الحال عند المسلمين في كليات الفقه أو عند المسيحيين في كليات اللاهوت، علمًا أن كثيرًا من جامعات العالم المعروفة أصبح فيها كليات وأقسام لدراسة الأديان المقارنة وهناك أقسام لدراسة الدين المندائي تمنح شهادات عليا في كليات رصينة ضمن جامعات محترمة مثل السوربون في فرنسا وكامبرج في إنكلترا وليبزك في

ألمانيا ولاهاي في هولندا وكوبنهاكن في الدنمارك وبروكسل في بلجيكا... وهكذا.

ومن الضروري جدًا أن نسارع في تأسيس كلية الدراسات المندائية هنا في السويد حيث الكثافة المندائية وتكون لها فروع في أماكن أخرى تمنح شهادات عُليا لرجال الدين الراغبين والمدنيين المهتمين، وبذلك نكون قد هيأنا كوادر أكاديمية تستطيع إلقاء محاضرات للشباب وحضور مؤتمرات عالمية لكي نحافظ على الشبيبة من الضياع.

ثانيًا: لندرس الإشكالات والحالات التي ستواجهنا وطرق الحل:

أ. امرأة مندائية تزوجت من دين آخر ولم تنجب، وتريد العودة.
ب. رجل مندائي تزوج من دين آخر ولم يختن، ويريد العودة
ج. طفل رضيع تبنته عائلة مندائية ولا يعرفون حسبه ونسبه.
د. امرأة تزوجت من دين آخر وأنجبت، وتريد العودة.
ه. رجل تزوج من دين آخر وختن، ويريد العودة.
و. رجل ختن قسرًا أو بدون علمه أو بسبب مرض.
ز. الأولاد والبنات من أم أو أب مندائي وأم أو أب من دين آخر، ويرغبون في العودة لوحدهم أو مع أهلهم.

هذه الاحتمالات وغيرها. يجب أن تجري دراسة مستفيضة بعقلية متفتحة ووضع العلاج اللازم ووضع حدود لكل ذلك ووضع ضوابط، وإن كان ممكن عودة بعض الاحتمالات مثلاً أ، ب، ج، و، فيجب في هذه الحالة على رجال الدين معالجة الحالة بعقوبة مثله مثل من ارتكب إثم ويجب أن يحاسب عليه فتوجب عليه ستون صباغة أو أكثر بمناسبة دينية مهمة، ولا يصلح أن يكون شكندا ولا يجوز له أو لذريته الترشيح لموقع ديني مستقبلاً وهكذا ليكفر عن ذنوبه، وهذا مجرد مقترح لا أكثر لأن مثل هكذا أمور تعالج من قبل المجلس الروحاني العالمي وبمساعدة شخصيات مندائية قيادية في الطائفة.

يجب أن نبدأ العمل قبل أن تتعقد المشكلة وعلينا أن لا نخاف من المواجهة (اللي يخاف من الطنطل يطلعه)[1] ، وعلينا أن لا ندفن رؤوسنا في الرمال عندما تهب العاصفة كالنعام.

ولحل مثل هكذا أمور يتطلب الحوار والتفاهم والإقناع لا التشدد والتسلط والديكتاتورية. ومثلما نتحمل نحن جميعًا مسؤولية هذا العمل وحل هذه المشكلة الكبيرة يتحمل الاتحاد وكل التشكيلات المندائية وكل رجال الدين وفي مقدمتهم رئيس الطائفة هذه المسؤولية المهمة والخطيرة.

---

١ مثل عراقي

- **د. بشير عبد الواحد يوسف:**

الإنسان بين العوز والنقصان

محاضرة ألقيت في مقر الجمعية المندائية في ستوكهولم السبت المصادف ٢٠١٥/٠٨/١٢

عبر التاريخ الإنساني، دونت الكثير من الملامح التاريخية، وما زالت شعوب هذه الملاحم تعتز وتتباهى بها، وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، ومن أشهر هذه الملاحم:

- ملحمة كلكامش / السومرية.
- ملحمة الشاه نامه / الفارسية.
- ملحمة الإلياذة / الرومانية.
- ملحمة الأوديسة / لهوميروس
- المهابهارتا / الهندية.
- ملحمة الهاتيكي / اليابانية.
- ملحمة عنترة بن شداد.
- الكوميديا الإلهية / لدانتي.
- تغريبة بني هلال.
- ملحمة كاليفالا / الفنلندية.

هناك فرق بين الملحمة والأسطورة، لأن الأسطورة أبطالها من الآلهة، أما الملحمة، فأبطالها من البشر.

وهناك ملاحم شعبية، وملاحم أدبية لكثير من الشعوب يصعب حصرها. معظم الملاحم القديمة للأديان غير الموحدة فيها تتعدد للآلهة.

وهناك ميثولوجيا في الأديان الموحِّدة، تذكر كخوارق ومعجزات لدى الروحانيين، وتسمى أساطير أو ميثولوجيا من قبل الماديين. ومثال ذلك:

- في الدين اليهودي: عصا موسى، عبور بحر سوف، المنّ والسلوى

- في الدين المسيحي: ولادة عيسى، إحياء الموتى، شفاء الأعمى والأبرص والكسيح.

– في الدين الإسلامي: الإسراء والمعراج، وناقة صالح، وخروف إسماعيل، وحوت أيوب، وسليمان بن داود.

– في الدين المندائي: ولادة النبي يحيى، بوثة الخلق والتكوين، بوثة المخلص، بوثة عالم الظلام.

الذي يهمنا في هذا البحث هو الميثولوجيا المندائية... لملحمة روحانية للسيطرة على هذا العالم (ألمه دهشوخه) وكيف تمت السيطرة عليه، وتخليصه من مردة الظلام، ولماذا أصاب الإنسان العوز والنقصان.

(لماذا يمرض ويتوجع ويشيخ فيموت)

بسم الحي العظيم

(إِنَّا جَعَلَنَا الْكَوْنَ مَنازِلَ وَطَبَقَات ، مُكتَملاَت وَغَيْرَ مُكتَملاَت ، وَأَوَكِّلْنَا بِكُلِّ طَبَقَةٍ حُرّاساً ، مَلاَئكةً أَجْنَاسا ، فَأَمَّا أرْضُ النُّور ، فَقَدْ ثَبَّتْنَا فيهَا الْأُثرِيِّينَ ، وَمَلاَئكةَ النُّور ، وَزَيَّنَّاهَا بِمَصَابِيحَ تَدُور ، وَوَهَبْناهَا رِيَاحًا سَارِيَة وَميَاهًا جَارِيَة ، وَعَطَّرْنَاهَا بِالْأَرِيج ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا منْ كُلِّ شَيْءٍ بَهِيج. وَأَمَّا عَالَمُ الظَّلاَم ، عَالَمُ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ .. فَأَرْضٌ مُقْفِرَةٌ مَسْعُورَة ، دُفعَتْ إِلَى أقصى الْجَنُوبِ ، بَعِيدًا عَنْ الْمَعْمُورَةْ ، عَوالمُ مِنْ دُخَانٍ وَنَار ، وَنَقْصٍ وَشَنار ، تَعجُّ عَجِيجًا بِالْأَشْرَارِ ، وَبِالْقَتَلة وَالْفُجَّارِ ، وَالسَّحَرة وَالْمُشَعْوذِينَ وَالْكُفَّار ، أَرْوَاحٌ زَاهقَة ، وَنيرانٌ حَارِقَة ، وَعوَاصِفُ خَانقَة ، تَسُوقُهَا شَيَاطِين حَانقَة ، وَسُفَهَاء ، وَمَصَّاصُو دمَاء ، بِوُجُوه مُظْلمَة سَوْدَاء ، صُمٌّ بَلْهَاء ، يَنهَضُ بَيْنَهُمْ الْمُشَعوِذُون ، وَالْمُزَيِّفُونَ وَالْكَذَّابُونَ ، وَالسَّرَّاقُ وَالْغَاصِبُونَ ، وَالْقَتَلَةُ الْمُجْرِمُونَ ، أَنْوَالًا أَنْوَالا ، قِصَارًا وَطِوَالَا ، وَخَلاَئِقَ أَشْكَالَا ، مِنْهُمْ يَطِيرُونَ ، ومِنْهُمْ يَسِيرُونَ ، ومِنْهُمْ عَلَى بُطُونِهِمْ يَزْحَفُون) والحي المزكى (كنزا ربا).

وتستمر هذه الميثولوجيا لتقول : إن هذه الدار يحكمها عفريت جبار، يخور ويدور... فوقف عند حدود الديجور، ونظر إلى أكوان النور، وأراد أن يخترق الحد الفاصل بين النور والظلام... جأر هذا المارد الجبار، فاهتزت أركان

الكون ، وجفل الملائكة الأثريون ، الذين كانوا يطيرون ، قريبًا من الحد الفاصل بين النور والظلام. جاءهم الصوت أن لا تخافوا ، فلا يقدر هذا المسخ اللعين أن يعبر الحدَّ الفاصل... وأمرهم أن يعودوا إلى دورهم آمنين ، كان هذا بدء الشغب في العالمين (كان هذا بدء القلق في العالمين) ، فجاء عظيم الأثريين الملاك منداهيي ، إلى الحد الفاصل ، فسبر أغوار الكون ، ورأى عجبًا في عالم الظلام... واستغرب من خلق هذا المسوخ ، ومن خلق عالم الظلام... فجاء الصوت من عالم النور... الله أدرى وأعلم ، لا يستطيع الظلام التقرب من النور... وعندما يتقدم النور ، يتراجع الظلام وينحسر ، ثم يبدد... والشر لا يقوى على الخير ، والشياطين لا تواجه الملائكة. خلق الظلام لتحسوا بالنور... وخلق الشر لتحسوا بالخير ، وخلق الشياطين لتحسوا بالملائكة.

هنا أمر الله ، الملاك منداهيي ، أن يسيطر على عالم الظلام ، ويقضي على المردة والآثام... وأن يجعل منه عالمًا نورانيًا ، تسكنه الملائكة الأثريون ، فنادى ابنه هيبل زيوا ، وصبغه ٣٦٠ صباغة في اليردنا ، وألبسه ٣٦٠ رداءً من النور ، وأعطاه أسرار خفيه ، وأسماء سريه.

ينزل الملاك هيبل زيوا ، ويجتاز الحد الفاصل ، وبرفقته عدد من الملائكة ، وينتقلون من عالم الظلام إلى عالم آخر ، يسيطرون عليها ، واحد تلو الآخر.

(عوالم الظلام)

- عاللم زرتاي وزرتناي.
- عالم هاغ وماغ.
- عالم كاف وكافان.
- عالم أناثان وقن.
- عالم شدوم الهائل ، وعالم كيوا ، وعالم سماق.
- عالم كرون جبل اللحم.

تمت السيطرة على عوالم الظلام ، وانتهى الشغب ، وتبدد القلق ، وعاد هيبل زيوا ومرافقيه إلى عالم النور ، منتصرين ، وبشَّر هيبل زيوا ، أباه منداد هيي ، ومعه أخوته... شيتل ، وأنوش.

أمرني أبي ، منداهيي ، بعد أن صبغني ، ومنحني مزيدًا من الضياء والنور ، وبرفقة شيتل وأنوش ، و يوفين ، والملائكة المرافقين ، أن ننزل ثانية ، لنقضي على الروهة ، وابنها أور. فأنت يا هيبل زيوا ، نور ، وهم ظلام ، تقدم عليه فينحسر ، ثم يتبدد.

هكذا تمت السيطرة والقضاء على الروهة ، وابنها أور ، وعاد هيبل زيوا ، ومرافقوه إلى عالم الأنوار ثانية ، ليبشروا بالنصر العظيم.

هنا أولاد السلام ، أبناء الملاك يوشامن ، طلبوا من أبيهم أن يجهزوا عالمًا يسبحون به... هيي ، وأبيهم يوشامن... فوافق على أن لا يعملوا عملاً باطلاً.

نظر الملاك أباثر ، سادن باب عالم الأنوار إلى العالم الأرضي ، فوجده مغطى بالماء الأسود الآسن (ميه سيانه) ، حدَّق فيه ، فنادى له ابنًا ، سماه بثاهيل ، فجاء ناقص ضوء ونور... نصفه نوراني ، لأن أباه الملاك أباثر... ونصفه مادي ، لأنه نودي عليه من المياه الآسنة ، وليس من المياه الحية (اليردنا).

- **السبعة والاثنا عشر**

- السبعة:

١- شامش: أسماء الكواكب السبعة / المجموعة الشمسية

٢- سين: الشمس ، القمر ، الأرض ، عطارد ، الزهرة.

٣- كيوان: المريخ ، زحل.

٤- بيل

٥- ليبات

٦- إنبو

٧- الملاويش (الأسماء الدينية)

أما الاثنا عشر فهي الأبراج

قال ملك النور السامي قوله... فكان كل شئ... فنزل بثاهيل:
رفع السماء... وبسط الأرض... ونادى ملائكة النار... وهبت الشمس ضياء، ووهب القمر بهاء، والنجوم سناء... ورفعت كل إلى مدار، وتكونت العواصف والماء والنار، وتكونت الثمار والأعناب والأشجار

وكون الحيوان الأليف، والوحش الكاسر، من التراب والطين الأحمر، والدم والمرارة... ومن سر الكون... جبل آدم وحواء، وحلت فيها نشماثة، بقدرة ملك النور السامي.

صنع بثاهيل آدم، ولكن لا حياة فيه... حاول بثاهيل الاستعانة بالأثير... بضياء ودخان ونار... ببخار الأنهار، ولكن دون فائدة... وصعد، بثاهيل، مستنجدًا بأبيه، أباثر، وأستنجد، أباثر، بالملاك المبجل، مندادهيي. بأمر من الحي العظيم، أعطيت نشماثة، فلفَّها بثاهيل بعمامته، ونزل ومعه حراس النشماثة، والملائكة... هيبل، وشيتل، وأنش... ونزل، مندادهيي، الذي أخذ النشماثة من، بثاهيل، وأولوجها في جسد آدم المسجى، فتنفس آدم، وخفقت جناحيه، وقام منتصبًا على قدميه:

ولأن آدم جبل من الطين (مادي) وأولجت في جسده النشماثة (النفس) قبس من هيي، طاهرة، نقية روحانية... ولأن بثاهيل الذي صنع جسد آدم ناقص ضوء ونور، لكون أباثر ناداه من المياه الأسنة الراكدة. قال، الحي، وهو مستو على عرشه، بين أنواره، ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا، والسقم والأوجاع والشيخوخة... فنفذ الصوت نحن نسميه الحق وأنتم تسمونه الموت.

وعندما اعترض آدم على الشيخوخة، والمرض، والموت... نزل ملاك الموت "صورييل" وقال لآدم: كنتَ أخرسًا فأنطقناك، وأصمًّا فأسمعناك، وجاهلاً

فعلمناك ، ومستوحشًا فآنسناك... لتخرج النشماثة من هذا الجسد (الحبس) وتعود إلى المثيل أدكاس زيوا (آدم الخفي) ، فعمرك في هذه الدنيا انتهى.

كان شتيل أبن آدم حين فدى أبوه ، وصعد إلى عالم الأنوار ، يتمنى أن يراه أبوه... وعندما رفعت الغشاوة من عيني آدم ، والسدادة عن أذنيه ، وكتلة اللحم عن قلبه ، وأبصر ابنه شيتل في عالم الأنوار ، تمنى لنفسه ذلك ليحيا حياة ثانية ، بلا مرض وأوجاع، وبلا شيخوخة وموت ثاني.

وتبقى المشكلة...

أن الإنسان يرى ويلمس كل شيء مادي ، ولكنه لا يرى كل شيء روحي.

ولهذا الإنسان منذ القدم أوجد واسطة يراها ويلمسها ، بينه وبين خالقه... ففي الجاهلية وقبلها أوجدوا الأصنام... لا ليعبدوها ، وإنما يتشفعوا بها زلفى إلى الله.

وحاليًا المسلمون أوجدوا المراقد للأئمة ، يتشفعون بها ويدعون لها ، والمسيحيون يتشفعون بالصلبان والسيد المسيح والعذراء مريم ، واليهود يتشفعون بحائط المبكى ، وهكذا...

ونحن المندائيون قد نكون أوفر حظًا بالملائكة الأثريين ، لأننا ندرك الحي العظيم بالعقل والمعرفة ، والإحساس ، ومواجد القلب.

- الأستاذ / مؤيد مكلف سوادي

السيرة الذاتية:

كان مسقط الرأس في مدينة (المشرح) ميسان عام ١٩٣٢ ، وهي مدينة حدودية مع إيران ، يعمل سكانها بالزراعة والصيد والرعى ، لخصوبة الأرض ووفرة المياه ، ولهذا السبب نشط الإقطاع وحاصرت السكان التقاليد القبلية البالية ، وغلب على سكانها طابع التفرقة الدينية المقيتة والحقد على الأقليات ، بسبب الجهل والتعصب والتخلف... ورغم العدد الكثيف المندائي إلا أنهم عاشوا منعزلين ومهمشين...

مرَّت طفولتنا وسط ظروف بائسة ، فالفقر شائع والجهل متفشى والتخلف مستفحل ، إذ كانت البيوت من قصب أو من طين ، تخلو من أية وسيلة ضرورية للحياة... وكانت الأوبئة تحصد الأجساد العفنة ، والنساء كالحات الوجوه ملفعات بالسواد ، مثقلات بالأوجاع... ولادات متتالية تضيق بها البيوت. وبسبب الجهل ، كُنَّ يلجأن للمواد المخدرة (الأفيون) أو (النوام) المهرب من إيران لتخدير الرضع ، للتفرغ للأعمال المنزلية المجهدة... ونجونا بأعجوبة من الموت المبكر وأمراض الطفولة ، والتحقنا بالمدرسة الابتدائية الوحيدة... ولاح شبح بؤس جديد ، تمثل بتخلف المناهج المدرسية ، وتصرفات بشعة من أقراننا التلاميذ المسلمين المشبعين بالأفكار العدوانية المتطرفة ، إضافة لقسوة بعض المعلمين غير المؤهلين للتدريس ، وقسوة هؤلاء التلاميذ جاءت بسبب التربية السيئة لأولادهم ، فبدل أن ينشئوهم على مبدأ المشاركة في الوطن ، والمفاهيم الوطنية الصادقة ، خلقوا فيهم روح الغطرسة ، وأوحوا إليهم بأنهم الأسمى بين البشر ، وأوهموهم بالتفوق العنصري ، والسمو الفكري ، ولهذا نشأوا عدوانيين متشبعين بأفكار متخلفة ، ينكرون حقوق الأقليات والضعفاء ولا يعترفون إلا بأنظمة عشائرية قبلية متخلفة ، وأفكار متحجرة.

ورغم الفقر والحرمان والجوع والضغوط ، تفوقنا ، وأكملنا الابتدائية... وقد تزامنت أعوام دراستنا الابتدائية مع اندلاع أوزار الحرب العالمية الثانية ، فطرقت أسماعنا لأول مرة مفردات لم نكن قد سمعناها من قبل ، مثل: حرية ، تحرر ، تنظيم ، استقلال ، تجمع ، حقوق ، أحزاب ، احتجاج ، إضراب ، مظاهرة ، مسيرة ، انتفاضة ، ثورة... وكنا نجهل معانيها... ثم حان وقت التحاقنا بالمتوسطة في مدينة العمارة ، ومعنى هذا التغرب والابتعاد عن أهلنا ومنازلنا. ورغم الجوع والآلام والحرمان ، اكملنا المتوسطة والإعدادية ، وتطلعنا للالتحاق بالدراسة الأكاديمية... وهنا اعترضتنا قوانين رجعية مقيتة مجحفة سنَّها أصحاب النفوذ والمتسلطون على رقاب الشعب ، وهي ألا يُسمح للأقليات بالقبول في الكليات إلا لطالب واحد في كل فرع سنويًا ، وتلك أقصى أنانية عبَّروا بها عن حقدهم ضد الأقليات ، إضافة إلى حصرهم وظائف الدولة لأنفسهم ، وعدم سماحهم للآخرين إلا بوظيفة معلم أو موظف صحي شريطة موافقة الأمن ، ومعنى هذا قتل أي طموح في نفوسنا... ثم سمعنا بافتتاح دورة تربوية في البصرة ، لحاجة البلد إلى معلمين... وقدمنا وثائقنا ، كنا ثمانية طلاب صابئة من مجموعة ثمانين طالبًا ، وتمَّ قبول ثلاثة منا فقط هم السادة جميل شيخ عبد محيي وشاكر غريب داخل وفرحان حالوب ، وطردوا خمسة منا هم خالد عودة وسبع درباش وناصر مجيد ومسير مهدي ومؤيد مكلف... وتجاه هذا الظلم ، واجهنا مدير معارف البصرة آنذاك (توفيق العينه جى) فطردنا شر طردة قائلاً "أنتم صبة ولديكم مهنة الصياغة ولسنا بحاجة اليكم ، اذهبوا وراجعوا دوائر الأمن"... وهكذا خابت آمالنا ، وضاعت سنة من أعمارنا. وفي السنة التالية تم قبولنا ، فأصبحنا مؤهلين للتعليم الابتدائى... وحاولت التعيين على ملاك مدينة البصرة ، بعد موافقة مدير المعارف فيها ، الوجه التقدمي المرحوم (جواد الجصانى) إلا أن مدير معارف العمارة (عبد الرسول نجم) أبى إلا تعييني في أقصى أهوار العمارة لا لسبب إلا لأنني صابئي ، ويجب أن أخضع لمراقبة الأمن. وبقيت سنيناً طويلة هناك حتى قيام ثورة ١٤ تموز

الخالدة ، وتحرر الشعب من حكم الرجعية ، فنقلت إلى البصرة ثم إلى بغداد ، حيث سنحت الفرصة لإكمال الدراسة المسائية في الجامعة المستنصرية – أدب اللغة الإنجليزية – فأصبحت مؤهلاً للتدريس في المتوسطات... ثم حاولت إكمال دراسة القانون فرفضوا قبولي... كان المندائيون قد تجمعوا آنذاك في بغداد بقدر ازدهار حرفة الصياغة وأصبح لزامًا عليهم تنظيم أنفسهم لتحقيق بعض المكاسب الضرورية للطائفة... وتبنى المرحومان الشيخ داخل الشيخ عيدان والشيخ عبد الله الشيخ سام ، مسألة إنشاء (مجلس التولية) لتنظيم شؤون الطائفة ، وتولت مجموعة خيرة من الصاغة والمثقفين ، على رأسهم المرحوم غضبان رومي ، تنفيذ ذلك ، فتملكت الطائفة مندي الدورة ومقبرة أبي غريب... ثم سعوا وبمؤازرة المتطوعين إلى توسيع مجلس التولية واستبداله (بالمجلس الروحاني). ثم التفتوا إلى أخطر نقطة في حياة الطائفة ألا وهي الاهتمام بالثقافة الدينية والثقافة العامة والتاريخ ، وقد رفع لواءها رجلان ضحيا بكل ما يمتلكان من أجل تحقيق ذلك ، هما المرحومان نعيم بدوي وغضبان رومي ، فنشرا نصوصًا دينية مترجمة للعربية من كتبنا المقدسة ، ثم قاما بترجمة كتب ألفتها المستشرقة (دراور) فأسديا بذلك خدمة لا تقدر بثمن لأبناء الطائفة واستقطبا بعملهما الرائع هذا تحريك جمهرة المثقفين المندائيين الذين شجعوا طراسة شباب مندائيين ، لشد أزر القيادة الدينية... ثم جاء دور حث مئات الشباب المندائيين المثقفين للانخراط في أنشطة المندي والنادي ، فاندفعنا مع إخواننا الآخرين لإظهار الوجه الناصع للطائفة بإصدار مطبوعات تعبر عن أمورها الدينية والاجتماعية ، وعمل كلٌّ من موقعه ، برفد الطائفة بما استطاع من عطاء ، فأصدرنا مطبوعين أحدهما (آفاق مندائية) والأخرى (هينموثا) فسدتا فراغًا ، وأيقظتا روح الإبداع... كما أصدرت كراسًا يحوي أناشيد وتراتيل مندائية دينية هدية للمدرسة المندائية ، تم تلحينها وإنشادها من قبل طلبة المدرسة... ثم أصدرت كراسين يحويان حياة وشعر شاعرين شعبيين مندائيين هما: (سنيجر بن عامر وفدعم بن عبادة) أهدف منها إلى حفظ وإحياء الأدب والشعر

الشعبى... وفي النية إصدار كراريس أخرى لشعراء آخرين... ثم أصدرت مع المهندس لؤي زهرون حبيب كتاب (أنساب العائلة الخمسية). كذلك قمت بتأليف كتاب تاريخي للطائفة بعنوان (أضواء على تاريخ الصابئة المندائيين) وها هو مركون على الرف ينتظر من يهتم به ويطبعه... كما هيأت قصة شعرية طويلة هادفة للأطفال بعنوان (تضحية من أجل حرية وطن مغتصب) وما زالت تنتظر من يطبعها... وما زالت متواصلاً مع (الجمعية العربية) في نيوزيلندا وتزويدهم بمقالات تنشر في مجلة (الجالية) ، كما شاركت مرارًا بإلقاء محاضرات وندوات في نادي التعارف في بغداد ، وفي المندي ، كذلك في قاعة الجمعية المندائية في نيوزيلندا ، ولم أزل أبذل الجهد وأواصل إرسال المقالات الهادفة للنشر في موقع اتحاد الجمعيات المندائية من أجل إفادة أبناء الطائفة.

- **تعقيب:**

الأستاذ مؤيد نسيَّ ذكر ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) وتعاليم النبي يحيى ، واهتم بذكر مآثره ولم يذكر جهود الآخرين الذين أسَّسوا مجلة آفاق مندائية وترجموا أهم كتابين مندائيين: الكنزا ربا ، وتعاليم يهيا يوهانا.

الفصل السادس

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل رجال دينهم البارزين

- دور رجال الدين المشهورين:

اهتم رجال الدين المندائيين بالطقوس والشعائر الدينية ، وبالكتب الدينية التي حافظوا عليها وتوارثوها لعقودٍ كثيرة ، مع التكتم على كثير من المعلومات ، وبسبب الظروف القاسية والمريرة التي مرَّ بها المندائيون خلال تاريخهم وكثرة هجراتهم طلبًا للرزق تارةً، وأخرى حفاظًا على حياتهم ودينهم ؛ خسروا الكثير من كتبهم ومن تراثهم ومن ما دُوِّن عن تاريخهم ، خسروا شيئًا كبيرًا مما يملكون وفي كافة المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية ، فانغلقوا أحيانًا على أنفسهم خوفًا من المجهول ، وانفتحوا على الآخرين أحيانًا أخرى عندما يحسون بالأمان والمساواة والحق والقانون... وفي رأيي أن الكنزابر دخيل عيدان من أكثر رجال الدين في العصر الحديث إيمانًا وعلمًا وأريحية وقوة شخصية وفهمًا للنصوص الدينية وللفكر المندائي.

- **الكنزبرا دخيل عيدان الدموك:**

يعتبر الكنزبرا دخيل من أعلم رجال الدين وأكثرهم سعة وإطلاع ودائرة معلومات ، بحيث عندما أردنا ترجمة (الكنزا ربا) جمعنا نسخاً عديدة، وبالمقارنة وجدنا أن النسخة التي نسخها هذا الرجل الجليل كانت من الوضوح والدقة والأمانة بحيث وقع اختيار اللجنة عليها ، واعتمدت بالترجمة ، وعندما أراد المؤرخ عبد الرزاق الحسني الإساءة للطائفة ، أقام عليه دعوة قضائية واستعان بالأب أنستاس الكرملي كمترجم محلف ، وأدان القضاء الكاتب عبد الرزاق الحسني ، وبعد أن اعتذر وصحَّح معلوماته ؛ سامحه الشيخ الجليل بعد أن اعتذر رسميًا وفي الصحف العراقية... مواقف الشيخ دخيل كثيرة ، وكنا نتمنى أن يسير على دربه أحد أبنائه وأن ينهل من علمه ومن إيمانه العميق ، ولكنهم مع الأسف اتجهوا إلى التعليم الأكاديمي والعلوم العامة.

إنه أحد أبرز أعلامنا المندائية من الذين كانوا سبَّاقين في نشر التنوير الديني المندائي العريق ، وإحدى واجهات تاريخنا المندائي المعاصر ، الشيخ الفاضل الجليل "دخيل عيدان" الذي علَّمنا حُبَ الوطن ومفهوم الانتماء المعاصر لديننا ولغتنا وطقوسنا وأصولنا وثقافتنا المندائية وكيفية اعطائها المقومات الوجودية الدائمة.

ونحن إذ نقدم هذا الشيخ المندائي الجليل لقرائنا ، نرجو أن يكون مفتاحًا ييسر لهم الدخول في باب المندائية الواسع ، ودليلاً يهدى خُطى الجميع ، ونطمح أن يكون اختيارنا لواحد من أهم أعلامنا المندائية الدينية في تاريخ المندائية المعاصر ، ليس للمتخصص بدراسة تاريخنا المندائي ، لأن مثل هذا يتطلب الدراسة المتفحصة لفكر الرجل ومقولاته وتفسيراته وتعليقاته ، أي ما هو متراكم منذ عشرات السنين ، ما هو حاضر أو غائب ومحجوب ومطمور ومغمور عن أنظارنا تحت طبقات النسيان والإهمال ، بل كمرجع لكل ما قدم إلينا شفاهيا يتمثل في خدمات جليلة لأبناء الطائفة أعاد لهم وجههم الحقيقي من خلال سلوك ومواقف متجانسة دينينا ودنيويًا.

نضع بين يدي القارئ إطلالة صغيرة تعريفية نأمل من خلالها من أبنائه ورفاقه وجامعي وثائقه في المساعدة على حفظ تراث هذا الرجل المندائي الفذ في بعض خطوطه من أجل استخلاص الكثير الذي يساعدنا على تكوين رؤية معينة قادرين على استخلاصها في كتاب كامل يتحمل اتحادنا تكاليف طباعته وتوزيعه لرجل كرَّس جُلَّ وقته لدراسة الدين ، وكانت من أسمى غاياته وأهدافه ، التي أطلق عليها الثوابت ، القيام بتعاون جميع الديانات العراقية للحفاظ على القيم الأخلاقية في المجتمع العراقي.

من الصعوبة في حال ذكر الشيخ دخيل عيدان ، بوجه خاص كأحد أبرز الاعلام المندائية في عالمنا المعاصر ، أن نجد طريقة بما يتصل بالرجل ومواقفه وتصوراته وقناعاته وفلسفته ، فقد مضت سنوات طويلة على وفاة هذه

الشخصية المرموقة التي امتلأت بالأعمال والنشاطات الدينية والاجتماعية والاتصالات واللقاءات مع الشخصيات السياسية التي قادت بلادنا في فترات متباعدة امتدت من أيام الانتداب العثماني مرورًا بالحكم الملكي وانتهاءً بالحكم الجمهوري، حيث تعززت علاقاته مع الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم، إضافة إلى المراكز المهمة الدينية والسياسية والثقافية، من أجل إعلاء شأن مكانة الدين المندائي والارتقاء بسمعة الطائفة والدفاع عنها.

إن أهم ما أسداه هذا الكنزبرا الجليل بما حمله من غزارة فكرية وإيمان متبحر للمندائية بطقوسها ولغتها وفلسفتها وتاريخها ومعتقداتها، روحانية الصابئي الملتزم بالحوار من أجل روحانية منفتحة، النزعة الإنسانية لأهل الكتاب، الله الكبير، الله المحبة والتسامح.

ينحدر الشيخ دخيل عيدان من عائلة مندائية عريقة في تاريخها الديني والاجتماعي، يمتد عبر سلسلة من رجال الدين تقدر بثمانية عشر رجل دين (شيخ). ولد بتاريخ ١٨٨١/٤/١٤ في مدينة العمارة، وتوفي يوم ١٩٦٤/٦/٢٤ عن عمر يناهز ٨٣ عامًا. وقد أوصى أن يدفن في باحة داره الكائنة في بغداد / الدورة / المهدي / وقد أصبح مزارًا يؤمه أبناء الطائفة من كل مكان قاصدين ضريحه الذي يضم رفاته الطاهر. وكذلك إخوتنا في الأديان الأخرى يتبركون به، وقد حصل بجهوده على قطعة أرض مساحتها ١٢٠٠م وتقع على شاطئ دجلة في حي القادسية ببغداد قطعة رقم ٢ مقاطعة ١ محلة القادسية إلى طائفة الصابئة لإنشاء معبد عليها، وهذه القطعة أول قطعة أرض تخطط في حي القادسية، وهذا المعبد شيِّد بعد وفاته بعشر سنوات.

لقد نشأ وترعرع في كنف عائلة محافظة تسودها القيم والتقاليد الدينية التي توارثها عبر الأجيال فكان لهذا أثرٌ كبيرٌ في بناء شخصيته وتكوين قيمه الأخلاقية والروحية، تلك القيم والأخلاق التي تمسك بها آباؤه وأجداده محافظين على نقائها وبقائها جيلاً بعد جيل... درس مفاهيم ومبادئ الدين المندائي واللغة

المندائية على يد عمه الشيخ محيي ، وكذلك الشيخ جودة والشيخ داموك عام ١٨٩٢. فقد تعلم اللغة المندائية وألمَّ بها وفهمها فهمًا جيدًا وغاص في بحورها الواسعة ، ولم يتجاوز عمره أحد عشر عامًا ، واستمر بدراسته الدينية على يد الشيخ سام حتى عام ١٨٩٨... قُتِل والده الشيخ عيدان أثناء ذهابه إلى تأدية طقوسه الدينية بمناسبة عيد البنجة عام ١٨٩٣ وكان عمر الشيخ دخيل اثنتي عشرة سنة. كان منذ طفولته على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة ، كما كان ذا مقدرة واسعة على تعلم واستيعاب لغات أخرى وعلى رأسها اللغة المندائية ودراسة كل ما يتصل بالديانة ، فقد تعلم اللغة العربية الفصحى ذاتيًا بدون أن يدخل (الملا) أو المدرسة ، واستمر يدرس ويبحث في اللغة وأصول الدين وفهم الطقوس والشعائر ، والعمل على أدائها على أحسن وجه وبكل دقة وبصورة صحيحة. لقد كان خطه المندائي جميلاً ساعده في استنساخ الكتب الدينية (بيت كنزي) كما حفظ عن ظهر قلب الكتاب المقدس (الكنزا ربا) وعددًا من الكتب الدينية الأخرى. لقد أصبح مؤهلاً لنيل درجة الترميذا عام ١٩٠٤ وكان عمره ٢٣ عامًا في مدينة الناصرية وكسب وهو في بداية شبابه شهرة واسعة لما قدمه من خدمات كثيرة. لقد كان مؤمنًا شديد الإيمان بدينه ، محبًا صادقًا وفيًّا ، فتح قلبه وذراعيه لاحتضان أبناء الطائفة وانشغل بمتابعة أمورهم والقضايا التي تتعلق بمستقبل ومصير الطائفة ، فأخذ على عاتقه لمَّ صفوفها والعمل على تثبيت حقوقها وإبراز هويتها في كل المناسبات والمجالات... بعد التقدم الواضح في حياته الدينية وتكريس جُلِّ وقته لدراسة الدين وأداء الطقوس بكل جدارة نال درجة (كنزبرا) بكفاءة عالية ومقدرة فائقة فاحتل بذلك موقعًا دينيًا واجتماعيًا يليقا به ، وأضحى صاحب سمعة طيبة واسعة عمت جميع أفراد الطائفة في كل مكان وكذلك بين رجال الدين آنذاك... اتصف بالحكمة والمعرفة والأمانة والصدق والشجاعة والكرم وعمق الإيمان وقوته. وكان عادلاً مخلصًا لمبادئه السامية ، هدفه الأسمى هو الدفاع عن الطائفة والمحافظة على سمعتها وسمعة أبنائها. كان يشارك المندائيين في أفراحهم وأحزانهم ويحمل عبء همومهم

ساهرًا من أجل حل قضاياهم ، يزورهم متفقدًا فردًا فردًا في كل مكان يضمهم ، وكان يلبي كل مطالبهم الشخصية والدينية دون مقابل ، مدافعًا عن حقوقهم الدينية والاجتماعية ويقف في وجه كل شخص أو جهة مهما كان موقعها تروم المساس بسمعة الطائفة وديانتها أو التجاوز عليها... كان له دور متميز وواضح في شرح وإيصال المفاهيم والمعتقدات الدينية المندائية إلى كثير من رجال الدين والشخصيات من مختلف الأديان والمذاهب ، وكذلك إلى بعض رجالات الحكم طيلة مسيرته الدينية بدءً من الحكم العثماني مرورًا بالحكم الوطني وحتى الحكم الجمهوري... وبعد ترشيحه من قبل الطائفة المندائية صدرت الموافقة الرسمية على تعيينه رئيسًا روحانيًا لطائفة الصابئة المندائيين في العراق وإيران وبتخويل من الحاكم الملكي العام في العراق اللفتنت كولونيل أ.ن. ولسن... بتاريخ ١٩٢٠ عُيِّن معلمًا لتعليم اللغة المندائية ومبادئ الدين المندائي لأبناء الطائفة حتى سنة ١٩٢٢ من قبل الحاكم العسكرى آنذاك ، وأثناء الاحتلال وعند البدء بافتتاح المدارس لتعليم الأولاد لأول مرة في العراق.

بتاريخ ٣١ آذار عام ١٩١٧ أعطى الحاكم العسكري بالمنتفك (الناصرية) أمرًا بتقديم المساعدة والتسهيلات الممكنة عند الحاجة من قبل كافة المسؤولين في الحكم السياسي إلى الشيخ دخيل رئيس الطائفة المندائية في العراق.

فى عام ١٩١٩ تمَّ تأسيس مجالس بلدية في كل لواء من ألوية العراق ، وبتاريخ ١٩٢٠ تم تعيين الشيخ دخيل عضوًا في مجلس بلدية الناصرية من قبل الحاكم السياسي في الناصرية.

لقد عاش شيخنا الفاضل تجربة تاريخية متميزة تعايشت فيها أديان متعددة وشعب واحد انطلاقًا من مركب غني العناصر يتضمن التجانس والمسار التاريخي المشترك ، إضافة إلى التداخل الجغرافي ، والتواصل الثقافي ، حيث ساهمت كل هذه العناصر في ايجاد حياة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين والمندائيين والإيزيديين واليهود والشبك والكاكائيين والبهائيين ، وغيرهم من

الطوائف الدينية العراقية ، تتجاوز الوجود الفيزيقي لأفراد يعيشون في إطار نطاق جغرافي واحد ، إلى مواطنين يشاركون ويتفاعلون في إطار وطن واحد بغية صناعة التطور والمستقبل كونهم أعضاء في جماعة وطنية واحدة.

لقد رأى ببصيرته المتفتحة أن هذه الجماعة المتعددة تجد في فترات النهوض والتقدم درجة كبيرة من الاندماج والتكامل ، وفي فترات التخلف والقعود والتدهور مثل التي نعيشها هذه الأيام العصيبة، والاحتكاك والصدام. لقد أكد في أكثر من مناسبة بأن المواطنة تعني المشاركة والمساواة والحقوق بأبعادها واقتسام الموارد، والمواطنة شأنها شأن أي عنصر من العناصر المكونة للعملية السياسية في إطار العلاقة بين الحكام والمحكومين ، تتأثر أيجابًا وسلبًا بالمنظومة المجتمعية العامة ، وعليه فهو يرى أن المواطنة تعد محددًا مهمًا بالنسبة لموضوع العلاقة المتكافئة بين الديانات العراقية كافة، أي أن المواطنة تعني تجاوز مفهوم الطائفية والملة والذمة ، حيث أن الوطن يستوعب كل ما سبق، كما تتجاوز المواطنة بما يترتب عليها من نتائج.

تحية لهذا الرجل الخالد الذي نعاهده بأننا سنبقى كما أراد، ونطالب باسم الاتحاد جميع الأخوة والأخوات في الداخل والخارج بتزويدنا بكل ما يتوفر لديهم من معلومات ووثائق لغرض جمعها وتنسيقها من أجل إصدار كتاب خاص عن الرحلة المجيدة في حياة هذا الرجل التي وصلت درجة احترامنا ومحبتنا له حدَّ التقديس.

- **الكنزبرا نجم زهرون:**

رجل دين معروف ومشهور، قدم مع عائلته من إيران إلى مدينة البصرة وأخذ يمارس الطقوس الدينية في قلعة صالح، بعدها انتقل إلى مدينة البصرة وأسَّس مركزًا دينيًا، وشارك مع وجهاء البصرة في بناء مندائي البصرة، بعدما تبرع المحسن عبد الجبار سيف رحمه الله بالأرض الواقعة على نهر الطويسة.

الكنزبرا نجم ذو علم ومعرفة واسعة بالدين وبالعوائل المندائية أحسابها وأنسابها كان مرجعًا كبيرًا في هذا المجال يرجع إليه الكثيرون لمعرفة أصولهم. بذل جهودًا كبيرة ليوسع دائرة معلوماته وليساعد الباحثين والمستشرقين على فهم واستيعاب التاريخ والفكر المندائي، وأبدى تعاونًا وثيقًا مع المستشرقة الإنجليزية الليدي دراور وزودها بالوثائق والمخطوطات التي اعتمدتها كبرى الجامعات والمكتبات في العالم... كان صديقًا حميمًا لمس دراور، وكان المنهل الذي تنهل منه هذه المستشرقة النشطة، فلقد زودها بالكثير من المعلومات والشروحات والكتب والمخطوطات، ولقد لازمته فترة طويلة عند زيارتها للعراق وحضرت مجالسه واستمعت إلى شروحه وتفاسيره وقراءاته ورسمت وصورت له الشيء الكثير، كان الشيخ الجليل يعتبرها أخته بالعهد (الكشطا) وكان يخاطبها بذلك.

تشير البروفسوره بالكي وريثة دراور بنشر وتوثيق الفكر المندائي أن أكثر من نصف الوثائق والمخطوطات المحفوظة في مكتبة بولدين في جامعة أكسفورد البريطانية وعددها ٥٤ مخطوط مدونة على يده الكريمة، وله الفضل بانتشار هذه الوثائق التي يستفاد منها الباحثون والمستشرقون.

لقد قام بطرسه (تكريس) ثلاث رجال دين مهمين: ولده الشيخ عبد الله عام ١٩٤٥ والشيخ خلف جثير عام ١٩٦٦ والشيخ غازي خلف ١٩٧٠.

كان الشيخ نجم رجل دين جليل ذا علم غزير، مهابًا ذا صوت جهوري... توفي عام ١٩٧٦ في البصرة ودفن في مندي الطويسة، وما زال قبره شاخصًا عند مدخل المندي.

- **الشيخ عبد الله نجم زهرون:**

وُلِد عام ١٩٢١ ، وكرس كرجل دين عام ١٩٤٥ بدرجة ترميذا على يد والده الكنزبرا نجم ، لقد رافق أباه زمنًا في أداء الطقوس الدينية وتتلمذ على يده وتعلم إجراء الشعائر الدينية ودرس العلوم الدينية ، فخلف والده في مركزه الديني بعد وفاته في مدينة البصرة.

بعد وفاة الشيخ عبد الله الشيخ سام في بغداد دعاه وجهاء الطائفة للانتقال إلى بغداد ليكون رئيسًا روحانيًا للطائفة ، فقدم مع عائلته إلى بغداد وسكن أول الأمر في السيدية ثم استقطعوا قطعة أرض في مندي القادسية فبنى له بيتًا استقر وعائلته فيه.

فى زمانه شكلت الطائفة المجلس الروحاني الأعلى بالتنسيق والموافقة من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، وصدر مرسوم جمهوري بتعيينه رئيسًا روحانيًا للصابئة المندائيين في العراق والعالم.

ضمَّ المجلس الروحاني عددًا من رجال الدين وعددًا من وجهاء الطائفة وتم تنظيم العمل وفق نظام داخلي معتمد وسياقات عمل معمول بها ، ولكن أمر التعيين بالمجلس والإعفاء أو الفصل كان بيد رئيس المجلس فهو الذي يختار من يريده وهو الذي يعفي من لا يريده.

حصلت مشاكل عديدة وخلافات لا نريد الخوض فيها ، أسفرت عن تشكيل مجالس العوائل بكل عائلة لها الحق أن ترشح أو بالأحرى تنتخب واحدًا من مجلس العائلة يمثلها في المجلس الروحاني الأعلى ، هذا الأمر أعطى قوة شخصية لعضو المجلس الروحاني.

بسبب خلافات حادة داخل المجلس بين أعضائه ورئاسته عن كيفية التخطيط والعمل والتطور المطلوب ، احتدم الخلاف ، وخاصة بعد أن بادر أعضاء المجلس إلى اعتماد نظام داخلي جديد للصابئة المندائيين أسس بموجبه ثلاث

مجالس (مجلس روحاني عام يضم كافة رجال الدين ويختص بالأمور الدينية حصرًا ، ومجلس الشؤون العامة ومهامه كافة الأمور الإدارية والثقافية والاجتماعية والمالية والمدرسة المندائية والمحكمة الشرعية المندائية ، ومجلس عموم الطائفة الذي يصادق على الخطط ويحل الخلافات التي تنشأ بين المجالس) ومجلس العموم يراقب كل الأعمال ومن حقه مراقبة ومحاسبة وإعفاء أي عضو بما فيهم رئيس الطائفة.

لقد قرر مجلس شئون الطائفة ومجلس عمومها بضرورة ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية ، فاعترض رئيس المجلس ورئيس الطائفة على ذلك ، وكان مجلس الشؤون الذي يضم كفاءات وشخصيات مرموقة وقوية قد اختلف في أمور كثيرة مع رئيسه منها النظام الداخلي وبعرض مواده التي لم يوافق عليها رئيس المجلس ومنها إشكالات وقرارات للمحكمة الشرعية المندائية وأمور أخرى سببت بمكاشفة مجلس الشؤون الرئيسية بأوجه الخلاف وبتجميده ، ويعقد جلسة لمجلس عموم الطائفة بالتصويت على إعفاء رئيس الطائفة من منصبه بأغلبية الثلثين كما ينص النظام الداخلي.

تم إعفاء رئيس الطائفة من منصبه بالأغلبية وانتخب بديلاً عنه الكنزبرا ستار جبار حلو ، وطويت صفحة وفتحت صفحة جديدة ، نشطت معها الحركة الثقافية فترجمت (الكنزا ربا) وتعاليم النبي يهانا وعدد آخر من الكتب، وأنشأت المدرسة المندائية ، وتطورت مجلة آفاق مندائية ، وأنشأت أرض التعميد ، وتطورت العلاقة بين مجالس الطائفة ووزارة الأوقاف ، وتوطدت الأواصر بين مجلس الشؤون والعوائل المندائية والطوائف العراقية المتآخية في الوطن.

لقد خدم الكنزبرا عبد الله طوال عمره الدين المندائي وتمكن من تكريس سبعة رجال دين من بينهم ولده الترميذا رافد فتأهل لأن يكون بمرتبة ريش أمة (رئيس أمة) وهذه مرتبة متقدمة لم يشغلها أحد منذ مئات السنين.

في عهده حصل نوع من التطور فاعتمد التعميد الجماعي بدل الفردي، واعتمد التعميد في الاحواض بدلاً من مياه النهر على شرط أن يكون لماء الحوض مدخل ومخرج ليكون جاريًا، وطلب منه أن يحلل ماء الحنفية ليشرب منه رجال الدين فتردد كثيرًا ولم يوافق قائلاً يجب أن يجتمع كل رجال الدين في هذا المندى ويوافقوا ويشربوا أمامي مرة واحدة حتى لا يقال إنى وحدي اتخذت القرار.

كذلك في زمانه عندما كان رئيسًا للمجلس الروحاني الأعلى زار عدد من أعضاء المجلس الفاتيكان والتقوا مع قداسه البابا يوحنا بوليص الثاني عام ١٩٩٠ وتم تنسيق بعض المواقف ولكن لم تستثمر هذه الزيارة.

لقد هاجر الشيخ عبد الله إلى إنكلترا واستقر فيها زمنًا وعندما مرض بسبب الشيخوخة واشتد عليه المرض استقر عند ولده الشيخ رافد في هولندا، ووافاه الأجل فيها.

رحم الله أبا حاضر الذي خدم الدين المندائي والمندائيين فترة طويلة وأعطى الشيء الكثير وكرس لأبناء الطائفة الترميذا رافد ولده رجل الدين النشيط والملتزم والمثقف والمحب لدينه وطائفته.

- **الريش أمة / صلاح طاووس الكحيلي:**

لم ألتقِ به ولا أعرف عنه شيئًا كثيرًا، وكل ما أعرفه عنه أنه رجل دين ورع من عائلة مندائية خدمت الدين المندائي والمندائيين في عربستان خدمة جليلة، حاليًا مستقر في أستراليا في خدمة أبنائه الصابئة المندائيين والكل يشيد بإيمانه العميق وتمسكه الشديد بتعاليم الدين المندائي ويعتبر مرجع ديني مهم في الوقت الحاضر.

لقد ورد ذكره في المجلس المندائي العدد السابع (رجل دين مندائي من إيران): نقتطف شيئًا مما ورد:

رجل دين مندائي فاضل، إيرانى الجنسية من سكنة عربستان، تم تكريسه في العراق، من قِبَل الكنزبرا الجليل عبد الله سام في بغداد، والده رجل دين ورع واسع الإطلاع ملتزم بتعاليم الدين المندائي الكنزبرا جبوري الطاووس.

الكنزبرا صلاح يعيش حاليًا في أستراليا يخدم المندائيين ويجري لهم كافة الطقوس الدينية، وهو رجل دين متميز يؤدي عمله بهمة عالية، وموضع احترام وتقدير المندائيين والأستراليين، ويعتبر من المتمرسين في فن الصياغة.

ولد عام ١٩٥٢ في الأحواز وكرس عام ١٩٧٦ في بغداد... أجرى معه حوارًا الأستاذ جمال المباركي مدير تحرير مجلة الصابئة المندائي الصادرة عن الفيدرالية المندائية في هولندا، وسأله عن السبل الكفيلة للحفاظ على الهوية المندائية بعد هذه الهجرة الواسعة للصابئة المندائيين في شتات الأرض فأجاب: ضرورة التنسيق والتعاضد بين الجماعات المندائية ورجال الدين المتواجدين في هذه الدول وزرع الإيمان في نفوس أطفالنا وتعليمهم اللغة المندائية ومبادئ الدين المندائي والتحدث بها في الأوقات المناسبة في البيت وفي الجلسات الخاصة يوميًا وفي كل المناسبات الدينية... إن دور الأم والأب ضروري جدًا

لأنهما المدرسة الأولى في حياة الطفل ، فالتمسك بتقاليدنا وطقوسنا والتشجيع على ممارستها يوميًا يعد من أوليات هذه المسؤولية.

وأجاب على سؤال آخر بما يلي:

لم تكن النزاعات الفردية في يوم من الأيام من مصلحة أي تجمع أو طائفة أو دين ، لذا أرى في تجمعنا ووحدة كلمتنا قوة لنا ، وأن نسعى دائمًا لبناء هذا الهرم الذي نطمح أن يكون تأسيسه على أساس مدروس وقوي ومتين ، يليق بنا كطائفة لها تاريخها المجيد ، تريد منه أن يكون موحد الكلمة المندائية ، سواء كان بالداخل وأقصد الوطن الأم ، أو بالخارج أمام جميع المنظمات الدولية ، أو الإنسانية.

وحول سؤال عن العلاقة مع الديانات التوحيدية ، أجاب:

نحن نلعب دورًا مميزًا في إجراء حوارات دينية مع أبناء الديانات الأخرى ، المسلمين والمسيحيين ؛ لتعريفهم بأصول الديانة المندائية ، كما نساهم بشكل مباشر مع ممثلي الجمعيات المندائية بمشاريع مختلفة لخدمة أبناء الطائفة ، نحن نمارس دورًا فاعلاً في مختلف المجالات التي تصب في خدمة المصلحة العامة.

وأكد أنه من مناصري الهجرة في حالة عدم توفر الحماية للحقوق المدنية والشرعية والسياسية لأبناء الطائفة ، وحمايتهم من الاضطهاد والإبادة ، كما أثنى على الحد من الهجرة التي لا تحافظ على الهوية المندائية ، وتؤدي بالتالي إلى الذوبان والانصهار في المجتمعات الأخرى ، فهي في هذه الحالات لا تختلف عن حالة الاضطهاد والقهر في الوطن الأم.

- **الريش أمة / ستار جبار حلو:**

شيخ جليل وإنسان فاضل، طوَّر نفسه كثيرًا ونهل من الكتب الدينية منهلاً كبيرًا ووسع دائرة معلوماته، وهو من أخيار الطائفة ومن وجهائها، شديد الإيمان رغم أنه لم ينشأ في عائلة تمارس الطقوس والشعائر الدينية وإنما في عائلة مؤمنة تلتزم بتعاليم الدين المندائي، فلم يكن والده رجل دين رحمه الله. اعتمد الرجل على نفسه وثقف نفسه بنفسه وكرس مع عدد من رجال الدين سوية كان أكثرهم اتزانًا وحكمة وعلمًا، رجل هادئ الطباع كثير الاستشارة يحب رأي الجماعة ويؤيد رأي الأغلبية دائمًا.

عرفته عن قرب وعملت معه، فوجدته مخلصًا لدينه ولأبناء طائفته، فتم انتخابه من قبل مجلس العموم رئيسًا روحانيًا للطائفة بعد إعفاء الريش أمة عبد الله نجم رحمه الله من منصبه.

شغل منصبه بكل أمانه وثقة وكان موضع احترام الجميع على مستوى أبناء الطائفة أو إخواننا المسلمين والمسيحيين، ولقد بنى جسور محبة وعلاقات وطيدة ممتازة مع الجميع.

له مقال نشرنه مجلة هيمنوثا التي تصدر في بغداد نقتطف شيئًا منه:

الكثير من الصابئة المندائيين يتذمرون من الصلاة (البراحة) ويقولون إنهم راضون لأن ضمائرهم راضية بعمل الخير بقدر ما تسمح به الظروف، لأننا مبتعدون عن ارتكاب الكبائر كالقتل والزنا والسرقه، وغيرها من الأمور. ولكن فاتهم أن كل هذه الأعمال الحميدة لن تسجل لهم ولن تمهد الدرب الطويل في آخرتهم، ما لم تُنقى وتصقل لتعطى أريجًا فواحًا زكيًا بإطاعة الله الكاملة بالصلاة، فالصلاة هي تحول روحي ونفسي في كيان الفرد وضميره يضع ثقتنا الكاملة بالحي العظيم، ونعبِّر عن عبادتنا له ونعترف له بأخطائنا ومساوئنا ونطلب منه الغفران، ونعبِّر له شفويًا عن اعتمادنا الكامل عليه، فعندما يملك

الله جلَّ شأنه كل حياتنا ودواخلنا ، ونجدِّد له بكل صدق وخشوع هبة ، تكون هذه هي العبادة الصحيحة بأن نضع الحي في المكان الأول في قلوبنا.

فلا تشغلنا ملذات هذه الدنيا الزائلة ، فالإيمان يشبه البذرة الخفية عن الأبصار في التراب ، تنبت بعد أن تجد الظروف الملائمة لها فتشق طريقها إلى أعلى وهي تزيح التربة بقوتها ، فيجب أن نحدث تقلبا كاملاً وشاملاً في كياننا ونعيد حساباتنا ونوازن الأمور ونعدِّد النعم الكثيرة التي أنعم بها الخالق علينا في المال والبنين والصحة والسلامة وغيرها.

فالذي نحتاجه تطهير داخلي جذري في كياننا وضميرنا ، وعندما نجد الحقيقة ، نبدأ بتغيير الجذور الرديئة التي في دواخلنا لتغيير الثمار ، لأنه من الثمرة تُعرف الشجرة الجيدة.

وإليكم المحاورة التي جرت بين النبي سام بن نوح (ع) وبين قوى الظلام ، والتي حاولت هذه القوى استمالته بإغراءات ومحاولات كثيرة ، ولكنه اتجه إلى ربه وقال "انتهى قدري بالحياة والتمس الذهاب. لم أعرف أين اتجه. ويخيفني الرحيل ولن أعرف كيف سيكون طريقي ليس من الخيرين ولا من السيئين ، غادر ثم عاد وسأل عن كل من حمل زوادة سفره معه عندما يصل المعبر سيعبر ، وكل من لا يحمل زاد التقوى معه يجلس مرتقبًا المصير حتى يشيب شعر رأسه وهو يترجى الذهاب مثل الذي يترقب وقت حصاد الزرع.

حالما شاهدته قوى الظلام (الشياطين) استعدوا وتسلحوا وقالوا: أتذهب أيها الرجل؟ اعطنا رأسك ثم غادر أيها الرجل لعلك تعود إلينا ثانية. رأسي لن أعطيكم إياه ، لأن رأسي رسمت عليه علامات الحياة ، وعيناي لا أسلمها لكم لأنهما مملوءتان بالنور ، ولا أذناي ، لأنهما تسمعان قول الحق ، ولا روحي لأنها مملوء بالحق ، ولا يداي لأنهما توزعان الصدقات ، ولا عقلي لأن فيه تسكن المعرفة (مندا) ولا ركبتاي لأنهما تسجدان للحي العظيم ، ولا قدماي

لأنهما تسيران في طريق الحق، وعلى طريق الحق ستصعدون وترون محطات النور. والحى مزكي وأبدي.

هذا المقال نشرته مجلة هيمنوثا الصادرة عن المجلس الروحاني العام في حزيران عام ١٩٩٨ العدد ٣ ص٩.

وله مقالات أخرى ومقابلات عديدة نكتفى بهذا القدر.

- **الشيخ هيثم مهدي سعيد :**

شابٌ ذو همة عالية ومعرفة واسعة وإيمان راسخ ، عرفته في بغداد عندما كان يعمل في الصحافة ، وعرفته بعد أن أصبح رجل دين بدرجة ترميذا ، وكنت مندهشًا من أفكاره ، فتارةً تجده رجل دين متطور يحمل أفكارًا متجددة ، وتارة تجده متزمتًا لا يحب التجديد ولا يريد إدخال تحسينات بحجة أنها جوهر الدين.

ولكن الحق يقال إنه عقلية ناضجة ، يملك دائرة معلومات جيدة ، وباحث متمكن ومتحدث لبق ، ورجل دين مسؤول ، كنت أتمنى أن يكون حاله منسجمًا مع الكنزبرا صلاح في أستراليا ليمنح أحدهما الآخر القوة والخبرة ، ولكنهما مع الأسف افترقا ، فعمل الشيخ هيثم مع الأستاذ الفاضل ماجد فندي المباركي في مركز البحوث المندائي وأسس له كيانًا خاصًا به وله مريدوه ومحبوه.

لقد اشترك في بغداد مع الترميذا سالم رحمه الله بطراسة خمسة رجال دين مرة واحدة في دار المندائي عبد الانير خضر فليفل الذي تحمل التكاليف كلها واعتمدوا رجال دين بدرجة ترميذا من قبل الرئيس الروحاني الطائفة في حينها الريشما عبد الله وبذلك يكون قد ساهم بتكريس خمسة رجال دين مرة واحدة وبفترة قصيرة محدودة ، وهذه تحصل لأول مرة في حياة أبناء الطائفة ، وهذا عمل غاية في الصعوبة ويحتاج إلى جهد كبير ومال كثير.

ولقد كتب الترميذا هيثم مقالاً بهذا الخصوص جاء فيه:

إن دين الصابئة المندائيين خمرة في الأرض ، بهم بدأت الحياة وبهم تنتهي ، لذلك كلما ضعفت الداره وتدهورت أرسل لهم الحي العظيم مددًا من رجاله المؤمنين الصادقين يسندون الدين ويقومونه ، يحيونه من جديد ويسيرون فيه على خطى أبيهم الأول آدم ورسالته الأولى ، ويستطرد قائلاً.

لقد تركت تجربتنا هذه أثرها الواضح في الطائفة ونحن نجني ثمارها الآن شيئًا فشيئًا ، حريٌّ بنا اليوم أن نواصل العمل ونوزع بذور الخير التي لا بد أن تنبت

إذا ما توفرت لها الأرض الصالحة لنموها. فدعوها تنمو وترتفع فواكه طيبة متنوعة وجميلة نضرة لتتذوقوا منها ، فتهبكم الصحة والقوة والإيمان ومحبة الكشطا كما ذكر ذلك أبونا يهيا يهانا - مبارك اسمه - حينما جدَّد الدارة بعد ضياع ، وها نحن بتآزرنا ووعينا ومحبتنا أعدناها من جديد... والحي مزكى ويزكى جميع الأعمال.

وللترميذا هيثم مقالات عديدة نشرت في مجلة المفكر المندائي الصادرة عن مركز البحوث المندائية في سيدني أستراليا الذي يشرف عليه الأستاذ ماجد المباركي.

الفصل السابع

إنصاف الصابئة المندائيين
من قِبَل شخصيات مندائية مرموقة

- **أ.د / عبد الجبار عبد الله:**

أستاذ دكتور وعالم فيزيائي ، مبدع ذائع الصيت ، وُلِد في مدينة العمارة قضاء قلعة صالح ، بدت عليه علامات النبوغ والعبقرية مبكرًا فكان الأول في كل مراحل دراسته ، أرسلته الدولة ببعثه دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، بعدها أرسل في بعثة دراسية إلى أمريكا وحصل على الدكتوراة في وقت قياسي.

قدَّم للبشرية بحوث ونظريات بحدود ثلاثين نظرية ، منها:

١. نظرية الأمواج الجوية.
٢. مشكلة تكون الأعاصير الحلزونية المدارية.
٣. التأثير الميكانيكي لاندفاع هواء بارد في تكوين الإعصار الحلزوني.
٤. حدوث ونمو وتكامل الزوابع والأعاصير.
٥. النغمة الموسيقية المنبعثة من الإعصار.
٦. طبقات السحب المختلفة الكثافة في الجو المستقر.
٧. فيزياء الضباب.
٨. بحث لدراسة قلب الإعصار (عين الإعصار).

يعتبر أ.د. عبد الجبار عبد الله مؤسس جامعة بغداد من العلماء المشهورين في العالم حيث دخل اسمه أكبر المعاجم العلمية. كان تربويًا يؤمن بدور العلم في تطوير حياة الإنسان إيمانًا مطلقًا ، كما يؤمن بالإنتاج والإبداع البشري ، وأن خير مقياس لغرض تقدم المجتمع مقدار ما ينتج فيه من بحوث علمية وإبداعات معرفية. رغم أنه ولد عام ١٩١١ في عائلة دينية لكنه كان علمانيًا علميًا يحب الثقافة والعلم والتطور ، والناس عنده كلهم سواسية فلم ينتمي لفئة سياسية ولم يتعصب لجهة دينية. فكل مؤلفاته ومقالاته وبحوثه علمية رغم شغفه بالأدب وحبه للشاعر الكبير الجواهري.

- نحن نُسمَّى صابئة مندائيون

هكذا استقر الحال هذه التسمية المحببة إلى نفوس الصابئة المندائيين. وكلنا يعرف معنى كلمة صابئة أي المتعمدون الذين يصطبغون بالماء الحي الجاري لنقاء النفس وطهارة الجسد ، كذلك تعرفون معنى كلمة "مندائيون" أي "معرفيون" يستخدمون عقولهم وقلوبهم في معرفة الأشياء ، وهكذا عرفوا الحي العظيم ووحدوه قبل كل الناس.

هكذا قوم يكون للإنسان شرف الانتساب إليهم ويتباهى بهم ولوضع ما ذهب إليه عدد من الباحثين من الشرق والغرب بأننا بقايا السومريين فهذا شرف آخر من حقنا أن نتباهى به ، فالسومريون بناة الحضارة الإنسانية وأول من علم بالقلم ومخترعو العجلة (الدولاب) الذي أحدث ثورة في كل مجالات الحياة. وأول من سنَّ القوانين ونظَّم الجيوش وأنشأ المكتبات ، وآثارهم في أور وفي اللوفر وفي بريطانيا وألمانيا وغيرها من متاحف العالم تدل عليهم ، والصابئة المندائيون منهم يحملون تلك الجينات التي كمنت في عصور القهر والاضطهاد ، ولكنها متى ما تهيأت الظروف المناخية المناسبة للإنبات نمت وأزهرت وأثمرت وأعطت... فهؤلاء بيت قرة ، وبيت الصابئي من أهل حران نبغوا في عصر ازدهار الحضارة العباسية وبرعوا في الطب والفلك والعلم والأدب حتى ذاع صيتهم ووصل الآفاق حتى قال الشاعر في رثاء ثابت بن قرة.

أَلا مَــا خَــلا الله كــلُّ شــيءٍ مائــتُ   ومَن هَــاجَر يرتجــي ومَــن مَــاتَ فَائــتُ

نَعَينَــا العُلُــومَ الفَلســفيَّات كلهــا   خَبَــا نورُهــا إذ قِيــل مَــاتَ ثَابِــتُ

وهذا الشريف الرضى يرثى أبو إسحاق الصابئي:

أعلمْــتَ مَــنْ حَمَلُــوا علَــى الأعْــوَادِ   أرَأيْــتَ كَيْــفَ خَبَــا ضِــيَاءُ النّــادِي

جَبَلٌ هَوَى لَــوْ خَــرّ فــي البَحــرِ اغتَــدى   مِــنْ وَقْعِــهِ مُتَتَــابِعَ الأزْبَــادِ

مــا كنــتُ أعلــمُ قبْــل اليــومِ   أنَّ الثَّــرَى يَعْلُــو عَلَــى الأَطْــوَادِ

وفى زمن ثورة تموز المجيدة عندما هبت رياح الخير والحرية وفتحت مسارات تقدميه تبشر بالخير والرفاه برز فارس مندائي عملاق وعالم فيزيائي فذ عراقي سومري صابئي مندائي هو الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي قدَّم للعالم أجمع نظرياته التي أدهشت العلماء وخدمت العلم والبشرية ومنها تحديد مركز الزلزال وتحديد مركز سوناي ومعرفة حدوثه قبل أن يتعاظم ويسبب كوارث إنسانية عظيمة، وعندما أطفأت قوى الظلام شعلة تموز أطفأ معها هذا السراج المنير... ولكن تبقى الجينات السومرية فعالة فنبغ آخرون في العلوم وفي الطب وفي الأدب يصعب عددهم الآن، وكلما ازدادت مساحة الحرية وسقيت بماء المكرمات نبتت شتلات من الآس والزيتون هنا وهناك. علماء وأدباء وشعراء ومهندسين وأطباء وأكاديميين وصناع مهرة في صناعات فنية دقيقة وراقية.

- وقدم خدمات جليلة لبلدة العراق وسمعه طيبة لأهله الصابئة المندائيين عندما أسس جامعة بغداد العريقة كأول جامعة عراقية على أسس علمية سليمة واعترفت بها المراكز العلمية وجامعات العالم لكفاءتها وكفاءة مؤسسها ورئيسها.

- وهو في أوج عطاءه نقل جثمانه الطاهر إلى بغداد وسار خلف نعشه عقول وقلوب العراقيين، ولسان حالهم يقول:

وما ميتة جبار ميتة واحدٍ ... ولكنه بنيان قومٍ تهدما

▪ حمودي مطشر الهلالي:

ولد في محافظة ميسان ناحية المشرح عام ١٩٤٢م ، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية. تعلم في مدرسة الحياة من خلال تاريخ نضال طويل مع إخوانه المتقدمين فاتسعت دائرة معلوماته ومنحه ذلك شخصية مرموقة يحبها الجميع... كريم نفس ويد ، حلو المعشر صديق صدوق ، أمين دقيق يحفظ الأمانة ويكتم السر ، وبسبب هذه المواصفات العالية اختاره مجلس الشؤون العام ليكون رئيسًا للجنة الاجتماعية ثم رئيسًا للمحكمة الشرعية المندائية التي أشرف على تأسيسها عام ١٩٩٦ وجعل قراراتها الصائبة موضوع تقدير واحترام المندائيين ودوائر الدولة المسؤولة والمصادقة عليها من قبل المحاكم العراقية المتخصصة في وزارة العدل.

كان حمودي عضوًا بارزًا ونشطًا في مجلس شؤون الطائفة وقبلها في المجلس الروحاني العام ، ولهمته العالية وكرمه المتميز مُنح عدد من شهادات الشرف والتقدير تثمينًا لجهوده في خدمة أبناء طائفته ورفعة وعلو شأن الدين.

لقد كان عضوًا رئيسيًا للجنة العليا لترجمة الكتاب المقدس المشكلة من السادة: بشير عبد الواحد ، حمودي مطشر ، داخل يوسف عمارة ، نزار ياسر صكر ، وسخر مزرعته في بغداد لضيافة كافة أعمال الترجمة معنويًا وماديًا ولمدة أربع سنوات متتالية.

صاحب عائلة كبيرة مكونة من ست بنات وولد وعدد من الإخوة والأخوات ، انتقل وعائلته بعد الأحداث التي عصفت بالعراق عام ٢٠٠٥ إلى أربيل ليمارس مهنته التي أحبها ؛ الصياغة ، واستقر في عين كاوه سكنًا وفي أربيل سوق الصاغة.

ساهم مساهمة فعالة في تنظيم عمل أبناء الطائفة فأسسوا منتدى وجمعية ثقافية في أربيل مستفيدًا من خبرته التي اكتسبها بالعمل الدءوب في صفوف أبناء الطائفة ومؤسساتها سنين طويلة.

- **غضبان رومي الناشي:**

ولد عام ١٩٠٥ في قلعة صالح محافظة العمارة، وكان يعيش في القلعة عددٌ كبيرٌ من العوائل المندائية على نهر دجلة. أكمل دراسته الابتدائية فيها، دخل بعدها دار المعلمين الابتدائية ويعتبر أول معلم وموظف مندائي يتم تعيينه في الدولة العراقية. وكان العالم الفيزيائي الدكتور عبد الجبار عبد الله من طلابه المجتهدين. أسندت له وزارة المعارف عدة مسؤوليات تربوية منها تأسيس مدرسة الكحلاء والمدرسة الشرفية وفي عام ١٩٢٦ أسس جمعية المعلمين.

فى عام ١٩٢٧ انتقل إلى مدرسة السنية في العماره معلمًا ثم مديرًا، أسَّس مركزًا صحيًا في مدينة العمارة في متوسطه العمارة الفتية.

في ١٩٣٧ انتقل إلى مدينة البصرة وعمل مدرسًا للغة الإنجليزية في مرحلة المتوسطة، ثم نقل إلى الكوت وأمضى فيها سنتين، ثم إلى بعقوبة حيث أمضى ثلاث سنوات، واستقر في بغداد عام ١٩٥٠م مدرسًا لمادة اللغة الإنجليزية في مدرسة المأمونية، ومن ثم في مدرسة تطبيقات دار المعلمين في الأعظمية.

عام ١٩٥٢ أرسل في بعثه دراسية إلى بيروت، وعند عودته عين في مدرسة الغربية حتى عام ١٩٦٣ حيث أحيل على التقاعد.

قدم خدمات جليلة للصابئة المندائيين وأهمها نشر اللغة المندائية والفكر المندائي وله نشاطات متعددة ومقالات كثيرة وله عدة مؤلفات أهمها ترجمة كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون) مع الأستاذ نعيم بدوي.

ساهم مساهمة فعالة في تأسيس مجلس التولية عام ١٩٧٥، لغرض جمع شمل المندائيين والحفاظ عليهم من التشتت. وتمَّ تكريمه من قِبل مجلس شؤون الطائفة عام ١٩٩٧م، ومُنِح شهادة الشرف والتقدير ووسام الآس، لدوره وجهوده وخدماته البارزة والمشهودة من أجل إعلاء شأن الطائفة والدين المندائي.

- **ناجية غافل المراني:**

ولدت عام ١٩١٨ في محافظة العمارة وأكملت فيها الدراسة الابتدائية. ثم انتقلت إلى بغداد لتدخل دار المعلمات وتخرجت منه عام ١٩٣٥، عملت مدرسة ومديرة في مدارس البنات لمدة ٢٧ سنة، خلال خدمتها أكملت الإعدادية في المدرسة الجعفرية المسائية، أحيلت على التقاعد عام ١٩٦٣، بعدها واصلت دراستها الأكاديمية وحصلت على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزى، وفي عام ١٩٧٠ حصلت على شهادة الماجستير من جامعة بيروت.

لها عدة كتب وبحوث أهمها كتاب "مفاهيم صابئية مندائية" صدر عام ١٩٨٢، ولها مقالات عديدة ومحاضرات كثيرة... كرمت من قبل مجلس شؤون الطائفة عام ١٩٩٧ بشهادة الشرف ووسام الآس تقديرًا لجهودها ودورها البارز في إعلاء شأن الطائفة والدين المندائي.

تقول الأديبة ناجية:

إن موطن المندائيين العراق (وادى الرافدين)، وهم يدينون بشريعة آدم وأولاده وأحفاده، هاجر خلق منهم إلى حران ومنها إلى فلسطين، وتعلموا تعاليم يحيى بن زكريا في حوض نهر الأردن. وعندما تعرضوا للاضطهاد عادوا إلى حران ومنها إلى جنوب العراق، وهذا ما يؤكده كتاب حران كويثا.

وتؤكد لنا الأستاذة ناجية أن فكرة توحيد الصابئة المندائيين هي فكره حضارية راقية حيث تثبت الموسوعات العلمية والآثارية أن بلاد الرافدين منشأ الحضارة الدينية والدنيوية.

- **الدكتور/ قيس مغشغش السعدي:**

ولد في قضاء سوق الشيوخ محافظة الناصرية عام ١٩٥٢ وأكمل فيها دراسته الابتدائية ، وفي بغداد أكمل المتوسطة ثم عاد إلى الناصرية ليتخرج من دار المعلمين عام ١٩٧٠. عين معلمًا في مدرسة المنصور التأسيسية عام ١٩٧٢ ، وواصل دراسته في كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية فتخرج منها عام ١٩٧٨ بدرجة امتياز. وحصل على الماجستير في علم النفس التربوي عام ١٩٨١ وواصل دراسته فحصل على الدكتوراة من جامعة بغداد اختصاص تكنولوجيا التعليم عام ١٩٨٩.

له عدة بحوث ومؤلفات قيمه والعديد من المقالات المنشورة وعمل بجد ومثابرة وهمة عالية في جميع مؤسسات الطائفة وكان موضع احترام وتقدير الجميع لكفاءته وسعة إطلاعه وحلاوة حديثه وقدرته على تسيير الأمور وكفاءته الإدارية العالية.

انضم للمجلس الروحاني الأعلى عام ١٩٨٠ وأصبح أمينًا للسر ، وفي عام ١٩٩٤ عين نائبًا إداريًا لرئيس الطائفة لعب أدوارًا في تنظيم وإدارة العديد من الندوات والمحاضرات والمناظرات في قاعة مندي الطائفة بنجاح وكان يرافق رئيس الطائفة في المحافل والمجالس ومراجعة دوائر الدولة. شغل منصب رئيس تحرير آفاق مندائية فكان أول رئيس لها وأصدر ثلاثة أعداد أولية منها.

حصل على شهادة الشرف وشهادة تقديرية لجهوده في خدمة أبناء أمته ورفعة الدين المندائي وتوطيد علاقاته مع الأديان السماوية الأخرى واشتراكه بزيارة الفاتيكان مع الوفد المندائي.

هاجر إلى ألمانيا واستقر هناك وأصدر عدة بحوث وكتب وأصدر مؤخرًا كتاب أبو إسحاق الصابي وكتيب تعليم اللغة المندائية حاليًا مع عدد من السيديهات

معتمد للمتعلم في الجمعيات المندائية في بلدان المهجر. ويعمل حاليًا بجد ومثابرة من أجل إنشاء كلية للدراسات المندائية لمنح شهادات عليا.

- **الدكتور/ عبد العظيم السبتي:**

كتابات – مرصد جامعة لندن

الأخ الدكتور قيس مغشغش السعدي المحترم.

وأنا أتابع كتاباتك القيمة والمستمرة في أغلب الدوريات المندائية وكذلك على الإنترنت في صفحة كتابات والتي تتناول فيها مواضيع في المندائية عقيدة وتاريخًا ووجودًا، فإننى أقدر جهودك لما عهدته فيك من قدرة وإمكانية وأحيي مثابرتك التي نعتز بها في خدمة المندائية وتحملك مسؤوليات تنظيمية في كيان الطائفة لفترات طويلة كان لها دورٌ بارزٌ في قيادة شأن الطائفة وتعزيز وجودها على مستوى أبناء الطائفة وكذلك في علاقاتها مع الأديان والطوائف الأخرى، كما أحيي أسلوبك الموضوعي في عرض الأفكار، وذلك ما ظهر أخيرًا في صفحة كتابات التي أصبحت مقروءة من قبل الجميع ومنها: "الصابئة المندائيون والوطن العراق، الصابئون في القرآن وآخرها الشريف الرضي وأبو إسحق الصابي".

ولحاجتنا جميعًا كمندائيين إلى الإعلام عن المندائية والمندائيين كشريحة من شرائح الشعب العراقي الأصيل وبخاصة في هذه المرحلة التثبيتية والدستورية والبنائية في حياة العراق، فإننى أثبت هنا أن جميع القوى السياسية في الساحة العراقية، أشخاصًا وتنظيمات، تعتز بالصابئة المندائيين دينًا وأتباعًا خاصة وأن الجميع يعلم أن ليس للمندائيين أطماعًا سياسية وإقليمية. وهو ليس اعتزاز مجاملة بمقدار ما هو مبني على معرفة بتاريخ هذه الديانة وأتباعها في مسالمتهم ومواطنتهم الشريفة وقدراتهم وكفاءاتهم التي وظفوها بإخلاص مشهود في خدمة وطنهم العريق العراق على مدى التاريخ. وأنا شخصيًا قد لمست هذا الاعتزاز من خلال العلاقات مع شخصيات عراقية مرموقة في الشأن العراقي. إن هذا التقدير الحقيقى مهم لنا وهو مبعث اعتزاز المندائيين جميعًا.

من هنا ، فإني أرى أن على المندائيين اليوم تقع مسؤولية إبراز وجودهم ودورهم وطاقاتهم وكفاءاتهم ليشتركوا مع العراقيين جميعًا في صنع العراق القادم المبني على روح ديمقراطية ، وعلى صانعي القرار السياسي في العراق مساعدتهم في ذلك انطلاقا من إحقاق حق كل ذى حق. ولمعرفتي بأنك أنت شخصيًا تعتبر من أبرز الكفاءات الأكاديمية المندائية الواعية والمثقفة التي وضعت أسسًا للوجود المندائي المعاصر على مدى ربع قرن وما زالت تعمل بنكران ذات عال ، فإننى اتوجه لك لفتح حوار مباشر عبر صفحة كتابات ووسائل الإعلام الأخرى يتعلق بالكيفية التي تراها صحيحة ومناسبة لإبراز دور الصابئة المندائيين على مستوى الساحة العراقية وكيفية حصولهم على استحقاقات مواطنتهم التي طالما تشير إليها في كتاباتك والتي يذكرها المنصفون دائمًا خاصة وقد لمسنا لحد الآن تغييبًا لتمثيلهم سواء على مستوى مجلس الحكم وكذلك مجلس الوزراء. ولا نعلم ما ستؤول إليه الأمور بشأنهم في صياغة الدستور والتمثيلات الأخرى.

كما أننى أوجه هذه الدعوة في الحوار المفتوح لجميع المعنيين والمنصفين من أجل تثبيت وجهات نظرهم التي أنا على يقين من أنها ستخدم القضية المندائية وتساعدها في تثبيت حقوق مشاركتها الفعلية في الوطن العراق.

- **حامد نـزال السعـودي:**

من غرائب الصدف أن أكتب عن هذا الرجل يوم وفاته –رحمه الله- كان صديقًا حميمًا ورفيق درب عمل طويل، شخصيه مندائية موقرة مثقفة واسعة الإطلاع، ولد في قضاء سوق الشيوخ حاضرة الناصرية وأنهى دراسته الابتدائية بها وأكمل الثانوية والإعدادية في مدينة البصرة، كاتب مبدع يهوى كتابة القصص والمقالات والمسرحيات.

التقيت به في منتصف الستينات في القوة الجوية العراقية، وعملنا سوية لأكثر من عشرين عام. لقد كان مهندسًا كفءً متخصصًا على القاذفات الثقيلة نوع TU-22 ونوع الباجر **Tu16** عرفته إداريا رائعًا وتكنولوجيًا ماهرًا يحب النظام والتنظيم ويجيد كتابة التقارير العلمية ويتقن عدة لغات.

متعدد الهوايات، لقد نجح في مجال توليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، فتمكن من تشغيل رادارات الرصد الحدودية على الطاقة الشمسية، وكذلك تمكن من تشغيل سيارة من تصميمه على الطاقة الشمسية.

أحيل على التقاعد برتبة عميد مهندس بتاريخ ١٩٨٥/١/٢١ ففقدت القوة الجوية العراقية واحدًا من أكفأ مهندسيها بشهادة زملائه وقيادة القوة الجوية وكل من عرفه وعمل معه.

عمل فترة من الزمن في مهنة الصياغة مهنة آبائه وأجداده والتحق بالمجلس الروحاني الأعلى، فكان الرجل النشط والهمام، وشارك في زيارة الفاتيكان ضمن وفد الصابئة المندائيين.

في عام ١٩٩٥ هاجر إلى هولندا فأسس أول جمعية مندائية هناك والتي تسمى الآن "الفيدرالية المندائية" لأنها تضم عددًا من الجمعيات المندائية يديرها الآن أخوه الفنان المبدع مانع نزال السعودي.

صدر له في هولندا عام ٢٠٠٩ كتابه الفخم (حقيقة الصابئة المندائيين) بحث في تاريخ أمة حاضرة منسية، كلفه الكثير من الجهد والوقت وهو متعب من عجز القلب الذي لازمه سنين طوال حتى وفاه الأجل في ٢٠١١/٩/١٥

- **الأستاذ/ عزيز سباهي:**

إلى أي قوم ينتمي الصابئة المندائيون ؟

هذه إشكالية عملية يدفع إليها واقع العراق السياسي اليوم ، بعد أن طغت روح التعصب الديني والمذهبي والقومي ، وصار يجري توزيع "المغانم" على هذا الأساس ، لقد عاش الصابئة المندائيون ردحًا طويلاً جدًا من الزمن دون أن يسألهم أحد عن الاصل الاثني الذي انحدروا عنه ، كل الذي يعرفونه أنهم عاشوا منذ العصور القديمة في تربة ما بين النهرين ، وأن معظم الذين يحيطون بهم جاءوا إلى البلد الذي يعيشون فيه بعدهم ، والشيء بالشيء يذكر ، أن بعض الجماعات التي تسكن العراق اليوم وصارت هي التي تتحكم في من يحق له البقاء أو عدمه لا يتجاوز الزمن الذي أمضته عن ثلاثة أو أربعة قرون... هذا هو منطق التعصب الديني اليوم !

ليس من الهين القطع بالأصل الاثني الذي يرجع إليه الصابئة المندائيون ؛ إذا ما تحدثنا بلغة العلم ، فهل تتيسر الشواهد التأريخية الموثوقة التي تعزِّز الآراء التي تطرح في هذا الشأن ، أو أننا سندخل ميدان الحدس مرة أخرى ؟...

هناك ثلاثة احتمالات راجحة ، فما حظ كل منها من الوثوق ؟... وقبل أن ندخل بالبحث في هذه الاحتمالات الثلاثة ، نود أن ننبه إلى أن اللغة ؛ وهي عامل مغرٍ هنا ؛ لا يمكن اعتمادها كُليةً ، فاللغة التي يتخاطب بها الصابئة العراقيون هي العربية ، ويتحدث من يعيش منهم في ايران بالفارسية ، فهل يعني أن العراقيين منهم عرب والفارسيين فرس ؛ برغم ما يربط كليهما من أواصر قرابة ؟... أما اللغة التي دونت بها كتبهم الدينية ، والتي كانت يومًا ما لغتهم في التخاطب أيضًا ، فهي لهجة خاصة من اللهجات الآرامية الشرقية ، ونتيجة لطغيان الثقافة العربية الإسلامية والحكم العربي الإسلامي الطويل ، والتضييق والاضطهاد الذي يحاصرهم عبر الأجيال ؛ انمحت لغتهم الأم تدريجيًا في التخاطب وانزوت

في الدوائر اللاهوتية أو حتى في الكتب الدينية فقط... فهل كان أصلهم من الآراميين ثم غلب عليهم الانتماء العربي؟

غير أن تساؤلاً مشروعا آخر ينبثق هنا، وهو أن الآرامية كلغة وفدت الى بلاد النهرين مع الآراميين الذين نزحوا إليها في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، ولعوامل سنأتي على ذكرها لاحقًا؛ سادت هذه اللغة في حياة البلاد في ميدان بعد آخر، ولأنها في الأساس ليست بعيدة كثيرًا عن لغات الأقوام السابقة: الآكادية والبابلية والآشورية، ولسهولة تدوينها بأبجدية غير معقدة كالمسمارية؛ شاع استخدام هذه اللغة في الميادين الاجتماعية المختلفة، وانكمشت اللغات الأخرى تدريجيًا، حتى انمحت بعدئذٍ تاركةً آثارها وبصماتها هنا وهناك... فهل تلقفها الصابئة المندائيون؛ شأن الآخرين؛ حتى باتت لغتهم الأم، وطوروا لهجة خاصة بهم بحكم انزوائهم وضعف ارتباطهم بالآخرين؟ وطوروا في مرحلة تالية أبجدية خاصة بهم؟

نعود ونتساءل: هل هم آراميون فعلاً؟ وأن لغتهم الآرامية هي لغتهم أصلا لكنهم تميزوا بحكم تبنيهم عقائد دينية خاصة ؟. كل هذه تساؤلات تتطلب التدليل والتعليل، لكننا نطرحها هنا بشكل عابر للإشارة ان اللغة وحدها لا تصح كشاهد وحيد في ما نرمي إليه من الحديث عن الانتماء الاثني

بنفس الشاكلة قد يتساءل المرء: لماذا لا يكونون من بقايا البابليين الذين كانوا يسكنون جنوب ما بين النهرين ثم اعتنقوا المندائية في فترة متأخرة وصاروا يتحدثون الآرامية أسوة بغيرهم من الأقوام، لا سيما بعد أن علت كفة الآراميين بعد أن أصبح أبناء عمومتهم – الكلدانيون – هم الذين يحكمون الدولة البابلية الثانية ؟ خاصة وأن عديدًا من معتقداتهم وطقوسهم الدينية تحمل آثارًا بابلية ؟.. ثم ألا يدفع نعتهم بالصابئة إلى البحث عما يربطهم بجماعات أخرى سميت بهذا الاسم أو قريبًا منه؛ كالعرب الصفائيين الذين كانوا يعيشون في منطقة حران في سوريا والمناطق المجاورة لها جنوبًا وشرقًا ؟

وقد اشتط البحث ببعضهم، حتى أن هنري فيلد ؛ العالم الانثروبولوجي الذي عمل في العراق ؛ ذهب إلى أن الصابئة المندائيين ربما يكونون من الآراميين ، استنادًا إلى الدراسة التي أجراها للسمات الجسدية لبعض كُهَّان الصابئة المندائيين الذين لا يتزاوجون إلا فيما بينهم لدوافع دينية.

قبل أن نشرع في تناول التساؤلات التي طرحناها ، نشير إلى أننا نميِّز بين الانتماء الديني والانتماء الاثني ، إذ لكل منهما ميدانه الخاص ، ولا يمنع أن يكونوا آراميي الأصل شأن الآراميين الآخرين الذين اعتنقوا الدين المسيحي وانتهجوا هذا المذهب أو ذاك ، ولا يمنع أن يكونوا عربًا ، أنباطًا ، أو غيرهم ، لكنهم على دين خاص يميزهم عن العرب الذين اعتنقوا المسيحية أو الإسلام من بعد ، أو يكونوا بابليين قد تخلو عن عقائدهم السابقة.

ويدور الحديث عن تحولات مناخية كبيرة شهدها الشرق الأوسط في ما بين الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق.م ، وضعت حدًا للمناخ المطري المعتدل الذي ساد المنطقة قبلها ، وشهدت المنطقة في عهد الانتقال من عصر البرونز الأخير (أواخر الألف الثاني ق. م) إلى عصر الحديد (١٢٥٠ ــ ١٠٠٠ ق.م) جفافًا شديدًا دفع إلى تحولات سكانية شملت الشرق الأدنى كله. وكانت موجات الهجرة السكانية تتجه صوب المناطق ذات المياه الوفيرة (أمطار وأنهار). من هذه ، هجرة القبائل الآرامية التي كانت تقطن بادية الشام نحو المناطق المطرية قرب البحر الأبيض المتوسط غربًا ، ونحو الفرات وروافده شمالاً وشرقًا ، وكان المهاجرون هؤلاء يدعون بــ" الأحلامو". وقد أشير إليهم في رسالة عُثِر عليها في تل العمارنة في مصر (ما بين ١٣٧٩ و ١٣٦٢ ق.م) [١] كما يتحدث نص آشوري عن معركة يخوضها الملك الآشوري ضد قوات "الأحلامو" و "السوتو" وينتصر عليهما. ولكن منذ القرن التاسع ق. م صارت الوثائق الاشورية تكتفي بتسمية هذه القبائل بالآرامية [٢].

---

١ دوبون سوميه والآراميون ، ص ٢١ . دار أماني ، سوريا ١٩٨٨

٢ المصدر السابق، ص ٢٦

ومنذ مطلع الألف الأول ق.م ، استطاع الآراميون أن يكوِّنوا دويلات لهم على جانبي نهر الفرات في شمال سوريا وعلى رافديه (البليخ والخابور) مثل بيت باخاني ، وبيت آد يني ، وبيت آكوشي. ومملكة (صبا) أو (صوبا) بين حماة ودمشق حتى البقاع غربًا ، وأخرى أصغر في منطقة حلب ، وتسربت القبائل الآرامية البدوية إلى ما بين النهرين. وبرغم محاولات الآشوريين لصدهم ؛ استطاع الآراميون توطيد أقدامهم ما بين خانا (عانة) ورابيكو (هيت) على نهر الفرات ، واستوطنت قبائل الـــ(لاكي) في الجنوب من سنجار ، و(أوتياني) بين الزاب والعظيم. وفي الأيام الأخيرة من حكم البابليين ؛ امتدَّ نفوذ الآراميين إلى بابل وهيمنت قبائل أوكني وبوقودي واليتو وكامبو وجندارو على منطقة البطائح جنوب ما بين النهرين. وفي أقصى الجنوب عند الخليج كوَّن الآراميون دويلة عرفت باسم (باكيني). لكنهم سواء في سوريا أو ما بين النهرين لم يستطيعوا أن يكونوا دولة قوية واحدة خاصة بهم ، وأبرز دويلاتهم كانت دولة (صبا) ، ولكن الآراميين وإن كانوا لم ينجحوا في تكوين دولة كبيرة في ما بين النهرين كالآخرين ، إلا أنهم فرضوا شخصيتهم على حضارة ما بين النهرين عن طريق التفوق الذى حققته لغتهم ، إذ اضطر حتى خصومهم "الآشوريون" إلى استخدامها في معاملاتهم الرسمية في ما بينهم وفي تعاملهم مع الأقوام الأخرى، ولا يعود هذا فقط الى حملات التهجير التي مارسها الآشوريون ضدهم ، والتي كانت تشمل أحيانًا عشرات الآلاف منهم ، وإنما يرجع أيضًا إلى سهولة استخدامها في التعامل التجاري اليومي وفي تنظيم العقود. وكان الناس يفضلون أبجديتها على الخط المسماري في التعامل اليومي ، زد على هذا ، فأن الآرامية كانت تميل الى التطور ، وقد تأثرت بالأكادية في صرفها ونحوها ، واقتبست منها كثيرًا من مفرداتها. وساد استخدام الآرامية في الأوساط الشعبية في سوريا وفلسطين وما بين النهرين ودفع هذا الانتشار الواسع وقابلية اللغة ذاتها على التكيف أن تتخذ الآرامية مسارات متباينة في تحولها إلى لهجات محلية تتمايز عن بعضها بحكم تباين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المناطق المختلفة.

وإلى جانب هذه اللهجات ظلت هناك لغة آرامية كلاسيكية يجري استخدامها في المعاملات الرسمية ، وتعززت مكانة اللغة الآرامية مع تأسيس الدولة البابلية الثانية على يد الكلدانيين ودعم الآراميين لها. ولهذا فحين احتل الفرس بابل عام ٥٣٩ ق.م اضطروا إلى الإبقاء على الآرامية كلغة رسمية ، لا في تعاملهم المحلي مع سكان ما بين النهرين وحسب ، وإنما في تعاملهم مع الأقوام والدول الأخرى أيضًا ، وكانوا يستخدمون اللغة الكلاسيكية في هذا التعامل. ولكن حين جاء الإغريق ، فرضوا استعمال لغتهم الإغريقية في تعاملهم الرسمي وبهذا أزاحوا اللغة الكلاسيكية وفتحوا بذلك السبيل امام الهجات الآرامية المحلية للتطور والتكيف الخاص. وجرى تمايزها في منحيين: شرقي وغربي ، أي في سبيل سلكته اللهجات المحلية في ما بين النهرين ومن بينها اللهجة المندائية ، وآخر سلكته اللهجات الآرامية المحلية في سوريا وفلسطين. وجرى تدوين الكتب الدينية كالتوراة والتلمود والإنجيل والكنزا ربا المندائية وكنز الحياة المانوي وغيرها ليزيد من ترسيخ الآرامية وتمايزها. وظلت الآرامية بلهجاتها المختلفة تحتفظ بتفوقها في المنطقة حتى استطاعت العربية ان تنتزع مركز الصدارة بعد ظهور الإسلام والفتوحات الإسلامية.

لكننا نعود لنؤكد أن اتساع التخاطب والتدوين بالآرامية ، على النحو الذي بسطناه ، لا يعطي أي دليل تاريخي على كون المندائيين آراميي الأصل ، فقد يكونوا كذلك ، واللغة التي تخاطبوا بها إن اتخذت شكل لهجة محلية خاصة ، هي لغتهم الخاصة من الأساس. أو ان يكونوا من غير الآراميين ، لكن الآرامية شاعت بينهم مثلما شاعت لدى الآخرين ، كما رأينا.

وما يرد في اللغة المندائية من مفردات اكدية أو بابلية أو فارسية ، لا يقدم هو الآخر دليلاً مؤكدًا على انتماء اثني سابق! لذلك نضطر الى تسقط الإشارات هنا وهناك عن ارتباط لهم بالآراميين أو غيرهم... والمؤسف أن شواهدنا هذه تظل أقرب إلى الحدس من أي يقين ولو باهت جدًا.

- **نزارياسر الحيدر:**

ولد في بغداد عام ١٩٥٣ ، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارس بغداد ، وحصل على شهادة البكالوريوس من كلية الإدارة الجامعة المستنصرية.

عمل بادئ الأمر مع والده في مهنة الصياغة ، بعدها أصبح جواهرجيًا معروفًا بفن صياغة الذهب والفضة والألماس ، له محلات عمل عديدة في شارع النهر وفي فندق فلسطين مريديان وفي المنصور وفي أربيل.

فى محلة في فندق فلسطين مريديان موضع إعجاب لجماله ولنوع البضاعة التي كان يعرضها ، هذا المحل لفخامته ولسعته ولجمال ديكوراته أصبح مكملاً لنشاطات مندي الطائفة لاستقبال الزوار والضيوف ولإنجاز مجلة آفاق مندائية وكان ملتقى وأحيانًا مكانًا للاجتماعات.

كان عضوًا نشيطًا في مجلس شؤون الطائفة العام وعضوًا في اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس (كنزا ربا)، ورئيسًا لتحرير مجلة آفاق مندائية التي طورها وجعل منها مجلة مرموقة أشرف بشكل مباشر على خطة طباعتها وتوزيعها.

اعتبر نزار من المحترفين المقتدرين والمعبرين عن حقوق وهموم الصابئة المندائيين ، يمتاز بالجرأة والمثابرة والمتابعة ، وله قدرة على إنجاز الأعمال بأقل وقت ممكن دون كلل أو ملل.

ساهم بفعالية في تأسيس مجلس الأقليات القومية، وعين نائبًا له.

- **حامد مغشغش السعدي:**

ولد في الناصرية في سوق الشيوخ عام ١٩٣٤م ، وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في الناصرية ثم دار المعلمين ، وعين معلمًا في مدرسة السوق نفس المدرسة التي كان طالبًا فيها. تخصص في تدريس اللغة الإنجليزية ، انتقل إلى بغداد عام ١٩٦٦ ودخل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية في الجامعة المستنصرية.

عام ١٩٨١ تقاعد وتفرغ لخدمة أبناء الطائفة ، وعمل في مجلس شؤون الطائفة، بعدها أصبح رئيسًا لهذا المجلس ورئيسًا لتحرير مجلة آفاق مندائية لفترة محددة بسبب سفره للعلاج.

له نشاطات متعددة ومقالات كثيرة وصدر له كتاب (محلة الصابئة المندائيين في سوق الشيوخ).

من وجهاء الصابئة المندائيين ومربي فاضل وساهم بفاعلية عالية في مجالس الطائفة وفي الحركة الثقافية وكان من الوجهاء النشطين ، وكانت دائمًا آراؤه صائبة ودقيقة.

- **د. عبد الجبار ياسر الحيدر:**

ولد عام ١٩٣٦ في لواء العمارة قضاء الكحلاء ، انتقل إلى بغداد قبل أن يكمل الابتدائية ، أكمل كافة مراحل دراسته في بغداد ، تخرج في كلية الطب عام ١٩٦٠ ، عمل طبيبًا في البصرة والناصرية والكوفة والعمارة... عام ١٩٧٤ حصل على شهادة اختصاص في الجراحة في كلية الجراحين الملكية في أدنبره، خدم في مستشفى الكندي التعليمى رئيسًا لقسم الجراحة ثم عين مديرًا لنفس المستشفى حتى عام ١٩٩٤ بعدها أحال نفسه على التقاعد ، وأنشأ مستشفى الفردوس الأهلي في بغداد مع عدد من الأطباء الاختصاصيين.

هاجر عام ١٩٩٧ إلى كندا مع عائلته وساهم في تأسيس الجمعية المندائية في تورنتو.

مربي فاضل ومندائي أصيل يتمتع بطيبة وكرم أخلاق وله مساهمات عديدة ومقالات وبحوث جعل من أولاده وبناته عائلة علمية محترمة لهم أسماؤهم اللامعة وسمعتهم الطيبة.

انتخب رئيسًا لهيئة حكماء طائفة الصابئة المندائيين للقضاء في المشاكل والنزاعات بين أبناء الطائفة أو مؤسساتها من الداعين لتوحيد العمل المندائي... وحل المشاكل بالحوار والتفاهم...

له مساهمات جادة في توحيد العمل المندائي وبناء مؤسسات رصينة تخدم أبناء الطائفة وترسخ مبادئ الدين المندائي.

- **نعيم بدوي:**

ولد عام ١٩١١ في العمارة ودرس الابتدائية ، وفي عام ١٩٢٧ دخل دار المعلمين وتخرج منها عام ١٩٣١ ، وعين معلمًا ودرس أجيالاً في مدارس قلعة صالح والمجر الصغير وغيرها من المدارس الابتدائية في الكثير من قرى وأرياف تلك المناطق ولمدة ست سنوات ، ثم التحق في دار المعلمين العالية وتخرج عام ١٩٤١ مدرسًا للأدب العربي بدرجة امتياز.

عمل مدرسًا في مدارس العمارة الثانوية ثم شغل منصب مشرف تربوي في مدينة الكوت لكفاءته ونشاطه.

فصل من الخدمة لنشاطه السياسى عام ١٩٥٢... وفي عام ١٩٥٨ أعيد للخدمة ليعمل في وزارة الاقتصاد.

منذ عام ١٩٦٤ سخر إمكاناته لخدمة الصابئة المندائيين وتعاون مع الأستاذ غضبان رومي في ترجمة كتاب الليدي دراور (الصابئة المندائيون).

له الكثير من النشاطات الأدبية والفكرية والاجتماعية وبحوث ومحاضرات عن المندائيين.

- **هيثم نافل والي:**

لقد بدأت عجلت الثقافة المندائية تدور من جديد بجهود الخيرين... وهيثم له الكأس المعلى... لنعيد أمجاد آل قرة وآل صابي وآل سام ونكمل مشوار لميعة وعبد الرزاق وتريكو وعزيز وقيس وهمام ورمزية وسوسن وعبد الإله وخولة وحذام... وكل المبدعين المنتجين الأخيار... وأنا شخصيًا أدين بالعرفان إلى هيثم لمساعدته غير المحدودة لي ولغيري بنكران ذات ودعم أخوي معنوي عالي، وجهود عالية في تسهيل الطباعة لدى مؤسسة شمس للنشر والإعلام في القاهرة...

بورك فيك يا أبا المتنبي... وبورك في سيرتك الذاتية ليتعلم منها الشباب الواعي أمل المستقبل.

وهذه سيرة ذاتية مختصرة للكاتب المبدع هيثم نافل والي كتبها بخط يده... أرجو له مزيدًا من الإبداع والتألق...

يمينًا، الحق ما أكتبه... الضغط الكثير وصلب الحريات خاصة الفكرية والتعبيرية منها يا أصدقائي تأثيره يكون كوتر الكمان المشدود أكثر مما ينبغي، نجده ينقطع ما أن يلامسه قوسه مطلقًا صوتًا أدنى إلى الأنين ثم يرتجف، بعدها يموت. فما بالكم لو كان الضغط يمارس على الفنان المبدع؟... يا إلهي لا أستطيع أن أصف حاله. الخلاصة، سيكون كوترنا المشدود أكثر مما ينبغي؛ ما أن يدغدغه القوس وتقرصه الأنامل حتى يطق، ينطفئ بعد أن يرتجف ثم يموت. وبخجل يقظ عجيب ينزل أو يخرج علينا لا أعرف من أين كأننا نخشى خجلنا أو انفعالنا نواسي أنفسنا بقلوب منقبضة متحسرين، متوسلين بضراعة

خرساء لا يمكن لي أن أتكهن لمن، مطأطأي الرؤوس مرتعدي الفرائص كالقتلة نعزي ظلالنا بنظرات ترد الظن إلى أعقابه ثم نكتفي بهذا القدر والحمد لله!.

يقال والعلم عنده سبحانه، إذا أردتَ أن تكون ساحرًا عليك أولاً أن تصاب بلوثة عصبية.. الحياة -يا من أجلّكم- قتلت في نفسي أشياء كثيرة، لكنها أحيت أيضًا أشياء أخرى منها وأهمها الكتابة. الحقيقة التي لا مراء فيها هي إني أكتب ويدي على قلبي، لأنني ببساطة شديدة لي عائلة وأخاف على نفسي وعليهم حتى من مواء القطة... من حق كل شخص أن يحلم ما دام قلبه ينبض بالحياة. أنا أحد هؤلاء الحالمين؛ كنت أطمح ولا أطمع أن أكون كاتبًا يشار له بالبنان والعرفان. لا أعرف بالتحديد نوع الشيطان الذي كان يوخزني مثل إبرة النحل ليشير لي بتلك الصنعة التي أجهل نسب جنّيها في وقت غير بعيد، لكنني كما قلت، لم أخنق نفسي بيدي، ولم أعدم حلمي، حاولت، اجتهدت وسهرت الليالي الطوال من أجل ذلك الهدف المنشود الذي أعشق.

تعرفت في وقت بدا لي لا أول له في غربتي المبكرة التي مازلت أعانيها، أقصد، أعيشها معتبرًا نفسي من زمرة الشباب؛ على رجل ودود يكاد خدَّاه تنفر منهما الدماء القانية لتفصدهما بالعافية والصحة يعمل رئيسًا لمنظمة ترعى وتعني بحقوق الإنسان، والإنسان في أوروبا ليس كما نعرفه في شرقنا الغافي، هنا يعتبرونه الغاية، ونحن نسميه المطية التي عليها يحملون ويمررون جُلَّ شياطينهم ومؤامراتهم وخوازيقهم، ولا أريد أن أسترسل هنا أكثر حفاظًا على الذوق العام كي لا يجرح!.. حيث رأى ذلك الرجل الطيب طموحي، وربما سمع بحلمي، مد لي يد المساعدة بسخاء لا يعرفه غير البحر دون شروط وهذا هو المهم، أقسم على أن المساعدة كانت غير مشروطة، لأنني أعرف أن كل شيء له مقابل وثمن حتى الصمت!، لا شيء مجانًا، لكن مساعدة ذلك الرجل كانت بصدق غير مشروطة، لم يطالبني مثلاً أن أغيِّر ديني، أو أن أكون كاهنًا

في قرية نائية، مطلقًا. لم يحدث من هذا الذي نراه يوميًا في الضفة الأخرى ومن حيث تشرق الشمس أبدًا.

عملنا معًا في إصدار كتيب كنت قد أعددته وكتبته بخط يدي لعدم توفر آلة كاتبة باللغة العربية عام ١٩٩٠ في ميونخ، نرتب أوراق الكتيب ونثبتها بدبابيس مطوية، رقيقة ناعمة كأجنحة الجراد، ثم نستنسخها ونعيد طباعتها ونوزعها على اللاجئين العرب الجدد مجانًا بلا شروط، أي والله، بلا شروط. كانوا ما شاء الله يتوافدون يوميًا بالعشرات حتى بات الأمر اليوم أكثر مسليًا، معذرةً، أعني مؤلمًا ومألوفاً.. بآلاف نتيجة طاعون الشرق الذي هربنا منه ونفدنا بجلدنا قبل أكثر من ربع قرن.

كانت تلك أولى كتاباتي التي نشرتها عبر الكتيبات الثلاثة التي حملت وقتها عنوان "أشعة من ظلمات" ضمّنتها لوحات تشكيلية خربشتها بقلم الرصاص. أعدم نظري إن لم أقل غير الحقيقة... حتى ظهر في حياتنا وقتها معتوه له عينا وغد مخنوق بالحنق يقول عن نفسه دكتور من إحدى قارات العالم العربي الكثيرة المتناثرة التي كل قارة تختلف عن أختها حتى باللغة والدين طاش لُبّه عندما قرأ تلك الكتيبات المظلومة فقرر أن يترجم أحدها إلى الإنجليزية ؛ لم أتأكد من صحة ترجمته لحد هذه اللحظة. الكتيب مازال يتمتع بدفء عجيب، محشور بين مئات الكتب المرصوصة المرصوفة في مكتبتي المنزلية المنحوسة التي كلفتني أجر عمل سنوات طوال يصعب الساحر العتيد من عدّ قيمتها أو يتوقع مقدار دم قلبي الذي دفعته لقاءها.

وقتها أشار لي ذلك الرجل الرحيم رئيس المنظمة التي تعني بالإنسان والحيوان على حدٍ سواء - أعزه الله - بمجلة تصدر في عاصمة النمسا تمولها قارة تختلف عن قارة صاحبنا المعتوه الذي يدعي بأنه دكتور ترك مهنته لأمور تتعلق بعقله يتمختر بمشيته كصبية شبت عن الطوق ناطقة بالعربية... لم أكذب خبرًا، بعثت لهم بعض من القصصات الورقية التي لطخها قلمي وسودها حبره،

تم نشر محتوياتها والتعليق عليها. مازلت أملك النسخة الأصلية غير المغشوشة وحق ما نعبد.

هكذا بدأت غربتي ورحلتي مع الكتابة في غربتي حتى أصدرت كتابًا بعنوان "نتاج السنين" تضمن مجموعة من الآفات القصيرة، عذرًا، أقصد، القصص القصيرة المدمن على كتابتها. وزعت الكتاب مجانًا على كل عابر سبيل يرميه القدر أمامي!.

قلت أحدث نفسي، لأجرب حظي وأكتب مسرحية، وكانت اللعنة.. أصدرت واحدة يتيمة لن أكررها بعنوان "الشك وأشياء أخرى" بعتها على قدر حق طباعتها، ما دفعته عليها، ورقها وحبرها. الحقيقة، حمدت الله على النتيجة من كل قلبي. فأنا لم أخسر ولم أربح فيها.

التقت بنا القناة الفضائية البغدادية وعملت لقاءً صحفيًا دام ساعة كاملة، أصبح حافزًا لتكملة المشوار الذي ابتدأت به عن طريق حلم.. أحلف أمامكم بأغلظ الأيمان، لم يكن سوى حلم، تجرأت وحلمت. أردت أن أشعر فقط في غربتي بأني على قيد الحياة.

عكفت على دراسة تأريخ الأديان، أربع سنوات من البحث كانت كافية، كتبت ملاحظاتي، خرج كتابي الشنيع الذي يحمل عنوان "الدين والنبي في التاريخ" ذلك الذي جعلني أصطدم وقتها مع بعض المؤمنين الذين يخافون الله. أنا كنت ومازلت أحب الله، هناك فرق بين أن تؤمن بالله خوفًا وبين أن تؤمن به حبًا. قررت إيقاف توزيعه سعيًا للسلامة والروح كما يقال، عزيزة.

ثم، وهذا هو الأهم:

نصحني صديقي الجميل المهندس ح. ح. ش. أن أنتمي إلى موقع إلكتروني عراقي خاص بطائفتي المسالمة التي أنتمي إليها، كان ذلك في نهاية عام ٢٠١٣ على ما أذكر. وقتها لم تلق نصيحته آذان صاغية عندي بسبب ضيق

وقتي، كنت صادقًا في تعليل رفضي، إذ كنت ومازلت أسطو على وقت أسرتي باليوم خمس وعشرين ساعة أمنحها راضيًا إلى قراءاتي اللعينة وكتاباتي المنكوشة التي لا تريد أن تنتهي... لكنه وفي نهاية المطاف أجبرني بطريقة أو بأخرى على الانضمام وقبلت. بعدها توالت انتكاساتي الرائعة في كتابة القصة القصيرة، فكتبت على مدار ثلاث سنوات نحو مائة وعشرين قصة قصيرة لم أجنِ منها غير حرق الأعصاب واللوعة.

نويت طبع كتبي، حفت قدمي وأنا أبحث عمن يساعدني ويأخذ بيدي. لم أترك بابًا إلا وطرقته، التجأت إلى رئاسة الطائفة التي أنتمى إليها ومقرها بغداد، بغداد عاصمة الرشيد كما يقولون، لكنهم لم ينوهوا عن مسراته وهز أكتافه ومعاقرته الملذات بكل أنواعها، جارياته كنَّ أكثر من صحبه وأصدقائه، أمير المؤمنين، أميرًا غير مؤمن، عاقب الله من كان وراء هروبنا وترك أوطاننا، أصبحنا فجأة نصفين، نصف يئن على الوطن وآخر يحن إليه!، ما علينا، خلاصة القول، التاريخ سينصفنا بلا شك!. قدمت طلبًا.. حُوّل الموضوع إلى الأوقاف، لم أتمكن بذكائي المعهود أن أعرف سبب تحويل أمر كهذا إلى دائرة الأوقاف والعلم عند الله. عام ونصف من المداولات والمباحثات، ثم جاء الرد أخيرًا صريحًا: " لو كانت كتب دينية لاستطعنا مساعدتك، طباعتها ونشرها، لكنها للأسف، وأقول للأسف لأنها أدبية وليست دينية". الدين في كل زمان ومكان هو الأقوى، منذ نشوئه، بل قبل أن يعرف الإنسان التاريخ، كان الصياد ينتظر فريسته وهو يدعو شيئًا ما، يحلم ويتأمل أن تمر أمام ناظريه فريسة يقتلها حتى يعيش ويستمر في القتل، بلا مؤاخذة، أعني، يستمر بالحياة، منذ ذلك الزمان كان الدين هو السائد وليس الأدب، تأثيره على الناس، حاجتهم له، سطوته، معروفه، فضائله، كل شيء، ماذا يكون الأدب أمام الدين؟! رضخت للنتيجة ولم أستسلم!... كما قلت، عندي حلم أريد تحقيقه، من حقي أن أحلم، كل إنسان لابد له أن يحلم، الأحلام مازالت مشروعة، يمكن اغتصاب أشياء كثيرة من الإنسان حتى الأفواه كما لا يخفى، لكنهم لا يستطيعون أن يسرقوا الأحلام

من خيالات سواد الناس، قتلها أو اغتيالها كالمواهب التي يهبها الله سبحانه لمن يشاء دون حساب، من يريد أن يسطو على موهبة جاره لا يكون أمامه إلا قتله، إذ لا يمكن أن يكون موهوبًا إلا بإرادة واهب النعم، الموهبة لا تأتي بالتعلم أو الدراسة أو التعود، هي إما أن تكون أو لا تكون، ولو حصل وقتل الموهوب كما حصل مع البارع "موزارت" يضيع كما يقول المثل العراقي الجميل الخيط والعصفور، المبدع وإبداعه.

تحركت في مسار آخر، دور النشر في قاراتنا العربية. النتيجة كانت واحدة كأنهم متفقون: لا فراغ في جدول أعمالنا لهذه السنة!. عندما تحاججهم: ليكن العام القادم. يقولون زائغين: الأدب ليس اختصاصنا!، وتذكرت جواب الأوقاف العجيب: "لو كانت الكتب دينية لطبعناها".

داخلي كان يصرخ صراخ من يسلخ جلده، يجرح الكرامة، يخنق الأنفاس،.. كدت أيأس لولا ظهور الطبيب الصديق س. ج. ف. في حياتي الذي مازلت لم ألتق به، نصحني بـــ"مؤسسة شمس للنشر والإعلام"... وكانت البداية بعد عمر ناهز الخمسين. من الاستحالة أن تكون روايتي الأولى "أنهر بنت الرافدين" الأخيرة حتى لو رحلت عنكم جسديًا، مؤلفاتي ستغوص في أعماق نفوسكم إلى ما شاء لها الله تقرأ لأنني في أعماق وجودكم أكون موجودا.

- هيثم نافل والي.
- كاتب وقاص عراقي، من مواليد بغداد ١٩٦٥م.
- مهندس زراعي.
- هاجر مع زوجته إلى ألمانيا قبيل حرب الخليج عام ١٩٩٠م.
- أسس مجلة ناطقة باللغة العربية بعنوان (ميمرا الكلمة) في ميونيخ عام ١٩٩٩م، وترَّأس تحريرها.

- نشر مجموعة كبيرة من القصص القصيرة والحكايات والمقالات في مجلات وصحف ومواقع عراقية وعربية عديدة.
- له محاولات عديدة في الرسم، أقام أثناء دراسته في الجامعة ثلاثة معارض رسم تشكيلي.
- أسسس رابطة للأدباء والفنانين المندائيين عام ٢٠١٤
- صدر له عدة كتب:

مجموعة قصصية بعنوان/ نتاج السنين عام ٢٠٠٥

مسرحية بعنوان/ الشك وأشياء أخرى عام ٢٠٠٧

دراسة بعنوان/ الدين والنبي في التاريخ عام ٢٠١٠

مجموعة قصصية بعنوان/ الموتى لا يتكلمون عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٤

مجموعة قصصية بعنوان/ الهروب إلى الجحيم عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٤

مجموعة قصصية بعنوان/ عجائب يا زمن عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٥

رواية/ أنهر بنت الرافدين عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٦

رواية/ طاعون الشرق عن مؤسسة شمس للنشر والإعلام عام ٢٠١٦

رواية بعنوان/ الوهم تحت الطبع

مجموعة قصصية بعنوان/ التحدي تحت الطبع

مجموعة مقالات وخواطر بعنوان/ تأملات في عالم الإنسان تحت الطبع.

- **مجيد جابك جاري:**

الصابئة في مصر

إذا أردنا أن نلقي الضوء على وجود الصابئة في مصر ؛ لا بد لنا من دراسة سيرة إبراهيم أبي الأنبياء (ع) الذي يذكره الصابئة المندائيون في اليوم ست مرات: ثلاثًا منها في الرشامة "الوضوء" وثلاثًا في التبريكات "الصلاة" ويسمونه بِهْرام الكبير بن القدرة ، ويذكرونه أيضًا عند إجراء بعض الطقوس الدينية الأخرى كالطماشة والصباغة وغيرهما ، فقد ورد في الصلاة المندائية للشيخ الجليل رافد الشيخ عبد الله ما يأتي: "صبينا بمعونة اد بِهْرام ربا برْ روربي مصبوتي تناطري وتسق لريش" ومعناها: اصطبغت بصباغة إبراهيم الكبير ابن القدرة، صباغتي تحرسني وترفعني إلى العلا"[1] ، أما في الصلاة "التبريكات" فقد جاء ما يأتي[2]: "أسوثا وزكوثا نِهويلخ ملكا بِهرام ربا" ومعناها: "السلام والظفر لك أيها الملاك بِهرام الكبير". وقد ورد اسمه في (الكنزا ربا) - اليمين الكتاب الثامن عشر – التسبيح السابع بوثة رقم ٧ ، وهذا نصها "ويصعدون بالمعرفة التي جاءت من بيت إبراهيم الكبير ابن القدرة". وذكر أيضًا في (الكنزا ربا) اليسار مرة واحدة في كتاب "القُلستا" ترانيم الزواج المندائية ص١١٢ ترجمة الأستاذ أمين فيصل حطاب. وبذلك يكون الصابئة المندائيون أقل الأديان ذكرًا لإبراهيم الخليل (ع). أما الدين الإسلامي فقد ذكر الخليل أكثر من سبعين مرة في القرآن الكريم.

واستمرت هذه العلاقة بين الصابئة وبين إبراهيم الخليل حتى زواجه بـــ"سارة" ساراي ، فقد ورد في الإصحاح العشرين على لسان إبراهيم الخليل: "في الحقيقة

---

١ الصلاة المندائية للشيخ رافد، ص ١٧

٢ المصدر السابق، ص ٢١

أيضًا هي أختي ابنة أبي إلا أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة [1]. وجاء أيضًا في موضع آخر التوراة أنها ابنة أخيه الذي مات قبل الهجرة إلى كنعان، وهذا يعتبر حرامًا في الدين الصابئي المندائي الذي يحرِّم الزواج بالأخت أو بابنة الأخ، بالإضافة إلى ذلك (ختانه) الذي يراه الصابئة المندائيون حرامًا أيضًا وبذلك حدثت القطيعة بين إبراهيم الخليل والصابئة فأخذوا يسمونه باسمه فقط "إبراهيم" فقد ورد في الكتاب المقدس (الكنزا ربا) اليمين ما يأتي: (**عندما تُبنى أورشليم مدينة اليهود يُدعى إبراهيم نبيًا فيها**) [2]. وقد ورد اسم إبراهيم أيضًا ص٧٣ بوثة ١٥٥. كما ورد اسمه في الكتاب الحادي – اليمين بوثة ١١ ص١٢٨. بعد ذلك نودي إبراهيم أبو اليهود هو وأفراد قبيلته، وبقي إبراهيم يتجه في صلاته شمالاً حيث كان الصابئة يتجهون إلى نجم القطب أثبت النجوم عسى أن يستمع إليه أصحاب القبلة، ولكن الصابئة لم يستمعوا له لأنه أصبح في نظرهم "نازلاً" ولا يجوز له أن يمارس الطقوس الدينية.

– أين وُلد إبراهيم الخليل:

لقد أفاض سفر التكوين في سيرة إبراهيم وأثبت أن مولده في أور الكلدانيين ورفع نسبه إلى سام بن نوح فهو إبراهيم بن نارح بن ناحور[3]. وبدأت هجرته من أور بسبب النزاعات بين القبائل وسوء الأحوال الاقتصادية متجهًا إلى حران، وقد رافقه في تلك الهجرة عدد من الصابئة وقد عُرف هؤلاء (بالصابئة الإبراهيمية) الذين هاجروا معه وهم – أغلب الظن – كونوا نواة للصابئة الحرانيين، فقد ذكرت الليدي دراور في كتابها (الصابئة المندائيون) – ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي– أن اليهود عندما ضيقوا الخناق على الصابئة في فلسطين – أورشليم اضطر كثير من الصابئة إلى الهجرة إلى حران وهناك وجدوا إخوانًا لهم في الدين حتى أن فئة منهم كانت تحج إلى حران التي هاجر

---

١ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ١٥

٢ "كنزا ربا" اليمين - ص ٧٣ بوثة ١٢

٣ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ١٥

إليها إبراهيم الخليل ونُسب إليها الصابئة الحرانيون [1] ، ولما كانت حران تقع على ملتقى الطرق التجارية فقد هاجر إليها كثير من حكماء اليونان عن طريق القساوسة النسطوريين في صدر المسيحية هربًا من الاضطهاد وكان أكثرهم يعرفون اليونانية ويقرأون الفلسفة ولاسيما الرواقية والفيثاغورية فتأثر الصابئة الحرانيون بذلك ونبغ منهم كثير من العلماء في الفلسفة والترجمة والطب وغيرها من العلوم وقد خدم هؤلاء في بلاط عبد الملك بن مروان أيام الدولة الأموية وكذلك خدموا في البلاط العباسي وكانوا زينةً للحضارة العربية الإسلامية في ذلك الوقت ، وعلينا ألا ننسى أثر الزمان والمكان والتطور في اختلاف صابئة حران عن الصابئة في جنوب العراق وفي بلاد فارس ، وإذا ما قارنا بين ماذكره سفر التكوين في سيرة إبراهيم وأثبت مولده في أور الكلدانيين وبين ما ذكره الأستاذ طه باقر [2] من أن إبراهيم وأحفاده من آرامية هذه المنطقة "حران" فسوف نجد اختلافًا بين الروايتين: إحداهما تؤكد أن مولده في أور الكلدانيين والأخرى تقول إن إبراهيم وأحفاده من آرامية هذه المنطقة (حران) ، وأغلب الظن أن أكثر الباحثين والمؤرخين يؤكدون أن موطنه (أور الكلدانيين) جنوب العراق ومنها هاجر إلى حران ، ومما يؤكد ذلك ما ذكر المؤرخ ياقوت الحموي – معجم البلدان– ص ١٣٠: قيل سميت بهاران أخي إبراهيم لأنه أول من بناها ثم عُربت فقيل (حران). وذكر قوم أنها أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان وكانت منازل الصابئة الحرانيين الذين يذكرهم أصحاب الملل والنِحل. وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي ﴾[3] أنه أراد (حران) وقالوا في قوله تعالى أيضًا ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ ولُوطاً إلى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[4] هي حران.

---

١ "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد

٢ راجع "مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة" لـ طه باقر

٣ القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ٢٦

٤ القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية ٧١

- الصابئة وديانة مصر القديمة:

وإذا ذهبنا بعيدًا وعقدنا مقارنة بين الدين الصابئي المندائي وبين ديانة مصر القديمة لوجدنا تشابهًا واضحًا بين الديانتين ، فأباثر في الدين الصابئي المندائي هو الملاك القائم على الميزان الذي يزن فيه النسمة مع الروح يوم الحساب ، ترى أن الإله "أوزريس" في ديانة مصر القديمة هو الذي يزن الأرواح بعد الموت يوم الحساب ، وأن العصا التي يمسكها الكاهن في ديانة مصر القديمة قد تكون هي "المركَنا" التي يمسكها رجل الدين الصابئي المندائي عند إجراء بعض الطقوس الدينية.

- أخناتون و الصابئة:

فإذا درسنا تاريخ مصر القديمة وديانتها ودرسنا المرحلة التي عاش فيها الملك أخناتون الذي آمن بالتوحيد ودعا إلى عبادة إله واحد ، لتبادر إلى أذهاننا القول إن الملك أخناتون قد تأثر بالدين الصابئي المندائي ؛ أو ربما كان صابئيًا ، لأن الدين الصابئي المندائي قد انتشر في مصر قبل تلك المرحلة... وربَّ سائلٍ يقول: من أين جاء الصابئة إلى مصر؟ والجواب على ذلك أنهم ربما جاءوا إلى مصر مع هجرة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل من حران إلى مصر ، ومن هنا انتشر الدين الصابئي في مصر – في أغلب الظن – قال الأستاذ العقاد: إن دعوة أخناتون بلغت بالتوحيد أعلى مرتقاه في تلك العصور ، وبلغت بتنزيه الإله غاية لم تدركها حتى اليوم بعض الأمم في البلاد الشرقية والغربية ، لأن الدين الصابئي قد انتشر في مصر قبل تلك الفترة [١].

وسأقدِّم إلى القارئ الكريم هذا النص الذي ذكره الأستاذ "سليمان مظهر" [٢]:

شروقك جميل يا سيد الأبدية.
أنت مشعٌ وجميلٌ وقوي.

---

١ العقاد ، المصدر السابق

٢ راجع "قصة الديانات ـ ديانة مصر القديمة" ص١ ، دار الوطن العربي

أشعتك تُظهر كل ما خلقت.
سطحك يضيء معطياَ الحياة للقلوب
أنت تملأ الأرض بحبك.
أنت الإله المعبود.
"الذي صنع نفسه بنفسه"
الذي صنع كل أرضِ وخلق كل ما عليها
ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها.
أنت الإله الأحد بإرادتك
خلقت الأرض بإرادتك
ولما كنت وحيدًا في هذا الكون
خلقت الإنسان والحيوان الكبير والصغير
والمخلوقات التي تدبّ في الأرض
أو تطير بأجنحتها
أنت الذي أحللت كل إنسان في موضع
وأنعمت عليه بحاجاته
فصار كل منهم يأخذ نصيبه
ويعيش حياته المعدودة
لقد خلقت ألسنتهم وأجسامهم وجلودهم
فسبحان من مميز خلقك.
(أخناتون)

فإذا أمعنا النظر في هذه الترنيمة التي قالها الملك أخناتون فسوف نرى أنها لا تبتعد كثيرًا عن المعاني السامية التي وردت في كتابنا المقدس كقوله **(**أيها الإله المعبود الذي صنع نفسه بنفسه**)** فقد تكرر هذا المعنى عدة مرات في (الكنزا ربا) وفي كتاب الصلوات "الانياني"، وهذا نصه: (**أنا لهيي قدمايي سغدنا ولماري منداادهيي مشبنا ولهاخ برصوفا ربا ديقارا اد من نافشي افرش**) ومعناه: ولهذا الوجه العظيم الموقر الذي في نفسه تكون، أو الذي انبعث من ذاته.

وقد ذكر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار في صحيفة "روز اليوسف" العدد ٢٠٣٧ ما يأتي: (وبعث الله إدريس إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله الذي له السموات والارض ويحدثهم عن البعث والحساب والميزان والجحيم والخيرات التي أعدَّت للمتقين، فآمن المصريون بالله قبل فجر التاريخ وقبل أن يوحِّد "مينا" الوجه البحري والوجه القبلي بآلاف السنين. وعُرِف أتباع إدريس "بالصابئين" وعُرِف الكتاب الذي جاءهم به "كنزه". ولم تقم دعوة إدريس داخل حدود مصر بل ذهب إلى بلاد العرب يدعو إلى عبادة إلهٍ واحد).. ثم يستمر السحار ليقول: وكان إدريس يُعرف قبل أن يدوِّن البشر تاريخهم، وأن الأرض التي بين الفرات والنيل أمة واحدة وذهب إلى العراق يدعو أهلها إلى عبادة الله الواحد القهار، فانتشر الصابئون في أرض الجزيرة بين دجلة والفرات وفي أرض الشام وفي الجزيرة العربية وفي وادي النيل. وجاء أيضًا: "لا يزال الصابئون يقيمون وجبة طقسية سنوية على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى (ع) واليهود في قصة خروج اليهود من مصر، وهم يعتقدون أن من بين أولئك الذين غرقوا في البحر قسمًا كان يدين بالصابئية، وجاء أيضًا في ص٥١: لهذا تؤكل وجبة طقسية في ذكرى الحملة المصرية التي غرقت في الماء وهي تتبع اليهود. ولهذا نرى أن الدين الصابئي قد أثر في ديانة مصر القديمة، وما تزال العوائل المندائية تقيم هذه الوجبة الطقسية حتى اليوم وتُسمى عندهم "العاشورية" وهي وجبة من الهريس توزع على الجيران).

وقد أكَّد الأستاذ العقاد ما ذهب إليه السحار حين قال [1]: (مما لا ريب فيه أن عقيدة التوحيد سرت في مصر في صورة من الصور إلى بلاد المشرق، ومنها إلى بلاد البحر المتوسط ووادي الرافدين).

---

١ راجع "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد، ص ٨

▪ **تعقيب:**

الأستاذ مجيد حابك: أستاذ اللغة العربية المقتدر ، له دراسات ومقالات قيمة ، ساهم في بداية ترجمة (الكنزا ربا) بأعمال الترجمة بجدٍ وحرص، ولكن حصل اختلاف بينه وبين اللجنة المشرفة على الترجمة مع الأسف بسبب أنه كان يود إصدار (الكنزا ربا) على شكل أجزاء، وكانت اللجنة تود صدوره كاملاً، ولهذا طلبت من الأستاذ مجيد حابك التعاون مع الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، ولكن لم يحصل اتفاق بينهما بسبب اختلاف وجهات النظر ، فكلفت اللجنة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد بالصياغة اللغوية.

- **تحسين مهدي سوادي:**

– تعليقًا على مقال الأستاذ "مجيد جابك جاري".

أودُّ الإشارة أولاً إلى مسألة مهمة في عملية تحصيل المعارف أو اعتمادها في البحث ، وهي أن الكتب التاريخية وكتب الدين والتراث والسير الشخصية إلى غير ذلك ، ليست جميعها مصدر ثقة وتُؤخذ كمصادر مُسلَّم بها عند البحث ، وليس كل ما تحتويه الكتب من معلومات وما تسجله من أحداث هو صحيح ويؤخذ به كأدلة قاطعة ، فبعض الأحداث التي نقرأها في الكتب هي مجرد قصص لا تدعمها الوقائع ولا الحقائق ولا المنطق أحيانًا ، منها على سبيل المثال القصة التي تشير إلى أن الصابئة قديمًا حاربوا إلى جانب الفرعون ضد موسى وشعبه وغرق منهم من غرق في حادثة عبور الشعب اليهودي للبحر الأحمر ، وأن طعام الهريس الذي يصنعه الصابئة كل عام في اليوم المعروف بيوم الهريس ، هو استذكار لمن قضى من الصابئة في تلك الحادثة !!...

إن ذلك كله طرح غريب لا يقبله المنطق... فهل الصابئة أهل حرب وقتال فيحاربون ويَقتلون ؟

الجميع يعلم أن القتل من أشدِّ المحرمات عندنا (**امسكوا أيديكم عن القتل والسرقة)** [1] ، بل إن القتل هو الخطيئة الوحيدة التي لا تُغتفر. كذلك تنهى الديانة المندائية عن فعل الشر والظلم (**لا تسلموا ضعيفًا إلى قوي)** [2]... فكيف يحارب المندائيون ويَقتلون الآخر؟ وكيف يلاحقون شعب الله الأعزل الذي يقوده أعظم أنبياء العهد القديم؟

---

١ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ١٥

٢ "كنزا ربا" اليمين ـ ص ٣٨

ثم هل يقاتل الصابئة إلى جانب الفرعون وهو الطاغية الملحد ، ويقفون ضد موسى النبي الموحِد ؟ هل يعقل هذا ، وهل يصح أن يقف الصابئة مع الباطل؟؟ هذا إذا كان للقصة كلها (حدث العبور) وجود حقيقي أصلاً.

أما بالنسبة لوجود الصابئة قديمًا في مصر ، فهل هنالك أية وثائق رصينة ومعتمدة علميًا ، تشير إلى أن الصابئة المندائيين عاشوا سابقًا في مصر ؟... هل يوجد للصابئة أي أثر مادي في مصر يشير إلى وجودهم السابق هناك ؟... هل تم العثور في مصر على أية نصوص كتبت باللغة المندائية ؟

إن العقيدة المندائية تختلف اختلافًا جوهريًا عما كان سائدًا في مصر آنذاك ، بل وعلى نقيض واضح ، فالديانة المصرية كانت تؤمن بتعدد الآلهة مثلها مثل ديانة الرومان والإغريق وغيرها من الديانات القديمة ، كما آمن المصريون بالجسد (المادة) وقدسوه واهتموا به حتى بعد الموت ، كذلك آمنوا بقيامة الأجساد بعد الموت وبعودة الروح إلى الجسد ، وكانوا يعتقدون أن الخُطاة مصيرهم الفناء والعدم ، كما أن البكاء على الأموات في معتقد المصريين القدماء كان شيئًا مستحبًا... إلى غير ذلك ، ولهذا اهتم قدماء المصريين بتحنيط الأجساد لحفظها من الزوال ، والتحنيط كان بمثابة بوابة العبور إلى الحياة الأخرى ، فبدون الجسد المحنط (المحفوظ) لن تتمكن الروح من العودة مرة أخرى إلى الجسد ، ونتيجة لهذا لن يبعث الشخص المتوفى إلى الحياة مرة أخرى ويكون مصيره الفناء الأبدي.. إن اهتمام المصريين الكبير بتحنيط الأجساد معناه تقديسهم للمادة (الجسد) وأن الروح وفق عقائدهم لا قيمة لها دون الجسد. في حين تعتبر الديانة المندائية أن الجسد هو مجرد حاوية تحتضن وتقيد النفس (نشماثا) خلال فترة وجودها في هذا العالم ، وبموت الجسد تتحرر النفس (وليس الروح كما هو الحال عند المصريين وعند شعوب أخرى) وتنطلق النشماثا إلى خالقها الذي انبثقت منه ، وأن الأجساد زائلة فانية لا قيمة لها بعد تحرر النفس الإنسانية.

من ناحية أخرى فإن طقوس الدفن في مصر القديمة كانت تصاحبها مظاهر البكاء والنحيب والحزن المبالغ بها ، وذلك لغرض طلب رأفة الآلهة بالمتوفى لعلها تعفو عن خطاياه وتمنحه حياة النعيم الأبدية (توجد الكثير من الرسوم والنقوش التي تصور مشاهد النائحات ومواكب الحزن في الجنائز المصرية القديمة) ، في حين تُحرِّم الديانة المندائية الحزن والبكاء على الأموات (**لا تبكوا أمواتكم ولا تقيموا عليهم الأحزان ، إن من مزق ثيابه على ميت فقد دنسها ، ومن قلع شعرة على ميت فسيربط بجبل الظلام بحبل لا يبيد**) [1] .

كذلك يقوم المصريون بوضع الأطعمة والأشربة في القبر قرب جثة المتوفى المحنطة إيماناً منهم أنها ستكون زاده خلال رحلته إلى العالم الاخر...

فأين نحن وعقيدتنا من هذه الأفكار الغريبة ؟

المصريون اهتموا بالموت أكثر من الحياة ، ونحن الصابئة نهتم بالحياة المثلى لأنها الطريق إلى الحياة الأبدية. بحسب عقيدتنا يتم الخلود باتحاد النفس مع الخالق الخالد ، وأن الأنفس جميعها تعود بعد تهذيبها وتطهيرها إلى خالقها لتبقى في عالم النور إلى الأبد ، أما عند المصريين فالحصول على الخلود يتم بعدم معصية الآلهة وعدم اقتراف الذنوب والآثام ، وأن الأرواح بحسب عقيدتهم هي التي تُحاسَب وليس الأنفس ، وأن الأرواح الخاطئة يكون مصيرها دار العقاب حيث الفناء والعدم.

هم عندهم (أوزيريس) كبير الآلهة ورب العالم السفلي ، وهو الذي يزن الأعمال ويحاسب البشرية... ونحن عندنا الله الواحد الحي القدير ملك النور السامي.

في العالم الآخر يتم التعرف على الفرد الصابئي من خلال اسمه الفلكي (الملواشة) ، أما في عقيدة قدماء المصريين فيتم التعرف على الفرد يوم الحساب من خلال شكله (صورته) إضافة إلى اسمه الدنيوي ، لذلك كانوا ينحتون صور الموتى على نعوشهم.

---

١ **"كنزا ربا" اليمين - ص ١٧، ١٨**

وهنالك الكثير من الاختلافات الأخرى بين الديانتين المندائية والمصرية القديمة.

المصريون كانوا يعتبرون الفرعون بمثابة الإله على الأرض ، وكل فكر خلاف ذلك هو خروج عن إرادة الفرعون ويستوجب أشد العقوبات...

وهذه بعض الأسباب التي تمنع وجود وتعايش الصابئة هناك.

ولو كان الصابئة موجودون فعلاً في مصر القديمة لبقيت منهم بقية مثلما بقي صابئة العراق وإيران ، ولتركوا شيئًا من مفردات لغتهم في اللهجة الدارجة المصرية مثلما هو الحال مع اللهجة العراقية التي تتضمن مفردات مندائية عديدة. وفي الحقيقة لا يوجد في الأدب المندائي أي إشارة أو ذكر لشيء له علاقة بمصر ، ليس هنالك ذكر لمدينة أو نهر أو رقعة جغرافية أو اسم لملك أو فرعون أو غير ذلك... في حين وردت الكثير من المصطلحات والمسميات العراقية في (الكنزا ربا) والكتب الروحية الأخرى ، منها على سبيل المثال: أور وبابل والجنائن المعلقة ودجلة والفرات والنخلة والتمر والسبي البابلي وجنة عدن وغيرها الكثير ، كذلك وردت في تلك الكتب اسماء عراقية شرقية قديمة للذكور والإناث.

أما بالنسبة لدنانوخت المعلم الصالح، فقد ورد ذكره في كتب التاريخ بأسماء عدة ، فهو (دنانوخت) عند الصابئة و(اخنخ) عند اليهود و(إدريس) عند المسلمين و(هرمس) عند اليونان والمصريين القدماء، وهنالك شك في كون هذه الأسماء جميعها تعود لشخصية واحدة ، فلا تشابه أو تقارب لفظي بينها. وعلى العموم فاذا كان دنانوخت الصابئي هو نفسه من رحل من بابل إلى مصر ، فهذا الأمر لا يؤكد وجود وانتشار الصابئة والدين الصابئي المندائي هناك ، كما أن دنانوخت كان حكيمًا وفيلسوفًا أكثر منه رجل دين ، وهو نقل رسالة توحيد ولم يكن مبشِّرًا بدين معين.

هنالك شك بحقيقة وجود تسبيحات للرب في تاريخ مصر القديمة، فالمصريون كانوا يعتبرون الفرعون هو الإله على الأرض ، ويعتقدون بوجود آلهة أخرى

كثيرة تدير شؤون العالم وهي جميعها مساندة وراعية وحامية للفرعون، والمعروف أن جميع الفراعنة كانوا طُغاة ملحدين يستعبدون عامة الشعب ويعتبرون أنفسهم بمثابة آلهة ويسخِّرون كل شيء لصالحهم، فكيف يكتبون تسبيحات تمجِّد الرب الواحد الذي لا يعرفونه اصلا؟ أين كُتبت تلك التسبيحات ومتى ؟ وما هي المصادر والدلائل التي تشير إلى ذلك؟... وإن وجدت نصوص لتسبيحات في مصر القديمة فمن المحتمل ان تكون لموحدين صالحين عاشوا أو مروا بأرض مصر قديمًا، كدنانوخت أو موسى أو إبراهيم أو غيرهم.

أما مسألة أن أحد الفراعنة كان موحِّدًا فأعتقد أن تلك دعاية يروِّج لها المصريون ليدَّعوا أن التوحيد قد بدأ في مصر ، فبعض الكُتَّاب المصريين المحدثين يدعون أن التوحيد بدأ عندهم ثم انتقل إلى الشرق وبلاد الرافدين ، وهو أمر غير صحيح ومخالف للحقائق التاريخية ، فلم يعش آدم ولا شيت ولا سام بن نوح في مصر، وهؤلاء هم أول الموحدين ، كما أن دنانوخت وإبراهيم عاشوا في العراق قبل هجرتهم إلى مصر.

أما عصا الكاهن المصري فهي لا تعني بحال من الأحوال (مركَنا) رجل الدين المندائي ، فجميع الكهنة والملوك والأباطرة حتى عصرنا الحاضر يحملون العصا أو الصولجان ، حتى صور ومنحوتات الآلهة كانت تُظهرهم حاملين لصولجاناتهم في أيديهم ، تلك الصولجانات لها دلالات سلطوية وتمثل القدرة والرعاية ، كما ترمز إلى العرش والسلطة العليا. أما (مركَنا) رجل الدين المندائي فهي تمثِّل الماء الحي.

- **الدكتورة/ ليلى الرومي:**

- تعليقًا على مقال الأستاذ "مجيد جابك جاري".

العلاقة بين الدين المندائي والديانة المصرية القديمة يمكن التوصل لها بالإطلاع على الكتابات المصرية القديمة: قبل عدة سنوات أقام المتحف البريطاني في لندن معرضًا لكتاب الأموات للمصريين القدماء **THE BOOK OF THE DEAD** وحين شاهدت المعرض والرسومات الرائعة المذهبة وقرأت الترجمة الإنجليزية تحتها؛ ذهلت وأصابتني الدهشة وخاصة عندما ترى رسم وزن النفس بالميزان وفي فكري وأنا أقرأ الـــ **TEXT** قلت هذه تشبه كتابات (الكنزا ربا).

ولكن في نفس الوقت وفي رأيي الشخصي أن معظم الديانات نقلت من بعضها البعض وتأثرت ببعضها البعض، ومن أتى الأول ومن اقتبس منه، أسئلة من الصعب الإجابة عليها في بعض الأحيان...

ولهذا وخاصة بالنسبة للديانة المندائية وقلة المصادر التاريخية حول أصلنا وتحركاتنا وهل بدأنا في الأردن أم في بابل وأيضًا موضوع وجودنا في حران وهل بهرام هو النبي إبراهيم... أسئلة من الصعب الإجابة عليها والاقتناع بالبراهين التاريخية القليلة الموجودة حاليًا. وبقى الكثير من الأسئلة التي قد يجد علماء اللغات الآرامية الإجابة عليها من تحليلهم للغة المندائية في المستقبل كما فعل بروفسور "جارلس هيبر" في محاضرته حول دراشة يهيا ياهانا.

وأشكر الأخ مجيد جابك على المعلومات والله يرحم الوالد غضبان رومي والعم نعيم بدوي على دراساتهما لهذه المواضيع والتي لا تزال مصدرًا للبعض... وندعو ونشجع كل باحث مندائي أو من أي ملة أو اختصاص على تعميق فهمنا لديانتنا المندائية وتاريخنا المندائي الذي مع الأسف لم يحظى بدراسة واسعة كغيرنا من تاريخ الأديان وخاصة من الباحثين المسلمين والعرب الذين عاشوا بينهم كل هذه السنين. ولكننا فخورون أننا لم ننقرض (ولحد الآن) كما انقرضت المانوية والنبطية، وغيرها من الديانات القديمة التي عاشت نفس الفترة الزمنية.

الفصل الثامن

الإجحاف

أبدأ هذا الجزء بمقال جميل للمُرَّبي الفاضل غضبان رومي رحمه الله وأسكنه عالم الأنوار لِمَا قدَّمه من خدمات جليلة لطائفة الصابئة المندائيين عبر بحوثه ومقالاته وترجماته حول المندائية، وعمله الدءوب في صفوف طائفته، والعمل التنظيمي والإداري في مؤسساتها، وكان له دورٌ فعَّال في إنشاء مجلس التولية؛ اللبنة الأولى في البناء الصحيح لمؤسسات الطائفة المندائية لاحقًا.

يقول الأستاذ الفاضل أبو يحيى:

كثر الحديث عن الصابئة وتنوعت المنشورات حول ديانتهم، واختلف الباحثون قديمًا وحديثًا حول أصلهم ونشأتهم ولغتهم وأبجديتهم وديانتهم، ولقد واصل العديد من العلماء دراسة تلك النواحي عنهم، فمنهم من وُفِّق بعد جُهدٍ مضنٍ ودراسة مستمرة، ومنهم من كانت حصيلة شباكه سمكات هزيلات.

كما خاض الموضوع علماء الكهنوت واللاهوت من مسيحيين وإسلام، منهم من اكتفى بما قاله السلف، ومنهم من استمر بدراسته وتبحر في تتبعه فأظهر حقائق لها قيمتها العلمية سواءً لأبناء الصابئة أو ضدهم.

ولمَّا كان أبناء هذه الطائفة ملزمين قبل غيرهم بالإطلاع على ما يُكتب وتصحيح المغلوط منه، دون تمييز أو لف ودوران، وذلك كي يعطوا المتتبعين الحقائق الصادقة بعد أن كانت هذه الحقائق وقفًا على علماء الدين منهم، والتزام هؤلاء بالسرية المتزمتة في الإباحة أو الكتابة عنها مهما كان نوعها أو كانت قيمتها، غير مبالين بما يقال أو يكتب عنهم... لذلك دفعني الواجب العلمي أن أكتب هذه الكلمة لمجلة التراث الشعبي خاصة، وهي بحث علمي عن قسم من سُكان العراق الأقدمين الذين برز منهم الشعراء والأدباء في المجتمع العراقي، لعلِّي في عملي هذا قمتُ بشيء من الواجب أو إضاءة بعض النواحي التي ما زال الظلام يكتنفها لغيري من الباحثين... ولم أقصد من ذلك غير الفائدة والاستفادة.

إن القرآن الكريم واضح حين عدَّهم كالنصارى واليهود، وكل قول يخالف ما جاء في القرآن لا يؤخذ به، لأنه قد يكون ناجمًا عن تمسك الصابئين بسرية دينهم وقلة بوحهم به، لكونهِم لا يقبلون أي فرد يريد اعتناقه حاليًا... ولا علم لنا بالأسباب الداعية لهذا التزمت، إذ من المعلوم أن يحيى عليه السلام قد قبل كثيرين من اليهود ومن غيرهم، وعمدهم وأدخلهم في الدين المندائي (الصابئي) لأن في التعميد إعلان المتعمد توبته، ورسمهِ بماء الحياة، وعبادة الحي الرب القيوم (هيي ربي قدمايي).

وجاء في كتاب "الخراج" لأبي يوسف، ص ٧٠ قوله: (وقد اقترح أبو يوسف بأن يصير أمر الجزية في الأمصار الكبيرة إلى رجل من أهل الصلاح في مصر ويصير معه أعوان يجمعون إليه الأديان من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس).

وفي ص ١٤٥: (والجزية واجبة على جميع أهل الذمة من في السواد وغيرهم من أهل الحيرة وسائر البلدان من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة. فالصابئون إذن من أهل الذمة، ولايجوز لأي مشرك أن يكون ذميًا).

قال الدكتور جواد علي، المؤرخ والأستاذ في جامعة بغداد: (إن الصابئة، الصابئين، طائفة خاصة لها دين خاص مثل اليهود والمسيحيين)، وقال في رده على المفسرين: (ولكن الذي يقرأ من القرآن أن الصابئين جماعة كانت على دين خاص وأنها طائفة مثل اليهود والنصارى، أي أن الكلمة مصطلح لها مدلول مفهوم).

وقال الباحث الأستاذ عبد الرزاق الحسني في مقاله المنشور في مجلة العربي العدد ١١٢ عام ١٩٦٨ عن عقيدتهم: (الخالق جلَّ شأنه واحدٌ أزليٌ أبديٌ لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه من عوالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكوناتها، ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين به)،

وقال الأستاذ سليم طه التكريتي في كلمته المنشورة في جريدة النور ، العدد ٣٦٩ في ١٩٧٠/١/١ : (وحتى الكتب التي وضعت عنهم "الصابئة" في العربية مع قِلتها فأنها لم تكن تخلو من أخطاء كبيرة فيما يخص نشأة هذه الطائفة وطقوسها وعاداتها وتقاليدها ، فحتى الآن لا يزال عدد من الكُتَّاب والمؤلفين على جهل كبير بحقائق معتقدات هذه الطائفة، وأصول ديانتها)...

ثم يعود فيقول: (فقد استطاع مُترجِما كتاب الصابئة المندائيون -ويعني غضبان رومي، ونعيم بدوي رحمهما الله - أن يغوصا في أعماق الديانة المندائية وأن يبرزاها على حقيقتها كديانة توحيدية، تؤمن بالله الواحد خالق الكون، وبذلك فندّا كل الأضاليل والأكاذيب التي ذكرت حتى الآن عن وثنية الصابئة المندائيين وعبادتهم للنجوم).

أما الباحثون الغربيون فقد اتفقوا جميعًا على أن الدين الصابئي دين توحيدي ولا حاجة بنا إلى ذكر أقوالهم لِمَا في ذلك من إطالة وإسهاب.

والفرد الصابئي متزمت جدًا في توحيده، فهو لا يأكل ولا يشرب ولا يعمل ولا ينام من دون أن يقول (اسم الحي واسم عارف الحياة منطوقان عليَّ)، وإذا جلس صباحًا فأنه يقول (آكا هيي آكا ماري آكا مندادهيي) وتعني (إلهي الحي وعارف الحياة إلهي الذي انبعث من ذاته).......

... المقال طويل، ونكتفي بهذا القدر منه.

▪ تعقيب:

أتفق مع أستاذي غضبان رومي رحمه الله في كل ما ذهب إليه ، وأؤكِّد ما أكده في بقية مقاله القيم من أن الصابئة المندائيين يؤمنون بالعمل الصالح، وبالآخرة والجنة وجهنم ؛ كاعتقاد المؤمنين بالله سبحانه وتعالى، ويؤمنون أن هذه الدنيا

دار فناء والآخرة دار بقاء والإنسان بأعماله (**كلٌّ ما يُصنَع بالأيدي يفسد وكُلٌّ حَيَ يمُوت... إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون**)[1].

ولكن أختلف مع أستاذي الجليل في نقطتين:

- الأولى: فيما يخص قبول النبي "يهيا يهانا" -مبارك اسمه- بتعميد اليهود أو غيرهم وإدخالهم في الدين الصابئي المندائي... وهذه وجهة نظر أحترمها ولكني اعتقد أن النبي يهيا يهانا كان يعيش في فلسطين على ضفاف نهر الأردن وكان حوله عدد من الأقوام مثل الأسنيين، واليبوسيين، والحسح، والصدوقيين، والكنعانيين، والسامريين، وغيرهم، ومنهم الصابئة المندائيون الذين يعرفهم ويعرفونه، والذي ترَّبى في وسطهم وضمن مجتمعهم، ولو كان نبي الله يهيا يعمِّد غير المندائيين فلماذا لم يستمر التعميد وهو خاتم أنبياء المندائيين، ولماذا لم يذكر النبي يهيا دعوة غير المندائيين إلى دخول الدين الصابئي المندائي في تعاليمه المحفوظة (كتاب دراشة يهيا)... وإذا كان من يقول إنه عمَّد السيد المسيح؛ فهناك إجابة لهذا السؤال: أولاً، هناك قناعة أن السيد المسيح كان صابئيًا مندائيًا عندما عمَّده (صبغه) ونهل الكثير من تعاليم النبي والمعلم يهيا يهانا. ثانيًا، لقد عَمَّدَ السيد المسيح بأمر من الحي العظيم ليكون صابئيًا مندائيًا، وهناك إشارات على ذلك في الكتب الدينية المندائية، وهذه وجهة نظر قابلة للنقاش.

- الاختلاف الثاني: حول المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني والذي أساء في كتابه لأبناء الطائفة ووصفهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم، بدون أن يقدِّم الحجة والبرهان على ذلك، أو حصوله على المعلومات العلمية والدينية بعد معايشة ميدانية لهذه الطائفة وهم على مقربة منه، ولولا وقوف شيخنا الجليل الكنزبرا دخيل الشيخ عيدان بوجههِ وإجبارهِ بالحُجةِ أمام القضاء العراقي بزيف ادعاءاته وعلى تبديل آرائه المشبوهة التي ألحقت الضرر بأبناء الطائفة.

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

أما موضوع الجزية فهذا موضوع آخر يحتاج إلى مناقشة، فهناك من يعتبره دليلاً على التوحيدِ، باعتبار أن المسلمين اعتبروهم من أهلِ الذمةِ، بمعنى أن الصابئة واليهود والمسيحيين بذمة المسلمين وتحت حمايتهم، ومقابل هذه الحماية عليهم أن يدفعوا الجزية... ولكن بتطور الحياة توقفت الجزية لأنها تتعارض مع حقوق الإنسان التي اتفقت عليه وأقرته كافة الأمم وشعوب الأرض، حتى حقوق الإنسان تطورت مع الوقت، وجاء زمن الحرية والديمقراطية والانتخابات الحرة النزيهة التي بها يختار الناس من يحكمهم بالعدل والمساواة، وأصبح كثيرٌ من شعوب الأرض تحكم نفسها بنفسها عبر برلمانات تكون هي صاحبة الكلمة وصاحبة القرار، وكما يقول الجواهري رحمه الله:

دالَ الزمانُ وبُدلتْ نُظُمٌ به ولكلِ عصرٍ دولةٌ ونِظام

ونجد حاليًا معظم الدول الإسلامية لها دساتير تضمن حقوق الناس وتعتبر الدين لله والوطن للجميع، والكل إخوة في وطنهم مهما اختلفت ديانتهم أو مذاهبهم أو لونهم أو قوميتهم... وفي العراق الحبيب كان الجميع يعيشون إخوة متساوين في الحقوق والواجبات، وبالرغم من أن الدين الإسلامي هو دين الدولة كما ينص الدستور، ولكنه يضمن حقوق الأقليات الدينية ويرعاها؛ باعتبار أن الدين الإسلامي دين تسامح ورحمة كما يذكر النص... ومع ذلك هناك متشددون متطرفون ومنهم عدد من فقهاء الدين لا يقرون هذا التسامح، والدليل ما فعلته داعش بالإخوة الإيزيديين أبناء الوطن المسالمين من أعمال نهب وسلب وقتل واغتصاب وبيع نسائهم في سوق النخاسة متذرعين بالدين، عائدين للوراء ١٥٠٠ سنة بعد أن تطورت البشرية وأقرت الحقوق من قبل الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية في العالم.

علينا جميعًا كمواطنين أبناء وطن واحد، أو أبناء الإنسانية في أرجاء العالم، أن نحيا بسلام وأمان وإيمان بأن الله جلَّ وعلا ربنا جميعًا نعبده ونسبّحه، سواء كنا مسلمين أم مسيحيين أم صابئة مندائيين أم يهودًا، فكلنا نوحِّد الله ونقدِّسه ونقدِّس

أنبياءه المرسلين ، وما أنزل علينا من كتبه المقدسة وتعاليمه النورانية ، لأن الفرقة والتعصب والتطرف الديني والمذهبي يلحق أضرارًا بليغة بالأوطان والمواطنين، وهذا العراق -مع الأسف- مثلاً لذلك؛ ملايين المواطنين مهجرين قسرًا يطلبون الأمان والحياة الكريمة التي وجدوها في دول الغرب بينما الشرق هو مهبط الأنبياء والرسالات ومنه جاءت إلى الغرب.

مازال بعضنا نحن الشرقيون وخاصة العرب؛ يعيش بعقلية ترجع لقرون خلت، بينما البشرية قطعت شوطًا بعيدًا في التطور في كافة الميادين، وعلينا مواكبة هذا التطور وسد الفجوة الكبيرة بيننا وبين تطور الأوربيين والدول المتقدمة اجتماعيًا وصناعيًا وثقافيًا وفي كل المجالات الأخرى، وأن نسمع صوت العقل والحكمة والموعظة الحسنة؛ صوت الحق والسلام والمحبة والإخوة الصادقة والمواطنة الحقيقية وحُبِّ الوطن ومحبة الناس كل الناس، لنضمن لأجيالنا المستقبل والحياة الكريمة المزدهرة، ونرفض دعوات التخلف والفتنة والفرقة على أسس قومية أو طائفية أو أثنية... كلنا عباد الله وكلنا أبناء وطن واحد وكلنا من آدم وآدم من تراب، المهم العمل الصالح والإيمان بالله الواحد الأحد والابتعاد عن كل ما حرَّمه الحي العظيم في كل الأديان والنواميس السماوية، ولهذا أجد من واجبي أن أكمل الرسالة التي بدأها أساتذتي والمعلمون الأوائل... ومن الله التوفيق.

- **الأستاذ / نعيم عربي ساجت:**

مُربِّي فاضل ، غنيٌ عن التعريف بإنتاجه الأدبي والمعرفي واهتمامه بالأدب والتراث العراقي والمندائي ، وقد قدَّم الكثير من المقالات في هذا المجال ، ومن ضمنها كتب مقالاً يدعو إلى المحبة والخير والجمال ، ويطلب من أبناء الصابئة المندائيين التمسك بروح المندائية ؛ روح الإيمان والمحبة والتوحيد ، والالتزام الكامل بوصايا الحي العظيم مسبح اسمه ، وضرورة التمسك بالقيم والأخلاق الحميدة والابتعاد عن الفرقة والتشتت ، ويدعو إلى طهارة النفس وطهارة الجسم كما توصي تعاليم الدين المندائي... وعنون الأستاذ نعيم مقاله بالعنوان التالي (إلى المحبة أيها المندائيون) ، وقد جاء فيها :

إلى المحبة أيها المندائيون

أرجو عفوكِ وغفرانكِ أيتها الشجرةُ العظيمة... يا من أوجدكِ الحيُّ العظيم تبارك اسمه من فيض قدرته ، وزرعك على هذه الأرض بقبسٍ من ذاته الربانية وأغناكِ بقطراتٍ من نبع حكمته... أرجو عفوكِ وغفرانكِ أيتها الشجرةُ العريقة ذات الجذور الراسخة الممتدة عميقًا ، عبر الزمن والتاريخ... يا شجرة عائلتي المندائية الكبيرة الرائعة ، يا من أشرقتِ حين كانت الدنيا يلفُّها الظلامُ الدامس ، ونزلتِ منذ أن نزل أبونا آدم (ع) من عالم النور إلى هذه الأرض ، فكانت رسالتك نفحة ندية معطرة بأريج المعرفة ، مضمخة بعبق النور الإلهي السني... فكنتِ أولى بذرات الخير التي بذرتها الذات الربانية المباركة في هذا العالم ، وأهداها سراج المعرفة ، فكان اسم (منداد هيي) المبارك عونًا لكِ لتكوني أول العارفين بعظمة الخالق جلَّ جلاله ، فتعمدتِ بسناه الباهر ومياهه الطاهرة...

أرجو عفوكِ وغفرانكِ لأني أقف اليوم صارخًا من الألم الحبيس في قلبي حزنًا وعذابًا ، شاكيًا لكِ حال أبنائكِ... لأول مرة أناديكِ متوسلاً أن تسمعي مني آهة

يزفرها صدري ، وقلبي الذي يستمد نبض الحياة من حياتك ونسغ الصحة والعافية من قوتك وديمومتك وعزتك... يا شجرة الخير والجمال والمحبة... نعم أيتها الشجرة العظيمة إنني أشكو إليكِ حال أبنائك، فهم اليوم بحالة يُرثى لها من التمزق والتشرذم والابتعاد عن روح المندائية وجوهرها الأصيل ؛ المندائية التي تجلت فيها الوصايا الربانية التي أوصى بها الحي العظيم تبارك اسمه ، والتي أنارت بصائر أجدادنا الراحلين - طيَّب الحيُّ ثراهم -... إنني إذ أشكو إليكِ حال أبنائكِ اليوم أقفُ مبتهلاً إلى ربنا راجيًا أن يفتح بصائرهم ليروا النور الحق ويهتدوا إلى الطريق السوي في هذه الدياجير الحالكة التي صارت تغلِّف حياة البشر في هذا العصر الصاخب الملوث بالشرور المدمرة للنقاء الذي وضعته الروح القدسية الربانية في قلب المندائي الأصيل ليكون طاهر النفس، طاهر الجسم، طاهر اللسان... جاء في كنزنا الثمين كتابنا العزيز (الكنزا ربا): **(أنا رسول النور ، كل من قبل صوتي عينه من النور تملأ ، وفمه بالتسبيح ولُبّه بالحكمة يملأ)**

لقد سُلِبت منهم الفطرة السوية، فصارت تتنازعهم المصالح المتضاربة، فترى البعض منهم - مع الأسف - فظًا صلفًا، أنانيًا، نهمًا، لا يهمه شيءٌ في الحياة غير السعي وراء تجميع الثروة وتضخيمها عن أي طريق وبأية وسيلة، وهو عبدٌ للشهوات.

(صوِّموا ألبابكم عن ظنون السوء والبغض والحقد والفرقة ولا تدعوها تحل بقلوبكم لأن الذي يمسك البغضاء ليس بمؤمن)

فبعض النفوس قد أفسدها الطمع والأنانية، وأمرضها الترف والثراء، فتجاهل الأغنياء منهم ما يكابده إخوانهم الفقراء من حرمان وبؤس... لقد ابتعدوا كثيرًا عن جوهر المندائية الذي يدعو إلى المحبة والتعاطف، ضاعت عن بصائرهم القيم النبيلة وعشعشت مكانها روح ظلامية شريرة أطفأت سراج العقل وسرقت منهم الحلم والرحمة، فغدت النفوس مريضة، شوهاء، خرقاء، يعلوها صدأ

الحقد والطمع والتعالي والتفاخر بالأنساب والنعرات العائلية... هذه الصفات كلها بغيضة في نظر الخالق تبارك اسمه، وتخالف وصاياه في أن تكون العلاقات بين البشر جميعًا قائمة على المحبة والمساواة والتسامح.

(نحن خلقناكم أيتها الغرسات التي غرسناها وأيها المختارون الذين اخترناهم، لا تزنوا، لا تسرقوا، ولا تكونوا، من عالم النمامين ويتسلط القوي على الضعيف، ولا تمتثلوا لأدعياء الغش والخداع).

إن كل الشرور تصدر عن الأنانية والطمع اللذين يعشعشان في النفوس السقيمة والعقول القاصرة كما تعشعش الحيات والعناكب السامة.

(رأس دينك لا تدنس كلماتك بالكذب وأعمالك بالأباطيل)

(رأس إيمانك أن تؤمن بملك النور الخالق مسبح اسمه وأن تتقوم بكل مبادئه النقية وتعمل بها)

(رأس حكمتك أن تحاكم نفسك)

(من لدنك أيها الحي ربي لتكن الرأفة والتوبة والعفو والرحمة لنفوس كل المندائيين الصالحين، ولنفسي أنا، بدعاء الرحمة هذا وغفران الخطايا) والحي مزكينا

يقول توماس المفكر اللاهوتي الألماني: النعيم ليس شيئًا فقط في العالم الآخر، بل علينا أن نبحث عنه في حياتنا الدنيا هذه. واجب المؤمنين أن يقيموا ملكوت الله على هذه الأرض.

فيا إخوتي المندائيين: لنجعل من أشجار حديقة حياتنا كلها خضراء بالمحبة والتعاطف الإنساني، فالله محبة، والدين محبة، والحياة محبة... فعالم الحب هو الباقي، وعالم البغضاء هو المنهزم الفاني.

فيا إخوتي: لندحر الأنانية، فهي تمثل بؤرة الشر في الكون، وغيمة الظلام الملوثة لنقاء النور، فهذه الأنانية في دواخلنا هي أفعى تفرخ كل الشرور... فلتندحر من حياتنا فلا يبقى من آثارها المدمرة شيء يذكر، كما تندحر الظلمة أمام النور... وفي عالم المحبة وحده يتألق النور.

- **مبادرة وجادلهم بالتي هي أحسن:**

بعد مقابلة رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم: الريش أمة ستار جبار حلو للمرجع الشيعي الأعلى في النجف الأشرف حجة الإسلام علي السيستاني... وطلب منه ضرورة الاعتراف بالصابئة المندائيين كدين موحَّد حماية لهم من المتطرفين، وتطبيقًا لما ورد في القرآن الكريم في سور البقرة والحج والمائدة، وتنفيذًا لوصايا علماء الدين والمؤرخين المنصفين... ولأنه لم يحصل على جواب قاطع، وإنما حصل على وعود بدراسة الموضوع؛ توجّب تفعيل الأمر بمبادرة لنقاش أخوي مستند للحجة والبرهان، ومجادلة المعنيين بالأمر للإقناع واتخاذ القرار الحق الذي تدعو إليه كل الأديان الموحدة وأنبياء الله المرسلين وكتبه المقدسة.

بسم الحي العظيم

إننا هنا نناديكم جميعا لنطلق نداءنا لتعضيد مبادرتنا (وجادلهم بالتي هي أحسن) التي أطلقناها من أجل ديمومة ورفعة ووجود الدين المندائي، كي يبقى ويستمر في أرض فرات زيوا وطن الآباء والأجداد، مما يستوجب العمل الجريء بعد رصِّ الصفوف وتوحيد كلمتنا كي ننتزع حقنا انتزاعًا بعد أن مرَّت سنون عجاف راح ضحيتها عشرات؛ بل مئات؛ المندائيين الذين سقطوا صرعى لا لذنبٍ اقترفوه بل لأنهم تمسكوا بهذه الأرض المقدسة التي تعمَّد أجدادهم وآباؤهم بمياهها وأحبتهم؛ سقطوا ضحية لصراعات دينية متطرفة ومفاهيم وضعت أصحابها خلفاء للحي العظيم تبارك اسمه، يكفِّرون البشر ويقتلونهم ويهينونهم حسب مقتضيات أطماعهم السياسية وتطرفهم الديني، وبممارستهم هذه أُجبِر المندائيون على أكبر تهجير قسري عبر التاريخ، ووضعتهم تحت خطر الانقراض والتشتت...

المشكلة تكمن بنا أولاً، ثم بالآخرين ثانيًا... إذ تكمن هذه المشكلة بأن طيبتنا المندائية وحسن نوايانا مع الآخرين سببت لنا إشكالات جعلت الآخرين يهمشوننا وينظرون لنا بنظرة استعلائية، وتمادوا إلى عدم الاعتراف بنا بأننا موحدين لأن مقياس الاحترام وكما يفهمونه هم بحجم القوة والتأثير التي يملكها الطرف المقابل... لذلك كله نحن كنا ولازلنا لا نملك حتى الاستراتيجية لرسم المسارات التي يجب أن نتحرك عليها أو كيفية الدفاع عن أنفسنا، وكذلك نفتقر إلى وعي وأمن ذاتي يؤمِّن أنفسنا وأموالنا ومستقبل أبنائنا بالرغم من هول ما تعرضنا إليه من نكبات... ونحن هنا لازلنا لا ندعو إلى عنف أو قوة لانتزاع حقوقنا واعتراف الآخرين بنا لأن ذلك يتقاطع مع مبادئ ديننا المندائي السمح وأخلاقنا، بل ندعو إلى العمل من أجل تثبيت العقيدة المندائية للذين نتعايش معهم منذ مئات السنين ولحد هذه اللحظة وهم مازالوا بين منصف ومجحف... والمجحفون بحقنا والمتطرفون يتهموننا ظُلمًا وعدوانًا بأننا غير موحدين؛ لمرض في نفوسهم، والتشكيك بكتابنا المقدس وبأنبيائنا وكيل التهم الباطلة الملفقة على ديننا من قبل بعض المؤرخين السذج أمثال: أبو يوسف القطيعي والحسني، وهؤلاء لم يطلعوا على كتبنا المقدسة ولم يعيشوا وسطنا ليطلعوا على حقيقة إيماننا التوحيدي بالله وملائكته وأنبيائه وكتبه والحساب والعقاب واليوم الأخر، وإنما بنوا مواقفهم المخزية والكاذبة كي يستمروا في معاملتنا بتعالي ويمنون علينا عندما يحيوننا أو يصافحوننا أو يأكلون من زادنا، أو حتى عندما يتمنون اغتصاب بناتنا بحجة أن الشريعة الإسلامية تحل لهم ذلك!!... فهم يمطون تعاليمهم الدينية حسب مصالحهم وتطرفهم المنحرف عن الدين القويم والقيم والأخلاق وحقوق الإنسان... للأسف هذه هي الحقيقة التي تعودنا على قبولها بالتهديد والترغيب والجبن أحيانًا للأسف الشديد.

ومن هذه الأسباب انطلقت مبادرتنا السلمية التي ستكون أخر السُبل التي نطرقها بعد أن صمَّ السياسيون ورجال الدين المسلمون ومرجعياتهم آذانهم غير آبهين بصراخنا ومطالبتنا كي يسمعوننا بأننا جذر التوحيد الأول، وأننا حملة التعاليم

الأولى وصحف آدم عليه السلام، وأننا نؤمن بالله وبالأنبياء والكتب والملائكة والحياة الأخرى، ونؤمن بنواميس وأخلاق البشر الصالحين... لكنهم مازالوا يتحججون بكلام كُتِب في بواطن كتب التاريخ القديمة والتي كتبتها أقلام مدسوسة غير نزيهة ولا أمينة تتهم بها المندائيين بشتى الاتهامات الظالمة المقصودة وتجعلهم وكما عاشوا مئات السنين تحت الظلم والجور والتهميش... ولا يستمعون اليوم إلى المندائيين وجهًا لوجه ولا يطلعون على كتابهم المقدس وسيرة ومواعظ أنبيائهم، كي يثبتوا لهم بالدليل القاطع أنهم ديانة كتابية موحدة تؤمن بالله والملائكة والأنبياء، وأن هناك حياة أخرى فيها ثواب وعقاب، وأن محللاتهم ومحرماتهم تتشابه كثيرًا مع المسلمين والأديان الموحدة الأخرى، وأن هناك قواسم مشتركة كثيرة وناموس الإنسانية، وليس كما كتب فلان ولا علان الذين اتهموا المندائية زورًا وبهتانًا منذ أربعة عشر قرنًا، لا لشيء بل لأنهم رفضوا أن يتحولوا إلى دين آخر، وصمدوا وصبروا واستمروا كل هذا الزمن، لأن إيمانهم بدينهم لا يعلو عليه شيء.

أخوتنا الأعزاء جميعًا:

نحن نتوسم بكم أخذ مبادرتنا بالجدية والاهتمام بعد أن طرحنا بعض أسماء السادة رجال الدين والأساتذة ممن نثق بأنهم سيكونون عند حسن ظن الطائفة بالبحث والتقصي للمحاور التي اقترحناها، وسيقدمون بحثهم في تلك المحاور بشكل يقنع القارئ أو المتلقي بصحته ويفحمه في أي نقاش منتظر، وهنا نحب أن نؤكد أن الأبواب مفتوحة للجميع بما يملكونه من معلومات حقيقية.

في نهاية رسالتنا هذه نقول لبعض الأخوة والأخوات المتحفظين على مبادرتنا هذه: نود أن نطمئنهم بأننا سئمنا زمن الخوف الذي ترك جروحًا عميقة في نفوس المندائيين، وجعلهم يتنازلون عن أبسط حقوقهم واحترامهم بما أفسح المجال أمام الآخرين للتمادي في إذلالنا، فإن كان بعضٌ من أهلنا قد قبل بهذا المصير، فإن جيلنا الجديد سيحاسبنا لأننا لم نحفظ له كرامته، خاصةً وأن أغلبه

يعيش الآن في دول علمته الاحترام والحرية وحقوق الإنسان والعيش مع الآخرين بسلام، ولكن ليس على حساب كرامته، فبالرغم من خنوعنا وطبيعتنا المسالمة السابقة والحالية، لكننا لم نسلم على أبنائنا وعلى أموالنا وعلى ديننا... والعاقل يفهم

نحييكم جميعًا، ونحيي المنصفين الشرفاء من الأديان الموحدة الأمناء الصادقين أصحاب الضمائر الحية الذين لهم مواقف مشرفة.

د. بشير عبد الواحد يوسف السيد / نزار ياسر الحيدر

▪ إجحاف عدد من الباحثين والمؤرخين :

طبعًا هناك عدد من الباحثين والمؤرخين قد أجحفوا بحق الصابئة المندائيين ، إمَّا بسبب جهلهم ، أو بسبب نقلهم معلومات غير دقيقة عن غيرهم دون تدقيق وتمحيص ، أو لأنهم حاقدون طائفيون يحاولون تشويه الصورة الحقيقية لعقيدتنا الدينية التي نهلتْ منها باقي الأديان.

أنا شخصيًا لا أحبُّ أن أكرِّر ما كتبه الخبثاءُ عن جهالةٍ أو عن عمد ، لأن التكرار يعلِّم الصغار ، ولا أريد أن أرسِّخ ما كتبوه في عقول أبنائنا وأجيالنا ، لأن الكلام السفيه يجب أن يُهمل ويُطوى ، لأن الله وهب الإنسان نعمة النسيان. ولكن إنصافا للتاريخ سأثبت هنا بعض من هؤلاء الباحثين الحاقدين للتعرف على أفكارهم وعلى تفاهة ما كتبوه ، وسوء نيتهم المبيتة ، ومنهم الإصطخري ، والشيرازي ، وأبو يوسف القطيعي ، وعبد الرزاق الحسني ؛ رغم تراجعه عن موقفه واعترافه بالخطأ ، لأن الرجوع للحق خيرٌ من التمادي بالباطل.

- أشيع القطيعي :

أما قصة أشيع القطيعي والملقب أبو يوسف ، أن الخليفة العباسي المأمون قد مرَّ بمدينة حران وهو على رأس جيش عرمرم لملاقاة الروم ، فاستقبله الناس ومنهم الحرانيون ، فشاهد لبسهم الأقبية ولحاهم طويلة ، فسألهم من أنتم؟ فلم يجيبوا !! ، فخيرّهم بين أمرين : إما أن يسلموا ، أو يتبعوا دينًا سماويًا ذكر في القرآن الكريم... فأشار عليهم أحد حكمائهم ، قال لهم : قولوا للمأمون عندما يعود من حربه : نحن الصابئون الذين ذكرنا القرآن الكريم في ثلاث سور... لكن الخليفة المأمون وافاه الأجل هناك.

إن من يتابع هذه الرواية يكتشف بسهولة أنها ملفقة ومدسوسة حينما أوردها في كتابه ، حيث أراد كاتبها – وعن سوء نية – الإساءة للصابئة المندائيين الذين

نالوا الشهرة في زمن العباسيين من مترجمين وأدباء وأطباء يشار لهم بالبنان، وهو سبب تعصبه، وكذلك ضعف معلوماته حول عقيدتهم الدينية وطقوسهم المرتبطة بهذه العقيدة، فهو مؤرخ غير موثوق... والأدلة كثيرة على كذب إدعائه:

١. لقد كان المأمون عالمًا وحافظًا للقرآن ومطلعًا، فلا تفوته معرفة الصابئة المندائيين في مدينة حران المشهورة في زمانه، وإن كثيرًا من العلماء والأدباء والكتبة والمترجمين كانوا يعملون في ديوان الخلافة وفي دار الحكمة من أهل حران، وإن أبا إسحاق الصابي كان رئيسًا لديوان الرسائل، وثابت بن قرة رئيس ديوان الحكمة ومن المقربين والمعروفين لدى المأمون، وعشرات من الكتبة والمترجمين، وكلهم من الصابئة المندائيين الحرانيين.

٢. أن إطلاق اللحى عند الصابئة المندائيين في ذلك الزمان أمر طبيعي، وكذلك لبس العمامة، وما زال رجال الدين والمؤمنين إلى يومنا هذا يطلقون شعورهم ولحاهم ويلبسون العمامة البيضاء، لأن تعاليم دينهم تقول إن لله الحي العظيم خلق الإنسان كاملاً من كل شيء.

٣. لقد عمل ثابت بن قرة عالمًا وفلكيًا وطبيبًا وفيلسوفًا ومترجمًا في القصر العباسي مع الخليفة المأمون، وكذلك آل قرة من العلماء والأدباء.

٤. لقد كذب القطيعي لأن صابئة حران كانوا يعيشون في مدينة حران منذ أزمان سحيقة سبقت المأمون وغيره من خلفاء بني العباس، ولم تكن المدينة دار حرب، لأن المأمون وغيره من الخلفاء المسلمين يعرفون أنهم كتابيون، وقد ذُكِروا في القرآن الكريم، وأنهم على خلق قويم، ولهذا كان يديرون الدواوين وأعمال الترجمة والتأليف، ولهم صداقات وطيدة مع الخلفاء والوزراء ذكرتها بطون الكتب، وقد سجّل التاريخ قصة الصداقة المتينة بين أبي إسحاق الصابي والشريف الرضي وأخيه الشريف المرتضى من آل البيت النبوي الشريف... وقد رثا الشريف الرضي أبو إسحاق بقصيدة عصماء مطلعها:

أعلمْــتَ مَـــنْ حَمَلُــوا عَلـــى الأعْـــوَادِ   أرَأيْــتَ كَيْــفَ خَبَــا ضِــيَاءُ النّـــادِي
جَبَلٌ هَوَى لــوْ خَــرّ فــي البَحــرِ اغتَــدى   مِـــــنْ وَقْعِـــهِ مُتَتَـــابِعَ الأزْبَـــادِ
مــــا كنــــتُ أعلــــمُ قبْـــل اليــــومِ   أنَّ الثَّـــرَى يَعْلُــو عَلَـــى الأَطْـــوَادِ

كذلك رثا الشاعر العباسي ثابت بن قرة عند وفاتهِ:

ألا مَــا خَــلا الله كــلُّ شــيءٍ مائــتُ   ومَن هَــاجَر يرتجــي ومَــن مَــاتَ فَائــتُ
نَعَينَــا العُلُــومَ الفَلســفيَّات كلهــا   خَبَــا نورُهــا إذ قِيــل مَــاتَ ثَابِــتُ

٥. من يستعرض أسماء أهل مدينة حران، إما أسماء عربية أو صابئية مندائية مثل زهرون، وشيشلام، وغيرها، ولعل اسم أبي الفتح المندائي وأبي إسحاق الصابي هو دليل على ما نقول.

٦. عندما هاجر الصابئة المندائيون من فلسطين إلى حران بحدود سنة ٧٠م، وجدوا لهم فيها إخوة في الدين، فاستقبلوهم وساعدوهم، واستقروا عندهم ردحًا من الزمن قبل أن ينحدروا إلى الجنوب، ويسمون بصابئة البطائح، وتم تدوين هذه الهجرة في كتاب حران كويثا، وهو من نفائس كتب الصابئة المندائيين.

٧. من المستغرب في قصة القطيعي أن يترك الخليفة المأمون مدينة حران دون اتخاذ موقف عسكري أو شرعي منها، وهي حاضرة الدنيا في ذلك الزمان وملتقى طرق التجارة والحضارة بين بلاد النهرين والشام وبلاد الإفرنج، وكان الزمن زمن الفتوحات والغزوات لضم أراضي وشعوب إلى الدولة الإسلامية، فهل من المعقول إن يتركها المأمون في هكذا موقف ؟؟؟... إن الحقيقة تكمن في معرفة الخليفة المأمون كل شيء عن مدينة حران، وأهلها، عن طريق معاونيه الذين يعملون معه من الصابئة المندائيين.

هناك أسباب أخرى تؤكد على خطأ ما ذهب إليه القطيعي، ولكنه نفث سِمَّه، وتلقفها من يريد الأذى لهذه الطائفة العريقة، واعتبروا القصة سندًا تاريخيًا لواقعة مزيفة.

- عبد الرزاق الحسني:

مؤرخ عراقي، كان من المفروض أن يكون قريبًا من الصابئة المندائيين الذين يعيشون في مدن وقرى تمتد من جنوب العراق إلى بغداد وديالى، وكان بمقدوره أن يتعايش معهم ويطلع على حقيقة دينهم التوحيدي وطقوسهم التي ترتبط بهذه العقيدة، ولم يكن الأمر عسيرًا عليه... ولكن بسبب تطرفه أو جهله باللغة الآرامية لم يستطع قراءة الكتب الدينية المندائية، وكان بإمكانه تعويض ذلك بالحوار مع رجال الدين الصابئة، ومشاهدة طقوسهم عن قُرب، ولكنه ادَّعى ظُلمًا وبهتانًا على الصابئة المندائيين أنهم عبدة كواكب ونجوم... فمن أين جاء بهذا التخريف؟!! وكيف اختلق هذه الكذبة؟!! إضافة لما ذكرنا أنه لم يطَّلع على الكتب الدينية ولم يحاور رجال الدين، فإن السبب يكمن في تفرد علماء الصابئة المندائيين في علوم الفلك والرصد ومراقبة النجوم، وكانت لهم شهرة واسعة وأسماء رنانة في ذلك الزمان، وهذا عِلمٌ يحسب لهم لا عليهم، وهذا لا يعني أن العلماء الفلكيين الذين يراقبون النجوم والأفلاك والمجرات هم عبدة كواكب ونجوم، فهل كل العلماء في هذا المجال الذين يعملون الآن على كوكب الأرض هم عبدة كواكب ونجوم حسب نظرية عبد الرزاق الحسني... لقد امتعض المندائيون من هذا الطرح المجحف بحقهم، وأقام رئيسهم الروحاني الكنزبرا "دخيل الشيخ عيدان" شكوى عليه في المحاكم العراقية... وقد استعانت المحكمة بالأب انستانس الكرملي مترجمًا محلفًا، وقرأ الكنزبرا دخيل نصوصًا من الكتاب المقدس (الكنزا ربا) باللغة الآرامية المندائية وترجمها الكرملي إلى اللغة العربية وهي بوث (آيات) تتحدث عن التوحيد بالحي الأزلي... فأدان القضاء عبد الرزاق الحسني، واتهمه بالتحريف والتزوير المتعمد والمقصود في عقيدة دينية توحيدية، وطلبوا منه تصحيح ما ذهب إليه خطأ، فاستجاب المؤرخ عبد الرزاق، وصحح في كتابه (الصابئة المندائيون: التاريخ والعقيدة والكتب المقدسة) ص ١٧: (فوفق ما جاء في كتبهم المقدسة يعتقدون بربٍّ عظيمٍ خالق الكائنات الروحية والمادية... وكذلك الاعتقاد أن النفس في الجسم تعود لخالقها في عالم الأنوار بعد موتها).

- **اليهود:**

ارتكب اليهود مجازر تاريخية بحق المندائيين في فلسطين، ويؤكد المؤرخون أن اليهود قتلوا ثلاثمائة وستين رجل دين مع خلق عظيم من المندائيين في مجزرة مروعة، مما اضطر البعض إلى التخفي في الكهوف والجبال، والبعض الآخر تَهَودوا خوفًا على حياتهم ظاهريًا؛ بينما باطنيًا بقوا مندائيين فتمت تسميتهم باليهوطايي، أي الخطائين أو النازلين... وقسم آخر هاجر إلى مدينة حران، وقسم آخر استمر بالرحيل مهاجرًا إلى مدن مندلي وزرباطية، وصولاً إلى جنوب العراق وجنوب غرب إيران، فاستقبلهم إخوة لهم في الدين هناك، ومن المندائيين اليهوطايي تشكلت فرقة الأسينيين المسالمين، وهم في جوهرهم مندائيون، وفي ظاهرهم فرقة يهودية.

إن المشكلة التي نعاني منها هي ثقتنا بما يدوِّنه الباحثون الغربيون والمستشرقون لأنهم أدق في البحث والتقصي من غيرهم الذين ينقل بعضهم من البعض، ولكن الكثير من المؤسسات البحثية الأوربية والأمريكية لها ارتباطات مشبوهة وتبعية بالمؤسسات الدينية والمخابراتية اليهودية، وأن عددًا منهم تموله هذه المؤسسات كي لا يخالفوا ما وردَ من نصوص في التوراة... وعليه يجب الاعتماد على البحوث التي تصدر من الباحثين المندائيين من ذوي الاختصاص، وعلى آثار وتاريخ وموروث شعوب المنطقة وفهمها واستيعابها بدقة وحيادية، والتي ترتبط مع المندائية كدين ومجتمع وتراث.

- الشيخ زاد العبد الله:

رجل دين مسلم، يفسِّر الأمور على هواه، إذ يقول: مَنْ الصابئون ؟ وهل يوجد في الأرض مثل هؤلاء ؟ الصابئون جمع صابئ وهو الذي ترك دينه إلى دين آخر، وكانت العرب تسمي النبي محمد بالصابئ، لأنه ترك دين أجداده واتبع دينًا آخر، رغم أن الله عصم النبي محمد فلم يسجد لصنم قط، وكانت العرب تسمي النبي محمد بالصابئ...

يقول: قرأت في دائرة المعارف الإسلامية، أن الصابئة اسمٌ مأخوذٌ من اسم عبري "صبع" وهي طائفة يهودية مسيحية ويسميها النصارى أتباع يوحنا، لأنهم يتبعون يوحنا (يحيى بن زكريا)... وجامع دين الصابئة عبادة الكواكب، ولكن حاشى نبي الله يحيى بن زكريا عبادة الكواكب، وحاشى كل الأنبياء الذين سبقوه عيسى وموسى وإبراهيم ويوسف ويعقوب، فكل الأنبياء بعنوان التوحيد... والصابئة يعبدون الكواكب السيارة، وخاصة النجم القطبي، وهم يبنون الهياكل لهذه الكواكب ويزعمون أن أرواح هذه الكواكب ستنزل وتحل في هذه الهياكل، وهم يصومون في العام ثلاثين يومًا في السنة، ولكنهم يقسِّمون هذه الأيام على ثلاث مراحل في السنة... ومن معتقداتهم أن غسل الجنابة عندهم واجب، وغسل المرأة من الحيض واجب، والعزوبية حرام، ويجوز للرجل أن يتزوج ما شاء من النساء، ولا يحق له الزواج من دين آخر إطلاقًا، وكذلك المرأة لأنهم سيخرجون من الدين الصابئي ولا تقبل منهم التوبة... إن معظم علمائنا ومؤرخينا لا يعرفون عنهم شيئًا، ولهذا قسمٌ منهم ألحقَ الصابئة باليهود والنصارى من أهل الكتاب، ومنهم من ألحقهم بالمجوس والمشركين مستدلين بسورة الحج، لأن مذكور فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركين... ومن أهل العلم قال إنهم من أهل كتاب، ومنهم قال لا كتاب عندهم، وكما قال ابن تيمية طيب الله ثراه الذي جمع بين سورة البقرة وسورة الحج، إن الصابئة نوعان، نوع موحدون حنفاء كما تذكرهم سورة البقرة التي ورد ذكر أربعة ملل

فقط : المسلمون والنصارى واليهود والصابئة من آمن بالله وعمل صالحًا ، فالمسلمون والصابئة واليهود والنصارى موحدين ، وأن الصابئة من الموحدين على ملة إبراهيم... ولهذا فالفقيه ابن تيمية على حق في تفسيره ، بين ما وردَ في سورة البقرة وما وردَ في سورة الحج... وإن الصابئة إذا مات رجلٌ أو امرأة يغسلونه ويكفنوه.

▪ تعقيب:

في بداية مقاله يتكلم الشيخ زاد العبد الله عن الصابئة المندائيين وكأنه لا يعرف عنهم شيئًا ، ويتهمهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم ، وأنهم يعبدون النجم القطبي ويقدسونه ، وهو بهذا يجافي الحقيقة ، فالدين الصابئي المندائي أقدم الأديان على وجه الخليقة ، والصابئة يعبدون الحي العظيم الله رب الناس ويقدسونه ، وهذا ما يؤكدهُ أنبياؤهم وكتابهم المقدس (الكنزا ربا) وما يؤمنون به ، وأن صلاتهم لله وحده ، ولكن وجهتهم نحو النجم القطبي للدلالة لا غير لأن قبلتهم جهة الشمال ، والنجم القطبي ثابت نحو جهة الشمال كالبوصلة في السماء ، وهذه الطرق من الاستدلال يستعملها باقي الأديان للاتجاه نحو الكعبة أو القدس وغيرها من أماكن العبادة أثناء تأدية الصلاة ، والطقوس الدينية ، في ذلك الزمن الذي تنعدم فيه الأجهزة الإلكترونية لتحديد الاتجاه.

أما عن الكواكب والنجوم فإن الصابئة ومنذ أزمان بعيدة برعوا في علم الفلك ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى مثل الطب والهندسة والكيمياء ، والصياغة ، وتصنيع العدد الزراعية وغيرها الكثير ، فهل يعقل أن كل من يبحث في علم الفلك هو من عبدة الكواكب والنجوم !! كلنا نتابع اليوم الأخبار التي تتعلق بالفضاء وغزو الكواكب وإرسال المركبات الفضائية إلى مدارات هذه الكواكب ، أو الهبوط فوق سطوحها مثل القمر والمريخ وغيرها ، ونرى مدى الاهتمام الكبير بعلوم الفلك والنجوم وتسابق الدول المتقدمة بهذه العلوم ، وبذلها للأموال

في سبيل ذلك، وبات الإنسان ملمًا بتأثير الكواكب والنجوم والكويكبات والنيازك على حياة الإنسان والمناخ والطبيعة على الأرض، وتتم دراسة علوم الفلك والفضاء في أرقى الجامعات العالمية، وتنتشر على أرض المعمورة مئات من مراكز البحوث والمراصد الفلكية، والذي يعمل فيها مئات من كبار العلماء لدراسة تأثير الكواكب والنجوم على الأرض وسبر أغوارها، والأمل في العثور عن الحياة في الكون الواسع... ويأتينا الشيخ زاد ليكفِّر من يدرس ويرصد الأفلاك بأنهم عبدة كواكب ونجوم، ولله في خلقه شؤون.

يقول الشيخ زاد إن العرب كانوا يسمون النبي محمد وأتباعه بالصابئين، وإن المسيحيين يسمون الصابئة أتباع يوحنا، فهل هذه معلومة جديدة تفيد الباحثين؟! من يدرس تاريخ الجزيرة العربية يعرف جيدًا أن في زمن الرسول محمد عليه الصلاة السلام كان يقيم في أرضها عدة طوائف وينتمون لعدة أديان، منهم اليهود والنصارى وعبدة الأصنام والأوثان، ومنهم الصابئة الذين كان يتميزون بملابسهم البيضاء، وكان يعتبرون كل شيء من صنع الإنسان غير مقدس، وينفرون من الأصنام والتماثيل والأوتاد التي تتعبد بها باقي الطوائف، وكانت في صلاتهم إلى الله حيث ترفع رؤوسهم نحو السماء، وحين بدأ النبي محمد الدعوة إلى الإسلام؛ لبس المسلمون الأوائل الملابس البيضاء، وتركوا عبادة الأصنام والأوثان والتماثيل والأوتاد، فأطلقوا عليهم تسمية الصابئين، لتشبههم بالصابئة المندائيين.

أما الصوم فالصابئة لديهم صَومَان: الصوم الكبير صوم القلب والعقل والضمير عن كل إساءة والتمسك بالعمل الصالح والأخلاق الحميدة التي أوصانا بها الحي العظيم بواسطة أنبيائه الأجلاء وما أنزل عليهم من تعاليم... والصوم الصغير، ومدته ستة وثلاثون يومًا، موزعة على أيام السنة المندائية التي طولها ٣٦٠ يومًا، لأن الخمسة أيام البيضاء (البرونايا) لا تعد، حيث تمَّ فيها خلق العالم العلوي (الما دنهورا) عالم الأنوار (الجنة) وفيها انبعث الحي العظيم (الله) من

ذاته ، وهذه الأيام الستة والثلاثون ، لا يجوز فيها ذبح الطيور والحيوانات المحلل أكلها لدى المندائيين وفق ما ورد في كتابهم المقدس (الكنزا ربا).

أما عن تكفين الميت ودفنه... أظن أن الشيخ التبس عليه في هذا الشأن ، إن المندائيين يغسلون المحتضر قبل وفاته ، من أجل طهارة الجسد حتى تخرج النفس (النشماثة) من جسد طاهر ، والذي يتم تلبيسه بالكفن الأبيض (القماشي) مع جميع الإجراءات الطقسية لذلك ، لتشق النفس طريقها إلى عالم الأنوار.

أما الجنابة والحيض فهذا أمر تشترك في تعاليمه كل الأديان السماوية.

أما تفسير ابن تيميه شيخ الإسلام ، والذي يقول إن الصابئة نوعان : نوع تمَّ ذكره في سورة البقرة مع المسلمين واليهود والمسيحيين من آمن بالله وعمل صالحًا ، فهؤلاء من أهل الكتاب ، ونوع تم ذكرهم في سورة الحج مع المسلمين واليهود والمسيحيين والمجوس والمشركين ، ولم يذكر من آمن بالله وعمل صالحًا ، فهؤلاء ليس من أهل كتاب... والسؤال : أنهم ذكروا كما ذكر المسلمون والمسيحيون واليهود والمجوس والمشركون ، فلماذا الصابئة فقط يوضعون في خانة المجوس والمشركين ؟ ، فأما يوضع معهم المسلمون والمسيحيون واليهود ، وأما فصل الصابئة والمسلمين والمسيحيين واليهود عن المجوس والمشركين كما ورد في سورة البقرة... لأن السَّور والآيات تكمّل بعضها البعض ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فقد نزلت آية قرآنية في بادئ الأمر عن الخمر تقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى ﴾[1]... ثم نزلت آية أخرى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إنما الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[2] بمعنى تحريم الخمر بشكل عام ، فهل يصح أن نعود للآية الأولى ونقول : يمنع شرب الخمر عندما تقربوا الصلاة فقط؟!...

١ القرآن الكريم : سورة النساء، الآية ٤٣

٢ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٩٠

وإذا علمنا ان سورة البقرة أساسية في القرآن الكريم، بل هيَّ أطول سورة وردت فيها تعاليم كثيرة... فهي سورة شاملةٌ محيطة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شيء شَهِيدٌ ﴾[2]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [3].

- الدكتور مصطفى محمود:

الصابئة المندائيون الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم:
في النُطق الهيروغليفي ننطق سابي أي صابي، وجمعها الصابئون، وتعني المهديون أتباع الحنفية الإدريسية، أي أتباع النبي إدريس (ع)، وأن كلمة حنفية وفعلها حنف؛ موجودة أيضًا في اللغة الهيروغليفية، وأن النبي إبراهيم نزلت عليه النبوة في مصر وعمره ثمانون سنة، ودرس الإدريسية في جامعة عون في عين شمس، وهو من أتباع نبي الله إدريس، فالحنفية التي نادى بها إبراهيم تتبع حنفية نبي الله إدريس وهو أصل تعاليم الحنفية... وكلمة حنيف تعني: من أسلم وجههُ لله تعالى، ودائمًا عند ذكرها معها صورة إنسان مؤمن يرفع يديه مسبحًا الله تعالى... والصابئة أتباع نبي الله إدريس الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إدريس إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [4]

---

١ القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية ٦٢
٢ القرآن الكريم : سورة الحج، الآية ١٧
٣ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٦٩
٤ القرآن الكريم : سورة مريم، الآية ٦٩

وأن الحنفية التي بشَّر بها النبي إدريس ولدت في مصر ومنها انتشرت... وكلمة حنف أو حنيف، كلمات هيروغليفية مصرية فرعونية.

- **تعقيب:**

إن نبي الله إبراهيم نزلت عليه النبوة في مدينة أور في بلاد ما بين النهرين، عندما كان شابًا يافعًا، وتصحيحًا لمعلومات د. مصطفى، فإنه لا توجد جامعة ولا مدرسة للتدريس في زمن النبي إبراهيم في مصر، ومن يقرأ السجلات التاريخية لتأسيس الجامعات والمدارس يعرف أن أقدم الجامعات هي جامعة القرويين في المغرب وقد تأسست في عام ٨٥٩م، وتليها جامعة الأزهر في مصر تأسست عام ٩٧٢م، وتليها المدرسة النظامية في العراق تأسست في عام ١٠٦٢م، ولا ننسى أعظم مدرسة في عصر الخلافة العباسية وهي المدرسة المستنصرية تأسست في عام ١٢٣٤م، وتخرج منها مئات العلماء في الطب والعلوم الشرعية والفقهية، وعلوم القرآن والأحاديث النبوية.

لم نسمع من قبل أن كلمة صابئين تعني المهديين، ولم نقرأها في أي وثيقة أو كتاب قديم... ولكننا نعرف أن الصابئة يسمون أنفسهم المندائيين، المعرفيين، أهل النور، أهل الكشطا، أهل الحق، الحياويين - أي أتباع النبي يحيى - الصابغة، الصبة، وهكذا.

- **المستشرق ليدزبارسكي Lidzbarski Mark :**

مستشرق ألماني ولد في ٧ / ١ /١٨٦٨ من عائلة ألمانية في مدينة بوزنان في مقاطعة شليزين – ذات الطبيعة السكانية الألمانية العائدة لبولونيا... درس اللغات السامية في جامعة برلين، وتوج دراسته بالحصول على الدكتوراه في هذا المجال في العام ١٨٩٦، ثم على شهادة البروفسور في عام ١٩٠٧ في جامعة كرايفسفولد، وحصل على كرسي في جامعة كونتكن في عام ١٩١٧... كان ليدزبارسكي كاسرًا لكل الخطوط المعتادة في حقل اللغات الآرامية الجديدة، وبالذات تخصص اللغات السامية، ومنها حصرًا المندائية (أدب ولغة المندائيين) ومن كتبه في هذا المجال أصدر كتاب (يوحنا المندائيين) (دراشة يهيا)، مرتين في ١٩٠٥ و ١٩١٥، وأصدر في عام ١٩٢٠ (نصوص دينية مندائية) بجزأين، قام بترجمة كتاب (الكنزا ربا) ترجمة كاملة في عام ١٩٢٥ مستندًا على ثماني نسخ من الكنزا التي كانت موجودة في ألمانيا/ جامعة ميونخ، هولندا / جامعة لايدن، فرنسا/ جامعة باريس، بريطانيا/ جامعة أكسفورد. كذلك ترجم (سيدرا اد نشماثا) (كتاب الأرواح) في عام ١٩٢٠، وترجم كتاب (القلستا) في عام ١٩٢٦.

توفى هذا العالم الجليل في عام ١٩٢٩ تاركًا وراءه تراثًا ضخمًا، قدَّم من خلاله خدمة جليلة لدراسي الأدب والدين والتاريخ المندائي... اعتمدت كل من المسز دراور والبروفيسور الألماني ماتسوخ، على بحوثه ودراسته وبطاقاته الموجودة في جامعة هاله في إصدار قاموسهما المندائي – الإنجليزي الذي صدر في عام ١٩٦٢.

إن ما تركه العالم ليدز بارسكي من تراث علمي موجود في مكتبة جامعة مدينة هاله الألمانية.

(عن مجلة آفاق مندائية – سيرة حياة) بتصرف

- **تعقيب:**

كان العالم ليدز بارسكي مثالاً رائعًا في دراسة الوثائق ونقل المعلومات عنها بأمانة وإخلاص، وخير دليل على ذلك ترجمته الرائعة لكتاب (الكنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة الألمانية، وأصبح كتابه مرجعًا مهمًا لكثير من الباحثين، ورغم إجادته لترجمة هذا الكتاب المقدس، لكنه ترك فراغات للكلمات التي لم يتمكن من صياغتها لغويًا، أو تركها على أصولها بدون ترجمة، بسبب عدم قدرته على استيعاب معاني هذه الكلمات أو رمزيتها في سياق الجملة، أو لكون بعضها من أصول بابلية أو فارسية تمَّ استخدامها في مراحل زمنية لاحقة... ومع هذا فترجمة هذا العالم من خيرة الترجمات، وهو من المعجبين بهذا الكتاب المقدس، إذ يقول: أي كُتابٌ عُظماء كتبوا هذا السفر العظيم، ناسيًا أو متناسيًا أن (الكنزا ربا) صحائف منزلة على أنبياء الله... أدم، وشيتل، وسام بن نوح، وإدريس، ويحيى بن زكريا (يهيا يوهانا)،

هذا العالم الجليل خَدمَ المندائية بما قدَّمه من جُهدٍ علمي رائع، ولهذا نريد أن نقول للذين أجحفوا بحق المندائيين... هكذا هم العلماء المجدون والمخلصون في عملهم، وليدز بارسكي نموذجًا للعالم المتفاني والباحث عن الحقيقة كمستشرق وعالم لغات، فمن أجل ترجمة كتاب (الكنزا ربا) قام بزيارة مراكز البحوث والمكتبات لعدة جامعات متنقلاً بين ألمانيا وهولندا وباريس وإنكلترا، باحثًا عن الصحائف الأصلية لهذا الكتاب، وترجم محتوياتها بكل صدق وأمانة، ولهذا يشار له بالبنان في جميع المحافل العلمية، لِمَا قدَّمه من خدمة للإنسانية، رغم وجود ملاحظات عليه من قبل بعض المختصين المندائيين.

- **الأستاذ/ عادل دشر زامل:**

كان يشغل منصب رئيس مجلس شؤون الطائفة في الكوت، كتب مقالاً مقتضبًا عن ما أورَدَه المؤرخ العربي أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتابه مروج الذهب: (أن شخصًا من أرض الهند يدعي بوادسف خرج من أرض الهند إلى السند ثم سار إلى سجستان وبلاد زابلستان وصل السند وكرمان زعم أنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وخلقه وهو من أظهر مذاهب الصابئة)، وأكَّد كاتب المقال المعلومة التي نقلها المسعودي بأن بوداسف (هو من أظهر مذاهب الصابئة)، ولم يسند المسعودي المعلومات التي ذكرها في كتابه هذا الذي يعتبر منافيًا لما ورد في الكتب السماوية، وخاصة القرآن الكريم للأسباب التالية:

١- ان الصابئة هم مذهب واحد، وليسوا عدة مذاهب كما ذكر المسعودي.

٢- تؤكد جميع المصادر التاريخية على منشأ الدين الصابئي أما في العراق أو في فلسطين، ولا تذكَر الأماكن التي ذكرها المسعودي.

٣- ان الكتاب المقدس (كنزا ربا) -مبارك اسمه- (صحف) هو الكتاب الأول للصابئة، ذكرت فيه صفات الخالق العظيم، والتوحيد والخلق والنشوء، وأن صحف آدم عليه السلام هي صحف منزلة وليست من كتابة أحد، وأن الإطلاع على الترجمة العربية لهذا الكتاب المقدس يقودنا إلى التطابق والتجانس بين فحوى نصوصه مع فحوى نصوص الكتب السماوية المقدسة الأخرى.

٤- لو فرضنا جدلاً صحة قول المسعودي، وأن الصابئة بعد ذلك اتبعوا النبي يحيى عليه السلام والتزموا بتعليماته، ألا يعد هذا كافيًا لاعتبارهم أصحاب دين سماوي ومن أتباع نبي من أنبياء الله ورُسله.

إن التأليف هو أدبٌ يعبِّر عن وجهة نظر المؤلف، وهذا الأدب يفقد قيمته كلما حمل في طياته ايماءات للتشويه التي ربما لا تثير الاهتمام من حولها إلا بمرور الزمن وتغير الظروف واتساع الإطلاع.

إن ورود ذكر الصابئة في القرآن الكريم لا يقبل الشك بأنهم أصحاب ديانة موحدة إلى جانب الديانات السماوية الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم.

- **الدكتور/ دهام مجيد العزاوي:**

كتب الدكتور دهام وهو أستاذ في كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد، مقالاً بعنوان "آراء في الصابئة":

آراء في الصابئة

تحظي عملية تشخيص طبيعة ونوعية العلاقة بين الجماعات في المجتمع الوطني، بقدر كبير من الأهمية، حيث أن دراسة سلوك الجماعات تجاه بعضها الآخر بما تتضمنه من حالات انفتاح وتعاون ومودة، أو حالات تعصب وحقد وكراهية، أصبحت تحظى بأهمية قصوى في دراسات علم الاجتماع السياسي، لِمَا يترتب عليه من آثار إيجابية وسلبية في حياة الجماعات الوطنية بجوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولا شك أن دراسة الواقع الاجتماعي لطائفة الصابئة المندائية في العراق، من حيث كونهم من الجماعات الوطنية الأصيلة ذات الامتداد التاريخي المتجذر من أرض الرافدين وذات الأيدلوجية الدينية المنفتحة والمسالمة، لذا فإن الصابئة لا يعانون عقدة العيش المشترك مع الأغلبية المسلمة في إطار المجتمع الوطني، حيث لم يشهد تاريخ الصابئة بروز أية واقعة اجتماعية تدل على تعصبهم وعدائهم تجاه أبناء الوطن الآخرين، بل على العكس فإن ما يتميز به الصابئة من أُلفة وتسامح قد أبرز - ومنذ فترات بعيدة - حالة من الانفتاح والتعاون المشترك بينهم وبين الآخرين لمواجهة المخاطر التي تحيط بالوطن.

إن تحليلاً مبسطًا للعلاقات المنفتحة القائمة بين الصابئة وإخوانهم المسلمين، وسمو المكانة التي وضعها المسلمون لأبناء طائفة الصابئة، يمكن أن يعزى إلى عوامل عديدة... فالصابئة تاريخيًا عُرف عنهم أنهم أصحاب دين موحِّد، فهم من أتباع نبي الله يحيى عليه السلام، وبالتالي فهم أقرب مودة للإسلام، ومما

عزَّز من هذا التصور هو ورود ذكر الصابئة في ثلاث آيات من القرآن الكريم في سور البقرة والمائدة والحج، واصفًا إياهم بأنهم أهل إيمان وتوحيد.

لقد ساهم هذا التصور الإسلامي في أن عاش الصابئة تاريخيًا مندمجين ومتآخين مع إخوانهم المسلمين، حيث شهد تاريخ الإسلام بروز الكثير من أبناء الصابئة مبدعين ومنتجين، فكان لنتاجاتهم الأثر البيِّن في تطور دولة الإسلام في ميدان الطب والفلك والرياضيات... إلخ.

ولا شك أن مما ساهم في زيادة اللُحمة والاندماج بين الصابئة وإخوانهم المسلمين في إطار المجتمع العراقي هو اشتراك الجانبين في رابطة النسب المشترك، ووحدة الدم... فالصابئة هم عرب عاشوا في هذه الأرض منذ أقدم العصور، أصلهم العربي أسهم في وصول الكثير منهم إلى مراتب عليا في سلم الدولة العربية الإسلامية، لقد ساهم هذا العامل في دعم حالة التواصل والانفتاح مع المسلمين العرب إلى أقصى مدياتها.

واليوم حيث يعيش الصابئة في إطار المجتمع العراقي، تبدو عوامل بقاء حالة الانفتاح والتسامح المشترك القائمة بين الصابئة وإخوانهم المسلمين واضحة في سلوك الطرفين، ومما يساهم في ذلك هو انتشار الصابئة في كافة أرجاء وشرائح المجتمع العراقي، فضلاً عن أن قلة عددهم وعدم حملهم أيديولوجية دينية ذات طابع تبشيري أو تصادمي وتميزهم بصفات اجتماعية، وجدت قبولاً واسعًا لدى أبناء الوطن الآخرين، فضلاً عن أن حبهم للنظافة والوجود الدائم قُرب مصبَّات الأنهار وشغفهم بالعمل والإنتاج ولا سيما في الميدان المتعارف عليه عند العامة، وهو صياغة الذهب والفضة والأحجار الكريمة، واهتمامهم بكافة أنواع العلوم والمساهمة الواسعة التي أخذ يقدمها أبناء الطائفة الدينية، ورفعها إلى مكانة سامية في نظر أبناء الوطن الآخرين باعتبارها من الفئات الدينية التي لا تهدف إلا إلى التعايش السلمي والتعاوني في إطار المجتمع الوطني العراقي.

- **د. رشيد الخيون:**

هذا العراقي الشهم، العلامة المبدع والأكاديمي المقتدر، ابن جنوب العراق، الوطني التقدمي، مؤلف الكثير من الكتب، والمرجع المهم... عاشر الصابئة المندائيين وعاش بينهم لأنه ابن الجبايش في عمق أهوار جنوب العراق من قبيلة بني أسد العربية، ولأنه صاحب ضمير حي، ولإطلاعه عن قُرب على كثير من الحقائق ودقائق الأمور؛ كتب ما يمليه عليه ضميره وإيمانه ووجدانه ومهنيته وحبه لوطنه وأبناء شعبه... فبورك فيه وفي ذريته.

كتب الدكتور رشيد الخيون مقالاً جاء فيه:

آراء فقهاء المسلمين في الصابئة المندائيين... وموقفهم التقي من الله والخير

هناك نداء موجه من صابئيين مندائيين، يشكون فيه ما يحل بأهلهم وبدينهم وبملتهم، في بعض مناطق العراق اليوم، من ضغوط يمارسها ضدهم رجال دين مسلمون مسيّسون، يجهلون تاريخ هذا الدين، وفقهه، وتعاليمه... يشهد التاريخ بتمرس الصابئة المندائيون على التعامل الحذر مع المحيط، والقدرة على الصبر تجاه المضايقات المستمرة، فحاولوا لدهور طويلة التعايش السلمي في المجتمع العراقي، مطلبهم الوحيد هو الاحتفاظ بدينهم وممارسة طقوسهم دون تظاهر قد يزعج الآخرين، وهذا ما يأملون أن يوفره لهم العراق الجديد.

تضامناً مع النداء، ومع قدماء العراق، أحاول في هذا المقال الكشف عن آراء فقهاء المسلمين من المتقدمين والمتأخرين من أهل هذا الدين القديم الموحِّد، ولينظر فيها مَنْ يجهلهم، ويجهل رأي الإسلام فيهم. وهنا لا أحاول أن أبرر لوجود هذا الدين أو ذاك، فأي إنسان من حقه الحياة وممارسة طقوسه وعقيدته طالما ضمنها له دستور متحضر وإنساني، فالله خلق الدنيا متسعة للجميع، وكل فئة تصله وتتعرف عليه وتناجيه بطريقتها، والهيمنة والسيطرة مرفوضة في

القرآن الكريم قبل لوائح حقوق الآدميين، وليس هناك أفصح من الآية ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[1]

صرح معظم المفسرين الفقهاء بنسخ الإسلام للأديان الأخرى بما فيها الكتابية، حسب الآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، بينما حاول فقهاء آخرون تثبيت اعتراف الإسلام بالآخر وهذا ما حصل فعلاً. بدأ التصريح بنسخ أو إلغاء الآخر عمليًا في الجزيرة العربية بترحيل يهودها ومسيحيي نجران على يد الخليفة عمر بن الخطاب، لشأن سياسي وزمني، حتى تبقى خالصة للإسلام، وبلا شك أثَّر هذا الموقف سلبًا في العلاقة مع أهل تلك الأديان، لكن هذا لم يطبَّق خارج الحجاز، بيد أن من الصعوبة بمكان إلغاء النص القرآني الذي ضمن للكتابين وغيرهم الاحتفاظ بدياناتهم وفق شروط، استغلها عدد من الخلفاء بداية من عمر بن عبد العزيز وحتى خلفاء بني العباس وأمراء المغول بعد إسلامهم، ومن أتى بعدهم، ليضيقوا على أهل الذمة في لباسهم ودور عبادتهم وحياتهم الشخصية، ووراء هذه السياسات كان الإخباريون والفقهاء... وبهذا لم يعترف بعض الفقهاء المسلمين للصابئة المندائيين ما اعترف لهم به القرآن الكريم، كأهل دين وكتاب في ثلاث سور من سوره هي: البقرة، والمائدة والحج، تتكرر الآية بالصيغة نفسها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ (**هكذا وردت**) وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]، وصيغة أخرى أُضيف فيها المجوس والمشركون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4].

---

١ القرآن الكريم: سورة الغاشية، الآية ٢٢

٢ القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية ٨٥

٣ القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية ٦٩

٤ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

جاء في أسباب نزول الآية الأولى - وبالتالي يعبِّر سبب نزولها وتفسيرها عن نزول الآيتين الأخيرتين - : أنها "نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، لمَّا قدم سلمان على رسول الله (ص) جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم، وقال: يا رسول الله كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تُبعث نبيًا، فلما فرغ سلمان من ثنائه، أنزل الله: إن الذين آمنوا والذين هادوا...... وتلا قوله: ولا هم يحزنون"[1].

وروي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وغيرهما: "نزلت هذه الآية في سلمان الفارسي، وكان من أهل جندي سابور من أشرافهم". وهنا لا يقصد بديانة سلمان المسيحية أو اليهودية، فالكثير منهما دخل الإسلام قبل سلمان، وجاءت فيهما نصوص قرآنية كثيرة لم تحتاج إلى تدخل أحد، سلمان أو غيره، كما لا يقصد بها المجوسية، وإن كانت منتشرة في بلاد فارس، حيث انحدار سلمان، لأن أسباب النزول خاصة بالآية (٦٢) من سورة البقرة، والمجوس لم يذكروا إلا في سورة الحج (١٧). لذا الاحتمال الوارد أن سلمان الفارسي واسمه الحقيقي، حسب الطبري: (مايه بن بوذخشبان بن ده ديره) كان صابئيًا مندائيًا، فللدين المذكور وجود ببلاد فارس، يوم كان العراق وإيران تحت حكم واحد.

يروى عن عائشة كان للرسول مجلس مع سلمان الفارسي "ينفرد به في الليل حتى يكاد يغلبنا على رسول الله"[2]. ربما كانت هذه العلاقة سببًا في ورود شيء من اعتقادات المندائيين في الإسلام، فهم أحناف بالمعنى المعروف للحنفية. ومعروف أن تسمية الإسلام ممتدة في أديان أخرى، حتى أن فقهاء مسلمين يعدون الأديان التي سبقت الإسلام مراحل لدين واحد. قال الفقيه السوداني المقتول محمود محمد طه "بالإسلام جاء جميع الأنبياء من لدن آدم وإلى محمد"[3]

---

١ الواحدي ، أسباب النزول

٢ ابن عبد البر ، الاستيعاب

٣ الرسالة الثانية في الإسلام

روى الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في سياق ترجمة الإصطخري أن القاهر بالله العباسي استشار فيهم الفقيه والمحتسب المذكور: "أفتاه بقتلهم، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمعوا بينهم مالاً كثيرًا له قدر فكفَّ عنهم"[١]. ذُكرت فتوى القتل في مصادر إسلامية ترجمت لحياة الإصطخري منها "سير أعلام النبلاء" لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وعزف عن ذكرها آخرون مثل شمس الدين بن خِلّكان (ت٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان".

ومثلما يتوجه المسلمون صوب الكعبة، ويتوجه اليهود والمسيحيون صوب المشرق؛ يتوجه الصابئة المندائيون في صلاتهم صوب الشمال، فكوكب القطب الشمالي عندهم هو علامة اتجاه قبلة صلاتهم فقط.

كان صاحب فتوى القتل شافعي من أبرز فقهاء عصره، يُعرف بفقيه العراق، وتولى حسبة بغداد، فأحرق مكان الملاهي. وبعد حوالي قرنين من الزمان جاء في رسالة رئيس ديوان الجوالي، محمد بن يحيى بن فضلان (ت٦٣١هـ) الشافعي أيضًا، الخاصة بأهل الذمة إلى الناصر بالله العباسي (ت٦٢٢هـ)، فقرة تذكر بفتوى الإصطخري في الصابئة والحث على تطبيقها: "الصابئة قوم من عبدة الكواكب، يسكنون في البلاد الواسطية (بين الكوت والبصرة) لا ذمة لهم، وكان في قديم الزمان لهم ذمة، فاستفتى القاهر بالله أبا سعيد الإصطخري، من أصحاب الشافعي، في حقهم، فأفتاه بإراقة دمائهم وأن لا تقبل منهم الجزية، فلما سمعوا بذلوا له خمسين ألف دينار، فأمسك عنهم، وهم اليوم لا جزية عليهم ولا يؤخذ منهم شيء، وهم في حكم المسلمين والأمر أعلى"[٢].

السؤال، كيف عبد الصابئة الكواكب وكتابهم يقول:

---

١ تاريخ بغداد

٢ الحوادث الجامعة

(باسم الحي العظيم ، أشرق نور الحي ، وتجلى مندادهيي بأنواره ، فأضاء جميع الأكوان ، حطم ألوهية الكواكب ، وأزال أسيادها من مواقعهم)[1].

وكيف عبد الصابئة المندائيون الأصنام والأوثان وكتابهم يقول:
(من يقدِّم الضحايا والقرابين تعقد خطاه في جبل الظلام (جهنم) فلا يرى نور الله ، أما من آمن وأتقى فله من النور مرتقى حتى يبلغ بلد النور)[2].

وهم قبل أن تحرم على الإصطخري الخمور حرَّموها بالقول:
(وليعلموا أن الخمرة يوضع شاربها في قيود وأقفال ، وتثقل عليه السلاسل والأغلال)[3]

وحكم الإمام أبو حنيفة فيهم: "إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النجوم كما نعظِّم الكعبة" [4]... والغريب في الأمر أن هذا التعامل مع الصابئة؛ وإن كان يحمي دمائهم؛ إلا أنه لا يتناسب مع حكم القرآن فيهم؛ أسوة باليهود والنصارى في الآية (٦٢) من سورة البقرة.

إن أجاز الإصطخري والماوردي كشافعيين أخذ الجزية من المجوس، لما ورد عن الرسول بشهادة الصحابي عبد الرحمن بن عوف أنه أخذها من أهل البحرين وكانوا مجوسًا، فابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، وهو حنبلي المذهب، قال: "الصابئة أحسن حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأَوْلى، فإن المجوس من أخبث الأمم دينًا ومذهبًا، ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب ولا شبه كتاب" [5]. وهذا اعتراف ضمني من فقيه حنبلي كبير في مذهبه، وتلميذ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد المعروف بابن تيمية (ت٧٢٦هـ)، بكتب أو شبه كتاب للصابئة.

---

١ الكنزا ربا ـ اليمين
٢ كتاب الكنزا ربا
٣ كتاب الكنزا ربا
٤ الآلوسي ، تفسير روح المعاني
٥ أحكام أهل الذمة

من جانب آخر خالفت فتوى الإصطخري وخالف حكم الماوردي وتحريض ابن فضلان ضدهم ، والجميع كانوا شافعيين ، إمامهم الأول محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) حين أفتى : "الصابئون والسامرة مثلهم يؤخذ من جميعهم الجزية، ولا تؤخذ الجزية من أهل الأوثان، ولا ممن عبد ما استحسن من غير أهل الكتاب" [١]. ومَنْ تؤخذ منه الجزية يحرم دمه.

بعد عرض فقه القدماء حول الصابئة المندائيين نأتي على آراء الفقهاء المعاصرين حولهم... قال الشيرازي بحذر وتردد : "فيهم غموض وخلاف ، وربما قيل عبدة نجوم" [٢]. ويرى الطباطبائي في "الميزان" أن عقيدتهم مزيج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية. ولعل صاحب الميزان أول المحدثين، من فقهاء المسلمين، ميز بين الصابئة الحرانيين والصابئة المندائيين، ويؤكد أسباب نزول الآية (٦٢) من سورة البقرة في ديانة سلمان الفارسي السابقة. ولا يأتي الطباطبائي، رغم بحثه المطول فيهم، بجديد على ما ورد في كتب الأقدمين.

ويعد محمد حسين فضل الله، عن مؤرخين وكتاب مهتمين، أن الصابئة فرقتان: المنديا أو نصارى يوحنا المعمدان وصابئة حران الوثنيين، ويذهب مستفيدًا من بحوث أخرى إلى أن "الصابئة الذين ذكرهم القرآن إلى جانب اليهود والنصارى من أهل الكتاب يعدون من المنديا ، ولا شك في أن اسم الصابئة مشتق من الأصل العبري (ص ب أ) أي غطس، ثم سقط الغين، وهو يدل بلا ريب على المعمدانيين" [٣].

ولعل آية الله فضل الله ينفرد من بين علماء الدين والمفسرين بتحفظه على قبول نسخ الآيات التي ورد فيها اسم الصابئة بالآية: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً

---

١ كتاب الأم

٢ تفسير تقريب القرآن

٣ من وحي القرآن

فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] ، إذ قال : "نتحفظ على هذا الجواب ، لأن مدلول هذه الآية لا يتنافى مع مدلول تلك ، حتى نفرض نسخ الثانية للأولى ، لأن الظاهر إرادة الإسلام بمعناه المصطلح ، كما يلوح ذلك من صدرها ، وهو الالتقاء على قاعدة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح". وهذا ما تقره الأديان المشار إليها في الآية.

يقترب الشيخ محمد جواد مغنية من الصواب عندما قال في الصابئين :"قوم يقرون بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء ، ولكنهم يهتدون بتأثير النجوم في الخير والشر ، والصحة والمرض ، ومنهم طائفة في العراق الآن"[2]... وعلى خلاف مَنْ اشتق تسمية الصابئة من صبأ العبرانية أي غطس وتوضأ ، وجد مغنية أن التسمية مشتقة من"صبأت النجوم أي طلعت" ، ويعدهم بأقدم الأديان في التاريخ. يبدو لي أن مغنية اطلع على سلسلة المقالات التي حبرها الأب أنستاس الكرملي في مجلة "المشرق" في العام ١٩٠٠ –١٩٠١ ، وذهب فيها إلى اشتقاق تسميتهم من الضوء.

بداية من صاحب أكبر موسوعة فقهية "جواهر الكلام" النجفي ، من أعلام القرن التاسع عشر ، وانتهاء بالعلامة السيستاني ، المرجع الشيعي الحالي بالنجف ، لم نجد رأيًا محرضًا في التعامل ضد أهل هذا الدين ، بل أن آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي اعتبرهم من أهل الكتاب ، وقدم مرشد الدولة الإيرانية آية الله علي خامنئي بحثًا مفصلاً فيهم عدَّهم من أهل الكتاب ومن الأديان الموحِّدة.

كان أكثر احتكاك المندائيين بالمذهب الشيعي بجنوب العراق مقارنة بالأديان والمذاهب الأخرى ، وكانوا سببًا في حياة المنطقة الاقتصادية ، فهم لفترة طويلة ظلوا منتجي وسائل الإنتاج ، من أدوات الصيد والزراعة والنقل ، فلابد أن يحدث احتكاك وتعالجه فتاوى الفقهاء ، ونزيد الذين يجهلون هذه الصلة علمًا أن

---

١ القرآن الكريم : سورة آل عمران ، الآية ٨٥

٢ التفسير الكاشف

إعادة إعمار أو إصلاح قبب العتبات المقدسة المذهبة يتم عادة على أيادي الصابئة المندائيين، فهم أهل حرفة الصياغة الأصليين.

قال آية الله أبو القاسم الخوئي "الصابئي كان من أهل الكتاب كما هو الظاهر"[1]. جاء ذلك في أمر رجل صابئي مندائي أشهر إسلامه معتنقًا المذهب الجعفري، وطالبته زوجته الصابئية المندائية بالنفقة في محكمة من محاكم بغداد الشرعية.

وطرح آية الله علي الخامنئي جملة أمور بشأنهم، فلهم بإيران طائفة كبيرة كانت جزءًا من سكان العراق قبل قطع الأهواز عنها، لهذا نظر مرشد الدولة الإيرانية في أمرهم عن قرب، باحثًا في كتبهم المترجمة إلى الفارسية والعربية، وربما كان أول فقيه يبتعد عن النصوص الشرعية، وليطلع على كتبهم ويتابع ممارستهم الدينية عن كثب، فقال: "نتيجة البحث في النقطة الأولى: إن الأقوى والأظهر بحسب الأدلة أن الصابئين يعدّون من أهل الكتاب"[2].

ولأنه نظر في واقع هذا الدين، لا فيما كُتب وقيل، نفى خامنئي أن يكون الصابئة ديانة متفرعة من الأديان الأخرى بل نظر إليها كديانة مستقلة. قال: "هل الصابئة يعدّون من شعب بعض الأديان الثلاثة: اليهود والنصارى والمجوس، أو إنهم نحلة أخرى غير هؤلاء؟ والجواب على ذلك: قد علم من بعض ما ذكرنا في توضيح النقطة الأولى، فلا دليل على ما قيل، وقد مضى ما نقلناه من كلمات بعض الفقهاء، من أنهم شعبة من اليهود أو أنهم مجوسيون وأمثال ذلك مما نقله في الجواهر عن غير واحد من الفقهاء كالشافعي، وابن حنبل، والسدي، ومالك وغيرهم، بل لعل مقتضى ما ذكرنا الجزم بخلافه".

قدم الخامنئي في كلمته التالية نقدًا غير مباشر للفقهاء الذين لم ينظروا في أمر هذا الدين وهو حيٌّ بينهم، قال: "الحق الذي ينبغي الاعتراف به هو أننا لا نعرف من المعارف والأحكام الدينية لهذه النحلة التاريخية، والتي أصبح

---

١ **كتاب الصابئة**

٢ **الصابئة حكمهم الشرعي**

المنتمون إليها موجودين بين أيدينا وفي عقر بلادنا، شيئًا كثيرًا تسكن النفس بملاحظته إلى معرفة أصحابها، والباحث في هذا الموضوع يجد في حقل البحث الموضوعي فيه فراغًا كبيرًا لم يسدّ مع الأسف".

وبعد الإطلاع على ما نشر من "درفش" (كلمة فارسية تعني العَلَم وإحدى صحف الصابئة، قابلت فيما بعد محررها المندائي الحلالي سالم جحيلي من صابئة الأهواز) قال الخامنئي : "فمن جملة عقائدهم التي يدّعونها ويصرون عليها؛ التوحيد". ويستشهد آية الله الخامنئي من بوثة (آية) التوحيد النص المندائي التالي **(يقدِّم إلهي منك كل شيء ، يا عظيم يا سبحان ، يا حكيم يا عظيم ، يا الله المتعال الكريم ، علا قدرتك على كل شيء ، يا من ليس له شبيه ، ولا نظير ، يا راحم المؤمنين ، يا منجي المؤمنين ، يا عزيز يا حكيم ، يا من ليس له شريك في قدرته ، اسبح باسمك)**[1].

كل ما أفصح به آية الله علي الخامنئي في أمر الصابئة كان صحيحًا، لكنه ربما لم يسمع منهم تأويل علاقتهم بالماء الحي وتعريفهم لعالم النور، وأي دين يخلو مما لدى الصابئة من العلاقة بالماء والضياء؟ فهم إذ يجعلون للماء منزلة في طقوسهم، كوسيلة للعبادة، لا يسلمون على الأنهار وإنما يذكرون الحي القديم وهم وسط النهر. وقد لا ينفصل اهتمام آية الله خامنئي بالصابئة المندائيين عن مهامه كمرشد لدولة يقطنها المسلم والمسيحي واليهودي والمندائي والزرادشتي والبهائي، وهو بذلك تفوق على سلفه أية الخميني في معاملة أهل الكتاب والأديان الأخرى، فالزرادشتيون بإيران يظهرون في المجالس الرسمية بثيابهم البيضاء الناصعة، مع أنهم على دين منسوخ بالإسلام.

كان هذا التجاهل والجهل قديمًا بأمر الصابئة، وعانى المندائيون ما عانوا، رغم ذكرهم في القرآن، والصداقة الروحية، التي كان يضرب فيها المثل، بين جامع "نهج البلاغة" ونقيب الطالبين وتلميذ الشيخ المفيد والمرجع الشيعي المشهور الشريف محمد حسين الرضي (ت٤٠٦هـ) وبين الصابئي أبي إسحاق إبراهيم

---

١ كتاب الكنزا ربا

بن هلال (ت٣٨٤هـ)، التي أخبارهما ملأت صفحات التاريخ وأخبار الأدب، ورسائلهما الوجدانية استغرقت كتابًا صدر بعنوان "رسائل الصابئ والشريف الرضي".

كانت أشهر قصائد الشريف الرضي في رثاء إبراهيم الصابئ، التي استغرقت ثمانين بيتًا، ومطلعها المشهور:

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى الأعْوَادِ ... أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي

جَبَلٌ هَوَى لوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى ... مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ

ما كنتُ أعلمُ قبْلَ اليومِ ... أنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الأَطْوَادِ

فأين عاطفة الشريف الرضي، ووجدانه تجاه مَنْ ظل محتفظًا بدينه الصابئي من فقهاء العصر، وثقة الخلفاء والأمراء بالطبيب الصابئ، وهم أهل دين، الماء عندهم بعد الله وقبل النور؟ هذا وليس لدي معطيات تسمح ببحث العلاقة بين الرجلين، الرضي والصابئ، خارج إطارها الصداقي الإنساني إلى إطار فكري، فهناك إشارات وتلميحات في شعر الرضي قد تفيد في وجود منحى عرفاني (أغنوصي) لديه، والصابئة بالأساس هم عرفانيون، لكن ذلك همٌّ آخر لا مجال للدخول فيه الآن... غير أن ذكرى العلاقة بين الشريف الرضي والشيخ الصابئي ظلت حية حتى عصرنا الحالي... أخبرني السيد محمد بحر العلوم عن آصرة الصداقة بين والده السيد علي بحر العلوم والشيخ الصابئي أبي بشير عنيسي بالعمارة فكان علي بحر العلوم يذهب إلى هناك لوجود أراضٍ موقفة له وكانت تربطه بعنيسي صداقة وطيدة، فبعض الأصدقاء سأله: "كيف تكون لك صداقة وطيدة بشيخ صابئي؟ فردَّ عليه:

بيني وبين أبي بشير صداقةٌ ... تبقى مدى الأيامِ والأحقابِ

إني لأرجو الودَّ يبقى بيننا ... كودادِ سيدنا الرضي والصابي

بعد بيان آراء الفقهاء والعلماء المسلمين في شأن الدين المندائي، والعلائق بين شيوخ وسادة مسلمين وشيوخ صابئة قديمًا وحديثًا نود المرور على رسالة استلمتُها عبر البريد موقعة باسم الشيخ ميثم العقيلي عن المؤسسة الإعلامية للسيد الشهيد الصدر بالبصرة، بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣، جاء فيها أن الصابئة يمارسون أعمال الدجل والشعوذة والزنا والتفريق بين المرء وأهله...

قبل اتهام ديانة كاملة بمثل هذه الممارسات علينا التذكر جيدًا ما يُتهم فيه الخصوم المذاهب الإسلامية الأخرى، وأخص بالذكر مذهبنا الشيعي... فمَنْ ينسى تشويهات جريدة "الثورة" بقلم صحافي النظام السابق عبد الجبار محسن، ربيع ١٩٩١ ضد الشيعة في جنوب العراق، وأهل الأهوار عامة، كان المقال تحت عنوان "التعصب الشيعي، فساد أخلاق أهل الأهوار"، وجاء في المتن: "من المعروف أن الكثير من الذين أعدموا بقرارات من محكمة الثورة جرَّاء الزنا بالمحارم هم من بين هذا الصنف من الناس"... ومَنْ ينسى ما نشرته جريدة عدي صدام حسين "بابل" من تشويهات وافتراءات ضد الشيعة؟ لقد وردت في صفحة حوارات موضوع يبرئ هند بنت عتبة وزوجة أبي سفيان من دم الحمزة عم النبي، وموضوع آخر يشوه عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر، وفي طقوس عاشوراء... وكان أخر هذه التشويهات ضد الشيعة ما جاء على لسان صحيفة "العرب" الصادرة بلندن، وهي من بقية تمويل النظام الزائل، حاولت تحسين صورة صدام حسين وعهده المظلم بأنه رفع راية الإسلام عاليًا وبنى المساجد وقضى على الدعارة وأماكن الفسق، كتبت الصحيفة بالحرف الواحد: "اشتهرت العراق بتعدد أماكن اللهو فيها منذ الستينيات، وخاصة في المدن الجنوبية بحكم انفتاح الشيعة فيها، وقد حصل في مجلس صدام حسين حديث عما يحصل في هذه الأماكن من جرائم خلقية حتى أصبحت مرتعًا للفساد والإفساد" [١]... فهل علم كاتب المقال ببواطن إفساد نظام

---

١ **شهادة التاريخ: عقد من حياة صدام حسين في ميزان الإسلام، جريدة العرب العالمية، العدد ٦٨١٣ التاريخ: ١٨ كانون الأول ٢٠٠٣**

صدام حسين وبواطن المذهب الشيعي ومعاملاته؟!. فلماذا يقع صاحب الرسالة في التوهم نفسه ويرى في المندائيين جماعة مفسدة دون أن يقرأ كتابهم وتشددهم ضد الشعوذة والزنا ، ووداعتهم ومعاشرتهم الطيبة لأبناء المذهب الشيعي ومواطنيهم من العراقيين عامة ، ولو حصل أن مندائيًا واحدًا أو مجموعة أفسدت فهل يعني هذا أن الدين المندائي راضي بما يفعلون، وهل أن أتباع الأديان والمذاهب الأخرى كافة يلتزمون بتعاليم أديانهم ومذاهبهم؟

لكشف الحقيقة نأتي بتعاليم المندائيين ضد الشعوذة والزنا ، وكل ما يضر المجتمع ويغضب الله. ورد في الكتاب المندائي المقدس (الكنزا ربا) ما يفيد النهي عن الشعوذة والتنجيم:

(لا تستشيروا العرافين والمنجمين والساحرين والكاذبين ، في أموركم مخافة أن يرمي بكم أسوة بهؤلاء إلى الظلمات)... والظلمات تعني جهنم أو الجحيم.

وجاء في النهي عن الربا:

(لا تغالوا بفرض الفائدة والربا الفاحش خشية أن يقع عليكم الحكم بالنفي إلى الظلمات الدامسة)

وفي النهي عن الزنا وإشاعته جاء في (الكنزا ربا):

(لا تعشقوا نساء الآخرين ولا تقترفوا الزنا ، لا تغنوا غناء السكير ولا ترقصوا رقص الغجر ، أحذروا أن يستحوذ على قلوبكم الشيطان المملوء بأحابيل السحر والخداع والغواية ، ذلك أنه يستطيع أن يقلب نوايا الصالحين المحمودة إلى عكسها ويجعل قلوب المؤمنين تتعثر وتتحول)

هناك تعاليم أخرى تحرص على مساعدة الفقير وابن السبيل وأعطى حق الأجير والالتزام بوحدانية الله، ومنها

(لا تسبحوا للشمس والقمر الذين ينيران العالم)

(لا تعبدوا الشمس التي اسمها شامش)

ويؤكد الدين المندائي على حب الخير والعمل به
(لا تفعلوا شيئًا ضد الغير ما ليس تحبونه لأنفسكم).

هذا شيء يسير من تعاليم المندائية، فهم أحق بالإنصاف لا بالإجحاف.

وبشكل عام فالصابئة المندائيون دينهم دين محبة وسلام وتآخي ، دين الإيمان بالله الواحد ، ودين عمل المعروف وخدمة الناس ، يوصي بالصدق والأمانة ، والنهي عن القتل والسرقة والزنا والربا ، ويقدِّم الإيمان وعمل المعروف ويعتبرهما أساسيين للتقرب من الحي العظيم وتنفيذ وصاياه وتعاليمه.

والصابئة المندائيون يؤمنون بأنبياء الله المرسلين وبكتبه المرسلة، ويسعون إلى العيش بسلام مع الجميع.

إيمانهم بالحي عظيمٌ بكل المقاييس ، ويؤكدون على الإيمان المطلق بالحي العظيم لأنه يقوِّم الإنسان ويسعده ويبعث الفرح والبهجة في نفسه، وأن الإيمان العميق وعمل المعروف والصدق والأمانة وخدمة الناس والابتعاد عن المحرمات أكثر ثوابًا عند الله من ممارسة بعض الطقوس... أو ما فائدة الصوم والصلاة لرجل غير صادق وغير أمين ولا يعمل المعروف.

- **د. رشيد الخيون :**

ويكتب لنا أيضًا الكاتب المبدع العلامة د. رشيد الخيون عن الصابئة المندائيين الذين يعيشون في جنوب إيران على أنهار الكارون والكرخة والدز ، ومعاناتهم من حكم الملالي والتطرف الديني... علمًا أن أعداد الصابئة المندائيين في العراق يفوق أعدادهم في إيران عدة مرات.

- إيران : المندائيون في النزع الأخير

تقاسم العراق وإيران وجود أتباع الدِّيانة المندائية. أصبح القسم الأكبر داخل إيران بعد ضم الأحواز وما حولها (١٩٢٥) فالبيئة متشابهة، ويفضل المندائيون الإقامة على شواطئ الأنهار ، لحاجة طقوسهم للماء الحيّ... صبروا على إيذاء المحيط ؛ خصوصًا المتشددين في الأزمان كافة ، وتكفي الإشارة إلى فتوى محتسب بغداد الإصطخري (ت٣٢٨هـ)، بطلب مِن القاهر بالله (ت٣٣٩هـ): «أفتاه بقتلهم ، لأنه تبين له أنهم يخالفون اليهود والنَّصارى. وأنهم يعبدون الكواكب، فعزم الخليفة على ذلك، حتى جمعوا بينهم مالاً كثيرًا»"[١].

مع أن كتابهم يقول : **(باسم الحي العظيم ، أشرق نور الحي ، وتجلى منداهيي بأنواره، فأضاء جميع الأكوان، حطم ألوهية الكواكب، وأزال أسيادها من مواقعهم)**[٢]

ومَن لم ينظر في ديانتهم يفتي ما يشاء فيهم بلا عِلم، وقد وقع العديد مِن الفقهاء في أخذهم بظاهر توجههم صوب القطب الشمالي في صلاتهم ، وهنا يُوضح الإمام أبو حنيفة (ت١٥٠هـ): «إنهم ليسوا بعبدة أوثان، وإنما يعظمون النُّجوم كما نعظم الكعبة»"[٣].

---

١ البغدادي ، تاريخ مدينة السَّلام

٢ الكنزا ربا - اليمين

٣ الآلوسي ، تفسير روح المعاني

بعد الثَّورة الإيرانية لم يعترف بهم الدستور ولا الدوائر الرسمية ، فأخذوا يعيشون حياة أشبه بالسِّرية في مناسباتهم، ويتحيّنون الفرص للهجرة مِن إيران، بالتوجه إلى أميركا وأستراليا، ومَن لم تطاوعه نفسه على ترك جذوره يضطر لإشهار إسلامه، كي يستريح مِن قسوة المعاملة. ولم يبق منهم سوى ألفين أو ثلاثة آلاف، وكانوا نحو (٣٠) ألفًا... ومن عشائرهم التي لم يبق منها سوى القليل: آل زهرون، الجحيلية، الجيزانية، الدهيسية، والخميسية، عشائر ممتدة ومتداخلة الأنساب بين العراق وإيران.

لا يُوظَف أبناء المندائيين، ولا يدخلون الجامعات، ففي استمارة القبول أربع خانات: مسلم، زرادشتي، يهودي، مسيحي. فإذا تجرأ أحدهم وسجل في إحدى الخانات، قد يواجه حدّ الرِدة (القتل)، ولهذا عندما يكمل المندائي الابتدائية والمتوسطة يخرج للعمل بحِرفة أبيه كالحدادة.

يشعرون بقلق على فتياتهم، ومنهنّ من يُخطفن ويضطر الأهل للموافقة والسُّكوت لأن خطف المندائية ليست عليه تبعات قانونية، وإذا أشهرت إسلامها تحت القوة تصبح محرمة على أهلها، وقد تُسأل الأم عن ابنتها المخطوفة فلا تفصح بغير أنها غرقت مثلاً، فليس هناك قانون يُنصف غير المشمولين في الدستور، حسب المادة (١٢): «الإيرانيون الزَّرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات المعترف بها». مع أنهم أهل الدِّيار الأُصلاء، وكيف الحال إذا كان المجتمع ضدهم أيضًا، ومعلوم أن «النَّاس على دين ملوكهم».

فبحكم الدستور والموقف الاجتماعي تتم طقوس الزواج والوفاة بالخفاء، لا وجود لمندي (معبد)، ولا نادٍ اجتماعي أو ثقافي خاص بهم، بينما في عهد الشَّاه كانوا يدرسون في الجامعات، ويتوظفون في الدَّوائر، ومنهم الضباط والأطباء، والقانون يحميهم أسوة ببقية الإيرانيين، أما الآن فلم يبق لهم سوى الحِدادة وحِرف يتعالى عليها الآخرون.

يرتبط هذا الموقف مِن المندائية، برسالة الخميني «تحرير الوسيلة» : «تؤخذ الجزية مِن اليهود والنَّصارى مِن أهل الكتاب، وممِن لهم شبه كتاب، وهم المجوس... فلا يُقبل مِن غير الطَّوائف الثَّلاث إلا الإسلام أو القتل». أورد الخميني في أهل الكتاب ما يُطابق ما أورده ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) فيهم (قابل أحكام أهل الذِّمة بين «تحرير الوسيلة» و«مسألة في الكنائس»).

قال الولي الفقيه خامنئي في رسالة «الصابئة حكمهم الشَّرعي وحقيقتهم الدِّينية» (١٩٩٩): «إننا لا نعرف مِن المعارف والأحكام الدِّينية لهذه النَّحلة التَّاريخية، والتي أصبح المنتمون إليها موجودين بين أيدينا وفي عِقر بلادنا، شيئًا كثيرًا تسكن النَّفس بملاحظته إلى معرفة أصحابها». وبالمحصلة فقد توصل إلى: «جملة عقائدهم التي يدعونها ويصرون عليها التَّوحيد».

ومع هذا الاعتراف، لم يتغير شيء في معاملتهم. ذكر لي بعضهم أن رسالة خامنئي غدت حُجةً بيد المندائيين يحتجون بها في طلب وظيفة أو غيرها، لكنها لم تخفف مِن معاناتهم.

كان هذا رأي الخميني فيهم، مع أن كبار فقهاء الإمامية يستقبلونهم، ولبعض شيوخهم صداقات مع أعيان النَّجف، كالسَّيد علي بحر العلوم (ت١٩٦٠) والمندائي عنيسي، وعندما لامه البعض أجاب:

بيني وبين أبي بشير صداقةٌ تبقى مدى الأيامِ والأحقابِ
إني لأرجو الودَّ يبقى بيننا كودادِ سيدنا الرضي والصابي

يقصد ما بين الشّريف الرَّضي (ت٤٠٦هـ) والكاتب الصَّابئي أبي هلال (ت٣٨٤هـ). وكان شيوخ المندائيين يزورون المرجع الخوئي (ت١٩٩٢) بالكوفة (الخوئي، قبس من تفسير القرآن)، ما يؤكد الاعتراف بوجودهم وعلى دينهم، وليس كما تشدد ضدهم الخميني، ليكن له رأيه كفقيه، لكنه أصبح زعيم دولة عليه رعاية الجميع.

هنا تأتي الخشية مِن الدَّولة الدِّينية ، فالمندائيون تحت علَم «الجمهورية الإسلامية» في النِّزع الأخير ، ما يتطلب مِن المنظمات الدَّولية حماية قوم ما زالوا ينطقون الآرامية، والسَّلام شعيرة مِن شعائرهم، ويعتقدون أن مِن أقطابهم نوحًا وسامًا ويحيى.

الإجحاف بحق الصابئة المندائيين في إيران

تعيش على ضفاف أنهار الكارون والكرخة والدز مجموعة كبيرة من أبناء الصابئة المندائيين في منطقة يسميها العراقيون "عرب ستان"، وغيَّر الإيرانيون اسمها لاحقًا فسموها "خوز ستان"، وكانت هذه المنطقة تابعة لولاية البصرة العراقية لغاية الحرب العالمية الأولى، لكن الإنجليز المحتلين بمؤامرة دنيئة اقتطعوها من العراق وسلموها لإيران بعد أن تخلصوا من شيخ خزعل وشيخ مزعل العراقيين.

إن العشائر العراقية التي تعيش في مدن عربستان مثل المحمرة، الناصرية، الأهوار، البسيتين، عبدان وشوشتر، وغيرها، هيَّ امتداد للعشائر العراقية التي تعيش جنوب العراق... كذلك العوائل المندائية الكبيرة التي تقطن هناك هي امتداد للعوائل المندائية التي تسكن العراق مثل الخميسية، والبو زهرون، والخفاجية، والكلمشية، والجحيلية، والكيلانية، وغيرها من العوائل.

ويذكر لنا المربي الفاضل والناشط المندائي الغيور "سالم طرفي العسكري" أن أعدادًا كبيرة من أبناء الطائفة الذين كانوا يسكنون على ضفاف نهر الأْردن في فلسطين نزحوا من فلسطين بسبب ازدياد أعدادهم وبسبب الحروب مع اليهود إلى جنوب العراق، ومنها إلى جنوب إيران.

كان الصابئة المندائيون حرفيين يجيدون صناعة أدوات الزراعة والصيد وصناعة القوارب وصياغة الحلي الذهبية والفضية بمهارة عالية. كانوا يعيشون في مدينة شوشتر التي يمر بها نهر الدز الذي يصطبغ (يتعمد) به المندائيون ويؤدون طقوسهم الدينية على ضفافه... ويذكر لنا الأستاذ سالم طرفي أنه كانت على ضفة هذا النهر الجاري صخرة كبيرة مازالت ليومنا هذا موجودة يتجمع عندها المندائيون بملابسهم البيضاء يؤدون شعائرهم الدينية، شاهدهم مجموعة متطرفة من جماعة القاجار، فطوقوا المدينة بالسلاح وجمعوا جميع أبناء

الصابئة المندائيين بقوة السلاح دون مقاومة تذكر لأنهم لا يؤمنون بالقتال وسفك الدماء وفق تعاليم دينهم، وعزلوا الرجال والشيوخ والأولاد الذكور لغاية خمسة عشر عامًا وقادوهم عنوة إلى هذه الصخرة العظيمة وذبحوهم عن بكرة أبيهم وكأن المجرمين يذبحون قطيعًا من الأغنام بحيث تحول ماء نهر الدز إلى اللون الأحمر لكثرة الدماء الغزيرة التي سفكت، ولا تزال الصخرة ليومنا هذا لونها أحمر قاني يميل للسواد بسبب الدماء التي غطتها... وبعد ما نفذ المجرمون المتطرفون الأوغاد جريمتهم البشعة؛ سرقوا أموالهم وممتلكاتهم واغتصبوا بناتهم ونساءهم وأخذوهم سبايا... هذه حادثة حقيقية موثقة يتناقلها أهل مدينة شوشتر عبر التاريخ...

وقريبًا زار الباحث الدكتور صباح خليل مال الله برفقة الأستاذ سالم طرفي ووقفا على هذه الصخرة المشئومة وهما يتصوران بشاعة المشهد وحقارة المتطرفين وجرائمهم بحق الإنسانية وهم يدعون الإيمان بالله كذبًا وبهتانًا...

إنها حادثة مؤلمة تدمي القلب وتهز مشاعر الضمير الإنساني لأن الإنسان أخو الإنسان بالدِّين أو بالخلقة لأن الجميع خلقهم الواحد الأحد.

بعد هذا الحادث المفجع الأليم الذي ما زال محفورًا بالذاكرة، هاجرت أعداد كبيرة من الصابئة المندائيين من إيران إلى العراق ودول العالم المتقدم، وحاليًا توجد جالية مندائية كبيرة في أستراليا ومركز ديني كبير ومراكز ثقافية واجتماعية.

وللأمانة يذكر لنا الأستاذ سالم طرفي العسكري أن التطرّف والتفرقة موجودان في المناطق المتخلفة اجتماعيًا وثقافيًا وخاصة في أطراف مدن جنوب إيران، أما الوسط والشمال فلا توجد مثل هذه الممارسات المقيتة، حيث يعيش أبناء الديانات المسلمة والزرادشتية واليهودية والمندائية والمسيحية والبهائية مواطنين متعايشين بسلام ووئام وللجميع حرية المعتقد...

في زمن شاه إيران المهم أن يكون المواطن الإيراني بعيدًا عن السياسة وله حق العمل وكسب الرزق كيفما يريد ، وكانت وسائل الترفيه الاجتماعي متاحة للجميع وخاصة في المدن الكبيرة، ولكن في أطراف مدن الجنوب عليك أن تحتمي بعشيرة قوية مثل بني كعب، السواعد، بني مالك، بني طرف، وغيرهم مقابل ثمن كنوع من الجزية التي عفا عليها الزمن لأنها تتعارض مع حقوق الإنسان ومع القوانين الدولية والدساتير وقرارات الأمم المتحدة لأن الإنسان حرٌّ له حق الاختيار والانتخاب والعيش الكريم بحرية وسلام وأمان.

دراسة للمؤسسة الدينية في إيران عن الصابئة المندائيين

من الضروري الإطلاع على هذه الدراسة لمعرفة كيف تفكِّر للمؤسسة الدينية في إيران. وتدور هذه الدراسة للسيد خامنئي ، حول تحديد نظرة الشريعة الإسلامية تجاه الصابئة، وهل هم من أهل الكتاب أم لا ؟ وهل دينهم موحِّد ؟.

يقول السيد خامنئي:

من أجل الوصول إلى حقيقة الأشياء علينا أن ننتبه إلى ما يلي:

أ. إن موضوع الصابئة لم ينقَّح من قِبل فقهائنا ، لا بالفحص الخارجي ، ولا بالاستماع منهم إلى عقائدهم أو فهمها من كتبهم، ولا بالمقارنة عما قيل عنهم.

ب. عدم كفاية ما قيل عنهم في كتب المِلل والنحل.

ج. هل من اجتهد بحقهم؛ اعتمد الأصول العلمية ؟

د. يجب زيادة التتبع والتنقيب لمعرفة الموضوع وإلقاء الضوء على الزوايا المعتمة فيه.

وقد تعمَّق خامنئي في هذه القضية وناقشها من خلال محورين:

المحور الأول: البحث الكبروي ، و المحور الثاني: البحث الصغروي

- الجزء الأول: المحور الكبروي

ويتضمن أربعة أمور يناقشها السيد علي خامنئي، وهي:

١. هل المراد بـــ(الكتاب) في باب الجزية كتاب خاص؟ أم يعم جميع الكتب المشرعة دون غيرها؟ أم يشمل مطلق الكتاب السماوي، سواء المشرع وغيره؟

ويجيب السيد خامنئي:

إن (الكتاب) في باب الجزية لا ينحصر في الكتابين ، الإنجيل والتوراة فقط ، كما لا ينحصر في الكتب المشرعة -أي أنه يشمل الكتب غير المشرّعة أيضًا مثل كتاب المجوس- بل لو فُرض ثبوت تبعية قوم لكتاب يحيى أو داود أو

إدريس مثلاً ، فهؤلاء من الذين أوتوا الكتاب ، فتُحقن دماؤهم ، ويقرّون على دينهم ، وتُؤخذ منهم الجزية... والجزية هي بمنزلة العوض الذي يؤديه الذمي في مقابل حقن دمه وحُرمة نفسه وماله.
ويوضح خامنئي أن السبب في إطلاق لفظ (أهل لكتاب) على اليهود والنصارى هو كون هاتين الفرقتين موجودتان دون غيرهما في الجزيرة العربية التي نزل فيها القرآن وبدأت وانطلقت منها الدعوة الإسلامية. وأن الصابئة على حياة النبي محمد (ص) كانوا يقطنون ميسان والحرنان (حرَّان)، وكلا المكانين قد فُتحا بعد وفاته.

٢- لو شُكَّ في كون الصابئة أهل كتاب ، فهل يجري في حقهم حكم من له "شُبهة كتاب" أم لا ؟

ويذكر السيد خامنئي فيما يتعلق بهذه النقطة:
فكلمة (كتاب) التي جاءت في آية الجزية تشمل حتى كتاب المجوس ، وذلك بإجماع الأمة. وبما أن (الكتاب) شمل كتاب المجوس؛ إذن المعنى يشمل جميع الكتب المشرَّعة وغير المشرَّعة ، حيث أن كتاب المجوس ليس من الكتب المشرَّعة ونبيهم ليس من الأنبياء أولي العزم. ويقول النبي محمد (ص) إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه، وعلى هذا اعتبرهم المسلمون أنهم من أهل الكتاب.

٣- لو شُكَّ في عقائد الصابئة من جهة التوحيد والشرك وأمثالهما، فهل يجوز التمسك بدعواهم في ذلك ، فيكون ما يقولونه عن أنفسهم وعقائدهم حُجة على غيرهم؟

يجيب السيد خامنئي : إن قبول قول أهل الملل في عقائدهم أمر عقلائي لا يتخلف عنه العقلاء عادة، والسر في ذلك أن من يعتقد بشيء إنما يعتقد به من جهة أنه يراه حقًا وصدقًا ، فلا يعقل أن يقول أهل ملّة - بأجمعهم وفي مرِّ

الأزمان - عن ملتهم التي يتبعونها غير ما يعلمون منها ، فقولهم حجة على غيرهم في ما يقولون عن نحلتهم بحسب هذا البناء العقلائي.

ويضيف:

وعلى هذا ، فالتمسك بدعوى الصابئة في بيان عقائدهم وما ينتحلونه من المعارف والأحكام ؛ أمر عقلائي موافق لبناء العقلاء ، في أمثال ذلك ، فلو فُرض أنهم يدَّعون الإيمان بالله واليوم الآخر والإتباع لنبي من أنبياء الله المعروفين لدينا ، والعمل بكتاب من الكتب السماوية والتي يفرض نزولها من عند الله ، فمقتضى القاعدة العقلانية التي لم يردع عنها الشارع هو الأخذ بكلامهم والتبني لدعواهم بغير وسوسة وريب في ذلك.

٤- لو بقي الشك في أمرهم قائمًا، فما هو مقتضى القاعدة في ذلك ؟ وهل هناك أصل لفظي أو عملي يُعمل بمقتضاه؟

يجيب السيد خامنئي: فبناءً على كون الشُبهة في باب عنوان «من أوتي الكتاب» وشموله للصابئة من باب "الشبهة المصداقية" ، تكون النتيجة أن عمومات قتال "الكفار" لا تشمل الصابئة... هذا كله في الأصول اللفظية.

أما في الأصل العملي فنرى: أنَّ حقن الدماء بأنه مختص بدماء المسلمين ؛ هو أمرٌ مردود ، إذا أنه لا ينحصر في الإسلام ، بل يشمل الكتابي المُعاهد وأمثاله أيضًا، من أي طريق كان ومن أي منشأ.

- الجزء الثاني: المحور الصغروي

ويتضمن أربعة أمور يناقشها خامنئي أيضًا، وهي:

١- هل هناك ما يمكن الاستشهاد به على أن الصابئة أهل كتاب؟

يجيب السيد علي خامنئي: يمكن الاستدلال على أنهم أهل كتاب، بوجوه، منها:

أ- الآيات القرآنية الثلاث التي ذُكر فيها اسم الصابئين، وهي: المائدة/٦٩، البقرة/٦٢، الحج/١٧، حيث يُستفاد من الآيتين ٦٢، ٦٩ في ما يلي:

- أن عقائدهم مشتملة على الإيمان بالله واليوم الآخر؛ وإلا لم يكن وجهٌ لذكر ذلك عنهم.

- أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وقرن ذلك بالعمل الصالح، فهو من أهل النجاة، وهذا لا يكون إلا في صورة صحة الدين الصابئي وكونه نازلاً من قِبَل الله تعالى.

- أن الأديان الثلاثة مستقلة بعضها عن بعض، على ما هو الظاهر المتبادر من تعدادها مردفًا ومقترنًا بعضها مع بعض.

- أما آية الحج/١٧، فالحاصل أن لها ظهور تام في أن الصابئين في عِداد اليهود والنصارى والمجوس من جهة كونهم أهل دين وكتاب سماوي.

٢- هل يُعدُّ الصابئة من شُعَب الأديان الثلاثة (اليهود والنصارى والمجوس)؟

يقول خامنئي: إن كلاً من الفرق الأربعة (اليهود، النصارى، الصابئة، المجوس) مستقلٌ بنفسه؛ بمعنى عدم كونه داخلاً أو جزءًا من فرقة أخرى.
ويضيف خامنئي: فلا دليل على أن الصابئة يعدّون من شُعب بعض الأديان الثلاثة، بل إنهم دين مستقل بذاته، علمًا بأن اليهود والمجوس لا يعدّون الصابئة منهم، كما أن الصابئة لا يعدّون أنفسهم من اليهود أو المجوس، ولا يعتقدون بنبوة موسى (ع) وغيره من أنبياء بني إسرائيل، غير النبي يحيى (ع).

٣- هل العقائد المنسوبة للصابئة تمنع انعقاد الظن بكونها إلهية ؟

يقول خامنئي: الاستدلال بما يقولونه من عقائد، وكون ذلك حُجة على غيرهم، وبذلك لا يبقى مجال لإنكار صحة هذا الدين في أصله، وإنه منسوب إلى أحد أنبياء الله... فالمضامين المنقولة عن كُتب الصابئة، ومنها كتابهم (الكنزا ربا)

ومعناه (الكنز الكبير)، فإنها مشتملة على عقائد لا تُعهد إلا من الأديان الحقيقية الإلهية، كعقيدة التوحيد والمعاد، وتسمية الحق المتعال بالأسماء الحسنى والصفات العليا، ونسبة كل شيء إليه وإلى إرادته، وما إلى ذلك.

٤- هل يشتمل اسمهم على شي ء ينافي كونهم ذوي دين سماوي؟

يقول السيد خامنئي في هذا المجال:

أما التعريف اللغوي والتاريخي للصابئين، فقد عرَّف الاسم باتجاهين:

أ- ذكر البعض أن اسم الصابئين مشتق من (صبا) بمعنى (خرج)، ويقال لهم الصابئين لخروجهم من دين إلى دين... ووفق هذا التعريف، ربما يتبادر إلى الذهن أن هذا لا يتلاءم مع الانتساب إلى أصل إلهي ونبي وكتاب سماوي.

ب- أما الوجه الثاني، هو ما ذكره بعض الفضلاء والمحققين، وهو أن كلمة (صابئي) هي من أصل آرامي بمعنى "المغتسل"، وقد سُمّوا بها لاهتمامهم بالغُسل بالماء، بحيث أنه أحد أركان أحكامهم الشرعية، ولذا يسمون في عُرف أهل الملل، بالصابئة المغتسلة.

ويضيف خامنئي هنا: إن اللجوء إلى تعريف (اسم الملة) يعتبر من الاعتبارات المبنية على الحدس الظني، مما لا وزن لها في استنباط الحكم الشرعي، وإن هذه الوجوه الظنية لا تغني من الحق شيئًا.

- **رشيد مطر الهاشمي :**

يقول السيد رشيد :

إن هذه الملة يكتمون ديانتهم كل الكتمان ، ويضنون بها حتى على أتباعها وأهلها ، وأن الصابئي المندائي لا يعرف شيئًا عن هذا الدين ، وهو محصور في رجال دينهم الذين لا يبيحون سرًّا من أسرار هذه الديانة ، وإن سألتهم عن دينهم أخطأوا الجواب وتلعثموا وضاعت عليهم الحقيقة... وقالوا إن أصلهم من مصر وهاجروا إلى فارس فحصلت هناك مجزرة راح ضحيتها خلقٌ كبيرٌ ، فاضطروا للهرب إلى بلاد ما بين النهرين ، فعاشوا في أمان ، وما زال عدد منهم في ناصرية إيران... أمَّا لغتهم فهي السريانية.

- **تعقيب:**

ديانة الصابئة المندائيين غير تبشيرية ، وأبناء الطائفة لم يدخلوا في جدال وتجاذب مع الأديان الأخرى ، من أجل الكسب ، وكان رجال الدين والمؤمنون منهم متبحرين في الدين المندائي ، وحافظين لكتبهم المقدسة ، ومطبقين لتعاليم الحي الأزلي وأنبيائهم المرسلين ، ونظرًا لحاجة المجتمع العراقي وباقي الدول للتعرف على الدين والطائفة المندائية ، وتراثهم ، وكذلك لجم أصوات الشر وأقلام السوء التي تشوه أصالة هذا الدين وجذوره التوحيدية ؛ بدأ مثقفو الطائفة حملة تعريفية بهذه الديانة منذ ثمانينات القرن الماضي عن طريق ترجمة الكتب الدينية التي كُتبت باللغة الآرامية المندائية منذ قديم الزمان إلى اللغات الحية الأخرى ؛ مثل العربية والإنجليزية والسويدية ، وغيرها ، وتم توزيع هذه الكتب والكتيبات والمجلات التخصصية والكراسات ، على المؤسسات والجامعات والمراكز الثقافية ، وقام بعض رجال الدين والمثقفين المختصين في اللاهوت المندائي بإلقاء المحاضرات في كثير من الجامعات والمراكز الثقافية والجمعيات

بهدف التعريف بالديانة المندائية وعقيدتها التوحيدية والطقوس التي يؤديها أبناء الطائفة.

أما فيما يخص الهجرة من مصر إلى فارس، ومن ثم إلى العراق؛ فهذا أحد الاحتمالات، وأن وجودهم حاليًا في ناصرية إيران على نهر الكارون، والكرخة في الأهوار في منطقة عربستان أمر طبيعي، لأن هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى كانت جزءًا من العراق، وتسكنها عشائر عربية لها امتداد في العراق؛ وما زالت؛ ولكن إيران ضمت هذه الأراضي بالقوة بمساعدة الإنجليز المحتلين، وما زال عدد كبير من الصابئة يعيشون هناك.

▪ **د. رشيد الخيون :**

آراء إسلامية في العقيدة المندائية

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً * وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ [1]

يزخر الفقه والتاريخ الإسلاميين بمسائل ومرويات كثيرة حول الصابئيين المندائيين، كان المصدر الأول لهذا الاهتمام القرآن الكريم، وسوره الثلاث: البقرة، والمائدة، والحج. ثم حضورهم بحاضرات العراق العباسي مثل: واسط والبصرة وبغداد. يضاف إلى ذلك دورهم في الحياة الثقافية أيام العباسيين... ولا زال لقب الصابئي المندائي أو ابن منده معروفًا في كتب تراجم الرجال والفقه والقضاء الإسلامية، من هؤلاء: أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار المندائي (ت٦٠٥هـ) المعروف بمسند أهل العراق وبالمُعدّل، وكان والده قاضيًا... وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد (ت٤٧٠هـ) ومنده لقب جده الأعلى، ومنهم الحافظ أبو عبد الله بن منده (ت٣٩٥هـ) الملقب بجوال الدنيا لكثرة سفره، والمحدث عبد الوهاب بن الحافظ (ت٤٧٥هـ) وغيرهم، كل هؤلاء تدل ألقابهم أنهم كانوا مندائيين، قبل إسلامهم أو إسلام آبائهم.

وإن طغت تسمية الصابئة على هؤلاء القوم إلا أن اسمهم المندائي هو الأصل، وهو نسبة إلى مندادهي الملاك الأول أو رمز المعرفة أو الحياة الأولى، وبهذا عرف بيت عبادتهم بـ"المندي"، أي بيت المعرفة، وأي معرفة؛ معرفة الله وكشف عوالم الكون، وبهذا ربما تعود أُصول العرفانية أو الأغنوصية إلى هذا الدين.

---

[1] القرآن الكريم: سورة مريم، الآيات ١٢-١٥

وإذا علمنا أن الشيخ معروف الكرخي كان صابئيًا علمنا التأثيرات العرفانية في التصوف الإسلامي. قال الخطيب البغدادي : "أخبرنا محمد بن أحمد بن روق قال : سمعتُ أبا بكر محمد بن الحسن المقرئ المعروف بالنقاش، وسئل عن معروف الكرخي، فقال: سمعتُ إدريس بن عبد الكريم يقول: هو معروف بن الفيزران وبيني وبينه قرابة، وكان أبوه صابئًا من أهل نهر بان من قُرى واسط"[١]. وقال ابن تغري: "كان أبواه من أعمال واسط من الصابئة"[٢].

اتخذ المندائيون الصمتَ سبيلاً قويمًا في الحفاظ على كيانهم الديني، ولغتهم المندائية عبر دهور طويلة، خدمهم غموض لغتهم الدينية، التي لا يفقهها مواطنوهم من الأديان الأخرى، يتهامسون بها للرد على سخرية جاهل ينال من عقيدتهم، أو معتد قصد ديارهم لفرض ما لا يريدون وما لا يطيقون، فكثيرًا ما يحدث الاعتداء عليهم لقلتهم ولشبهات عقائدية تدور حولهم، أقلها أنهم يعبدون الكواكب والنجوم، أو يزهقون أرواح المحتضرين منهم... هذا ما شاع عنهم بجنوبي العراق.

والحقيقة أن من شعائرهم غسل المحتضر وإكساءه الكسوة الدينية البيضاء المعروفة بالرستة، اعتقادًا منهم أن ذلك يمُكِّن روحه من الصعود إلى مشوني كشطا (المكان السامي أي الجنة) بسلام... وبرَّر بعض الفقهاء نجاستهم لأنهم مشركون، وحُكم هؤلاء حسب الآية القرآنية ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[٣]، يقال هذا على المندائيين رغم إفراطهم في النظافة والطهر... وأباح البعض الآخر قتلهم، رغم وداعتهم وميلهم للسلم، فلرقتهم يعتذرون ويستغفرون أثر ذباحة الطير والحيوان.

---

١ تاريخ بغداد ١٣ ص ٢٠٠

٢ النجوم الزاهرة ٢ ص ١٢٦

٣ القرآن الكريم : سورة التوبة ، الآية ٢٨

خرق الشيخ دخيل صمت المندائيين عن تجاوزات الآخرين فيما يخص الشأن الديني، يوم تقدم لمقاضاة المؤرخ عبد الرزاق الحسني بسبب ما جاء في كتابه "الصابئون في ماضيهم وحاضرهم". ففي ١١ كانون الثاني١٩٣١، فتح الشيخ كتاب (الكنزا ربا) وقرأ أمام هيئة المحكمة ببغداد، باللسان المندائي (الآرامي الشرقي) وكان الأب أنستاس الكرملي يترجم إلى العربية، وقد اقتنعت المحكمة أن المندائيين ليسوا عبدة كواكب ونجوم بل يعبدون الحي الأزلي، قرأ الشيخ بوثات (آيات) من الكتاب الأول، تسبيح التوحيد. تحقق ذلك بتعاطف من قبل متصرف بغداد آنذاك أمين الخالص والحاكم الأول لمحكمة الجزاء شهاب الدين الكيلاني مع قضية المندائيين.

وحصل أن اعتذر الحسني من الشيخ ووعده أن لا يعيد نشر الكتاب إلا بعد أخذ ملاحظات وتوصيات الشيخ، لكنه طبعه عدة طبعات، وحتى السبعينيات كتب في مجلة "التراث الشعبي" مقالاً بعنوان "إذا مات الصبي"[١]، واضعًا فيه ما يدور بين العامة حول المندائيين، من أنهم يخنقون المحتضر، بينما الصحيح هم يلبسونه الثياب الدينية وهي الرستة، ويطهرون بدنه قبل الوفاة. والعامة التي لم تكشف لها طقوس الدين المندائي لم تحسب حساب خطورة اعتقادها بمواطنيها المندائيين، فما أشاعته عنهم هو القتل بعينه، والسؤال إذا كان المندائيون يقتلون أو يخنقون المحتضر فكيف لا يتعرضون للعقوبة الجنائية، وكيف جرى المؤرخ الحسني خلف هذا الإدعاء الباطل؟ ومعلوم أن قتل الرحمة لم يجز إلا في بعض الدول الأوروبية وبعد نقاشات وصراعات حامية في البرلمانات، وهذا لا يجاز إلا بطلب المريض الشخصي، وفي حالة معاناته من قسوة الألم مع اليأس التام من شفائه، فأين ومتى مارسه المندائيون، وهم كما أسلفنا يعتذرون عن ذبح الحيوان والطير !.

١ مجلة التراث الشعبي، العدد ١١، ١٩٧٤

وخلاف ما قدَّمه الحسني من اعتذار للمندائيين بعد المحكمة المذكورة؛ كتب في مجلة "الهلال" المصرية (أيار ١٩٣٢) قائلاً : "فتلقينا من ضجيج الصابئة وإنكارهم ما جرَّنا إلى المرافعات ومحاكمات طال أمدها ، ولكنها انتهت بفشل المدعين لعدم وجود مأخذ على ما كتبنا ونشرنا" [١]. لكن الحسني بعد أكثر من عشرين عامًا من تاريخ مقاضاته كتب إلى الشيخ دخيل يقول : "إكرامًا لخاطركم وحبًا بدوام حسن العلاقة بيني وبينكم لا سيما بعد أن اتضح بأني لا أريد إلا خدمة التاريخ وتحري الحقيقة" (٢٠ تشرين الأول ١٩٥٧). وكانت وزارة المعارف، في عهد الوزير خليل كنة قد ردت طلب عبد الرزاق الحسني، الذي عرض فيه شراء (٢٠٥) نسخة من هذا الكتاب، وجاء في الرفض: "لعدم الإفادة منه في مؤسساتنا الثقافية"، لكن الطلب نفذ في عهد الوزير منير القاضي.

إن صحت العبارة، المندائيون أثر من آثار التاريخ الحيَّة، فوجودهم يذكر بأنبياء ورسل، حاولت الأديان المتعاقبة نسخ شرائعهم، ولم يبق منهم غير صحف نوح وإبراهيم، والصابئة إن ذكروا في الكتب المقدسة فلم يذكروا بأكثر من تلميح واستشهاد وعبرة من الماضي. فقول المندائيين إنهم أقدم ديانة سماوية على وجه الأرض، وإن كتبهم هي صحف سادة البشر الأولين، كآدم وشيت وإدريس ونوح، يرفعهم إلى مصاف بدايات الأديان والشرائع الموحدة في التاريخ، وأن الكل نحل من منحلهم، لذا من الصعب أن يُعرف للصابئة المندائية مؤسسًا ، وهذه الخاصية ، التي ميزتهم عن اليهودية والمجوسية والمسيحية والمانوية والإسلام وغيرها من الديانات العالميةِ، أشارت إلى قدمهم وروحانيتهم الصافية، وكأنهم يوافقون أبا الفتحِ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني حينَ قالَ: "إنما مدارُ مذهبِهم على التعصبِ للروحانيينَ" [٢]. ويبدو أن غرض الشهرستاني من نقل، أو إبداع، الحوار بين الصابئة والحنفاء هو ميل الصابئة إلى الرُسل من الكائنات

---

١ رومي : الصابئة، ص ٤٦ و١١٢ وسباهي ، الصابئة ، ١٧٦

٢ الشهرستاني : المِلل والنحل ٢ ، ص ٥

النورانية، مثل هيبل زيوا(جبرائيل)، فالبشر لخطاياهم وما يتعلق بأبدانهم من فساد، لا يصلحونَ للوساطةِ بينَ السماء والأرض...

قالَ الشهرستاني في مذهب الصابئة: "إن للعالمِ صانعًا، فاطرًا، حكيمًا، مقدسًا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربينَ لديهِ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا، وفعلاً، وحالة"[1].

بيد أن ما أتى عليه الشهرستاني، من عدم اعتراف الصابئة بأنبياء من البشر، يفنده ما ورد في كتبهم من الصحف التي نزلت على آدم، والكتاب الذي نزل على أحد النوصرائيين، إدريس (دنانوخت)، ويصدقه، في الوقت نفسه، أنهم لم يسموا أحدًا من البشر بالنبي أو الرسول، فالكل عندهم كانوا نوصرائيين، من آدم إلى يحيى بن زكريا. فالكتابات الصابئية المندائية أشارت "إلى الاعتقاد بأن المعرفة أو العلم الرباني -مندادهيي- إنما يؤتيه اللهُ عباده المختارين الصادقينَ (بهيرا زدقا)، إما وحيًا وإما إلهامًا، وذلك هو صوت الحي الأقدم (شوت هيا قدمايي) أو فيضًا سماويًا وكشفًا وهو التجلي، أو بواسطةِ رسلٍ أثيرين نورانيين"[2]

أشار المندائيون -ربما لاهتماماتهم الفلكية- إلى وجود بشر خارج كوكب الأرض، فالكواكب السماوية عندهم -ما دون عالم النور- اتخذت سكنًا للبشر والكائنات النورية، وكتبهم الدينية تُرشد إلى عوالم "يسكنها بشر مثلُنا، وتركز بالدرجة الأولى على عالمِ العهدِ مشوني كشطا، وتذكرُ أيضًا أن البشرَ في هذا العالمِ لا يختلفونَ عنا كثيرًا، وعلى هذا الأساسِ فقد أمر هيي ربي قدمايي، الحي الأزلي، بنقلِ بناتِ آدم من هذا العالم (اره اد تبيل)، الأرض، ويجلب زوجات من عالم مشوني كشطا لأولاده"[3]

---

١ الشهرستاني: المِلل والنحل ١ ص٩، ٤٤

٢ الصابئة في ماضيهم وحاضرهم ص١٠

٣ الصابئة في ماضيهم وحاضرهم ٧-٨ الهامش

ويصفُ غضبان رومي، وهو واحدٌ من بين أبرز المثقفين المندائيين، مستقبل العلاقة بين إنسان الأرض وإنسان الكواكب الأخرى، حسب تصورات ديانته، بالقول: "من ذريتهن تكوَّن الإنسان الحالي، الذي أخذ يزحف من عالمنا هذا نحو الكواكب الأخرى، وليس ببعيد أن يصل في آخر المطاف إلى عالم مشوني كشطا، وينزل ضيفًا على أخواله هناك، مستقبلاً من أبناء عماته"[1].

كان آدم أبًا للبشر وحواء أمهم، لكن البشرية -حسب الكتب المندائية- فنيت مرات بكوارث سببها عالمُ الظلام المنحوس وما فيه من شر انتقل إلى الآدميين عبر مادة الطين التي منها جُبل جسد آدم، وفي كل فناء يبقى رجل وامرأة يتجدد منهما الجنس البشري. "فبعد شيت قضي على هذا العالمِ بالحرب، ولم يبق منه إلا رجل وامرأتُه، هما رام ورود، وبعد عشرات الألوف من السنين فني العالم بالنار، ولم يبق منه إلا شوربي وزوجته شرهيبل، وبعد عشرات الآلاف من السنين جاء الطوفان، ولم ينج منه إلا نوح وزوجته (انهريتا) وابنه سام"[2].

وحسْب أغلب الأديان، ومنها المندائية، إن هذه الكوارث ضرورية لغسلِ الأرض من خطايا البشر، وبهذا قال شاعر البشر أبو العلاء المعري، حسب تسمية معروف عبد الغني الرصافي له، وكأنه قرأ الكنزا ربا وتبحر فيها:

والأرضُ للطوفانِ مشتاقةٌ　　لعلها من درنٍ تُغسلُ

قد كثر الشرُّ على ظهرها　　وأتهم المُرسِلُ والمُرسَلُ

إن اعتقاد المندائيين بوجود بشر يعيشون على الكواكب العليا يقود إلى علاقة ما بنظرية أفلاطون: "المُثل" أو "النماذج"، وبالتالي إلى صلة ما بالفكر اليوناني بشكلٍ عام. ولا ندري، هل كان هذا التوافقُ توارد خواطر أم بتأثيرات فلسفية مباشرة. في هذا المجال قد يكون للحرانيين في نقلهِا دورٌ ما، ولا يستبعد أيضًا

---

١ رومي: الصابئة، ص١٨٠

٢ رومي: الصابئة، ص١٨٨

في أن يكونَ الأمر امتدادًا سومريًا وبابليًا، حيث القول بوجود مجتمع الآلهة، ومكانُه العالم العلوي، وخُلق البشر على هيئتهِ ونظامه. جاء في النصوص المندائية على لسان المتوفى: "أذهب إلى شبيهي، وشبيهي يأتي إليّ، يتذكرني ويحتضنني، كما لو أنني خارج من السجن ".

تناول الفقهاء والمؤرخون المسلمون -شيعة وسنَّة- الدين المندائي، واختلفوا حوله في أن يكون أصحابه من أهل الكتاب أو شبه الكتاب، واختلفوا أيضًا في جواز أخذ الجزية وبالتالي الاعتراف به كديانة لها حق حماية المسلمين والأمن بينهم. إلا أن أكثر المتشددين ضدهم هم فقهاء الشافعية، بينما كان للفقهاء الحنفيين والشيعية فتاوى وآراء إيجابية منهم، اعتمادا على ما ورد في القرآن الكريم بخصوص الصابئة، وما ورد في الكتب الصابئية، حسب قراءة آية الله علي خامنئي لها.

كذلك كانت لرجال الدين الشيعية صلات صداقة ومودة على غرار صداقة العلم الشيعي البارز الشريف الرضي والعلم الصابئي البارز إبراهيم الصابئي. يتناول هذا الكراس معاملة الفقه الإسلامي وروآيات التاريخ في أمر قوم لا زالوا يحتفظون باللغة الآرامية ويرون أنفسهم أنهم أتباع آدم أبي البشر.

وبالتالي المندائيون أهل دين سماوي، توجهوا إلى غاية السموات بعقولهم وأفئدتهم، وبفكرة السفن الكونية وبحارتها الكائنات النورية، ولم يجعلوا الكواكب آلهة بل هي عندهم أمكنة لكائنات النور والظلام، والله لديهم متعالٍ عرشه يطوف فوق بحار النور النقية. ومثلما للأديان الأخرى معاريجها لهم معراجهم وجنتهم ونارهم.

غير أن كل هذا كان مخفيًا على المحيطين، لم يعرفوا منهم غير أنهم يعبدون الكواكب كامتداد لصابئة حران، أو يسجدون إلى كائن صاغ حروف اسمه الآخرون، عن جهل، من العبارة المندائية المقدسة "بشميهون اد هي ربي"، وتعني "باسم الحي ربي"، مثلها مثل عبارة المسلمين "بسم الله الرحمن الرحيم".

وإذ جعل المسلمون الرحمة صفة الله الأولى، يطلبونها منه في مستهل كل عمل، جعل المندائيون الحياة صفة دائمة يذكرونها في مستهل كل عمل وحركة، فالحياة الأزلية، حسب كتابهم، هي الفارق الأكبر بين الله والبشر.

- **الأستاذ/ سالم غصاب:**

هذا الرجل المندائي الغيور على دينه وأبناء طائفته ووطنه العراق، سالم غصاب -رحمه الله-، المؤمن، التقي، الورع... يؤكد بقوة مستشهدًا بنصوص ربانية، بوحدانية الصابئة المندائيين، ولنا شهود، فالماء الجاري شاهدنا، والبهثا (الخبز المقدس) والممبوها (الماء المقدس) شهودنا، والإيمان والحق شهودنا، والمندي الذي يجمعنا، وما نعطيه من صدقات للفقراء شهودنا، وأنبياؤنا وكتبنا المقدسة؛ وفي مقدمتهم الكنز العظيم؛ شهودنا، وإيماننا العميق وصومنا وصلاتنا وتعميدنا وتوحيدنا للحي العظيم شهودنا، وصدقنا وأمانتنا ومحبتنا لكل الناس شهودنا، وحبنا للسلام والوئام والتآخي، وعمل المعروف والالتزام بوصايا الحي العظيم وتمجيده وتعظيمه وتسبيحه شهودنا، الله الحي العظيم أبدَّيُ ليس له بدايةٌ وسرمدي ليس له نهاية (ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون)...

- التوحيد في النصوص المندائية

يؤمن الصابئة المندائيون بوجود إله واحد أزلي (هيي قدمايي) انبعث من ذاته (إله ادمن نافشي افرش) خالق الكون، وبأمره خُلقت الكائنات الحية... إن كل نص من النصوص المندائية يبدأ بذكر الخالق (**بشم اد هيي ربي**)، وينتهي بعبارة (**هيي زاكن**) "الحي المزكى"... ومن يتتبع النصوص المندائية يجد أن التوحيد هو العمود الفقري للديانة الصابئية المندائية والأساس الذي تقوم عليه أفكارها وفلسفتها، فها هي افتتاحية الكتاب المقدس "كنزا ربا" "الكنز العظيم" مكرسة بأكملها تقريبًا لوحدانية الحي العظيم وإظهار قدرته الشاملة، وهذا جزء منها:

(بسم الحي العظيم... أسبحك ربي بقلب طاهر، رب العوالم كلها، مسبح ومبارك ومعظم، ذو الوقار والجلال، الله الرب العلي سبحانه ملك النور السامي، ذو الحول

الشامل الذي لا حدود لقدرته ، النور البهي والضياء الساطع الذي لا ينضب ، الرءوف التواب ، الغفور الرحيم ، مخلص كل المؤمنين ، وناصر كل الطيبين...)

فالحي العظيم (حياة لا يداخلها موت) (**هيا إد موتا ليتبا**)، وهو الغبطة التي لا يأتيها غمٌّ وألم (**بسما هو إد زهيرا ومرار ليتبي**)، وهو اللطيف الذي بكلمته وبأمره خُلقت جميع المخلوقات.

كما أكدت النصوص المندائية على وجوب الإيمان بالله وكتابه والتسبيح له : (**وأ حبوا اسم الله وكتابه وكلامه وهبوه تسبيحًا. مولاكم ملك النور العلي الذي انبعث من ذاته**).

كما يجب على المندائي أن يستجيب لما أمره به الله في كل وقت وفي أي مكان: (**أمرناكم أن اسمعوا صوت الله في قيامكم وقعودكم ، وذهابكم ومجيئكم ، وفي ضجعتكم وراحتكم وفي جميع الأعمال التي تعملون**).

إن الخالق العظيم أوجد الإنسان على هذه الأرض من أجل أن يبنيها ويعمرها وينشر السلام في ربوعها، وعندما تكمل "النفس" فترة بقائها في الجسد الفاني يأتي من يحرِّرها لتلحق بالملكوت الأعظم الذي جاءت منه.

إن الصابئي المندائي يتوجه إلى الحي العظيم بقلب تغمره المحبة والنقاء، وهو ينبذ الأصنام والأوثان والعبادات الباطلة، فهو ينكر عبادة الشمس والقمر والنار لأنها زائلة، نجد ذلك في ترتيلة التعميد حيث يرفض الأب شيتل عبادة غير الحي الأزلي ولا يقبلها شهودًا. جاء ذلك في كتاب "النياني" وهو مجموعة من الصلوات والتراتيل:
(**بسم الحي العظيم... نهضت من الماء الجاري ، ولقيت جمعًا من الناس يحيطون بأبينا شيت "شيتل" قائلين له : بحياتك يا أبانا شيتل، هلا جئت وصبغتنا "عمدتنا" في الماء الجاري ؟... حسنًا ، إن جئت لأعمدكم في الماء الجاري. فمن سيكون شاهدكم؟... الشمس المشرقة ستكون شاهدنا... ليست الشمس مطلبي ولا تهواها نفسي فالشمس التي تتحدثون عنها باطلة زائفة والساجدون لها سينتهون إلى الزوال**).

ويتكرر ذلك مع القمر والنار... وأخيرًا يقول الجمع من الناس :

(الماء الجاري وضفتاه ستكون شهودنا ، لقمة الخبز المقدس وجرعة الماء المقدس والإيمان والحق ستكون شهودنا ، الأحد الذي نحفظه صادقين سيكون شاهدنا ، هذا البيت الذي يجمعنا للعبادة هو شاهدنا ، الصدقات التي نقدمها هي شهودنا ، أبونا ورئيسنا وعمدنا سيكون شاهدنا... فيجيب أبونا شيتل : "هذا هو مطلبي ، وهذا ما تصبو إليه نفسي. وحين تصعد نفوسنا إلى دار البقاء ، فستأتي هذه الشهود ، وتكون شهود حق).

هكذا تؤكد النصوص المندائية على وحدانية الخالق وعدم الإشراك به.

▪ **الزمخشري** (١٠٧٥-١١٤٤) :

وقال الزمشخري : (والصابئة من الفعل العربي صبا ، أي من خرج من دينه واتبَّع دينًا آخر. والصابئة قوم تركوا دين اليهود والنصارى، وعبدوا الملائكة).

وقال أيضًا في تفسيره لسورة الحج: (إن الأديان الخمسة، واحدٌ منها للرحمن ، والباقي للشيطان ، وجعل الصابئين مع ملة النصارى، لأنهم نحلة منهم... وقيل يفصل بينهم ، بمعنى يقضي بينهم ، أي بين الكافرين والمؤمنين).

وقال: (ذكر الكرماني كلامًا نفيسًا عن الآيات القرآنية الثلاث اللواتي ذُكر فيهن اسم الصابئة ، حيث قولهُ تعالى في سورة البقرة (أن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)... وكذلك في سورة الحج (والصابئين والنصارى) وذكروا في سورة المائدة (والصابئون والنصارى)... وتعليله ذلك أن النصارى مقدمون على الصابئة بالرتبة ، لأنهم أهل كتاب ، فقدمهم في سورة البقرة ، والصابئون مقدمون على النصارى في الزمان ، لأنهم سبقوهم ، فقدمهم في سورة الحج، وراعى في سورة المائدة بين المعنيين ، فقدمهم في اللفظ وأخرَّهم في التقدير.

وباختصار وفق ما قاله الكرماني ، أن الصابئين يُقدَّمون على النصارى من الناحية التاريخية الزمانية، لأنهم كانوا قبلهم، والنصارى كأهل كتاب هم أفضل من الصابئين في مكانتهم ورتبتهم ، لأن الصابئين أشد كفرًا من النصارى ، ولذلك يقدِّم النصارى من هذه الناحية وفق تفسيره للأمور ، وأن الآية التي وردت في سورة البقرة قدمت النصارى في الذكر : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]... أما سورة الحج فقد راعت الناحية الزمانية والتاريخية، فقدمت الصابئين على النصارى في الذكر :

---

١ القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية ٦٢

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]. أما سورة المائدة جاء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2] فراعى الناحيتين معًا، حيث قدَّم الصابئين من حيث اللفظ فذُكروا أولاً وإن كانوا قد أُخروا من حيث التقدير ، لأنه حين رُفِعت الصابئون صارت مبتدأ خبرهُ محذوف تقديره: كذلك ، وكأنه قال : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وبذلك يكون قد راعى الناحية الزمانية ، فقدَّم الصابئين في ذكرهم في اللفظ ، وراعى ناحية الرُتبة ، فأخَّرهم في المعنى.

- **تعقيب:**

كما تلاحظون فإن الزمخشري ومعه الكرماني يفسِّرون الآيات البينات كما يشتهون ، ووضعوا رُتبًا ودرجات للأديان الموحِّدة بالحي العظيم الله ، وتناسوا أن الكل عباد الله ، والأديان السماوية الموحدة جميعها تؤمن بأن الله ربها وخالقها ، وكل الموحدين عند الله سواسية مثل أسنان المشط... فهذا لا يعني أن أول الأديان هو أفضل الأديان لأنه سبقَ الآخرين بالإيمان... كثيرٌ من اللغويين يتلاعبون بالألفاظ ويقدِّمون ويؤخرون ، ويفسرون على هواهم ومزاجهم... المهم أن يجدوا تخريجة للموضوع... وحاشى الله جلَّ جلاله أن يفضِّل قسمًا من عباده على قسم آخر ، ويقدِّم هؤلاء ويؤخر هؤلاء ، فهو ربّ الكل ملك النور السامي.

---

١ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

٢ القرآن الكريم : سورة المائدة، الآية ٦٩

كذلك يذهب الزمخشري بقوله المجحف أنهم تركوا اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة، فأن كانوا كما فسرها فأنهم سبقوا النصارى، ولهذا ورد ذكرهم قبل النصارى في سورة المائدة والحج، فكيف نعلل قول الزمخشري أنهم تركوا وعبدوا الملائكة.

الصابئة المندائيون في حقيقة الأمر يعبدون الله الحي العظيم الأزلي، وكل كتبهم المقدسة تدعو إلى عبادة رب الأكوان الله، وكل الطقوس الدينية الخاصة بالبراخا (الصلاة) تؤكد على ذلك... وكذلك هم يجلون الملائكة والأثيريين الذين يسبحون ويعظمون الله جل جلاله، أليس الملاك جبرائيل ملاكًا مرسلاً من الله إلى أنبيائه، نقل لهم الرسائل السماوية والأوامر الإلهية، وهذا الملاك الرسول موضع إجلال لمكانته عند رب العالمين.

إن الصابئة المندائيين لا يقدِّسون الأولياء ورجال الدين مهما علت مكانتهم، وليس لديهم أضرحة ومقامات يزورونها ويتباركون أو يتشفعون بها، ولكنهم يتشفعون إلى الله الحي الأزلي ويتوسلون له بالدعاء والصلوات وحده لا شريك له.

على العالم المفسِّر والباحث أن يكون منصفًا محايدًا مجردًا من عواطف الانتماء إلى فئة أو طائفة أو دين، يحب كل عباد الله المؤمنين، وكل أنبياء الله المرسلين وكتبهم المنزلة التي تدعو إلى التوحيد وتؤمن بالعمل الصالح واليوم الأخر... وأن الله يفصل بين الناس يوم القيامة، وليس الزمخشري أو الكرماني.

- **الدكتور/ سلمان شمسه :**

الدكتور المرحوم سلمان شمسه، من أعيان محافظة النجف في العراق، وله عدة مؤلفات، كتب ما يلي:

هناك عددٌ من رجال الدين تصدر منهم فتاوى، الغاية منها ليس لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي مثلاً في العراق حاليًا ، وإنما لتأجيج النعرات والحزازيات بين أبناء الشعب العراقي، ومن أخطر ما صدر لحد الآن فتوى من محافظة البصرة، تتضمن طعوناً في ديانة قديمة قِدم العراق ذاته هي (المندائية) كشريحة آمنة مسالمة من أبناء الشعب العراقي... هؤلاء هم الصابئة المندائيون الذين عاشوا منذُ آلاف السنين على أرض العراق قريبًا من الأنهار والأهوار لارتباطهم الوثيق بالماء الجاري في طقوسهم الدينية.

والصابئة المندائيون طائفة دينية مسالمة ، ولا يأتي منهم أذى لغيرهم... وبالرغم أنهم تعرضوا خلال تاريخهم الطويل لمحاولات الإبادة والقتل، فأنهم لم تبدر منهم بوادر الأذى لغيرهم، بل لديهم القدرة على الاندماج مع الآخرين بدرجة مدهشة حقًا ، وهم بصفة عامة أذكياء ومثابرون ، والصابئة المندائيون من أهل الكتاب لورود اسمهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات.

ويقول الدكتور سلمان شمسه رحمه الله:

إن هذه الفتاوى غير مسؤولة وتحاول زرع الفتن الدينية والطائفية بين أبناء الشعب الواحد.

▪ الإصطخري:

أخطر ما واجهه الصابئة المندائيين هو فتوى الإصطخري، وهذا الفقيه قد أفتى بقتل الصابئة المندائيين وإبادتهم، بالرغم من ذكرهم في القرآن الكريم مع إخوتهم المسلمين واليهود والمسيحيين، باعتبارهم من الأديان الموحدة التي تؤمن بالله والعمل الصالح واليوم الأخر، وهذا ما أثبتته كلمة اللجنة العليا المشرفة على ترجمة كتاب (الكنزا ربا)، وما اثبتهُ رئيس الطائفة المندائيين في تقديمه للكتاب المقدس:

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون، فانظروا إلى ماذا تستندون)[1]

لقد تناخى الغيارى من أبناء هذه الطائفة لإنجاز ترجمة كتابنا المقدس (كنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، لتكون كلمة الحي العظيم في قلوب وضمائر المندائيين، وليطلع على هذا السفر الخالد -ولأول مرة باللغة العربية- كل المؤمنين بالله وكتبه ورسله واليوم الأخر والعمل الصالح، ليتبينوا أن هذه الصحف الأولى هي غرس التوحيد الأول، والتي أنزلها الله على آدم وذريته والأنبياء من بعده عليهم السلام أجمعين، ولتكون شاهدًا على أن الصابئة المندائيين هم قوم موحدون محبون للسلام والألفة والتعايش مع الجميع، ويؤمنون بالأنبياء والرسل الذين بعثهم الله سبحانه منذ بدء الخليقة، والحي الأزلي يزكي عمل الخير والأخيار.

ندوِّن شيئًا من تقديم رئيس طائفة الصابئة المندائيين الريش أمة ستار جبار حلو:

(هذا سر الكتاب، والتفسير الأول، والتعليم الحي الأول، الذي كان منذُ الأزل)

(طوبى للموحدين المؤمنين العارفين بالحي الأزلي الذين نهلوا من فيض ضيائه فأنار قلوبهم واطمأنت سرائرهم وتمسكوا بعدهم على عبادته وطاعته)[2]

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

٢ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

مبارك هذا العمل الجليل فأقرأوه، وتأملوا معانيه، وأمعنوا النظر في قول الحي الأزلي، واجعلوه هاديًا لكم، وطبقوه في حياتكم، لتكسبوا رضا الحي العظيم، ولتكونوا من أبناء عالم الأنوار)...

نعود إلى الفقيه الإصطخري الذي لم يكلِّف نفسه الإطلاع على كتابهم المقدس (الكنز العظيم) ولا على سيرة أنبيائهم : آدم ، وشيتل، وسام، وإدريس، ويحيى بن زكريا - مباركة أسماؤهم -... وهو لم يطلع على ما قاله الرسول الكريم وخاتم الأنبياء محمد (ص) في نبي الرحمة والسلام يهيا يهانا: (كل ابن أنثى وله يوم القيامة حساب إلا يحيى بن زكريا لأنه لم يقترف ذنبًا)... وقال فيه السيد المسيح عليه السلام (لم تلد النساء مثل يوحنا المعمدان).

من يقرأ كتاب تعاليم يحيى (دراشة أد يهيا) يرى عظمة وسمو هذا النبي الجليل وتأثير تعاليمه على من تبعه من الصابئة المندائيين.

الإصطخري، لم يقرأ من كتب الصابئة شيئًا، ولم يختلط مع أبناء الصابئة ويعيش معهم، لتكون المعلومات التي تصدر عنه بصدق وأمانة، ولهذا أكتفي في الرد عليه بما كتبه العلامة الدكتور رشيد الخيون، ابن أهوار العراق، العربي الأصيل الذي عاش وسط الصابئة المندائيين، وعاشرهم عن قرب، وعرف دقائق الأمور بكل صدق وأمانة، ولهذا ردَّ بقوةٍ وحزمٍ وإنصافٍ على كل من أجحف بحقهم وزوَّر الحقيقة؛ إما عن جهلٍ وضلالة، وإما عن حقدٍ وتطرف.

▪ **ابن ميمون** (١١٥٣-١٢٠٥) :

رجل يهودي حاقد، أجحف كثيرًا بحق الصابئة المندائيين ودينهم، وينسب لهم من التهم والأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، ونسب لهم أمورًا لا علاقة لهم بها البتة، ويدَّعي كذبًا وزورًا أنهم أقاموا أصنامًا من الذهب للشمس وأصنامًا من الفضة للقمر... فيا ترى أين هذه الأصنام؟، وهل تبخرت؟!! ولماذا لم يذكرها غيره؟!! وما علاقة الصابئة بقصة آدم وحواء والتفاحة والحية؟!!... إنها قصة وردت في التوراة، ولا وجود لها في كتاب **(**الكنزا ربا**)**، أو كتاب تعاليم نبينا يحيى بن زكريا.

وكذلك زعم ابن ميمون أن الصابئة يقولون في كتاب الكنزا ربا، أن آدم خُلِق من ذكر وأنثى، وأنه مولود، ودعا لعبادة القمر... وإلى أخر هذه الافتراءات والأكاذيب المقصودة.

▪ فخري الدين الرازي (١١٥٠-١١١٠) :

ذكر فخر الدين في كتابه ما يلي :

أمَّا قوله تعالى : ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ فهو صبأ إذ خرج من دينه إلى دين آخر ، كذلك كان العرب يسمون النبي محمد (ص) صابئًا لأنه أظهر دينًا بخلاف لأديانهم ، وللمفسرين في تفسير مذهبهم أقوال: أحدها أنهم طائفة من المجوس واليهود، لا تُأكل ذبائحهم، ولا تُنكح نسائهم.

وثانيها: هم قومٌ يعبدون الملائكة ويصلون إلى الشمس.

وثالثها: وهو الأقرب، أنهم يعبدون الكواكب.

ثم لهم قولان:

الأول، أن خالق العالم هو الله سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، واتخذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم.

والثاني: أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، وهي المدبِّرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، فيجب على البشر تعظيمها، لأنها هي الآلهة المدبِّرة لهذا العالم، ثم أنه سبحانه بيَّن في هذه الفرق الأربعة، أنهم إذا آمنوا بالله فلهم الثواب في الآخرة.

أمَّا قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فليس المراد العندية المكانية، فإن ذلك محال في حق الله تعالى، ولا الحفظ كالودائع، بل المراد أن أجرهم متيقن جارٍ مجرى الحاصل عند ربهم.

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فقيل : أراد زوال الخوف والحزن عنهم في الدنيا، ومنهم من قال في الآخرة في حال الثواب، وهذا أصحّ لأن قوله: ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عامٌ في النفي، وكذلك: ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذه الصفة لا تحصل في الدنيا وخصوصًا في المكلفين لأنهم في كل وقت لا ينفكون من خوفٍ وحزن، إما في أسباب الدنيا وإما في أمور

الآخرة، فكأنه سبحانه وعدهم في الآخرة بالأجر، ثم بيَّن أن من صفة ذلك الأجر أن يكون خاليًا من الخوف والحزن.

وإن ورود كلمة الصابئة في القرآن بالرفع مرة ﴿الصَّابِؤونَ﴾ وبالنصب أخرى ﴿الصَّابِئِينَ﴾ لفائدة تقتضي ذلك، لأنه لمَّا كان المتكلم أحكم الحاكمين فلا بد لهذه التغييرات من حِكم وفوائد، فإن أدركنا تلك الحِكم فقد فزنا بالكمال، وإن عجزنا أحلنا القصور على عقولنا لا على كلام الحكيم، والله أعلم...

- **تعقيب:**

الرازي نقل عن بعض الذين سبقوه، ولهذا تجده يتخبط، فمرةً يقول إنهم يعبدون الشمس، ومرةً يعبدون الله... وينسب كلمة صبأ إلى اللغة العربية، بينما الحقيقة أن كلمة صابئة جاءت من الفعل الآرامي صبا أي تعمد أو غطس في الماء الجاري؛ ماء النهر (اليردنا) ومصدرها مصبتا. والصابئون تعني: الصابغون، أي المتعمدون بالماء... أما كلمة مندائيون، فتعني: المعرفيون، بمعنى الذين عرفوا الحي العظيم؛ الله سبحانه وتعالى، بالعقل والمعرفة، أي العارفون بوجود الله.

وهناك الكثير من الشخصيات التاريخية الشهيرة في جميع العلوم والمعارف - ومنها علوم الفقه والشريعة الإسلامية - من أصول صابئية مندائية، ونذكر مثلاً سلمان الفارسي، واسمه الحقيقي (مايه بن بوذ خشبان بن ديره)، وأبو حنيفة النعمان (٦٩٩-٧٦٧)، واسمه (ثابت بن النعمان بن زوطي بن ماه)، ومعروف بن فيروز الكرخي، ومرقده في جانب الكرخ... وغيرهم الكثير وكان دورهم مؤثرًا في نهضة الإسلام، ولم نسمع أو نقرأ أنهم أساءوا إلى الدين الصابئي المندائي أو اتهموه بما ينسب لهم من بعض الأدعياء، بأنهم عبدة كواكب ونجوم، وأنهم غير موحدين.

لقد مرَّ على الصابئة المندائيين أجيالٌ عاشوا فيها في عمق أهوار جنوب العراق وعربستان إيران ، بعيدًا عن المدن ومراكز الحضارات ، ولأسباب معروفة ، ومن هذه الأسباب : هربًا من ملاحقة المتشددين ، والحفاظ على الطائفة والدين الصابئي بعد كثرة الحروب والغزوات وإبادة الآلاف منهم في زمانهم... وهذا الاعتكاف أضرَّ بهم من ناحية جهل الآخرين بدينهم وثقافتهم وعاداتهم وطقوسهم الدينية ، ولكن من ناحية أخرى حافظ عليهم وعلى دينهم وكتبهم المقدسة ، وهذه المرحلة من التكتم والانزواء قد انتهت ؛ بالرغم من وجود المنغصات واستمرار الحروب في منطقة سكانهم الممتدة لآلاف السنين ، فقد انفتح الصابئة المندائيون على الآخرين ، وتُرجمت كتبهم الدينية إلى عدة لغات ، ومن ضمنها اللغة العربية، وأصبحت في متناول الباحثين والمطلعين.

إنه من الملفت للنظر أن هناك عددًا من الباحثين والكُتَّاب يعيشون مع ، أو بالقرب من الصابئة المندائيين ، ولكنهم حرَّفوا الحقائق فيما يخص طقوسهم وعباداتهم، وواحدة من الأكاذيب والافتراءات التي تداولها هؤلاء ؛ أن الصابئة يقتلون المحتضرين من ديانتهم ، وهي فرية وكذبة أطلقها هؤلاء للنيل من العقيدة المندائية البيضاء، فالصابئة المندائيون يهيئون جميع الإجراءات اللازمة وجميع الطقوس الدينية للمحتضر ، فهم يعتبرون طهارته ولبسه الملابس البيضاء (قماشي) قبل الوفاة واجبًا ضروريًا لتخرج نفسه طاهرة نقية من جسد طاهر وملابس تشبه النور في بياضها ، فعندما يحتضر المرء ويتأكد بالدليل القاطع من احتضاره، ويؤكد الأطباء أنه لا أمل في شفائه، يطمشونه (يغسلونه) بماء طاهر جاري، ويلبسونه القماشي (ملابس بيضاء طاهرة)، ويتم حراسته إلى أن يأخذ الله أمانته وتعرج النشماثا (النفس) إلى بارئها ، ثم يقوم رجال الدين ومساعدوهم بمراسيم الدفن أصوليًا ، وقراءة البُوث الدينية ، بعدها تُقام مراسيم الثواب والصدقة، ويتم ذكر المتوفى في كل المناسبات الدينية المقدسة، بعمل الثواب والصدقات، وطعان الغفران (اللوفاني).

من واجب الكُتَّاب والباحثين نقل الحقائق بأمانة، لأن التاريخ لا يرحم، وسوف يأتي يومٌ تتكشف الأمور على حقيقتها، وسوف يُدان من شوَّه التاريخ وأساء إلى الطوائف والأديان... نحن نبحث عن الحقيقة أينما وُجدت، وها هي الباحثة الإنكليزية الليدي دراور مثلٌ على صدق الباحثين وجدية عملهم، حيث عاشت هذه السيدة مع الصابئة المندائيين لعشرات السنين، تتنقل بين المدن والقرى والأهوار، وصورت وكتبت الحقيقة عن دينهم ومعتقداتهم وطقوسهم بأمانة وإخلاص... كان على الباحثين الذين كتبوا عن الصابئة معلومات لا أساس لها من الصحة وزيفوا وشوهوا الصورة الناصعة البياض لهذه الطائفة؛ أن يبذلوا الجهد في التقصي والمشاهدة وقراءة كتبهم الدينية، ليكونوا على بينة مما يكتبون، وكانوا قادرين بيسر سهولة أن يصلوا إلى هذه الحقائق، فالصابئة المندائيون أثرٌ من آثار التاريخ البشري، أحياءٌ يرزقون ولهم مجالسهم ومناديهم المفتوحة، ويمارسون طقوسهم أمام العلن، وهم من كرماء الناس، لأنهم يحبون كل الناس وكل الأديان وكل الأنبياء.

لو نبحث عن المشتركات بين الحنفاء والصابئة لوجدنا تقاربًا كبيرًا بينهم في الشعائر والطقوس، حتى ذكر البعض أنهم مثل الكاثوليك والأرثوذكس، وأن الفعل حنَّف يعني صبأ.

الصابئة المندائيون رغم تعدد أنبيائهم، ولكنهم يؤمنون أن يكون المرسل ملاكًا وليس بشرًا مثلهم، وكانوا يسمون النبي يحيى بن زكريا (يهيا يوهانا) - مبارك اسمه - بالواعظ أو المعلم أو الشيخ، وعند عروجه إلى عالم الأنوار ذكر أنه النبي يهانا، ولكن الكتب الدينية المندائية تذكر الأنبياء والرسل: آدم وشيتل (شيت) وإدريس ونوح وسام ويحيى - مباركة أسماؤهم - بآيات التقديس، وأنهم أنبياء مرسلون من الحي العظيم، يجب إتباعهم وطاعتهم... كذلك يذكر اسم (بهرام ربا)... ومنهم من يقول هذا ملاك، ومنهم من يقول هذا إبراهيم الخليل.

لقد مرَّ عالمنا هذا منذ زمن آدم بعدة كوارث : الأولى ؛ بالنار والحريق ، ولم يبقَ إلا الرجل رام ورود... وكارثة ثانية ؛ بالحرب والسيف ، ولم يبقَ إلا الرجل شورباي وشرهبيل... وكارثة أخرى ؛ بالفيضان (الطوفان العظيم)، ولم يبقَ إلا نوح وابنه سام وزوجته نهوريتا ؛ الذين نحن جميعًا ذريتهم.

▪ **محمد سيد طنطاوي:**

قال في تفسيره للآية ٦٢ من سورة البقرة: إنها تحدثنا عن أربع فرق من البشر، وأن الفرقة الرابعة هي فرقة الصابئين جمع صابئ، وهو الخارج من دين إلى دين، وهم قوم يعبدون الكواكب أو الملائكة، ويزعمون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم... وذكر القرآن الصائبة في هذا المقام وهم من أبعد الأمم ضلالاً، لينبه على أن الإيمان منهم على النحو الذي قرره الدين الحق، فمن لم تبلغه منهم دعوة الإسلام، وكان ينتمي إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر ويقدِّم العمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه، فله أجره على ذلك عند ربه، أما الذين بلغتهم الذين بلغتهم دعوة الإسلام من تلك الفرق ولكنهم لم يقبلوها؛ فإنهم لا يكونون ناجين من عذاب الله مهما ادعوا بأنهم يؤمنون بغيرها، لأن الشريعة الإسلامية قد نسخت ما قبلها.

▪ **تعقيب:**

هذا هو الإجحاف بعينه، وهذا التعصب الأعمى بعينه، فكلمة صابئي لا علاقة لها بكلمة صبا العربية، وإنما بكلمة صبا الآرامية، وتعني الطهارة بالماء الجاري، أي الغطس بالماء الجاري، تعمد أو اصطبغ فيه.

أما قوله إنهم يدعون أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم ، فهذا القول غير صحيح، وهذا إدعاء يهودي لا علاقة للصابئة المندائيين به، ونبيهم شيتل -مبارك اسمه- لم يتزوج، ولم يكن له أبناء، حسب ما ذكر في كتبهم الدينية.

إن سورة البقرة أنصفتهم، وذكرت أنهم أسوة بالمسلمين واليهود والنصارى... وإن تعصب سيد طنطاوي دفعه إلى تكفير غير المسلمين، وهو بذلك يجانب الحق ويخالف ما ورد في ثلاث سور مباركة من القرآن الكريم. إن العالم الفقيه

المفسِّر عليه أن يكون محايدًا وغير متعصب عندما يشرح للناس مضمون السور القرآنية وهي أمانة بعنقه ، ويحاسبه الله حين يمارس الغلو وتغييب الحقيقة بما ذكره الله في محكم كتابه ، وأن يكون الفقيه محبًا للناس وخاصة الموحدين بالله ويطلع على كتبهم ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم قبل أن يبدي رأيه في طائفة أو فرقة أو دين... إن أسلوب تكفير الآخرين عن طريق الخداع والتضليل في تفسير ما يراه مناسبًا لفكره المنحاز والمجحف في مصير أمة أو طائفة ؛ هي جذر التوحيد الأول.

▪ **هيئة الإفتاء والدعوة والإرشاد :**

من جُملة ما كتبته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية وتعليقها على كلمة التي وردت في الآية الكريمة من سورة البقرة:

كشفت البحوث الأخيرة عن وجود بقايا صغيرة لطائفة دينية يقدر تعدادها بحوالي ٢٠٠٠ نسمة في الجزء الجنوبي من العراق قُرب البصرة، يدعون بالعربية (صُبي) وجمعها (صُبة) ويدعون أيضًا صابئة، وناصورائيين، أو مندائيين، أو مسيحيي القديس يوحنا... يرتدون الأبيض، ويعتقدون بكثرة الاغتسال بالماء، كتابهم (الكنزا) مكتوب باللهجة الآرامية، لديهم نظريات (الظلام والنور) كالزرادشتية، يستعملون الاسم يردنا (الأردُن) لأي نهر... يعيشون بسلام وتآلف وانسجام مع جيرانهم المسلمين، إنهم يشبهون الصابئين المذكورين بالقرآن، لكن لربما ليسوا أنفسهم (ليسوا متطابقين معهم)، الصابئة الزائفون في حران الذين جذبوا انتباه الخليفة المأمون عام ٨٣٠م بشعورهم الطويلة وزيهم الغريب، لربما اتخذوا اسم الصابئة لذكره في القرآن، من أجل التمتع بمزايا أهل الكتاب.

كانوا عبدة نجوم سوريين مع ميول فكرية إغريقية، كاليهود الذين تعاصروا مع المسيح.

كان هناك شعبٌ آخر يُدعى (الصابئين) الذين لعبوا دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة العربية القديمة، وقد عُرفوا من خلال كتاباتهم الألفبائية المتصاهرة مع اللغة الفينيقية والبابلية، لقد كانت لهم مملكة مزدهرةٌ في اليمن تقع في منطقة الجنوب العربي في حوالي ٨٠٠ – ٧٠٠ قبل الميلاد، رغم أن أصلهم لربما كان من في الشمال العربي. عبدوا الكواكب والنجوم (القمر والشمس والزهرة) ومن المحتمل أن مملكة سبأ ترتبط بهم. لقد خضعوا إلى الحبشة في حوالي ٣٥٠م، وإلى إيران في حوالي ٥٧٩م، عاصمتهم كانت بالقرب من صنعاء،

ولقد كانت لهم مباني جميلة من الحجر التي يلاحظ فيها القوس المدبب... نلاحظ مما ورد في أعلاه، أصبح العدد أكثر من ديانة صابئية واحدة، وأن الصابئة المندائيين يشبهون الذين ذكرهم القرآن الكريم، ولربما ليسوا أنفسهم، أو ليس متطابقين معهم. نعم قد لا يتطابق الشخص المعاصر مع مثيله الذي عاش قبل ١٥٠٠ سنة مهما كان دينه.

▪ تعقيب:

هذه الهيئة المسؤولة عن الإفتاء والدعوة والإرشاد في مجمع الملك فهد بن عبد العزيز، المسؤولة عن طباعة المصحف الشريف، كان المفروض بهذه الهيئة المهمة أن ترسل منها مبعوثين مختصين إلى العراق لدراسة أمر هذه الطائفة الدينية، ومعايشتهم والإطلاع على كتبهم الدينية عن قُرب، وتوجيه الأسئلة المتعلقة بتاريخهم ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم، وفهم الأمور بدقة... لقد كتبت الهيئة الدراسة في عهد الملك الراحل فهد، وهو عهد قريب جدًا، تتوفر فيه المواصلات البحرية والجوية والبرية، وخاصة أن العراق قريب، وخاصة جنوب العراق القريب من منطقة الحجاز، مع توفر الإمكانات المادية لهذه الهيئة وهي برعاية ملكية... فلماذا كل هذه الاحتمالات في هذا البحث وهذه الربما الكثيرة؟!.

بدايةً، وقعت الهيئة في الخطأ عندما قالت إن عدد الصابئة ٢٠٠٠ نسمة، بينما الحقيقة أن عدد الصابئة المندائيين يقدَّر بحوالي ١٠٠,٠٠٠ ألف نسمة منتشرين في البصرة، والعمارة، والأهواز، والمحمرة، والبسيتين وناصرية إيران، وناصرية العراق، وبغداد، وغيرها من المدن. وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية على ضفاف دجلة والفرات، وشط العرب، والكارون، والكرخة، علانيةً وفي وضح النهار... وهم صحيح يرتدون البياض (الرستة)، ولكن أثناء إجراء الطقوس الدينية، وخاصة الصباغة (التعميد) ولكنهم يلبسون كما يلبس الناس في مناطقهم ومدنهم.

الصابئة المندائيون لا يعبدون الشمس والقمر والزهرة، كما تدَّعي هذه الهيئة، وإنما يقولون أن لها تأثيرًا على الإنسان والطبيعة، وهذه حقيقة علمية، وإذا هم اتجهوا في صلاتهم نحو الشمال واستدلوا على الشمال بواسطة النجم القطبي الثابت بالنسبة للأرض، استدلالاً لعدم وجود بوصلة أو معالم على ذلك، لأنهم يؤمنون أن عالم الأنوار (بيت هيي) بيت الله في الشمال العلوي القصي.

إن طائفة الصابئة المندائيين طائفة واحدة لم تنقسم يومًا إلى أقسام ومذاهب، وربها الحي العظيم؛ الله الواحد القيوم، وكتابها الكنز العظيم (كنزا ربا) كتاب واحد... ولهم عدة أنبياء، أولهم آدم وأخرهم يحيى بن زكريا... وهم أمة واحدة تدين بدين واحد فقط... وهم نفس الناس قديمًا وحديثًا يحملون أرث أجدادهم، ولم يغيروا شيئًا في دينهم وتقاليدهم وطقوسهم منذ آلاف السنين رغم جميع المحن التي مروا بها... وهم يفضلون العيش بالقرب من المياه الجارية التي يسمونها "يردنا" التي تعني المياه الجارية العذبة الطاهرة، وللأنهار طبعًا أسماؤها، وإن اسم نهر الأردن جاء من أصل الكلمة الآرامية المندائية يردنا.

وحاليًا توزعوا على عدد كبير من الدول، طلبًا للأمان والعيش الكريم، بعد سلسلة من الحروب والمآسي التي طالت بلدهم العراق، وحالات التضييق والإجحاف في إيران، ولا زال عددٌ كبيرٌ منهم يعيش في مناطقهم، ومنهم الأطباء والأساتذة، والصاغة، والموظفون، والكسبة، والذين يمارسون المهن الحرة... ولهم جمعياتهم الثقافية والاجتماعية، ويمارسون طقوسهم وعبادتهم في المنادي (المعابد) المنتشرة في جميع الدول... ويلعب رجال دينهم دورًا مهمًا في الحفاظ على هذه الطائفة الدينية العريقة؛ خمرة الأديان وجذر التوحيد الأول... وقد برزت في الآونة الأخيرة المؤسسات والتنظيمات المندائية التي تهتم بشؤونهم وتعزز مكانتهم في أوساط المجتمعات الجديدة، وازدهرت الحركة الثقافية والأدبية، وبرز عدد من العلماء والأدباء والمؤلفين في شتى المجالات؛ مثلما ازدهرت في العصر العباسي.

▪ متى أُقرَّت أعياد المندائيين بصورة رسمية :

في عام ١٩٣٦ ، وفي عهد حكومة "حكمت سليمان" ، أجيزت الأعياد المندائية ، وقد سعى في استحصال ذلك المرحوم شيخ "عبد الله سام" ، فثبتت لأول مرة ، واستبشر المندائيون لذلك ، وصار من حق الموظفين منهم التمتع بالعطلات ومشاركة ذويهم الأفراح... وقد ثبت القانون أعياد الصابئة كما يلي:

أولاً : ٧ - ٨ آب، يومان للعيد الكبير.

ثانيًا : ٢٣ تشرين الثاني، يوم واحد للعيد الصغير.

ثالثًا : ٥ - ٦ نيسان، يومان لعيد البنجة (الخليقة).

رابعًا : يوم واحد، لعيد دهفا اد يمانا عيد ميلاد النبي يحيى.

وعندما جاءت حكومة "أرشد العمري" عام ١٩٤٦ ألغيت هذه الأعياد دون إبداء الأسباب ، وهكذا حُرِم المندائيون من هذا الحق ، وصار الموظفون والطلاب يأخذون الإجازات للمشاركة في الطقوس الدينية وتلك الأفراح.

وبعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ أعيد حق المندائيين في التمتع بعطلاتهم والاعتراف بأعيادهم.

وفي عام ١٩٧٢ بادر المندائيون بتقديم طلب للسلطة بإعادة حقهم والتمتع بأعيادهم، فصدر قانون العطلات الرسمية رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٢ والمنشور في جريدة الوقائع العراقية السنة الخامسة عشر العدد ٢١٤٨ ، ولكنه ثبت للأعياد أيامًا معينة وكما يلي:

١. العيد الكبير : في ٢٩ - ٣٠ تموز

٢. العيد الصغير : في ١٣ تشرين الثاني

٣: عيد البنجة: ٢٦ - ٢٧ آذار

٤. عيد ميلاد النبي يحيى (ع): في ٣٠ آيار

ولمَّا كانت السنة المندائية تساوي ٣٦٥ يومًا فقط (لا توجد بها سنة كبيسة)، فكانت الأعياد تتقدم يومًا واحدًا كل أربع سنوات، ومن هنا يحصل الاختلاف في التواريخ المحددة، فالتمس المندائيون في حينه من مجلس قيادة الثورة عدم تحديد تواريخ معينة لأيام العيد، وقد استجابت الحكومة لهذا الالتماس، وأجرى السيد وزير العدل تعديلاً خاصًا بذلك القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٣ جاء فيه:

(باسم الشعب

مجلس قيادة الثورة

استنادًا إلى أحكام الفقرة (أ) من مادة ٤٢ من الدستور المؤقت وبناء على اقتراح رئيس الجمهورية.

قرَّر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٢ - ٤ - ١٩٧٣.

إصدار القانون الآتي:

- مادة ١

تحذف الفقرة ج من مادة ٢ من قانون العطلات الرسمية رقم ١١٠ لسنة ١٩٧٢ ويحل محلها:

١- يومان للعيد الكبير.

٢- يوم واحد للعيد الصغير.

٣- يومان لعيد الخليقة (البنجة)

٤- يوم واحد لمولد النبي يحيى (عيد دهفا اد يمانا)

- مادة ٢

ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذ أحكامه.

▪ **تعقيب عن الأعياد:**

حقيقة للصابئة المندائيين أعياد كثيرة، أهمها:

- **العيد الكبير:** ويسمى عندهم عيد (دهوا ربا) ويسميه عامة الناس (عيد الكرصة)، ومدته ثلاثة أيام، يعتكف فيه أبناء الطائفة في بيوتهم بعد أن يجهزوا المأكل والمشرب لمدة ٣٦ ساعة، يقضونها في قراءة الكتب الدينية، واستذكار حكايات الأهل والأجداد ، والدعاء إلى الحي العظيم بالأمن والسلام وتجدد الحياة... وبعدها يخرجون للتزاور والاحتفال بأيام العيد.

- **العيد الصغير:** ويسمى عيد الازدهار ، ويسميه المندائيون (دهوا هنينا) ، ومدته يومان، وهو بمناسبة عروج الملاك المبجل "هيبل زيوا" -مبارك اسمه- بعد أن جُبلت الأرض على يديه ، وتفجرت المياه الجارية العذبة فيها ، وخلق جميع الكائنات الحية بأمر الحي الأزلي ، وبصعوده ابتهجت عوالم النور... ويأتي العيد الصغير بعد ١٨ يومًا من مناسبة رأس الشهر المندائي ، وهو مناسبة أبو الفل (هبوط الملاك هيبل زيوا للأرض بأمر الحي الأزلي للسيطرة عليها وجريان الماء الحي فيها وجعلها مهيأة لعيش آدم وزوجه حواء وذريتهما) وقد اعتاد أبناء الطائفة أن يتناولوا فطورهم في صباح يوم العيد (تمن ولبن رائب) مع التمر ، وهما رمزان للنبات والحيوان، أي رمز لخيرات الأرض وعطائها، وجعلها صالحة للحياة.

- **عيد الخليقة:** (البنجة) ، أو الأيام الخمسة البيضاء ، ويسميه المندائيون (البرونايا) ، حيث يحتفل أبناء طائفة الصابئة المندائيين بهذه المناسبة المقدسة التي تستمر لمدة خمسة أيام ، وفيها خلق الحي العظيم عوالم النور (الجنة) ، حيث تجري خلال هذه الأيام طقوس الصباغة (التعميد) وغيرها من المراسيم الدينية على ضفاف الأنهار ، وتعد هذه الأيام الخمسة من الأيام المهمة في السنة المندائية التي تتألف من ٣٦٠ يومًا إضافة إلى خمسة أيام هي مناسبة البرونايا والتي تفرد عن الحساب لخصوصيتها ، ووفقًا للنصوص المندائية فإنه يمكن إجراء المراسيم الدينية في النهار والليل لأنها أيام مباركة لا يفصلها ظلام.

- **عيد دهفة ديمانة:** يحتفل الصابئة بيوم التعميد الذهبي (الدهفة ديمانة) الذي يعد ثاني أهم الأعياد الدينية الأربعة في الديانة المندائية، حيث يجري تعميد جماعي لأبناء الطائفة ؛ ولا سيما الأطفال من عمر ٣٠ يومًا، الذين يعدُّ تعميدهم لأول مرة في مثل هذا اليوم، واحدًا من أهم طقوس الدخول بالديانة المندائية، فالطفل الذي يجري تعميده لأول مرة في الدهفة ديمانة، ويُمنح الاسم الديني (الملواشة) بصبح مؤهلاً للدخول بالديانة المندائية... ويعتقد المندائيون أن يوم الدهفة ديمانة أو عيد التعميد الذهبي هو اليوم الذي تعمَّد فيه الملاك هيبل زيوا (جبرائيل الرسول)، في عالم الأنوار عند عودته من عالم الظلام، وهو اليوم الذي تعمَّد فيه (آدم) على يد الملاك هيبل زيوا، وكذلك هو اليوم الذي تعمَّد فيه الأنبياء: شيتل، سام، إدريس، وأخرهم النبي يحيى بن زكريا عندما كان عمره ٣٠ يومًا.

- **عيد شوشيان:** ويسمى عيد السلام، أو ذكرى خلق الأثيري يوشامن: ويأتي بعد العيد الكبير (دهوا ربا) بستة أيام، وهو يوم بركة وخير وفرح، حيث يعتقد الصابئة أن هذا اليوم تتويجٌ لاكتمال الخلق الذي أمرَ الحي العظيم به آدم كسيا، والذي بدأ بولادته هو حيث كوَّن له عالمًا وذرية... ويعلِّق الصابئة المندائيون أكاليل من شجرة الصفصاف على أبواب البيوت تبركًا بهذه المناسبة، حيث يقوم رجال الدين بجدل هذه الأكاليل ويقرأون عليها صلاةً خاصة، ويقوم الصابئة في ليلة ٦ - ٧ من الشهر المندائي بالصلاة والدعاء إلى إلهيي ربي قدماي، ويسمونها ليلة القدر، أو ليلة الأماني الطيبة.

- وهناك مناسبات أخرى يحتفل بها الصابئة، مثل **ذكرى أبو الهريس:** حيث يحتفل الصابئة في منتصف شهر كانون الأول تقريبًا بذكرى أليمة، ويسمى يوم أبو الهريس، تذكيرًا وترحمًا على ضحاياهم من الصابئة المندائيين الذين قُتلوا على يد اليهود في فلسطين سنة ٧٠ ميلاديًا، حيث تمَّ إبادة ٣٦٥ من الترميذا ورجال الدين من أتباع النبي يحيى بن زكريا، وآلاف من أتباع هذا الدين،

وهُجِّر منهم الآلاف إلى مدينة حران... وكذلك يحتفل الصابئة بهذه المناسبة بالذين غرقوا في الطوفان العظيم، حيث قام النبي نوح وابنه سام بعمل الهريس كطعام (لوفاني) من الحبوب المتبقية في السفينة وعددها سبعة أنواع، ترحمًا على أرواح الذين غرقوا.

- وكذلك مناسبة **دك أبو الفل**: وهي مناسبة دينية طقسية، حيث يقوم الصابئة بمزج التمر مع السمسم الأبيض المقلي، ودمجهما حتى يسحقا ليصبح مثل العجينة، وتصنع منه كرات صغيرة تسمى (الفل)، وتأكل بعد يوم من عملها كطعام غفران الخطايا (لوفاني) على المتوفين... والمناسبة كذلك ترمز إلى الطعام الروحاني المقدس، والقوة التي يعطيها للأنفس... ويعتقد الصابئة أن مناسبة دك أبو الفل هي تخليد رمزي لذكرى رحلة الملاك هيبل زيوا وهبوطه على عوالم الظلام، ورجوعه منها.

قبل القرار الرسمي من الحكومة العراقية لم يتمتع أبناء الطائفة بأعيادهم بإجازات وعُطل رسمية مِنْ قبل الدولة العراقية، لكن بجهود الخيرين ومتابعتهم وتعاطف الشخصيات الوطنية في سُدة الحكم؛ تمَّ منحهم عطلات رسمية لأعيادهم ومناسباتهم الدينية، وباركوها وهنأوهم في وسائل الإعلام كافة، وقاموا بزيارتهم في مقراتهم ومناديهم للتهنئة... وبهذا زال شيءٌ من الإجحاف بحقوقهم المشروعة كشريحة مهمة وأصيلة من شرائح المجتمع العراقي المحبّ للخير... وهناك احتفالات تقام في جمعياتهم ونواديهم الثقافية والاجتماعية يحضرها المسؤولون والأصدقاء من أبناء الشعب على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم.

- **الأستاذ / حكمت شناوة السليم :**

هذا مثقف مندائي متنور له مساهماته وفعالياته وآراؤه ومقالاته الهادفة الصادقة الأمينة... إنه الأستاذ "حكمت شناوة السليم" ، اسمٌ على مسمَّى ، رجل واسع الإطلاع، قدَّم خدمات جليلة لأبناء الطائفة في وطنه العراق ، وحاليًا في غربته في ألمانيا... وهو من الناشطين التقدميين... وأنا شخصيًا أقدِّر حكمته ورويته في العمل الطوعي ، وأقدِّر هدوءه وحبه لكل الناس ، كما أقدِّر قدرته على الموازنة بين فكره التقدمي وإيمانه وخدماته لدينه وأبناء طائفته ودفاعه المستميت عنه، وأحترم قلمه في كل ما يكتب من صدق ودقة وأمانة...

وهذا مقالٌ له في الفلك والتنجيم:

- الفلك علمٌ، والتنجيم وهمٌ وخرافة

اهتم الإنسان منذ القِدم بحركات النجوم والكواكب، واستعملها البابليون في كشف مستقبل البلدان والملوك ، وتوصلوا إلى معلومات دقيقة تحدِّد ظهور واختفاء الكواكب ، وهذه المعلومات لا يمكن أن يكون للتنجيم علاقة بها ، بل إنها معلومات فلكية حقيقية لم يأتِ فيها ذكر مستقبل البلدان وحُكَّامها ، بل للظواهر الطبيعية... كذلك توصلوا إلى معرفة الأبراج وحدودها وأسموها ، والأبراج في حقيقتها ما هى إلا إحداثيات سماوية يستطيع من خلالها الفلكيون أن يحدِّدوا أماكن الظواهر الفلكية بشكل دقيق ، وعليه فإن أهميتها لا تقل عن أهمية خطوط الطول والعرض على الكرة الأرضية... والظواهر الفلكية تحدد أماكنها في السماء بموجب الأبراج ، وما دام لتلك الظواهر تأثيرات إيجابية أو سلبية على البلدان ، وذلك لعلاقتها بالتقلبات الجوية ، لهذا السبب اُستخدمت الأبراج للتنجيم ، وبادر الكهنة لتعميق هذه الممارسات على عامة الناس مما أدَّى ذلك –بمرور الزمن – إلى اعتقاد الناس بأن السبب المؤثر في التقلبات الجوية هي الأبراج ،

وقد عكس المنجمون تلك التأثيرات على الناس فأوهموهم بذلك ، وتوسعت قاعدتها وأصبحت مهنة مرغوبة وجالبة للمال وأشياء أخرى.

وقد توصل العلماء العرب إلى حقيقتين مهمتين هما:

١- أن التنجيم لا يزيد عن كونه مجموعة من الخرافات والأوهام التي ليس لها أي أساس علمي ، وعملوا على إبطال هذه الخرافات ، ورجعوا بالتنجيم إلى أساسه العلمي ألا وهو علم الفلك.

٢- أن الفلك علم يبحث في مسارات الكواكب، ومداراتها، وأبعادها عن بعضها البعض ، وميلان محاورها ، وهذا كله بحث علمي يعتمد على الرصد بالآلات والرياضيات البحتة ، ولكن التنجيم خرافة يحاول المشتغلون به ربط تحركات الكواكب بما يحدث للإنسان من أحداث سعيدة أو تعيسة ، ومحاولة استشارة النجوم والوصول إلى التنبؤ بالغيب.

وقد برع الصائبة المندائيون في هذا المضمار ، وشغفوا به، وأجادوا فيه، حتى أنهم ظُلِموا من المحيطين بهم بأنهم عبدة كواكب ونجوم لاهتمامهم بعلم الفلك ، وقد جاءت عدة نصوص في كتابهم المقدس (الكنزا ربا) تصف السحرة والمنجمين وهي:

- **(لا تأكلوا ولا تشربوا من هياكل الكواكب والأبراج فكلها دنسٌ ومكر)**
- **(لا تسبِّحوا الكواكب والأبراج ، ولا تسبِّحوا للشمس والقمر المنورين هذا العالم ، فأنه هو الذي وهبها النور)**
- **(لا تزاولوا السحر ، ولا تقصدوا السحرة والمنجمين المتلفعين بالظلام)**

وقد نبع منهم علماء في مجال الفلك ومنهم (البتاني) و(ثابت بن قرة)، فالبتاني له أهمية وفضل في علم الفلك عند العرب مثل بطليموس عند اليونان، وهو صاحب كتاب (الزيج الصباي)، وقد عمل في مرصدي أنطاكية والرقة، وقد ترجمت مؤلفاته الفلكية إلى اللاتينية، وقد حسب السنة الشمسية، إلا أنه اخطأ فيها بمقدار دقيقتين و ٢٢ ثانية.

وللبتاني وابن قرة مواقع مسجلة باسميهما على سطح القمر ، أقرها الاتحاد الفلكي الدولي...

وأخيرًا فعالمنا المندائي ثابت بن قرة يقول :
الخرافات توجد في أربعة أشياء: عجائب البر والبحر، وحديث السحر، وحديث الجن... والعقلاء يقولون: كذب المنجمون ولو صدفوا.

▪ تعقيب:

يعلم الجميع – وخاصة المثقفون من الناس - أن هناك فرقًا كبيرًا بين التنجيم وعلم الفلك... فالتنجيم شعوذة وخرافة (كذب المنجمون ولو صدفوا)، وطبعًا هم غير صادقين، ولكن أحيانًا الصدفة تلعب دورًا في ذلك... أما علم الفلك فهو علم قائم بذاته، وهو من العلوم القديمة، وقد تطور مع الزمن وأصبح من العلوم الأكاديمية المهمة، حيث تطورت دراسات علم الفلك تطورًا هائلاً، بواسطة التلسكوبات العملاقة، وبواسطة مركبات الفضاء والمسبارات التي تجوب الكون والبحوث والتطور التكنولوجي في غزو الفضاء لاستكشاف مجموعتنا الشمسية، والنزول على بعض الكواكب مثل المريخ والقمر، والدقة العالية في تصوير النجوم والكواكب على بعد مئات من السنوات الضوئية، وكشف أسرار مجرتنا – مجرة التبانة –، والتوسع في دراسة المجرات، وكيف يتم تكوين مجرات جديدة، وكيف يتمدد الكون ويتوسع... ولكن تبقى مشكلة تعيق الإنسان في السفر واستكشاف الكون؛ وهي عامل السرعة الذي يعاني منه الإنسان، لأن الكواكب والنجوم تبعد عن مجموعتنا الشمسية آلاف السنين الضوئية، والإنسان مازال يقيس السرعة بسرعة الصوت.

ولهذا نقول ونؤكد أن هناك فرقًا بين التنجيم وعلم الفلك، ومن الجرأة على العلم الخلط بين تفاهة التنجيم وعمق علم الفلك ، فعملية التنجيم المعروفة بـــ(أسترولوجي) هى ربط مواقع النجوم وحركتها بسلوك وأعمال ومصير

الإنسان... ويعتقد المنجم أن النجوم وحركتها تؤثر في حياة وموت الناس، وفي تصرفاتهم الشخصية.

العلماء والفقهاء لا يقرون علم التنجيم ولا يحترمونه، لأن المنجم يمكن أن يتقن هذا الفن خلال بضعة شهور... أما علم الفلك إلى وقتنا الحالي لم تسبر أغواره، لأنه علم واسع وعميق يقوم على أساس المسح والرصد ودراسة قوانين حركات ومدارات الاجرام السماوية.

وعلم الفلك له فروع متعددة تشمل علم الرياضيات والفيزياء، وعلم نشوء الكون والكونيات ، والفيزياء الفضائية ، وعلم البصريات ، وعلم الأرصاد الجوية ، والذي برع فيه عالمنا الفذ الأستاذ الدكتور عبد الجبار عبد الله الذي اكتشف عدة نظريات في هذا المجال، وكذلك علم الاتصالات الفضائية والأجهزة الإلكترونية الحديثة ، وتقنية الأقمار الصناعية ، ودراسة ديناميكا الهواء والديناميكية الحرارية ، وميكانيكية السوائل والتمدد الحراري والديناميكية الجوية والمسح الفضائي والتحليل الإحصائي ، والاستنبات الفضائي ، وتكنولوجيا صناعة المركبات والتلسكوبات الفضائية... وهذا يتطلب من العالم المقتدر دراسة عشرات السنين ليلمّ بجزء من علم الفلك.

إذن إطلاق كلمة منجم على عالم الفلك جريمة لا تغتفر بحق العلم والتطور والاستكشاف... ولذلك نجد أن هناك ظلمًا واقعًا على علماء الصابئة المندائيين مثل البتاني وثابت بن قرة وآخرين باتهامهم بالمنجمين، وهم علماء أفذاذ أناروا دروب العلم واكتشاف الفضاء الرحب ، وهم حالة متقدمة من علماء الصابئة المندائيين أمثال د. عبد الجبار عبد الله السام، ود. عبد العظيم ورد السبتي.

وهناك - مع الأسف - من علماء الدين من يربط بين التنجيم وعلم الفلك ، ويتهمون جزافًا علماء الفلك بالمنجمين... قد يظهر عالم الفلك لدراسة الأبراج لكي يتعرف على النجوم لكثرتها ومعرفة مواقعها وأوقات ظهورها.

والمندائيون دينهم ينهاهم عن تمجيد الكواكب والنجوم **(لا تمجدوا الشمس والقمر، هو الله الذي أمر ، فكان لهما وللكواكب هذا الضياء ، لكي ينيروا به الظلماء ، فإذا نادى الحي العظيم سقطت كلها في قرار بهيم)**[١].

يعتقد كثير من المنجمين أن تحركات ومواقع الأجرام السماوية تؤثر مباشرة على الحياة فوق كوكب الأرض، أو أنها تتطابق مع الحياة الإنسانية، وغيرها من الأمور الدنيوية، وتفيد بالتنبؤ بالمستقبل وتفسير الماضي والحاضر، ولكن العلماء والفقهاء يعتبرون التنجيم من العلوم الزائفة أو من الخرافات.

في البدايات لم يكن هناك تمييز واضح بين التنجيم وعلم الفلك، ولكن مع تطور علوم الفلك؛ وخاصة في العصر الحديث؛ انفصل تمامًا التنجيم عن علم الفلك، ولهذا يسمى الذي يعمل في التنجيم "منجم"، والذي يعمل في علم الفلك "عالم فلكي".

المنجِّم يهتم بمواقع الأجسام السماوية دون إعطاء أهمية للأسباب حركتها، ويربط هذه المواقع بخصائص الناس أو حدوث ظواهر مثل الحروب والحوادث وغيرها، وقسمٌ منهم لهم القدرة على استخدام الحاسوب وفق برنامج الفلك الكروي... ويعتمد المنجم على تاريخ محدد ويطابقه مع خارطة السماء ماضيًا أو مستقبلاً، ويربط بين شكل السماء والظواهر المختلفة، ومعظم النتائج تكون مخادعة، تدغدغ أحاسيس المتلقي بما يحس به من عواطف والارتكاز بما يمر به من مصاعب وأزمات على الكواكب والنجوم... وما يقوله المنجم هو دجل وكذب على هؤلاء المساكين، كما يفعل قراء الحظ وما ينشر في الصحف، وما تبثه بعض قنوات التلفزة من برامج حول الطالع وقراءة الأبراج.

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

يستخدم الصابئة المندائيون الأبراج لاستخراج الأسماء الدينية (الملواشة) الذي يستخدمه في جميع الطقوس الدينية، وهو مرادف لاسمه في البطاقة الشخصية، حين يولد الطفل يعطي يوم ولادته والشهر المندائي، وساعة ولادته؛ نهارًا أو ليلاً، والاسم الديني (ملواشة) أمه الذي ولدته، وبهذه المعلومات يعرف رجل الدين البرج الذي يستخرج منه الاسم الديني للطفل ليربط مع أسم أمه الديني، وهناك كتاب ديني يسمى أسفر "ملواشة"، ممكن الإطلاع عليه لمعرفة الطالع، وهذه علوم قديمة جدًا.

ولهذا على الإنسان الموحد المؤمن بالحي العظيم أن لا يخلط بين علم الفلك والتنجيم، إذ لا يجوز استعمال علم الفلك بكل فروعه لأغراض التنجيم والشعوذة.

يتهم بعض العلماء والفقهاء بأن علماء مدينة حران هم عبدة كواكب ونجوم، والحقيقة هم علماء فلك، وإنجازاتهم ملأت صفحات الكتب في اكتشاف الكواكب وحركتها وترتيبها بالنسبة إلى الأرض، وقد اشتهرت منطقة وادي الرافدين منذ القدم بهذا العلم البديع، وهم الأساس في تطور علوم الفلك في العالم.

هذه معلومات بسيطة ومختصرة على صديقي العزيز الأستاذ حكمت شناوة السليم تأييدًا لمقالته، وإطلاع القراء الكرام لمعرفة الفرق بين التنجيم ومنها المنجم... وبين علم الفلك ومنها عالم الفلك، واكتشاف الفضاء وسبر أغواره، وهذا علم واسع يهم مستقبل البشرية وتطورها، وسنكتب فيه بالتفصيل.

قلنا لقد تطور علم الفلك تطورًا هائلاً في العصر الحديث بسبب التقدم التكنولوجي، وأن ما هو معلن من اكتشافات قليل، لسرية الاكتشافات والمنافسة الشديدة بين الدول الكبرى في هذا المجال الحيوي... ويوم بعد يوم يتضح حجم

الإنجازات... والمعلومات عن الفضاء والفلك عمومًا تبهر الإنسان وهى ترى عظمة الخالق.

إن التطور التدريجي لعلوم الفلك منذ قديم الزمان، عندما كان الناس يعتمدون على نظرهم لمراقبة السماء، فوجدوا أن النجوم على شكل مجموعات تبدو على شكل حيوان أو إنسان ولذلك سموها بالبروج، وكل برج سموه حسب شكله الظاهر في السماء (برج العذراء، برج العقرب، برج الأسد، برج القوس، برج السرطان، برج الثور، برج الجدي) إلى أن اكتشف الإنسان المناظير المكبرة البسيطة، وتطورت الأجهزة والمعدات إلى التلسكوبات العملاقة المرتبطة بأجهزة الحاسوب، وبدأت مرحلة جديدة وثورة في علوم الفضاء منتصف القرن العشرين بغزو الفضاء والنزول على بعض الكواكب، والبحث عن وجود حياة فيها فأرسلوا أحدث المعدات للكشف عن الماء والحوامض الأمينية، والبكتريا والجراثيم، وكاشفات الغازات... ولكن مازالت هناك مشاكل تعيق سرعة هذه الاستكشافات وهى تفاوت درجات الحرارة والجاذبية والدوران وسرعة الكواكب والقرب والبعد عن الشمس فيما يخص مجموعتنا الشمسية... وهناك محاولات جارية لسبر أغوار مجاميع شمسية أخرى.

لقد بدأ الإنسان عصرًا جديدًا في علوم الفلك والفضاء، وقد ولَّت وبدون رجعة أفكارًا ظلامية نالت من علمائنا الكبار، وهم يؤسسون علم الفلك بتضحياتهم ومثابرتهم، وتضحيات من أتى بعدهم من علماء الفلك في أنحاء العالم.

علم الفلك علم واسع، فهناك الفلك الكروي لدراسة سطح السماء الذي نراه، وهناك الميكانيكا السماوية باستخدام الأبعاد الثلاثية المعروفة، وهناك الفلك الفيزيائي، وهو علم الفلك الحديث الذي يهتم بتركيب المادة الكونية ونشأتها... وهذا العلم يدرس باطن الكواكب وأغلفتها، والأشعة الكونية، وفيزياء الشمس.

▪ السحر والسحَّارون ملعونون في الدنيا والآخرة

تكلمنا عن التنجيم كشعوذة ودجل وتكلمنا عنه كعلم من علوم الفلك...وقد أفادنا كثيرًا الاستاذ حكمت شناوه السليم... والآن نتكلم عن السحر والسحرة لعنهم الحي العظيم، وعقابهم يوم الحساب شديد. إذ ورد نص في الكنزا ربا اليمين في تسبيح الوصايا:

(إذا عاهدتم فا بسطوا إيمانكم ، ولا تخونوا عهدكم ، ان الأثريين وملائكة النور يهبون اللوفا والكشطا بَعْضُهُمْ بعضا ، وأعلموا أنَّ معلميكم يعلمونكم كلمة الحقِّ والحكمة فلا ترفعوا رؤوسكم عليهم ، وكونوا هادئين متواضعين ، وأعلموا أن السحرةَ والمنجمين في الظلامِ قابعونَ).

(أيُّهَا الصادقون ، لا تقولوا ما لا تعرفون ، ولا تدعوا الوحيَ فلا يوحي إلا العلي العظيم ، سلحوا نفوسكم بأمضى من حديد سلاحِ ناصروثا ، وكلمات ربكم الصادقة ، ليشِرْ بعضكم على بعضٍ بالحسنى).

كذلك وردت نصوص كثيرة في كتاب تعليمات نبي الله يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) يهيا يوهانا... تلعن السحر والسحرة وتوصي الناس بالابتعاد عنهم لأنهم ملاعين دجالين :

(لا تسمعوا كلام السحرة والمنجمين الدجالين... إن من يسمع كلامهم يعذِّبه الحي العظيم في مستودع البرد والزمهرير... واحذروهم وابتعدوا عنهم... واحذروا مزاولة السحر ، وإتباع السحرة الكذابين وسيعذبهم الحي العظيم جزاء أعمالهم المشينة هذه... كونوا أيها الأصفياء المختارون صالحين تشهدون للحياة وتباركوها ، بالإيمان والمعرفة ، ولا تعملوا منكرًا ، ولا تسيروا بطريق الظلام والخطيئة... تسلحوا بالإيمان وبرحمة الحي العظيم).

إن السحرة لا يختلفون عن الزُناة والكذابين والدجالين فكلهم جزاؤهم العذاب وفق تعاليم الدين المندائي.

- **الريش أمة / ستار جبار حلو:**

فضيلة الريش أمة ستار جبار ، رئيس طائفة الصابئة المندائيين في العراق والعالم، شخصية دينية مرموقة، وله مساهمات فاعلة على مستوى النشاطات الاجتماعية والدينية في العراق والعالم ، ومن المنادين إلى تغليب العدل والإنصاف بين أبناء العراق ، والجنوح إلى السلام والأمان والعيش الكريم لجميع الطوائف والقوميات المتآخية في ربوع الوطن.

والريش أمة ستار شخصية عراقية مندائية وطنية لها حضورها في المؤتمرات والندوات، والتواصل مع رجال الدين والفقهاء وله علاقات طيبة مع المرجعيات الدينية... حضرتُ له محاضرة قيمة في دار المعرفة في مندي بغداد ، وحضرها عدد من الأساتذة والمختصين ، وقد تمكَّن بأسلوبه الشيق وتسلسل فقرات المحاضرة من شدِّ الحاضرين وتفاعلهم مع المعلومات القيمة والأفكار المطروحة، وقد أشاد الجميع بقدرة هذا الرجل على العطاء.

وللريش أمة ستار مقالٍ كتبه عن موقف الدين الصابئي من السحر ، بيَّن النصوص الدينية في الكتب المقدسة التي تحذِّر الصابئة المندائيين من السحر والسحرة والمنجمين والعرَّافين ، والمقال وثيقة مهمة إلى عدد من المجحفين الذين يتهمون الدين الصابئي المندائي بالسحر ، وهذا إدعاء باطل لا أساس له من الصحة.

- موقف الدين الصابئي من السحر

باسم الحي العظيم
السحر هو إخراج الباطل في صورة حق، ويقال أيضًا بأنه كل أمر يُخفى سببه ويُتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى الخداع والتمويه.

إن مفاهيم السحر والعرفنة والتنجيم قد ارتبطت بالإنسان منذ قيام آدم على الأرض، وقد أنبأتنا بعض النصوص المباركة في (كنزا ربا) -مبارك اسمه-

كيف أن الشيطان حاول مرارًا إشراك نفسه في ميادين عدة لمزاحمة الإرادة الإلهية في تحديد شكل ومصير الإنسان على رحاب المسكونة مستخدمًا الحيل والسحر... وقد نبَّه عنه كتابنا المبارك في العديد من نصوصه لأشكال وعوائق في حياة الإنسان حتى عروج النفس إلى بارئها... ومن هذه النصوص :

(لا تقصدوا السحرة والمنجمين والعرافين والكاذبين والمتلفعين بالظلام).

إن هذا النص الواضح يؤكِّد أن السحر من عمل أبناء الظلام.

وفي نصٍ آخر :

(احذروا أن يستحوذ على قلوبكم الشيطان المملوء بأحابيل السحر والخداع والغرابة و لا تتقنوا صنائعه السحرية).

إن الكشف عن ذلك الجانب من سلوكية الشيطان ومحاولاته للتأثير على طبائع الإنسان عبر مسالك غير مرئية ، فأن المنطق الديني ومن خلال التعاليم والوصايا يؤكِّد أن المرء يحمله قدر الله إلى يوم أن يُقبض عزيزًا كريمًا إلى حيث ما يشاء الحي العظيم وما شائبته إلا إلى الشيطان وذلك لأنه باطل في إرادته الشريرة ، فتراه قد تعسرت خُطاه إلى خالقه... إن غواية الشيطان للإنسان يمكن أن نفهمها بأنها سحر ، ولذلك فلا مناص من الاعتراف بوجود السحر كشكل من سلوكية الشيطان المرفوضة.

إن السحر الذي يمثِّل اللمسة الإلهية في تحديد قدرية الإنسان هو تلك النرجسية الإلهية التي تسعى إلى الارتقاء بذلك الكائن العاقل الذي لم يحمل في داخله تلك المسحة المباركة والقبس النوراني الوضاء... إن النفس والإرادة الإلهية هما خير ما يتجلى فيهما ذلك السحر الإلهي البهي بكل ما يحمله من شك ويقين وإيمان، فأغمض عينيك أخي القارئ لترى الهدم بنفسك لا بعينيك... ثم افتحهما لترى المعرفة والحياة والنور، فهل وراء ذلك كله غير السحر الإلهي المقدس.

والتحذير من رقى الشيطان لا يقتصر على الرجال فقط، وإنما للنساء أيضًا كما جاء في تعاليم النبي يحيى – عليه السلام – :

(المرأة التي تتعاطى الدعارة والسرقة والتي تحترف السحر ، جميع هذه الأعمال المشينة لا يرضى عنها الله ولا يقبلها إنسان).

وقد حظر الدين المندائي كل شكل من أشكال السحر بما فيه عمل الرقي مهما كانت الاسباب لنيل حاجة أو دفع ضرر ، وفي كتابنا (كنزا ربا)،:
(لا تتعلموا رقى الشيطان ولا تشهدوا زوراً على إنسان).

إن التوكل على الحي العظيم والعمل بقلب صادق مؤمن، هو الذي يدفع عن الإنسان كل أذى وظلم وعدوان صادر عن قوى الشر.

وجاء في كتاب الصلاة المندائية :
(يا مطلق سراح الأسرى أنقذني من قارعي الأجراس ، ومن سكان المطهرات ، ومن آفات المياه ، ومن قدور الغليان ، ومن النار والبرد ، ومن مصائد الشيطان وأفكارهم الشريرة وجرائمهم).

من كل ما تقدم أعلاه نستنتج أن الدين المندائي دين موحِّد يحرِّم كل التحريم السحر والشعوذة ، ويحذِّر من مغبة مسايرة السحرة والمنجمين الكذابين... ويكفي أن نقول إن كلمة السحر مشتقة من (ساهرا) وهي أحد أسماء الشياطين وأبناء الظلام...

فيا إخواني بالدين والإيمان: لنضع ثقتنا الكبيرة بالحي العظيم، فهو الذي يرحم الأتقياء من محبي اسمه، فالحياة للذين يفهمون وللرجال الذين يرشدوننا إلى طريق الخير.

والحي يزكي أعمال الخيرين.

- **الأستاذ / فاروق عبد الجبار عبد الإمام :**

كتب الأستاذ فاروق مقالاً مهمًا حول السحر والسحرة بنصوص (مواعظ وتعاليم) النبي يحيى - مبارك اسمه - ، وتناول في المقال جميع النصوص الدينية والتعاليم التي تحذِّر الصابئة المندائيين من أعمال السحر والسحرة والمعاصي التي نهى الله عنها، والعقوبات التي تنتظر المخطئين.

- السحر والسحرة بنصوص (مواعظ وتعاليم) النبي يحيى (ع)

- **(ملعونٌ وموصومٌ بالعار كلُّ من لا يعرف ، وكلُّ من لا يعترف ، وكلُّ من لا يعلم أنَّ ربنا هو ملك النور العظيم ، ملك السموات والأرض ، الواحد الأحد)[1].**
- **(في أماسيه ، في الليالي ، يعظ يحيى وينادي : ماذا ستفعلون في هذا العالم المحيِّر المليء بالفحش والزنى والآمال الكاذبة)[2].**

يتهمُنا بعضُ الذين فقدوا الحس الإنساني - بل أن الكثير من مقومات هذا الحس قد ذهبت أدراج الرياح في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها العالم اليوم - ؛ يتهمنا هؤلاء بأن الصابئة يمارسون السحر والخداع والشعوذة للإيقاع بالسُّذج من الناس ؛ وخاصة النساء ؛ ابتغاء أمورٍ كثيرة منها الربح المادي ومنها الربح الجسدي ، وكلا الأمرين يحتاجان إلى أن نبرِّئ أنفسنا منها وننبري للدفاع عن الحقيقة التي يحاول البعض طمسها وندرأ السُبّة والشُبهة التي يحاول البعضُ من ذوي النفوس المريضة الضعيفة أن يلصقها بنا لغرضٍ خبيثٍ ما ؛ علمًا أن الربح المادي يُمكن الحصول عليه ليس بممارسة السحر والشعوذة ، بل بالعمل الجاد ، والمثابرة على تحصيل الرزق بالطرق الشريفة ، ولا أعتقد - جازمًا - أن أي صابئي بحاجة إلى الغش أو الخِداع للحصول على المال بالطرق الملتوية ؛ فمعظم الصابئة - إن لم يكن كلُّهم - ذوو عقولٍ نيِّرةٍ متفتحة ، ولهم باعٌ طويلٌ

---

1 النص التاسع عشر

2 النص الثاني والعشرون

في مختلف مناحي الحياة والعلم والمعرفة، فمنهم الأطباءُ والعلماءُ والمهندسون والأساتذة الجامعيون ذوو الاختصاص، وكذلك الحرفيون المهرة، والتشكيليون، والشعراء والأدباء... والقائمة تطول لو أردت التعداد لا الحصر، ولا أقول هذا تبجحًا أو غرورًا، ولا أُضيفُ شيئًا جديدًا في هذا الصدد.

أمَّا الربح الآخر؛ فليس هناك ما هو أبغضُ من ذكره، علاوة على أنَّ كتبنا الدينية كفيلةٌ بالردِّ على مثل هذه التراهات؛ فهي تنهى عن الموبقات، وعن هذا العمل المُنكر، وكذلك كلُّ الكتبِ السماوية تذكر وتحذِّر من القيام بالفاحشة؛ بدايةً من صحف آدم والكنزا ربا، وانتهاءً بالقرآن الكريم، مرورًا بالتوراة والإنجيل.

فيما يخص السحرُ والشعوذة وضرورة الابتعاد عن السحر والسحرة، فكتبُنا الدينية مليئةٌ، زاخرة بالمواعظ، مليئةٌ بالحِكم الداعيةِ إلى نبذ هذا العمل وعدم اللجوء إليه لأنه بغيض ولأنه الكفر بعينه، وديننا، دين الفطرة، ينهى عن الكفر والتجديف بالذات الربانيّة... وكي لا أطيل، فإني سأبدأ هنا بإيراد النصوص المذكورة في كتاب (مواعظ وتعاليم يحيى بن زكريا) عليهما السلام فقط، ولن أعلِّق عليها، فهي لا تحتاج إلى تعليق أو شرح.

- **(كلّ من يجري خلف السحرة والمنجمين الدجّالين يُعذَّبُ في مستودعي البرد والزمهرير)**[1].
- **(أبنائي، احذروا مزاولةَ السِّحر، ولا تختموا الأجساد لأن الدَجّالين والسحرة يُلقى بهم في مراجل تغلي؛ ذلك هو جزاؤهم، فلا تتخطوا الحدود)**[2].
- **(من اتبّع السحرة والمنجمِّين الدجّالين وآمن بهم يُعذَّب في أحواضِ من الزمهرير)**[3].

وعن الزنى والزُناة، فإن تعاليم نبينا يحيى بن زكريا عليه السلام تحذِّر وتعد الذين يمارسونه بأفظع عذاب وأشد عقوبةٍ ليكون ذلك رادعًا لكلِّ من تسوّل له

---

١ النص الخامس والعشرون

٢ النص الرابع والأربعون

٣ النص الرابع والستون

نفسهُ الأمَّارة بالسوء القيام به؛ لتحفظ تلكم التعاليم الأُسرة مترابطةً، متراصةً، خاليةً من المشاكل العائلية المتفاقمة والمتفشية في هذا الزمان، الذي ازدادت فيه الأمراض الناتجة عن الجنس؛ ومنها الإيدز؛ وقانا الحي الأزلي وإياكم منه، وما تبع ذلك من مشاكلَ كثيرةٍ في معظم أصقاع المعمورة.

- **(إخواني ابعدوا أنفسكم عن شرك النساء ومكائدهن فجميع الحفر زائلة إلا الحُفر التي تحفرها النساء فإنها تظل فاغرة كما كانت منذ آلاف السنين)**[1].

- **(احذروا الكمائن التي تضعها النساء فإنها باقية)**[2].

- **(كلّ من زنى يذهب إلى بيت العار)**[3].

- **(من يزنِ يكن جزاؤه النار)**[4].

أفبعد هذا العرض –وهو غيض من فيض– نُتهم ؟

إن ضعاف النفوس والضمائر يستغلون طيبة الصابئة وبأنهم نفرٌ قليلٌ، واختلاط النساء بهم – وخاصة الصاغة منهم –؛ ليروجِّوا ما طاب لهم من الأقاويل، وتبتدع عقلوهم المريضة البِدع التي حرَّمها الله سبحانه وتعالى، لأن البِدع ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

وقبل أن أختتم أورد النص الخامس والعشرين:

(لكم نوجِّه كلامنا ، كونوا كالمختارين الصالحين الذين يشهدون للحياة ، فلا تعملوا منكرًا ، ولا تنحدروا حيثُ الظلام ، ردِّدوا معي : يا إلهي لا تحرمنا من رحمتك)[5].

حقًا لنردِّد جميعًا: إلهي لا تحرمنا من رحمتك لأنك أنت الرحمن الرحيم، وإليك نُنيب ضعف نفوسنا؛ لأنك أنت الغفار، وبك نستعين يا أرحم الراحمين.

---

١ النص الحادي والعشرون

٢ النص العشرون

٣ النص السابع عشر

٤ النص الرابع والستون

٥ من النص الخامس والعشرين

- **الأستاذ / همَّام عبد الغني المراني :**

برز في التسعينات من القرن المنصرم قادة مندائيون كان لهم أثرٌ كبير في تطور الطائفة وإرساء الأسس المتينة لمؤسساتها الفعالة... كان واحد من هؤلاء الأفذاذ الأستاذ همام عبد الغني المراني، هذا المناضل الذي جاب سجون العهود السابقة، وبسبب أفكاره التقدمية لاقت عائلته شظف العيش وعاش ضنك الحياة، ولكن بشطارته ومهاراته تجاوز المحن لما يملكه من مواهب متعددة ، فهو صحفي متمرس ، وشاعر مقتدر ، وإداري بارع ، وصائغ ماهر ، وسياسي محنك... فقد قاد مؤسسات الطائفة بنجاح ، حيث شغل منصب رئيس نادي التعارف في بغداد، وسكرتير مجلس عموم الطائفة، الدورة الأولى... شخصية مؤثرة لها حضورها ولها وزنها.

في عام ١٩٩٧ هاجم الصحفي الأردني المتزمت في جريدة العرب؛ الصابئة المندائيين ، وكال لهم اتهامات ظالمة ما أنزل بها الله من سلطان... فكلفت مجالس الطائفة الأستاذ همام ليرد عليه بمقاله قيمة ويفند كل افتراءاته... وهذه مقالة الأستاذ همام التي نشرت بنفس الجريدة للإطلاع عليها ، ومعرفة اقتدار وثقافة هذا الرجل وقدراته وسعة معلوماته... قبل أن يهاجر إلى أمريكا ويستقر مع عائلته هناك ، ركن إلى الراحة والهدوء ، وتفرغ إلى الاهتمام بعائلته ، ومحاولة تعويض ما فاته من سنين العمر المتعبة تيمنًا بقول الجواهري:

أرحْ ركابكَ من أينٍ ومن عثْرِ كفاكَ جيلان محمولاً على خطرِ

ولكن "الذي فيه ما يخليه" كما يقول العراقيون، فتراه من الناشطين في مجالات كثيرة، أطال الله في عمره ومنحه الصحة والأمان.

كفاكَ موحش دربٍ رحتَ تقطعهُ كأنَّ مُغبره ليلٌ بلا سَمرِ

ويا أَخ الطير في وردٍ وفي صورَ في كلِ يوم له عشٌ على شَجَرِ

▪ المندائيون يدافعون عن أنفسهم

اطلعتُ على المقال الموسوم "الصابئة المندائيون ، خافوا أبا جعفر المنصور فغيّروا دينهم" للكاتب سامي الجيتاوي ، الذي نشرته صحيفة "العرب اليوم" الغرَّاء ، وقد حكم الكاتب في عنوان مقاله أن الصابئة المندائيين "غيرَّوا دينهم" ، وبهذا فقد موضوعية الباحث العلمي ، قبل أن يدخل في صلب الموضوع الذي تناوله... والحقيقة فنحن الصابئة المندائيون ، نتحمل المسؤولية الأولى في عدم إطلاع وتعريف القارئ والمثقف العربي على تاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها وشعائرها الدينية وأدبها المندائي ، وأسباب ذلك كثيرة ، يقف في رأسها ، كون كتابنا المقدس (الكنزا ربا) "الكنز العظيم" والكتب الدينية الأخرى (دراشة يهيا) "تعاليم يحيى" ، وكتب التعميد الأخرى ، كُتب جميعها باللغة المندائية ، وهي إحدى اللهجات الآرامية القديمة ، وتناقلتها الأجيال المندائية سماعًا وحفظاً واستنساخاً ، وكان ذلك الاستنساخ يعتمد أساسًا على رجال الدين المندائيين الذين كان أغلبهم - إن لم نقل كلهم - يفتقرون لأبسط إمكانات اللغة العربية ، وكان أفضلهم من كان يجيد القراءة والكتابة الأولية العربية تحت ظل الحكم العثماني. كما أن الظروف المعاشية القاسية التي عاشتها الطائفة في السابق لم تتح لها فرصة أن تنظِّم حياتها الاجتماعية والثقافية وتنظر إلى تاريخها وآدابها ومعتقداتها الدينية ؛ كما هو الحال اليوم... كل ذلك جعل موضوع ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) والكتب الدينية الأخرى إلى اللغة العربية وإطلاع المثقفين العرب عليها ، في غاية الصعوبة.

وحتى المستشرقون الذين اهتموا بالديانة المندائية ، أمثال ليدز بارسكي ، والليدي دريوار ، ونولدكه ، وكورت رودولف ، فإنهم نقلوا تلك الكتب إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية ، فبقيت بعيدة عن متناول القارئ العربي إلى سنوات قليلة خلت ، حيث بادر عدد من المثقفين والأساتذة المندائيين ، أمثال نعيم بدوي وغضبان رومي ود. صبيح مدلول ، لترجمة بعضها من اللغتين المذكورتين إلى

اللغة العربية... كما بادر عددٌ من مثقفي الطائفة إلى التأليف في هذا الميدان الصعب ، أمثال الأستاذة الكبيرة ناجية المراني والأستاذ عزيز سباهي وعبد الفتاح الزهيري... كما بادر بعض رجال الدين الشباب أمثال الشيخ رافد الشيخ عبد الله لترجمة بعض الكتب الدينية... كما وضع الأستاذ نعيم بدوي والشيخ هيثم مهدي سعيد كتاب "مدخل في قواعد اللغة المندائية".

أعود لأقول إن هذا التحرك في مجال التأليف والترجمة جاء متأخرًا ، ولهذا ، وأكرِّر بأننا نحن المندائيون نتحمل المسؤولية الأولى في عدم تعريف المثقف والقارئ العربي بمعتقداتنا الدينية وآدابنا المندائية... بيد أنني حين أسوق هذه المقدمة عن مسؤولية أبناء الطائفة في ذلك ، فلن أبرِّر الابتعاد عن الموضوعية ومجافاة الحقيقة ، اللذين اتسم بهما مقال السيد سامي الجيتاوي ، والذي سأتناوله أدناه.

قسَّم السيد جيتاوي مقاله إلى قسمين : الأول لغوي وتاريخي ، والثاني في تفسير القرآن الكريم وتحت عنوان منفصل "الصابئون في القرآن الكريم"...
في القسم الأول ركَّز الكاتب على الفعل العربي "صبا" وأفرد له قرابة نصف المقال ، والذي يعني الخروج من دين إلى دين جديد ، وتحدث عن هذا الفعل كثيرًا ، وجاء بأمثلة عما أطلقته قريش على النبي محمد "ص" والصحابة الكِرام من نعوت ، واجتهد الكاتب قدر امكاناته اللغوية والتاريخية المتواضعة ، في أن يلصق المعنى المهين للفعل "صبا" بالصابئة المندائيين ، استنادًا لحروفه العربية فقط ، وأثبت أنه لا يبحث عن الحقيقة بقدر ما كان يحاول الحطَّ من قيمة ومكانة هذه الطائفة ومعتقداتها ، مخالفًا بذلك نصوص القرآن الكريم ذاته... وفي الوقت الذي خصَّص قرابة نصف الجزء الأول من مقاله للفعل "صبا" أهمل بشكل مقصود ومتعمد المعنى الصحيح للجذر المندائي "صبا" والذي يعني الارتماس في الماء الجاري والتعميد ، إذ أشار إليه بصورة مقتضبة جدًا ، في الوقت الذي يجب الاعتماد عليه لأنه تفسير أهل القضية أنفسهم – أي الصابئة المندائيين –

وهو جزء من لغتهم المندائية... ولو تعمق الكاتب في دراسة الموضوع قبل أن ينشر موضوعه المذكور لوجد أن "الليدي دريوار" عاشت مع المندائيين سنوات طويلة وتعلمت لغتهم وحضرت وشاهدت طقوسهم، وقرأت كتبهم الدينية بلغتها الأصلية المندائية، واستمعت لشروحات رجال الدين المندائيين لكل كلمة أو شعيرة دينية، وهكذا كان حريًّا به أن يعتمد تفسيرها للجذر المندائي (صبا)، إذ لم تحظ طروحات "دريوار" التي ترجمت العديد من الكتب الدينية المندائية، وألَّفت العديد من الكتب عنهم؛ لم تحظ هذه المستشرقة الكبيرة إلا ببضعة أسطر من السيد الجيتاوي وحشر اسم الصحفي الهندي الشهير كارانجيا، وكتابه: "خنجر إسرائيل" حشرًا خبيثًا في المقال لغمز قناة المندائيين... وفي هذا الموضوع نقول للسيد الجيتاوي إن المندائيين تعرضوا للاضطهاد والتقتيل على يد المؤسسة اليهودية في فلسطين آنذاك، فقد قُتل ٣٦٠ من رجال الدين المندائيين في مذبحة واحدة على يد تلك المؤسسة وسلطتها آنذاك، مما دفع المندائيين إلى هجرتهم الأولى من فلسطين إلى حران وانتشروا هناك، كما جاء في أحد كتبهم المندائية "حران كوثيا" أي حران السفلى، ولم تذكر لنا كتب التاريخ أنهم - أي المندائيين - تطلعوا لتأسيس دولة أو جماعة سياسية دينية، فمن أين (خشي "الجيتاوي" أن يكون ذلك تنفيذًا لما ذكره الصحفي الهندي)... الخ.

وبنفس الأسلوب الانتقائي والاستناد الخاطئ للفعل "صبا" العربي يأخذ الكاتب بعض مقتطفات من كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني ج٢ ص١٥٠ في سبب تسمية هذه الطائفة بالصابئة: (صبا الرجل إذا مال وزاغ...) ويهمل عن عمد مقتطفات كثيرة للشهرستاني، وفي نفس الجزء حيث يقول في ج٢ ص ٦٤-٦٦ تحت عنوان مذاهب أصحاب الروحانيات وهو يتحدث عن الصابئة المندائيين (مذهب هؤلاء: يقولون إن للعالم صانعًا فاطرًا، حكيمًا مقدسًّا من سمات الحدثان... والواجب علينا أن نطهر أنفسنا من دنس الشهوات، ونهذب أخلاقنا حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات "التوحيد").

ويتحدث عن صابئة حران، ويستند إلى الرواية المشوهة عن المنصور التي أخذ منها عنوان مقاله، والتي تُروى عن المأمون وليس جده المنصور، مما يزيد الشك في صحتها، فالخليفة المأمون، وهو أثقف خلفاء بني العباس، وصاحب دار الحكمة، هل يعقل أنه لا يعرف الصابئة الذين جاء ذكرهم في ثلاث آيات في القرآن الكريم؟؟ إننا كصابئة مندائيين نشك في أن المأمون قد وقع في مثل هذا الخطأ، وأن الرواية من أساسها مختلفة، خصوصًا وأنها منقولة عن مؤرخ كان يناصب الدين المندائي العداء، هو أيشع القطيعي، كما يقول ابن النديم في الفهرست.

ثم يناقض الكاتب نفسه فيأتي بمقتطفات تشير إلى توحيد الصابئة المندائيين فيشير إلى كتاب الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة "رسائل الكندي الفلسفية" (ومن الجائز أن يكون هؤلاء الصابئة أتباع ديانة قديمة قد اختلطت بالفلسفة، ولعل نحلتهم توحيد قديم يرجع إلى إبراهيم عليه السلام) ويواصل قوله: (أما الصابئة المندائيون أو المنديون، الذين تحدثت عنهم صحيفة العرب اليوم فهم الصابئة الحقيقيون)... إذا فأنت تعترف أيها الأخ أن هناك "صابئة حقيقيون" وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فلماذا هذا الخلط والتعتيم والتشويش؟ ولمصلحة من؟!... ويستمر الخلط والتشويه حتى يصل إلى أن حمدان الأشعث الملقب قرمط، كان صابئينا مندائيا! في حين لم تحدثنا كتب التاريخ أن الصابئة المندائيين كانت لهم دولة، ولم يسعوا لذلك منذ أن وجدوا على الأرض.

أما القسم الثاني من المقال والذي جاء تحت عنوان "الصابئون في القرآن الكريم" فقد نصَّب السيد الجيتاوي نفسه مفسِّرًا للقرآن وفقيهًا، وقد تكون للأخ الجيتاوي مثل هذه المقدرة، ولكن أسلوبه في الكتابة الصحفية العابرة لا يشير إلى كونه فقيهًا أو مفسرًا للقرآن، إذ إنني لم أجد بين المفسرين والفقهاء، وحتى كبارهم، من يسأل ويجيب بهذه العجالة والقطيعة، فهو بعد أن يذكر نصوص السور الثلاث التي جاء ذكر الصابئين في القرآن الكريم، وهي سورة البقرة

وسورة الحج وسورة المائدة، يسأل: "فهل ورود لفظ الصابئين فيها في هذه الآيات يدل على أن الصابئة ديانة توحيدية... إلخ ؟". ويجيب بصورة بعيدة عن التدقيق والتمحيص؛ إن لم نقل بعيدة عن الموضوعية والتواضع وصفاء النية؛: "قطعًا لا تفيد الآيات ذلك"!! وحكم بالنفي من الأسطر الأولى، كما حصل في القسم الأول إذ هاجمهم في عنوان المقال كما ذكرت... ويستطرد "فقد ذكرت آية سورة الحج المجوس والذين أشركوا بعد ذكر الصابئة والنصارى قبل المجوس، فهل المجوس والذين أشركوا أهل توحيد؟؟"... وأقول للسيد الكاتب إن الآية الكريمة ذكرت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾، فهل التشكيك يشمل الجميع في نظر الكاتب؟؟.

وفي سورة الحج قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]. ولم يقل "إن الجيتاوي يفصل بينهم"، فقليلاً من التواضع أمام الله يا أخي.

وأعود الآن إلى نقطتين أساسيتين في هذا الجزء من المقال:

الأولى: أن الكاتب أهمل ما جاء في السور الثلاث، والذي جاء نصًا في القرآن الكريم، وهو كلام الله عز وجل الذي لا يقبل التأويل، إذ قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]... وهكذا اشترط الله عز وجل على الجميع بما فيهم من آمن واعتنق الإسلام دينًا، أن يكون مؤمنًا بالله واليوم الأخر، وأن يعمل صالحًا، ولم يشترط الدخول في الإسلام كما يقول الجيتاوي "وهذا الدخول في الإسلام عن اعتقاد صحيح وإيمان خالص بالمبدأ والمعاد واقتران ذلك بالعمل الصالح".

---

[1] القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

[2] القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٦٢

يقول سماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري في مؤلفه الكبير "مواهب الرحمن في تفسير القرآن": (المراد بالذين آمنوا: من اتخذ الدين القيم كما قال تعالى ﴿دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[1]، وليس المراد به خصوص المسلمين الذين صدقوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، ويدل على التعميم ذيل الآية الشريفة، فيكون ذكر الأصناف الثلاثة، تخصيصًا بعد تعميم، وتوضيحًا بعد إهمال)[2]. ويضيف العلامة السبزواري: (وقد اختلف المفسرون والفقهاء في الصابئين، هل هم من أهل الكتاب أم لا، وعلى الثاني هل هم من المشركين أم لا؟ ويمكن أن يستظهر من ذكرهم في القرآن في سياق أهل الكتاب، أنهم منهم موضوعًا وحكمًا، ويستفاد من إجماع الفقهاء على صحة أخذ الجزية من الصابئة، فإن هذا الإجماع، يدل على أنهم من أهل الكتاب لعدم أخذ الجزية من غير أهل الكتاب)[3]. ويضيف السبزواري في نفس الصفحة: (وقيل إن كل يهودي ترك دينه وأراد أن يتنصَّر وكل نصراني ترك دينه وأراد أن يتهود سمي صابئيًا، وهذا الكلام مردود، فإن للصابئين دينهم وعقائدهم وعاداتهم المتميزة عن غيرهم).

وفيما يتعلق بقوله تعالى ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ يقول السبزواري: (وهذه الآية وما في سياقها ظاهرة في أمرين: أحدهما ما ذهب إليه أصحابنا ودلَّت عليه النصوص من أن العمل الصالح جزء الإيمان... ثانيهما: أن المناط كله في الإيمان الذي تترتب عليه الآثار الدنيوية والأخروية إنما هو الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح، فإنَّ من كان ذلك لم يتعد حدود الله، ولم يتوانَ في طلب الحق ومرضاة الله ولا تأخذه لومة لائم أو نزعة باطل).

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٦١

٢ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٦٨

٣ مواهب الرحمن ج ١ ص ٢٦٩

وفي فصل تحت عنوان "بحث تاريخي عقائدي" يقول السبزواري : (الصابئة – كما في جملة من التواريخ – قوم يدينون بالإله الواحد ويتعصبون للروحانيات لتقربهم من الله)[1].

ويضيف السبزواري : (ويتركب دين الصابئة من أمرين : الأول ، الإيمان بالله الواحد ، صانع العالم ، وهو رب الأرباب وإله الآلهة ، مدبِّر ، حكم ، قادر ، ومقدس عن جميع صفات مخلوقاته ، يعجز الخلق عن الوصول إلى جلالته ، وإنما يقترب إليه بالوسائط المقربين وهم الروحانيون المطهرون والمنزهون عن المادة والماديات ، فهم مبرأون عن القوى الجسدانية والحركات المكانية والتغييرات الزمانية ، قد جبلوا على التقديس والتسبيح... أما الأمر الثاني : الأعمال ، فالصابئة كلهم يصومون ويصلون ثلاث صلوات ، كما يصلون على طهر ووضوء خاص ، وهم يغتسلون من الجنابة ومس الميت ، ويحرِّمون أكل لحم الخنزير والكلاب والطيور ذوات المخالب والحمام ، ونهوا عن السكر والشراب والاختتان ، وأمروا بالتزويج بولي وشهود ونهوا عن تعدد الزوجات ، ولا يبيحون الطلاق إلا بحكم حاكم)[2].

وإذا عدنا إلى الفقهاء الآخرين ، فقد قال السدي عنهم : إنهم فرقة من أهل الكتاب... وقال ابن راهوية : لا بأس بذبائحهم لأنهم طائفة من أهل الكتاب... وأفتى الإمام أبو حنيفة النعمان ، بأنه لا بأس بذبائحهم ونكاح نسائهم... وقد أجاز جميع الفقهاء أخذ الجزية منهم لأنهم أهل كتاب)[3].

ويقول الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" : (إن مذهب الصابئة يقوم على أساس أن للعالم صانعًا مقدسًا أزليًا ، لا يمكن التوصل إلى جلاله وإدراك ماهيته وإنما يقترب إليه من خلال الروحانيين المقدسين جوهرًا وفعلاً وحالة).

---

١ مواهب الرحمن ج١ ص٢٦٩

٢ المصدر السابق

٣ عزيز سباهي : أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم ، ص٢٢٠

ويقول الدكتور رشدي عليان أستاذ الدين المقارن في كلية الآداب جامعة بغداد: (أما أصول الدين الصابئي فهي كما مدون في كتبهم الدينية تتلخص في أنهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات، ويؤمنون باليوم الأخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور أو عالم الظلام)[1].

أما موضوع إيمانهم بالله عز وجل واعتقادهم به فيقول د. عليان واستنادًا إلى المؤرخ العراقي المعروف عبد الرزاق الحسني: (يعتقد المندائيون ان الله واحد أزلي، أبدي، لا أول لوجوده ولا نهاية له، منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، وإنه لم يلد ولم يولد، وهو علة وجود الأشياء ومكونها)[2].

وقال ابن النديم في الفهرست:
(حكاية من خط أحمد ابن الطيب في أمرهم، حكاها عن الكندي "فيلسوف العرب الكبير – الكاتب": اجتماع القوم على أن للعالم علة لم يزل، واحد لا يتكثر، ولا يلحقه صفة شيء من المعلولات، كلّف أهل تمييز من خلقه الإقرار بربوبيته، وأوضح لهم السبيل، وبعث رُسلاً للدلالة وتثبيتًا للحجة، أمرهم أن يدعو إلى رضوانه، ويحذروا غضبه، ووعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول، وأوعدوا من عصى عذابًا واقتصاصًا بقدر استحقاقه. وقال الكندي: إنه نظر في كتاب يقرأ به هؤلاء القوم، وهو مقالات في التوحيد على غاية من التقانة، لا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه مندوحة عنها والقول بها)[3].

وقد لجأ السيد الجيتاوي في بعض فقرات مقاله إلى كلمات "من الجائز... ولعل... الخ" ونحن نقول إن أبلغ وأقوى رد على هذا الطرح المشوش هو ما جاء به القرآن الكريم نفسه، حيث ميَّزهم في الآيات الثلاث عن الأديان الأخرى

---

١ كتاب : الأديان دراسة تاريخية مقارنة ، ص١٧٦

٢ المصدر السابق ، ص ١٨٣

٣ ناجية المراني : مفاهيم صابئية مندائية ، عن الفهرست لابن النديم ص ٤٤٢-٤٤٥

بعد أن عددها بالاسم : ﴿... الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾[1]. حيث لم يلحقهم بأيٍّ منها.

كما ميَّزهم عن المشركين، وأنه سبحانه قد فرَّق بين الصابئة كأهل دين وبين أهل الأديان الأخرى، طبيعية كالمجوس والشرك ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ ومنزلة كالمسلمين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ واليهود ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ والنصارى ﴿النَّصَارَى﴾)[2]. ويستنتج الدكتور عليان من ذلك، أن المقصود بالصابئين هم "المندائيون" وأنهم ليسوا مشركين للمغايرة نفسها وللعطف بالواو الذي يقتضيها في اللغة ويعم استنتاجه هذا باستقبال الرسول محمد (ص) لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم وأخبروه بما في كتبهم، وإعطائه الأمان لهم، وإيصائه بهم خيرا "سنوا بهم سنة أهل الكتاب")[3].

وقبل أن أعود إلى الوثائق والمصادر المندائية، أقول للسيد الكاتب إن العراق، البلد الإسلامي العريق تدرَّس في مدارسه كتب التفسير، وأن تفسير كلمة الصابئين فيها "أصحاب ديانة قديمة موحدة يعيش أكثرهم في العراق" كما أن كتاب الدكتور رشدي عليان هو كتاب منهجي يدرَّس في الكليات العراقي.

والآن وبعد أن استشهدنا بمقتطفات عديدة من فقهاء ومفسرين ومؤرخين وباحثين مسلمين ومستشرقين، نعود إلى ما جاء في الكتاب المقدس للصابئة المندائيين (الكنزا ربا) ونصوص من وضوئهم وصلاتهم، وإلى وصايا النبي يحيى عليه السلام، لنرى مدى توافقها وتطابقها مع ما جاء في القرآن الكريم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ليطلع المثقف والقارئ العربي على حقيقة هذه الطائفة وديانتها ومعتقداتها، عسى أن يقتني بعض الإخوة ممن لم يطلعوا عليها بشكل جيد، أو ممن اطلعوا على الرأي المغاير فقط.

---

١ القرآن الكريم: سورة الحج، الآية ١٧

٢ المصدر السابق ، ص ١٧٩

٣ المصدر السابق ، ص ١٧٩

وقبل أن أرجع إلى المصادر المندائية المتوفرة في اللغة العربية، وهي قليلة جدًا مع الأسف الشديد، أقول مرة أخرى، إن المسؤولية الأساسية في عدم إطلاع المثقف والقارئ العربي على الدين المندائي، تقع على عاتق الطائفة ومثقفيها ورجال دينها، الذين حالوا، -وأعني رجال الدين المندائيين- ولعدة عقود دون ترجمة كتابنا المقدس والكتب الدينية الأخرى إلى اللغة العربية، إلا أن الطائفة الآن تعيش وضعًا جديدًا، حيث يترأسها رجل دين متفتح وعلى درجة مناسبة من الثقافة ويحمل روح الشباب ومواكبة العصر بالقياس لمن سبقوه من رجال الدين، وتنادى مثقفو وشباب الطائفة لإحياء تراثها الديني والأدبي، إذ تجري الآن ترجمة كتاب (الكنزا ربا) وكتب دينية أخرى، وصدر عدد من المؤلفات والترجمات لمثقفين مندائيين كالأستاذة الفاضلة ناجية المراني والأستاذ نعيم بدوي والأستاذ المرحوم غضبان رومي ود. صبيح مدلول والشيخ رافد الشيخ عبد الله والأستاذ عبد الفتاح الزهيري والأستاذ عزيز سباهي وآخرين غيرهم. كما أن عددًا من المسلمين تناولوا هذا الموضوع بموضوعية وبعيدًا عن التزمت والتحسس، كالدكتور رشدي عليان، ود. خزعل الماجدي ود. ماهود أحمد، وآخرين غيرهم.

أعود الآن إلى ما جاء في الكتب الدينية المندائية حيث جاء في افتتاحية (الكنزا ربا) الكنز العظيم ما يلي:

﴿ سبحانك ربي العظيم... أسبِّحك ربي بقلبٍ طاهر، رب العوالم كلها، مسبح ومبارك ومعظم ذو الوقار والجلال، الله الرب العلي، سبحانه ملك النور السامي ذو الحول الشامل الذي لا حدود لقدرته، النور البهي والضياء الساطع الذي لا ينضب، الرءوف التواب، الغفور الرحيم، مخلِّص كل المؤمنين وناصر كل الطيبين، العزيز الحكيم، العليم البصير، العارف الذي على كل شيء قدير، رب عوالم النور جميعها، العُليا والوسطى والسِفلى، ذو السيماء العظيم الموقر، الذي لا يرى ولا يحد، لا شريك له بملكه ولا كفء له بسلطانه، من يتكل عليه لا يخذل، ومن يسبح اسمه بالحق لا

يخيب ، ومن يتوكل عليه لا يذل ، رب الملائكة جميعها ، لا وجود بدونه ، وما من شيء لولاه... أزلي ليس له بداية ، وأبدي ليس له نهاية ﴾[1].

فهل هناك أكثر تمجيدًا وإيمانا وتوحيدًا لله العلي القدير أكثر من هذا ؟؟... إذن فجانب الإيمان بالله الواحد، لا يمكن مناقشته من خلال هذا النص.

ومن كتاب "القلستا" وهي مجموعة التراتيل والصلوات المندائية. تقول تراتيل التعميد:

﴿ باسم الحي نهضت من الأردن [2] ، ولقيت جمعًا من الناس يحيطون بأبينا شيت قائلين له : يا أبانا شيت بحياتك هلا جئت معنا وعمدتنا في الأردن؟... حسنًا ، إن جئت لتعميدكم في الأردن ، فمن سيكون شاهدكم؟... هذه الشمس المشرقة ستكون علينا شاهدًا... فيجيبهم : ليست الشمس مطلبي ، ولا تهواها نفسي ، فالشمس التي عنها تتحدثون تغرب في السماء ، والشمس التي تتحدثون عنها باطلة زائلة ، والساجدون للشمس سينتهون إلى لا شيء ﴾)[3].

وتستمر الترتيلة، ويجري نفس الحوار والسؤال والجواب عن القمر وعن النار، فيفندها جميعًا حتى تصل إلى الإجابة التي يريد:

﴿ الأردن وضفتاه ستكون شهودنا ، لقمة الغذاء وجرعة الماء والإيمان الحق ستكون شهودنا ، الأحد الذي نصونه صادقين هو شاهدنا ، هذا البيت الذي يجمعنا للعبادة هو شاهدنا ، الصدقات التي نقدمها هي شهودنا ، أبونا ورئيسنا سيكون شاهدنا... فيجيبهم النبي شيت [4] : هذا هو مطلبي ، وهذا ما تصبو إليه نفسي ، وحينما تصعد أرواحنا إلى دار البقاء فستأتي هذه الشهود ، وتكون شهود حق... والله مزكى ﴾)[5].

---

١ من افتتاحية الكنز العظيم (الكنزا ربا)
٢ أعتقد أن المقصود هنا هو الماء الجاري حيث يسمى بالمندائي – يردنه – وليس نهر الأردن تحديدًا
٣ ناجية المراني : مفاهيم صابئية مندائية
٤ (شيتل) بالمندائية
٥ المصدر السابق

أبعد هذا الإيمان المطلق بالواحد الأحد وباليوم الأخر ، يُتهم أصحاب هذه الديانة بأنهم ليسوا موحدين ؟!! إذ يسأل السيد الجيتاوي "فهل ورود لفظ "الصابئين" في هذه الآيات يدل على أن الصابئة ديانة توحيدية ؟" ويجيب بعجالة طفولية : قطعًا لا تفيد الآيات ذلك"!!

أما بخصوص الإيمان باليوم الأخر ، فإضافة لما ذكر أعلاه ، فنحن الصابئة المندائيون ، نؤمن بأن النفس البشرية هي نفحة من الله عز وجل ، تحلُّ في الجسد الفاني ، وأنها لا تموت مع الجسد في اليوم الموعود ، بل ترجع إلى باريها ، وتمر أثناء عروجها بالمطاهر والحساب والثواب ، فإن كانت صالحة تدخل عالم الأنوار "آلمه دانهورا" وإلا فستبقى في المطاهر "المطراثي" حتى تؤدي ما عليها من حساب. : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

ونعود الآن للعمل الصالح وهو ما يكمِّل الإيمان بالله واليوم الأخر... كما يقول آية الله العظمى السبزواري (أن العمل الصالح جزء الإيمان)[2].، ونورد ما يوصي به الدين المندائي والنبي يحيى عليه السلام ، ولنقارنه بما جاءت به الأديان السماوية الأخرى وخصوصًا الدين الإسلامي الحنيف.

جاء في افتتاحية (الكنزا ربا) الكنز العظيم:

﴿لا تخدعوا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس البشرية﴾

﴿لا تأفكوا بأقوالكم ، وإياكم والكذب ، والتأويل﴾

﴿لا تحبوا الذهب والفضة ، وثراء هذه الدنيا ، ما دامت هذه الدنيا دار زوال﴾

﴿ ولا تسجدوا للشيطان الرجيم ، ولا تهبوه حبكم ، إذ من يسجد للشيطان يكن مصيره النار﴾

---

١ القرآن الكريم: سورة الفجر، الآيتان ٢٧-٢٨

٢ مواهب الرحمن ج١ ص ٢٧٠

﴿ احترم أباك وأمك وأخاك الأكبر ، ولا تحسدوا ولا تكونوا عبيدًا لشهواتكم ما دام ربكم هو الواهب ﴾

﴿ ابغوا وأحبوا اسم الله وكتابه وكلامه ، وهبوه تسبيحًا ، مولاكم ملك الأنوار ، العلي الذي انبعث من ذاته أمرنا المختارين ، وعلمنا المؤمنين ، هب صدقة للعاني ، وكن دليلاً للأعمى ، وإن وهبتم صدقة يا مختارون فلا تجاهروا ﴾

﴿ إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم ، وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم ﴾

﴿ كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر ولا ثواب له ﴾

﴿ صوموا صومًا عظيمًا لا عن مأكل ومشرب هذه الدنيا ﴾

﴿ امسكوا أعينكم عن الغمز والرمز ولا تنظروا بسوء وتعملوه ﴾

﴿ امسكوا آذانكم عن التصنت لأبواب غيركم ﴾

﴿ امسكوا أفواهكم عن قول الكذب والزيف والتأويل ولا تحبوا الأباطيل ﴾

﴿ امسكوا ضمائركم عن ظنون السوء والبغض والتفرقة ، ولا تدعوها تحل أفئدتكم ، لأن الذي في قلبه بغض لا يعد مسلمًا ﴾

﴿ امسكوا أيديكم عن ارتكاب القتل وعن السرقة ﴾

﴿ امسكوا أجسادكم عن معاشرة أزواج الآخرين ﴾

﴿ امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان ﴾

﴿ امسكوا أرجلكم عن السعي في السوء ﴾

﴿ ولا تشتروا الدنيا إذ هي دار فساد ﴾

﴿ ولا تهبوا أنفسكم لملوك وسلاطين ومردة هذه الدنيا ﴾

﴿ ولا للذهب والفضة ، ذلك يرميكم بالأذى ويجعلكم وقودًا للنار حامية ﴾

﴿ أمرناكم أن تسمعوا صوت الله في قيامكم وقعودكم وذهابكم ومجيئكم ، وفي ضجعتكم وراحتكم ، وفي جميع الأعمال التي تعملون ﴾)[1].

---

١ ناجية المراني : مفاهيم صابئية مندائية ، ص ١٨-٢١

أما تعاليم النبي يحى عليه السلام، فتقول:

﴿ أيها المختارون الصادقون المحبون للإيمان الحق ، اعملوا كعُمالٍ يعمرون الأرض ، ويرفعون بأجوائها النبات ، إن الله وهب المختارين الصادقين ، قوةً وثقةً ومعرفةً وفهمًا وحكمةً وتمييزًا وعلمًا وثباتًا وصلاةً وتسبيحًا ، وأجرًا صادقًا ، وملكًا طيبًا ، وآياتٍ مشرقةً ونورًا وإتقانًا وطهرًا وزكاةً وسلامًا ومغفرةً وتوبةً وفكرًا وتواضعًا طبقًا لدين الله الحي الرحيم الحق ﴾

ويوصي عليه السلام

﴿ رأس دينك ألا تدنس كلماتك بالكذب والأباطيل ﴾

﴿ رأس إيمانك أن تؤمن بالله وتتقوم بكل ما هو طاهر ﴾

﴿ رأس حكمتك أن تحاكم نفسك ﴾

﴿ رأس معرفتك ألا تقبل الخلط ﴾

﴿ رأس سيادتك ألا تجعل للسوء مكانًا في نفسك ﴾

﴿ رأس سيادتك وحكمتك ألا تهزأ ولا تضحك من المسلمين[1] ﴾

﴿ رأس فهمك أن تدرك كلمات ربك وتبسطها ﴾

﴿ رأس علمك أن تعلم بكلمات طيبة ولا تخن ﴾

﴿ رأس ثباتك ألا تخاف الكلمات التي تقولها أنت ﴾

﴿ رأس صلاتك وتسبيحك أن تحب مخلوقات الله ﴾

﴿ رأس صدقاتك وطيباتك أن تطعم الجائع ، وتسقي العطشان ﴾

﴿ رأس حلمك ألا تتكبر ولا تكن غضوبًا مريدًا ﴾

﴿ رأس تواضعك أن يحفظ فمك اسم الله ﴾

﴿ رأس قوانينك أن تقنن نفسك وتتقبل كلمات الحكمة ﴾

﴿ رأس تدريسك ألا تدرس من لا يصغى لك ﴾

---

١ كلمة مسلم لم تظهر مع الدعوة المحمدية ، وإنما كانت تطلق قبل ذلك على جميع المؤمنين الصادقين

﴿ رأس غبطتك أن تحترم الناس ﴾

﴿ رأس طهرك أن لا ترمي نفسك بالأرجاس ﴾

﴿ رأس زكاتك أن تزكي نفسك من الحقد ﴾

﴿ رأس شفقتك أن تشفق على الأنفس العانية المضطهدة ﴾

﴿ رأس محبتك أن تحب إخوانك المحبين للرب والمقربين بالحق للديان ﴾)[1].

هذا ما يوصي به الدين المندائي ، بل هو جوهر الدين المندائي ، الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح ، فهل يختلف ذلك عما جاءت به الأديان السماوية الأخرى ، وخصوصًا الدين الإسلامي الحنيف ؟؟

في بداية مناقشتي للقسم الثاني من مقالة السيد الجيتاوي وهو ما يخص ما جاء في القرآن الكريم عن الصابئة ، أشرتُ إلى نقطتين أساسيتين : الأولى : إهمال الكاتب لجوهر الآيات القرآنية السمحة ، وهو ما يخص الإيمان بالله واليوم الأخر والعمل الصالح ، وناقشت ذلك بالاستناد إلى المؤرخين والمفسرين والفقهاء ، من جهة ، وإلى نصوص واضحة من كتاب (الكنزا ربا) والكتب الدينية المندائية الأخرى ووصايا النبي يحى عليه السلام من جهة أخرى.
(وأعتذر للقارئ الكريم من كثرة الاقتباسات والاستعارات ، لأنني أعلم أنها تضعف عطاء الكاتب واستنتاجاته ، وعذري بذلك أن الموضوع لا يحتمل الاجتهاد والاستنتاج الشخصي والإنشاء كما فعل صاحبنا الجيتاوي ، بل لا بد من الاستناد إلى النصوص والمصادر الموثوقة ، خصوصًا وأنني لستُ برجل دين).

أما الثانية : وهي نتيجة للنقطة الأولى ، فإن الكاتب ناقش لفظة "الصابئين" في الآيات الثلاث من ناحية موقعها من الآية الكريمة وأطلق على ذلك :التسلسل الرتبي والترتيب الزمني" وهي مناقشة لم أعثر عليها في العديد من المصادر

---

١ المصدر السابق ، ص ١٧٩

التي ذكرتها في مقالتي هذه. لهذا أوقع الجيتاوي نفسه في مطب لا يُحسد عليه، كما أوقع نفسه في أكثر من تناقض.

وأخيرًا نصيحتي للسيد جيتاوي، أن يقرأ القرآن الكريم قراءة معمقة، وأن يطلع على تفسير المفسرين الصادقين وما كتبه المؤرخون الموضوعيون المحايدون، لا أن يعتمد على بعض الآراء المتزمتة، وأن يتجنب الاسلوب الانتقائي المزاجي في اختيار بعض الاقتباسات، وأن يرقب وبإمعان في كل ما يقال إذا أراد أن يدلي بدلوه في هذا الميدان الواسع.

- **الأستاذ/ مؤيد مكلف سوادي:**

شخصية مندائية معروفة، وله عدة مقالات وبحوث حول الدين المندائي، والأحداث التي مرَّت على أبناء الطائفة، وأماكن تواجدهم عبر التاريخ، وله اهتمام خاص بالأحساب والأنساب المندائية...

له مقال منشور بعنوان "الطائفة المندائية سرٌّ البقاء"، وقد تطرق فيه إلى أن الدين المندائي كان تبشيريًا، وأصبح مغلقًا على المندائيين بسبب عمليات التنكيل والاضطهاد، ولكن لم يقدِّم لنا الأستاذ مؤيد سندًا تاريخيًا أو دينيًا يدعم هذه الآراء... وقد أثبتنا رأينا بأن الدين الصابئي المندائي لم يكن تبشيريًا لعدة أسباب تمَّ ذكرها في الكتاب.

- الطائفة المندائية سرٌّ البقاء

الطائفة المندائية من أقدم الطوائف الدينية الموحدة، وخلال تاريخها الطويل تعرض أبناؤها لشتى أنواع الاضطهادات والمضايقات، وانصبت عليهم أنواع المحن، فتشتتوا وانحسروا عن أماكن عديدة كانوا يسكنونها، واضطروا للهجرة مرارًا طلبًا للأمن والسلامة، واستقر بهم المقام أخيرًا في بطائح جنوب العراق وعربستان.

كان المندائيون قد اتخذوا لهم لغة دينية هي اللغة المندائية المتفرعة عن الآرامية الشرقية، مما ساعدهم على التكتم وتدوين كتبهم الدينية وتعاليمهم بها، ونظرًا لحبهم للسلام والحرية فقد ابتعدوا عن الحروب والنزاعات السياسية وعاشوا على شكل مجموعات قُرب مصبات الأنهار وعلى شواطئها، منصرفين لإقامة شعائرهم الدينية.

ولقد ظهرت بعد المندائية وعاصرتها أديانٌ عديدة، منها ما اندثرت وزالت، ومنها ما تزال حية تؤمن بها شعوب الأرض.

ولقد كان الدين المندائي تبشيريًا منذ ظهوره، ثم أصبح مغلقًا على المندائيين بسبب عمليات التنكيل والاضطهاد التي مورست ضدهم، فأصبحوا جراء ذلك أقلية صغيرة محصورة ضمن مناطق معينة.

ولقد تناول المؤرخون المعاصرون لهم من الطوائف الأخرى أمور دينهم بسطحية وبدون تعمق أو دراسة ميدانية شاملة، وبتشويه وتحامل في بعض الأحيان، ولكن السلطات الإسلامية، ومنذ البداية عاملتهم معاملة أهل الذمة، وبهذا عاشوا بأمن وحرية وسلام في ظل الدولة العربية الإسلامية طيلة قرون عديدة. ثم طالهم من الأذى ما طال العرب والمسلمين جميعًا على يد التتار عام ١٢٥٨م حين اجتاحوا بغداد ودمروها، فهاموا على وجوههم فارين منها بعد سقوطها، وتشتت الناجون في كل مكان، وظن الباحثون أن هذه الطائفة قد اندثرت وزالت، كما زالت أديان قبلها وطوائف، ثم تبين في العصور الحديثة، وبعد احتكاك الرحالة الغربيين بهم في البصرة وغيرها من مناطق جنوب العراق وإيران أنهم لا زالوا يعيشون ضمن مجموعات دينية عديدة، فكتبوا عنهم وشاع خبرهم لدى المهتمين بتواريخ الأديان، فزارهم عدد من المستشرقين في أوطانهم واحتكوا بهم وبرجال دينهم، واطلعوا على مدوناتهم، وقارنوا دينهم ببقية الأديان، فتيقنوا بأنهم طائفة دينية قديمة مستقلة بدينها وشؤونها وتقاليدها، ثم ألفوا عنهم بحوثًا عديدة، كما اهتم بهم في العصر الحديث كُتابٌ عرب، وكانوا منصفين في التحدث عنهم، ثم برز من أبناء الطائفة باحثون وكُتَّاب أوضحوا الكثير من الحقائق عنهم، ودحضوا الكثير من المزاعم المغرضة التي أُلصقت بهم، كما تطرقوا إلى أسباب بقائهم وصمودهم رغم عوادي الزمان، ومن هؤلاء الكتاب ابن الطائفة المرحوم غضبان رومي الذي أورد الأسباب التي رأى أنها قد ساعدت على بقائهم وديمومتهم فقال:

إن سبب بقاء المندائيين والدين المندائي يعود إلى أنهم قد عاشوا في هذه الأوطان منذ أقدم الأزمنة متمتعين بكامل حريتهم بين إخوتهم العرب، وكذلك بسبب صلة أدبياتهم وكتبهم الدينية ولغتهم وأبجديتهم باللغات السامية الحية،

وبسبب صلة القربى بين النبيين يحيى بن زكريا والسيد المسيح عليهما السلام وكذلك بسبب ورود اسمهم في القرآن الكريم ضمن المؤمنين الموحدين، ولأنهم مارسوا طيلة تلك الحقب حرفًا يدوية يحتاجها مجاوروهم ، وكذلك بسبب وحدانية دينهم وطيبة أخلاقهم، وملائمة البيئة والمناخ لطقوسهم وغذائهم.

هذا ما أورده الأستاذ غضبان رومي ، ولكننا ارتأينا التوسع بالموضوع ، والتحدث عنه بشمولية أكبر ، وإيراد أسباب أخرى لبقائهم منها : أن المندائيين هم من أبناء النور ، المناقض لعالم الظلام، بكل شروره وآثامه، فهم متمسكون بذكر الله، وبكل الفضائل، وأن ديانتهم راسخة.

▪ تعقيب:

ليس هناك أدلة قاطعة أن الدين المندائي كان دينًا تبشيريًا، وإلا ما هي الأسباب المنطقية لهذا الانغلاق الديني، ومتى حصل ذلك؟ وفي أي زمن؟ ومن أقرَّ هذا الانغلاق؟... أقصد أي نبي من الأنبياء، أو أي رجل دين له قدرة وصلاحية أن يتخذ مثل هذا القرار ، ولماذا استمر ساري المفعول لهذا الزمان، وهل يعتقد البعض أن في الأمر شيئًا غامضًا؟.

ولهذا نضع جميع الاحتمالات أمام أعيننا ، فأمَّا أن الدين غير تبشيري من الأساس، لأن آدم الرجل الأول وأول أنبيائهم يبشِّر مَنْ وليس معه غير زوجته وأولاده وأحفاده، ومنه ومن ذريته ازداد الناس وتكاثروا ، وكما يذكر كتاب (الكنزا ربا)، أن آدم كان مندائيًا، وقد أنزل الحي العظيم عليه وعلى ابنه شيتل الوصايا والتعاليم والأسماء، وفق ما ورد في هذا الكتاب المقدس، صحف آدم الأولى، واستمر الحال إلى عصر "رام ورود"، وعصر "شورياي" و"شرهبيل"، وعصر سام بن نوح ونوهوريتا... وبعد كل نكبة يفنى بها البشر على سطح الأرض؛ تُعاد الدارة من جديد، ويزداد الناس.

أما التحليل الثاني ، هو تعرضهم إلى نكبات ، وحملات إبادة ، وتضييق في ممارسة الشعائر الدينية فانكفأوا إلى الأهوار والمناطق النائية طلبًا للحماية ، وقرروا الانغلاق على دينهم والحفاظ على عقيدتهم ، ولكن بعد زوال الخطر وهجرتهم العكسية إلى الحواضر من المدن والقصبات ، وحاليًا إلى البلدان المتقدمة والمجتمعات المنفتحة ، كان من المفروض أن يعيدوا نشاطهم إلى التبشير بدينهم... ولكن أين السند الأساس المقنع في هذا الإدعاء.

كل بوث الكتاب المقدس (الكنزا ربا) لم تذكر فيها أن الدين الصابئي المندائي دين تبشيري، ويحث جميع الناس للدخول إليه ، أو أن هناك تعليمات ووصايا ترشد هؤلاء إلى كيفية دخولهم الدين الجديد... ومن ناحية أخرى فإن تعاليم أخر الأنبياء يحيى بن زكريا في كتابة دراشة يهيا (تعاليم يحيى) لم يتطرق إلى التبشير بالدين الصابئي، وكما نعرف أن الكتاب زاخر بوصاياه المباركة...

فهل بعد ذلك من يستطيع أن يسيء إلى الصابئة المندائيين كما أساء الذين أجحفوا بحقهم ونسبوا لهم أشياءً وأمورً ما أنزل الله بها من سلطان؟

التاريخ لا يرحم، ومهما حاول المتطرفون طمسها، فالنور لا يُحجب بغربال، ولا بد من وجود فقهاء منصفين من أصحاب الضمائر الحية من قول الحقيقة، وما أكثرهم من الباحثين والفقهاء المتنورين في الزمن الحديث... ولا ننسى اندفاع الشباب المندائي إلى تعلم اللغة الآرامية المندائية، لغة الكتب الدينية المقدسة، واهتمامهم بنشر البحوث والدراسات والمقالات التي تسلط الضوء على العقيدة المندائية ووحدانيتها، والتوجه إلى ترجمة الكتب الدينية من اللغة المندائية إلى اللغات الحية في العالم ليطلع عليها المهتمون بأقدم الأديان على وجه البسيطة وغرس التوحيد الأول، وكذلك ترجمة كتب الباحثين الأجانب التي تتحدث عن الدين المندائي.

إن أسباب الإجحاف المتعمد والمقصود قد تكون سياسية، أو بسبب التطرف الطائفي، خاصة بعد احتلال العراق من قبل أمريكا في عام ٢٠٠٣، والذي كان

من نتائجه تدمير البنية التحتية والثقافية والاقتصادية والصناعية والزراعية والاجتماعية عبر تخطيط مبرمج، والأدهى من ذلك هو تركيزهم على تدمير الإنسان العراقي بزرع الفتنة الطائفية والدينية والقومية بين طوائف الشعب العراقي في أكبر جريمة نكراء راحت ضحيتها الأقليات المتآخية ومنهم المندائيون والمسيحيون والإيزيديون، والذين اضطر الآلاف من العراقيين إلى ترك العراق والهجرة قسرًا إلى دول المهجر، واليوم نجد أن الصابئة المندائيين أصحاب الأرض والتاريخ قد توزعوا في عشرات الدول، ولم يبقَ لهم في العراق إلا خمرة من أبنائهم الطيبين على أمل العودة إلى وطنهم الحبيب بعد أن تنتهي المحنة والتطرف الديني البغيض، ويعاد الأمن والسلام إلى ربوعه، ويعم العدل والإنصاف بين أبنائه، وأمل العراقيين بشبابه لبناء عراق حُر وديمقراطي يُبنى على المساواة والعيش بكرامة، وهو أمل الجميع وفي مقدمتهم الصابئة المندائيون.

▪ أسباب غموض تاريخ المندائيين

مما يثير الأسى والأسف في نفوسنا نحن المندائيين هو هذا الغموض الذي يلفُّ تاريخ أجدادنا بالرغم من قِدم ديننا وطائفتنا، لذلك نرى أنه من الصعب الإقرار بقبول أشياء ومعلومات عن طريق الحدس والتخمين... صحيح أن أجدادنا قد تركوا خلفهم آثارًا تدلُّ عليهم تتمثل بالكتب الدينية المقدسة أولاً، وبالأحراز والأواني الفخارية والمعدنية واللفائف وغيرها ثانيًا في المناطق التي انتشروا فيها في شمال العراق ووسطه وجنوبه في عصور سابقة، والتي يوجد بعضها الآن في المتحف العراقي، والبعض الآخر لا يزال مطمورًا ينتظر من ينقِّب عنه ويكشف أسراره... إلا أن هذا الذي تركوه لا يزودنا للأسف بمعلومات تاريخية مفصلة وافية تمس حياة المندائيين وأمورهم الحاسمة أو الأحداث التي مرَّت بهم، فما جاء في الكتب الدينية الرئيسية كان منصبًّا بأغلبه على القضايا الكبرى، مثل نشأة الكون، وتكوين الأرض، وخلق الإنسان، وإنزال الشرائع لهدايته، وتنظيم شؤون البشر، وتوضيح الطقوس والشعائر والمدلولات الدينية الواجب إتباعها،،، الخ... عدا ما ورد في بعض الدواوين التي نعتبرها مصادر تاريخية كديوان (حران كويثا) والذي لم ترد فيه معلومات واسعة تشفي الغليل. أما ما كتبه عنهم المؤرخون العرب فنجده في أغلبه خليطًا من الأحاديث المكرَّرة غير المستندة على وقائع حقيقة واضحة، كما أنها تتميز بالسطحية التي تخلو من التمحيص والتدقيق والموضوعية، فكان بعضهم ينقل عن بعض، وقد مال بعضهم للأسف إلى تصديق أقوال خصوم المندائيين والشائعات التي روجوها ضدهم واتخذوها كحقائق ثابتة مسلمٍّ بصحتها، ونسوا أن هذه الطعون كانت قد أُلصقت بهم من قبل أعدائهم إبان الصراعات الدينية العنيفة قبل الميلاد وبعده للتشكيك بهم وإضعاف حُجتهم، كحديث أبي يوسف أيشع القطيعي، وتيودور برخوني، وابن البهلول، وغيرهم.

أما المؤرخون والمستشرقون الغربيون فقد اختلفوا بشأن منشأ المندائيين، ولم يقدِّموا شيئا واضحًا عنهم، فقال بعضهم بأنهم غربيون هجروا موطنهم الأول في بلاد الشام واستوطنوا بلاد الرافدين بسبب ظروف قاهرة ومصائب جائرة انصبت عليهم قبل الميلاد وبعده بقليل، بينما قال آخرون بأنهم عراقيون أصلاء يمتد تاريخهم عميقًا في الزمن في هذه البلاد... وقد اختلف هؤلاء المؤرخون حتى في تسمية المندائيين.

هذا، ويجب أن نعرف بأنه ما من طائفة أو دين تعرض إلى الاضطهاد والأذى مثلما تعرضت له هذه الطائفة وهذا الدين، سواء حين كانوا في بلاد الشام أم في بلاد الرافدين، والشواهد على ذلك كثيرة، وقد ضاعت أكثر مؤلفاتهم بسبب هجراتهم المستمرة التي اجبروا عليها لأنهم كثيرًا ما كانوا يعمدون إلى طمر كتبهم في المغاور وفي التربة أثناء حلول الخطر واضطرارهم للهرب، فأفسدتها الرطوبة والحشرات والبلى، وما مخطوطات (قمران) عنا ببعيدة حين وقعت بعد قرون من إخفائها بأيدي أناس تتعارض مصالحهم مع ما ورد فيها من حقائق تاريخية فعمدوا إلى إخفائها والتعتيم عليها...

وتجاه كل تلك الإضطهادات والمضايقات والتنكيل اضطر ما تبقى من المندائيين إلى الانكماش والانزواء في بطائح جنوب العراق، حيث وجدوا الملاذ الآمن وضرورات الحياة من ماء وغذاء.

نعود فنقول بأن تاريخ المندائيين يلفُّه الغموض، وكان ذلك لأسباب عديدة منها ما تسبب بها خصومهم حين عمدوا إلى طمس حقائق كثيرة تخصهم، ومنها ما تسبب به المندائيون أنفسهم بسبب عزوفهم عن تدوين ما مرَّ بهم من أحداث بدقة ووضوح، ولهم العذر في ذلك؛ فهم وبعد ما أصابهم من الإحباط لجأوا إلى الانزواء والعزلة، وانغلق دينهم عليهم بعد أن كان تبشيريًا، واتجهوا نحو القضايا الروحية العميقة ينهلون منها، في الوقت الذي كان فيه الوازع الديني هو المسيطر عليهم وهو الأساس في كل تصرفاتهم، ففلسفة دينهم تعتبر هذه

الدنيا وفترة حياة الفرد فيها ما هي إلا معبرٌ أو طريق إلى الحياة الروحية الخالدة في عالم الأنوار ، ومن هنا كانوا قليلي الاهتمام بحياتهم الدنيوية فمالوا إلى التقشف والبساطة والزهد والقناعة منصرفين للعبادة خاشعين لعظمة الخالق ساعين لفعل الأعمال الصالحة التي تشفع لهم يوم الحساب وتقرِّبهم من رضا الله ، ولم يفكروا يومًا بإقامة كيان سياسي خاص بهم ، بل أن تاريخهم يشهد بأنهم عاشوا دائمًا كأقلية دينية في ظلِّ حُكَّام عادلين أقوياء أمناء ، أو في ظل دول ومؤسسات بسطت عليهم حمايتها ورعايتها...

وما دام الأمر هكذا ، وما داموا لم يفكروا بتكوين دولة ؛ فما حاجتهم إذن لكتابة تاريخ ؟ فالمعروف أن التاريخ يتصل أول ما يتصل بالقضايا المادية الواقعية من تخطيط للحدود وإنشاء للحكومات وتكوين للجيوش وتنظيم للأمور الإدارية والمالية... الخ ، والمندائيون كما قلنا بعيدون عن التفكير بمثل هذه الأمور الدنيوية.

أما تجمعاتهم في الطيب وحران ودشت وميشان وميديا وغيرها من المناطق فلا تعدو أن تكون تجمعات دينية لم ترقِ لمستوى دول ، بل هي بالأحرى مناطق آمنة استوطنوها عندما كانوا كثرة غالبة ، فنظموا أنفسهم يقودهم رجال دينهم الذين كان هدفهم جمع كلمتهم وإرشادهم وتوجيههم ودرء الخطر عنهم والمحافظة على جوهر الدين.

إذن فان الذي جمع المندائيين ووحَّد مصيرهم منذ أقدم العصور هو هذا الشعور الديني القوي ، وهذا الرباط الروحي العميق ، إضافة لروابط القرابة والدم... فاسترشدوا بمبادئ دينهم وتخلقوا بصفاته السامية وأصبحوا بذلك موضع احترام كل من اختلط بهم وعاش بجوارهم.

▪ تعقيب:

وهذه حقيقة تاريخية، أن المندائيين لم يؤسسوا دولة أو إمارة بالمفهوم المتعارف عليه، وعاشوا حِقبًا من الزمن غير مستقرين، وطلبًا للأمان الذي يفتقدونه بسبب تحريم دينهم الشديد إلى استخدام السلاح وقتل الإنسان مهما تكن الأسباب، ولهذا التجأوا إلى المناطق النائية وعمق الأهوار ذات المياه البهية في العراق وإيران، حيث الرطوبة العالية وحرِّ الصيف اللاهب ، وعاشوا في أكواخ القصب والبردي ، ولولا محافظة رجال الدين الذين نذروا أنفسهم للمحافظة على هذا الدين وأبنائه المؤمنين، وحفظ كتبهم المقدسة في حرز أمين... لضاع كل شيء.

إن ما يُعاب ويسجل على المؤرخين أن طائفة الصابئة المندائيين نابضة بالحياة، ولازالت موجودة تحكي قصة نشوء الأديان، ويومًا بعد يوم تكشف كتبهم الدينية المقدسة أصالة هذه الطائفة الدينية ، وعمق إيمان أبنائها ، وحقيقة التزامهم بما شرعه الحي الأزلي من شرائع منذ فجر التاريخ، وغيرها الكثير ، من الممكن من المهتمين بهذا الإرث الديني والإنساني التواصل معهم والإطلاع على عقيدة هذا الدين؛ غرس التوحيد الأول، ومشاهدة ومتابعة طقوسهم وعاداتهم وطباعهم لتكون الصورة عنهم أوضح وأدق ، وتعكس رغبة للمعرفة والتواصل مع الجذور الإنسانية

▪ الصابئة ودورهم الحضاري

هناك فارقٌ كبير بين كتابة التاريخ وفق منهج سردي مجرَّد، وبين منهج تحليلي مدروس لبنية الذات الحضارية، ولكي نستوعب الحركة الفاعلة لهذا البناء الحي وقوة تأثيرها في بنية الحضارة، يتوجب على الباحث أن يدقِّق ويصل إلى مدركات حقيقية، ولا يتوقف في بحثه عند سطوح الحوادث.

وبعيدًا عن الإعجاب الانفعالي والتعصب، نجد أن للصابئة دورًا فاعلاً ومؤثرًا في هذه السيرورة لا يمكن إغفاله، لكونهم عربا خلصاء جزرين يرجع وجودهم إلى تاريخ موغل في القدم، ويتصل نسبهم بـــ(آرام) ابن سيدنا (نوح) عليه السلام، الذي لقَّنهم الناموس الأكبر (الكنزا ربا) الذي نجد فيه روح جميع الأديان السماوية وتعاليمها.

يقول عنهم الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" : " والصابئة كلهم يصلون ثلاث صلوات، ويغتسلون من الجنابة ومن مسِّ الميت، ويحرِّمون أكل الخنزير والكلب، وينهون عن السكر في الشراب، ولا يتزوجون إلا بولي وشهود"...

إلا أن الشهرستاني يقول في موضع أخر : "وفي اللغة صبا الرجل، إذا مال وزاغ، ولزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة" !... وهذا تخريج تنقصه الأمانة ويرفضه منطق التاريخ لأن التسلسل السُلالي يقول: "إن الصابئة يُنسبون إلى صابي بن متوشلح بن إدريس بن سيدنا نوح الذي كان على الحنفية الأولى" وهذا صحيح يؤيده أصل تسمية (الصابئة) لأننا نجد : "أن مدينة (مارب) وهي أشهر مدن اليمن كانت تعرف قديمًا باسم (سبا) نسبة إلى سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك هذه الأسرة السبئية... وبالتحقيق الدقيق نجد أن التسمية (صبا) و(صابئة) هما تصويت حديث للكلمة (سبا) و(سباي) القديمتين ونجد أن مدينة (مارب) هي الأخرى تصويت حديث لكلمة (ما–ربا) الآرامية التي يتحدث بها الصابئة، والتي تعني (الماء العظيم)... ونستنتج من ذلك بأن

الصابئة هم الذين بنوا (سد مارب) وأقاموا حضارة عظيمة في جنوب الوطن العربي منذ أزمان موغلة في القدم.

وإذا رجعنا إلى بعض الكلمات الصابئية التي ذكرتها الأستاذة ناجية مراني في كتابها، مثل كلمة (سبا) تعني (شبع) بالعربية و(مصباتا) تعني (صبغ، تعمد) وهذه الكلمات بالحقيقة اشتقت عن صفات السبايين الذين كانوا على جانب كبير من الشبع والغنى، والاهتمام بالموارد المائية من أجل التطهير والري، مثل ما كان الناس في العصر العباسي يصفون الكريم والسخي بـــ(فلان برمكي) نسبة إلى البرامكة. أما تسمية الصابئة بـــ(المندائيين) التي تقول عنها الليدي دراور: "بأن سواد الصابئة يسمون بالمندائيين، أي المعرفيين أو أصحاب العلم... وهذه التسمية أيضًا اُشتقت من صفة الصابئة المعروفين بالحكمة والذكاء، إلا أن هذه التسمية بالتأكيد قد جاءت من اتباعهم للنبي (مند) الذي لا يزال مكانه يعرف بـــ (تل النبي مند) قرب منطقة (قادش) التي تعرضت إلى غزو فرعوني في عهد (الحيثيين) عام ١٢٠٠ ق.م".

ونرجع إلى (المسعودي) وكتابه "مروج الذهب" الذي يقول فيه : "أن السمنية طائفة انتحلت البوذية وانتشرت في المناطق العربية مثل الشام والعراق، وأيضًا تسربت هذه النزعة إلى الصابئة"!. وهذا عكس ما تشير إليه الدلائل التاريخية، لأن المعروف أن اللغة الآرامية – وهي لغة الصابئة – قد انتشرت وفرضت وجودها بعد سقوط بابل عام ٥٣٩ ق.م. على يد الإمبراطور الفارسي قورش، واستمرت لغة للعلم والتجارة والأدب والعلاقات الدولية، حتى اضطر موظفو الدولة إلى تعلمها واستعمالها في المراسلات إلى جميع الولايات من مصر غربًا وحتى بلاد فارس والهند وبهذه الطريقة ومن خلال انسياح الاراميين (الصابئة) إلى بلاد فارس والهند، ونشاطهم التجاري والتبشيري تركوا آثارهم اللغوية والدينية على شعوب هذه البلدان، وليس كما توهم (المسعودي). كذلك نجد أن البابليين والاكديين كانوا يرون في الماء مصدرًا للحياة.

- **تعقيب:**

كلمة "مندائيون" تعني "المعرفيون الذين عرفوا الله بالعقل" ، والمعرفة تسبق الإيمان... أما كلمة "صابئة" فهي وصف ورد في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات ، وعرب الجزيرة يقولون إنها كلمة عربية من الفعل صبأ ، وتعني من ترك دينه واتخذ دينًا آخر.

أما المندائيون فإن كلمة صبأ كلمة آرامية وتعني من اصطبغ، أي تعمد بالماء الجاري ، وطقس المُصبْتَا اشتقاق من الفعل صبا ، ويستعمل العراقيون كلمة صبَّ بكثرة في حياتهم اليومية، مثال ذلك: صب الماء، صب الشاي، وغيرها. فمعنى الكلمة هي الأقرب إلى طقوس الصابئة وهم يجرون شعائرهم في الماء الجاري، ويصب رجل الدين الماء فوق رأس المصطبغ (المتعمد).

وفي كل الأحوال هيَّ صفة ، فهؤلاء القوم الموحدين ، والذي يعاشرهم ويطلع على كتبهم وطقوسهم وشعائرهم ، يتأكد له بالدليل القاطع أنهم من أشد المتمسكين بوحدانية الله، فهم يسبحونه ويعظمونه ويمجدونه، لأنهم جذر التوحيد الأول ، وأول الأديان المنزلة ، وأن آدم رأس السلالة البشرية ؛ أول أنبيائهم ، وأن يحيى أخر أنبيائهم.

- الأستاذ/ حامد مغشغش السعدي:

شخصية معروفة بين أبناء طائفته المندائية، وهو أستاذ متمرس واسع الاطلاع، ويجيد اللغة العربية والإنكليزية إجادة تامة، وقام وبالتعاون مع أخيه الدكتور قيس مغشغش بترجمة كتاب (الكنزا ربا) من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية، ليفتح بذلك آفاقًا جديدة للإنسانية... وسبق أن كتب وترجم عدة مقالات وبحوث في شتى المجالات، ومن ضمنها نشر كتاب (محلة الصابئة المندائيين في سوق الشيوخ) إحدى أقضية محافظة ذي قار، تحدث فيه عن حياتهم وتقاليدهم وذكرياتهم في هذه المدينة العريقة... وكذلك عمل الأستاذ حامد في صفوف الطائفة وترأس مجلس الشؤون العام في بغداد في ١٩٩٦ – ١٩٩٧، ورئيس تحرير مجلة آفاق مندائية في عام ٢٠٠٠.

▪ الصابئة المندائيون والغرب

شهدت أوروبا في عصر النهضة ازدهارًا حضاريًا كبيرًا في العلوم والفنون والعمارة والتجارة، وتبعًا لذلك فقد ازدهر رأس المال الذي راح يبحث دومًا عن المزيد من الربح في العالم الثالث، العالم المجهول، الذي يتطلب استكشافه والوصول إليه روح المغامرة، وقد عرف التاريخ الكثير من المغامرين الذين ساعدتهم حكوماتهم وجهزتهم بالسفن والمال والسلاح.

لقد بدأ في تلك الحقبة نشاط متسارع لبناء سفن بغية نيل قصب السبق في احتلال العالم الآخر ونهب ثرواته من الذهب والفضة وتوابل الهند وحرير الصين، وقد كان البرتغاليون بقيادة (فاسكودي غاما) في مقدمة الدول، حيث أبحرت سفنها التي لم تعرف قوة البخار عهد ذاك بل كانت البوصلة والإسطرلاب الوسيلتين الوحيدتين لإرشاد السفن عبر البحار والمحيطات، ثم جاءت بعد البرتغال أسبانيا، هولندا، وبريطانيا.

كانت تلك الأساطيل تصطحب معها بعثات لغرض التبشير بأركان الديانة المسيحية وكسب المزيد من الناس ؛ أنَّى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وقد لفت الصابئة المندائيون في العراق وإيران وبالأخص البصرة والحويزة تحديدًا أنظار البعثة التبشيرية البرتغالية الذين اعتقدوا أن هذه الطائفة هي فرقة هراطقة شذوا عن المسيحية وضلوا طريقهم وشاب طقوسهم الاضطراب والتداخل، وأن بإمكانهم إعادة هذه الفرقة إلى الديانة الأم... ولعلَّ الذي جذب انتباه واهتمام المبشرين بهذه الطائفة هو أن الصابئة المندائيين يتعمدون بالماء كالمسيحيين ويبجلون يحيى (يوحنا المعمدان) وهو ابن خالة السيد المسيح (ع) الذي نال على يديه، بأمر من الله تعالى المعمودية التي اكتمل بها ثالوثها المقدس مجسدًا بشكل حمامة، كما أن الصابئة يضعون أثناء التعميد علما (الدرافشا) وهو ما يشبه الصليب، وهم يقدسون يوم الأحد ويتخذونه يومًا لإجراء مراسيمهم.

هنا بدأ أول اتصال حقيقي لدول الغرب بالمندائيين ، الذين كانوا آنذاك بين المطرقة والسندان، فقد كانوا يدفعون من جهة الإتاوات والجزية، ويتعرضون إلى اضطهاد ولاة وحكام الباشا التركي (السلطان) ، كما أنهم كانوا يعانون من المعاملة السيئة الجائرة لولاة شاه إيران ، كما أن أحدهم حاول أن يساوم البرتغاليين وذلك بالسماح لهم بالاتصال بالصابئة المندائيين وتنصيرهم ، أو توطينهم في إحدى الجزر غير المأهولة لقاء مساعدة البرتغاليين له في احتلال البصرة، وحين لم يحصل على تلك المساعدة بادر إلى اضطهاد المندائيين وقام بحرق معابدهم وكتبهم الدينية والتراثية مما دفع المندائيين إلى أن يهاجروا إلى دول مجاورة، وقد حصل ذلك ما بين عامي ١٦٠٨ – ١٦١١ م.

يقول (إدموندو ليوبيري) مؤلف كتاب "المندائيون أخر المعرفيين":

"إن الراهب الدومنيكي (ريكولدو بنيني) ربما يكون من أوائل المسيحيين الذين اتصلوا بالصابئة المندائيين في العراق علم ١٢٩٠م وكتب عنهم ما شاهده في

العراق آنذاك، ولكن أول اتصال حقيقي للبعثات التبشيرية ونشاطاتها من أجل كسب هذه الطائفة وإعادتها إلى المسيحية بدأ عام ١٥٥٥م:.

فقد استغل المبشرون حالة المندائيين التي وصفناها أعلاه ووعدوهم بتوفير الحماية لهم من أعوان الشاه وولاة السلطان التركي، وقدموا لهم المال لدفع الإتاوات والجزية وحاولوا إجراء التعميد المسيحي لبعض المندائيين كإجراء أولي لتغيير ديانتهم، إلا أن هؤلاء الصابئة سرعان ما كانوا يقصدون النهر ليتعمدوا وفق طقوسهم الدينية المندائية، الأمر الذي جعل المسيحيين يشككون في جدوى جهودهم في كسب أبناء هذه الطائفة.

ونقدِّم هنا ترجمة لبعض رسائل رؤساء البعثات التبشيرية إلى المراجع الدينية العليا في البرتغال، أسبانيا، إيطاليا، ذلك مطلع القرن السابع عشر...

يقول الإيطالي (جيرو لامو فيشتي) عن الصابئة: "إنهم لا يعرفون عن المسيح ومريم العذراء إلا الاسم، وهم يجهلون الثالوث المقدس والأسرار الدينية، ويقولون بأن هناك إلهًا واحدًا هو الخالق، ويغتسلون بالماء (ويقصد التعميد) حيث يأتون بالأطفال بعد أيام من ولادتهم ليعمدوهم في نهر، كما أنهم لا يعرفون الأناجيل، بل يقولون إن لهم كتابًا لنبي هو أقدم من كل الأنبياء على الأرض وهو شيت بن آدم أبو البشر، وأنهم يتبعون تعاليم هذا الكتاب".

وهذه رسالة متشائمة من نائب الأسقف (برنابس) تدل على خيبة التبشيريين وفشل جهودهم التي استمرت عدة عقود دون جدوى... يقول برنابس: "لا أنا ولا الأب إغناطيوس الموجود هنا منذ تسعة أعوام لمسنا رغبة لدى المندائيين في التعميد (ويقصد التعميد المسيحي)، وفي كل مرة يذهب البعض منهم إلى البرتغال ولكنهم حين يعودون لا نرى أيًّا منهم قد أصبح مسيحيًا، عدا جنديًا بائسًا واحدًا أمضى ستة عشر عامًا في مسقط. فأعتقد أن علينا أن نرتب ترحيل المندائيين إلى المناطق المسيحية فلربما يتحولون هم أو أولادهم هناك في عملية بطيئة إلى الديانة المسيحية".

ولعل أطرف تعليق صدر بهذا الخصوص هو من قائد إحدى سفنهم فقد قال : "بعد جهود كبيرة استمرت عدة عقود في محاولاتنا مع الصابئة المندائيين، لكننا عدنا بخفي حنين".

▪ تعقيب:

إن الشيء الذي يحيِّرني : لماذا لم تزداد أعداد الصابئة المندائيين زيادة كبيرة عبر كل هذا التاريخ ؟... أيكفي أن يكون الانغلاق ورفض التبشير من جانب ، والجزية والاضطهاد والكوارث الطبيعية والمجازر التي تعرضوا لها من جانب؛ سببًا في ذلك.

هناك أقوام كثيرة تعرضت لكوارث واضطهاد لفترة من الزمن، ولكنها عادت وتكاثرت وزاد عددها، ومثال ذلك اليهود وملل ونحل كثيرة...

أنا أقدِّر عدد الصابئة المندائيين في العالم بين ستين وسبعين ألف موزعين على أكثر من عشرين دولة في العالم ، وأتصور أن المستقبل الزاهر في العلم والمعرفة لشباب الطائفة لِمَا يمتازون به من ذكاء ورغبة وطموح لنيل أرقى الشهادات العلمية ، وكذلك الاستقرار والأمان ، سيفتح الباب مجددًا لنمو هذه الطائفة واسترجاع مجدها التليد.

- الدكتور صباح خليل مال الله :

كتب د. صباح مقالاً عن كتاب الراحل الأستاذ عزيز سباهي ، حول أصول الصابئة المندائيين، الفصل الثامن... ومما جاء في المقال:

الظروف التي مرَّ بها الصابئة بعد انتصار المسلمين في معركة القادسية على الساسانيين سنة ٦٣٥م ودخول العراق في إطار الحكم الإسلامي وتعين على سكانه طبقا لأحكام الإسلام أن يعتنقوا الدين الإسلامي طوعًا أو كرهًا، إذا كانوا من غير أهل الكتاب ، أما أهل الكتاب فقد فرض عليهم دفع الجزية ، ومنهم الصابئة ، وحين فتح المسلمون العراق ، كان الصابئة كثيرين كما يشير ابن النديم ، ولم يكونوا في ميسان وحدها ، وإنما كانوا ينتشرون في بقاع عديدة في بلاد ما بين النهرين ، فعدا ما يشير إليه كتاب (حران كويثا) من وجودهم في مناطق قد حددها ، فإنهم تاريخيًا وُجدوا في حران وفي الرقة والخابور ، وفي مواقع أخرى من أعالي الفرات.

والعثور على أواني فخارية دونت عليها نصوص مندائية في نفر وخويبر (على نهر الفرات شمال قضاء المسيب التابع لمحافظة بابل) وعند سفوح جبال (بشتاكوه) في الشرق، يدلل على وجودهم في وسط العراق أيضًا، عدا وجودهم في ميسان... إن هذا الانتشار الواسع لا يؤكد كثرتهم وحدها ، وإنما يدل على حقيقة أخرى أيضًا ؛ أنهم لم يكونوا جماعة صغيرة منغلقة على نفسها ، كما غدَت من بعد أو كما كان شأن الجماعة الناصورائية الصغيرة التي هاجرت من فلسطين إلى بلاد ما وراء النهرين ، إنهم كما يبدو مروا بمرحلة كانوا فيها منفتحين على الآخرين ، ولا يرفضون ما ينتمي إليهم ، إذا رضي أن يعتنق دينهم ويتقيد بطقوسهم على نحو ما فعل فاتك أبو ماني مثلاً.

حين دخل العراق القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان يمر بأوضاع اجتماعية بالغة التعقيد، وكانت التناقضات الفكرية في المجتمع العربي الإسلامي

قد بلغت من الحدة درجة دفعت إلى انفجار حركات وصراعات اجتماعية واسعة ومثيرة شملت أعدادًا غفيرة من الناس وامتدت إلى اقاليم شاسعة ، وأحدثت أصداءً مختلفة أبرزها ثورة بابك الخرمي ، وثورة الزنج ، وحركة القرامطة... لقد هزت هذه الحركات الثلاث المجتمع من أساسه ، ونشَّطت صراعًا فكريًا واسعًا، لاسيما في العراق مركز الخلافة الإسلامية، وكانت ثورة الزنج والزط قد جرتا في ذات المنطقة التي سكنها صابئو البطائح، أي ميسان، لا بد أن تكون قد مسَّت حياتهم بلونٍ أو بآخر ، وبهذا يستنتج الكاتب بأن الصابئة آثروا الابتعاد عن مجرى الأحداث دفعًا للمخاطر التي قد تتهددهم ، وإيثارًا لنجاة، لا سيما أنهم كانوا مستهدفين بضغط متصل لحملهم على اعتناق الإسلام ، وأن ردة فعلهم كانت مزيدًا من الانغلاق على النفس والإيغال في تصليب القشرة الطقسية لمعتقداتهم.

- **الدكتور/ يوسف حبي:**

عميد كلية بابل، وعضو المجمع العلمي العراقي، وحامل شهادات عدة... ألقى محاضرة بعنوان:

- الماء... النور... الحياة... في العقيدة المندائية

يوم الأحد ٢/٧/٢٠٠٠ وبدعوة من مركز البحوث والدراسات المندائية تفضل الأب الدكتور يوسف حبي بالحضور إلى قاعة المندي لإلقاء محاضرة بعنوان (الماء... النور... الحياة في العقيدة المندائية) وسط تظاهرة رائعة من المندائيين وإخواننا المسيحيين حيث امتلأت القاعة الرئيسية والكل متلهفون لسماع حديث هذا العالم الجليل عميد كلية بابل وعضو المجمع العلمي العراقي وحامل شهادات عدة تنمُّ عن اقتداره وقابلياته الفذة...

بدأ الدكتور بتحية حارة للطائفة المندائية شاكرًا حسن الاستقبال والضيافة وتمنى أن يسجل التاريخ هذا الحدث وأن تتم لقاءات وحوارات أخرى وتستمر... وأشاد بالمندائيين بقوله: إنهم طوال قرون عديدة وهم معروفون بفضل (المندا) أي المعرفة الدينية، وأنهم قد عرفوا كيف يصمدون بوجه كل التيارات ويحافظون على معتقدهم القديم الذي يرجع إلى أولى جذور الإيمان في الأرض وقال إن العلم يكشف أن جذور المعرفة وأصول الإيمان هو في العراق، ونجده في الديانة الأقدم (المندائية) وذلك باستجلاء العمق والغور في نصوصهم المقدسة لاستجلاء وجه الله بمناسبة يوبيل عام ٢٠٠٠ م لأن الإنسان يمثل وجه الله لأنه خلق على مثاله وشبهه...

ثم بدأ محاضرته وقال إن موضوع الماء كبير جدًا فـ(اليردنة) هي أقوى الرموز لأنها ماء الحياة وهي رمزية لها معانٍ كبيرة ومرتبطة مع النور والحياة ثم قرأ ثلاثة نصوص ذكرها العالم (كورت رودولف) في كتابه النشوء والخلق الذي ترجمه الدكتور صبيح مدلول عن الألمانية... النص الأول: حينما كانت

الثمرة داخل الثمرة... إلخ. النص الثاني : حينما كانت الثمرة لازالت داخل الثمرة، والأثير داخل الأثير تكون الماء ثم الحياة... الخ. النص الثالث: من قبل أن تكون العوالم كانت الثمرة العظيمة داخل الثمرة العظيمة... الخ.

ثم قال بأن الماء له ارتباط في عملية الخلق السومرية (انيوما اليليش) وهي موجودة أيضًا في العقيدة المندائية، وبتزاوج الماء العذب مع الماء المالح خلقت الحياة... ثم أورد كلمات مندائية مثل الطماشة والرشامة والتعميد ، لأن الماء يعكس (النور) ويحافظ على الحياة، ولهذا فالمتعمد المندائي يلبس ملابس النور (الرستة).

ثم أشار إلى عملية خلق الحياة في التوراة وربطها بالنصوص العراقية القديمة كالبابلية التي جاءت بعد السومرية، والتي تشير إلى أن الإنسان خلق من مزج دم إله مع التراب، فالدم يرمز إلى النفس أو النسمة أو الحياة...

ثم قال : إن الشفافية موجودة في النصوص المندائية لأن الماء من العناصر الأساسية في تكوين الحياة، وقال بأن (النور) يوحي بالمعرفة والإشعاع التي تسمو بالإنسان إلى أقصى مدى، والمندائيون هم أبناء النور.

ثم التفت المحاضر إلى الحضور وقال بفخر واعتزاز: (أيها المندائيون يجب أن تكونوا جديرين بالحياة وأنتم جديرون بها فعلاً، لمحافظتكم على تراثكم ودينكم طيلة هذه العصور)... وختم حديثه قائلاً : (أنتم أبناء الماء والنور والحياة، فكونوا دائمًا هكذا يا مندائيين).

وقوبل بعاصفة من التصفيق عند اختتام محاضرته، ثم فتح باب الأسئلة فأجاب عنها بصدر رحب وقال : الحياة أسمى من المادة، وإنها هي الشعور العميق والخبرة العميقة الخالدة، وإنها لا تنتهي بانتهاء الحياة الأرضية، والشعور هذا موجود في كل الأديان وبنفس المصطلحات.

وأجاب عن سؤال يتعلق بالماء قائلاً: إن المسيحيين أيضًا يعمدون في الماء النقي وليس في الماء الآسن، أي في الماء الحي وليس الفاسد، وكما يفعل المندائيون تمامًا.

وقبل مغادرته أشاد بالنهضة الثقافية المندائية الحالية وتمنى لها المزيد... وودع بحفاوة بالغة من قبل الجميع.

رحم الله الدكتور الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

▪ الصابئة : تجوال في معتقداتهم وعاداتهم الاجتماعية

الصابئة مجموعة دينية تعيش في جنوب العراق بشكل أساسي حول فروع نهر دجلة مثل الكحلاء والمشرح والبتيرة، وبعضهم يسكن على ضفتي نهر الكارون في إيران فهم ديانة مائية، بمعنى أن منتسبيها لا يعيشون إلا حول الماء بسبب ارتباطهم الطقسي به منذ نشأة هذا الدين.

يؤمن الصابئة المندائيون بالإله الواحد، وبأن آدم سيد البشر، ويرتلون أناشيدهم الدينية باللهجة المندائية التي هي فرع من اللغة السريانية القديمة وتسمى عندهم بـــ"الرطنة".

تقول الليدي دراور التي كتبت عدة دراسات عنهم أنهم يؤمنون بالله وباليوم الأخر ، ويؤمنون بالحساب والثواب والعقاب ، وأن الابرار منهم يذهبون إلى عالم النور ، وأن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام. ولا يفرض عليهم الصوم بمعناه المعروف، إلا أنهم يمتنعون عن أكل اللحوم حوالي خمسة أسابيع متفرقة على طول السنة. وتشير دراور إلى أهمية معرفة الدين الصابئي لأن ذلك يتعلق بدراسة الأديان الأخرى ، فدراسة هذا المعتقد توضح لنا ملتقى التوحيد القديم بالوثنية القديمة.

ويعتقد بعض المسلمين أن سبب تسميتهم بالصابئة أنهم "صبئوا" عن الدين الإسلامي، إلا أن ذلك ليس صحيحًا تاريخيًا فالصائبة يعتقدون أن سبب تسميتهم بـــ"الصبة" أنهم يصبون الماء عليهم أي يتعمدون به، وهم يسمون التعميد في لغتهم الخاصة "مصبنا"، كما أن ابن النديم يدعوهم بـــ"المغتسلة".

يقول غصبان الرومي ونعيم بدوي وهما من كبار مثقفي الصابئة ، وقد قاما بترجمة كتاب الليدي دراور "الصابئة المندائيون" عن الإنجليزية ، أن الليدي دراور درست الدين الصابئي مدة ربع قرن ، وطبعت بحثها عنهم عام ١٩٣٧ وقامت بالتعاون مع "د. رودلف ماتسخ" بتأليف (قاموس اللغة المندائية) وهو

قاموس مندائي إنجليزي طبعته جامعة أوكسفورد عام ١٩٦٣، ويعتبر المرجع الوحيد في لغتهم حتى وقتنا هذا، رغم ظهور كتب أخرى في الديانة المندائية، والصائبة المندائيون غير صابئة حران الذين يعبدون النجوم، كما أن الصابئة دينيًا لا يعرِّفون أنفسهم بهذا الاسم، بل بأنهم مندائيون، والمندائي باللغة الآرامية تعني (العارف).

وترجح دراور أن اعتماد الصابئة على الماء الجاري في طهارتهم اليومية جعلت التسمية الشعبية لهم تؤخذ من فعل (صبا) الآرامي، ومعناه يرتمس أو يتعمد.

والعلاقة بين صابئة حران وبينهم ليست مجرد تسمية تجمع بين الجماعتين، إذ هرب الناصورائيون (الصابئة الموحدون) من اضطهاد اليهود لهم في القدس وبحثوا عن مأوى لهم في جبال ميديا حيث مدينة حران حوالي العام ٧٠م، ومن حران اتجهوا بعد ذلك بسنوات إلى منطقة الطيب (الطيب ماثة) الواقعة بين واسط وخوزستان في جنوب العراق، ومازالوا هناك.

ان استيطان الصابئة في "حران" وتعايشهم مع الوثنيين فيها جعل دينهم معروفًا هناك رغم عبادة الحرانيين للكواكب، وقد اشتهرت حران أيامها بتحررها من النفوذ المسيحي واليهودي وبقائها على وثنيتها، حيث هوجمت بعد ذلك مرارًا وضُربت هياكلها الوثنية عامي ٩٣٢م و ١٠٣٢م.

يعتقد الصابئة أن جدهم الأعلى ونبيهم بعد آدم ونوح هو "سام"، وهم ليسوا فرقة من النصارى رغم تعظيمهم للنبي يحيى واعتبارهم له نبيًا أنقذهم من ضلال اليهودية وقام بالمعمودية... وهم ليسوا مجوسًا لعدم تقديسهم للنار... لكن بعض شعائرهم تتشابه مع أديان المنطقة بفعل تواجدهم القديم فيها، فهم يعظِّمون الكواكب باعتبارها تحتوي على مخلوقات حية هي أرواح ثانوية تابعة في عرفهم لأمر ملك النور وتصاحب هذه الأرواح أرواح أخرى شريرة، وهم يوجهون أدعيتهم للأرواح الخيرة لتساعدهم وتناصرهم.

إن خلاصة الدين الصابئي المندائي هي عبادة قوانين الحياة والخصب القديمة، لكن الحديث عن هذا يظل مبهمًا ينطلق من تعظيمهم للماء الحي أو الجاري الذي يسمونه (يردنه) ومن هنا يكون أحد الطقوس الرئيسية عندهم هو الاغتسال بالماء الجاري... والقانون الثاني في ديانتهم يتمثل في تجسيد النور ملكًا. وفي الدستور الأخلاقي للصابئة كما هو عند الزرادشتيين ينبغي أن يصاحب صحة ونظافة البدن والطاعة القوانين الأخلاقية... الأمر الثالث الحيوي في هذه الديانة هو الاعتقاد بخلود الروح وصلتها الوثقى بأرواح أسلافها، فوجبات الطعام تؤكل نيابة عن روح الميت وتمنح أرواح الخيرين من الموتى العون الدائم للأحياء.

- الحياة الاجتماعية والمعتقدات :

يعتبر الصابئة الزواج فرضًا دينيًا، والعزوبة خطيئة، ويدهن الطفل عند ولادته بالزبد المالح ويغسل بالماء الفاتر والصابون، وتذهب المرأة الوالدة حديثًا إلى النهر حيث تغتسل ثلاث مرات مع دعاء محدد، وتوضع حلقة السكين الدينية (سكين دولة) في خنصرها الأيمن ويوقد مصباح إلى جانب فراشها مدة ثلاثة أيام، ثم تعاود المرأة الاغتسال الثلاثي في النهر في الأيام الثالث والسابع والعاشر والخامس عشر والعشرين بعد الولادة، وتبقى في الأيام السبعة الأولى بعد ولادتها في شبه دائرة من الحصى، وتجرى لها ولولدها عدة عمادات بعد هذا.

حين يعمد الطفل يبحث عن رجل له اسم مشابه لاسمه الديني ويجري تعميده في الماء الجاري في طقوس دينية مطولة، ويعتقد الصابئة أن المقتدرة "ليليث" هي المسئولة عن سلامة الطفل قبل الولادة وبعدها، وليليث تعرف في معجم الأساطير أنها إلهة سومرية للخصب عند سكان وادي الرافدين القدامى.

لا يجوز للكاهن الصابئي شرب حليب البقر أو الجاموس إلا بعد مرور ثلاثين يومًا من ولادة البقرة الأم، ويلقن الطفل ألا يأكل لحمًا لم يُذبح حسب الأصول الدينية، وهم يعتبرون أن أكل الطير المفترس حرام، وكذلك الغراب الأسود،

وكذلك أكل الجيف، ويحرم عندهم أكل لحوم الجمل والحصان والخنزير والكلب والفأر والأرنب والقط، ويعتبر الصابئة المتدينون أن ذبح الجاموس أو البقر جريمة كبرى، ولكن ليست هناك أهمية دينية للبقرة، ويسمح عندهم بتناول أنواع من الأسماك، لكن الأفضل لدى المتدينين عدم أكل اللحوم والأسماك، بل أن عملية الذبح تقوم على أساس اعتذاري مشوب بالندم، كما أن الكتاب الديني الأساسي (كنزا ربا) يعتبر جميع أنواع القتل وسفك الدماء خطيئة، عدا الحشرات الضارة.

يمتنع الصابئة عن أكل الدجاج والبيض خلال وجبات الطعام الدينية التي تتم في الأعياد وحفلات الزواج والميلاد اكل بالإضافة إلى امتناعهم عن إهداء بيضة لجار أو لراغب فيها من خارج البيت بعد غروب الشمس، ذلك أنهم يعتقدون أن موتًا وشيكًا سيحل بالبيت الذي وهب البيضة!.

وتتم عملية ذبح الطيور والأغنام لديهم من قبل الكاهن أو شخص موثوق دينيًا (حلالي) وفق طقوس وأدعية خاصة تجرى عند الماء الجاري (النهر)، ومحرم على الصابئة ذبح النعاج، وعندما يكتمل الذبح وتُنقل الذبائح إلى البيوت بعد غسلها يعود الكاهن إلى النهر ليقرأ دعاء مغفرة الذبح.

ويعمد الصابئة القدور وأواني الطبخ في أوقات معينة وخاصة في أيام (البنجة) وهي أيام مقدسة خمسة لديهم.

- الماء الميت والحي :

يعتقد الصابئة أن الماء المقتطف من النهر يعد ماءً ميتًا لا طهارة فيه لذا رفض الكثير من الصابئة انشاء مركز عبادة جديد لهم في بغداد (مندى) يجري فيه التعميد في حوض مكشوف ماؤه مجلوب بالأنابيب، لكن بعضهم استجاب لذلك بعد أن حصل على فتوى دينية من بعض الكهنة، ومع ذلك فإن الكهنة يقولون إن الماء المأخوذ من النهر الحي الجاري في إناء طاهر يعتبر ماءً حيًّا وطاهرًا ويجوز استخدامه للعماد.

- باب وعتبة الدار لدى الصابئة :

عادة ذبح كبش كفداء عند بناء بيت جديد ، ويدفن رأس الكبش في عتبة الدار حماية لها من الأرواح الشريرة ، وعتبة الدار لديهم شيء مهم تقوم الطلاسم على حراسته ، ويدس الودع أو الفخار الأزرق فوق الباب ، كما تعلق أو تنقش في الباب أو عليه حية رمزًا للحياة ، أو دمية من الخرق فيها أزرار زرق ، وتعلق فوق الباب قرون البقر ، وعند وفاة أحدهم في الدار تدفن عند العتبة أواني أو قطع معدنية لمنع الشياطين من دخول الدار مرة أخرى.

- سر النقش بالمينا :

يشتغل الكثير من الصابئة بتجارة الذهب وصياغته في بغداد والمدن الكبرى الأخرى ، وقد انتشر كثير منهم في مدن العراق الجنوبية ليعملوا في صياغة الفضة وتطعيم الأشكال المصاغة فيها بمادة المينا ، ويعتبر النقش بالمينا سرًّا فنيًا خاصًا يتوارثه الصانع الصابئي عن أبيه ولا يعرف تفاصيله غيرهم ، حيث ينقش الرسم المطلوب على سوار الفضة أو الخلخال أو صفيحة فضية أخرى كالصحن وسواه ثم تملأ النقوش بالمينا ، وتدخل المادة المصاغة عندئذٍ وفق توقيتات خاصة في النار للتثبيت ، وتأخذ الزخارف المنقوشة أشكال الأزهار أو رسوم الآثار ، أو غير ذلك.

- طقوس الزواج :

تتطلب طقوس عقد القران جهدًا استثنائيًا من العروسين ومن رجل الدين (الكنزفره) الذي يقوم بالعقد ومن مساعده ، إذ أن أول الأمور أن تكون ملابس الكاهنين (الرستة والطبرشيل) نظيفة مطهرة تمامًا ، وأن تغسل الأطعمة التي ستقدم خلال عقد القران بالماء الجاري ، ويتفقد الكاهن ملابس العريس البيضاء ويتأكد من ترتيبها على الوجه الصحيح قبل إجراءات العقد ، ويرسل الكاهن (الكنزفره) مساعده إلى العروس ليسألها رسميًا أمام الشهود إذا كانت راغبة بالزواج من ذلك الرجل ، فإذا وافقت وضع في خنصريها خاتمين حجرهما

أحمر وأخضر ، ثم يصبُّ الماء على يديها ويقدم لها الزبيب واللوز لتأكل ثم تلتحق بعريسها الواقف عند ضفة النهر ، وبعد إجراءات كثيرة وأدعية يكون فيها والد العروس أو من يمثله بديلاً لها ؛ يؤذن بلقاء العروسين ، ويبدأ أداء أغنية (يا طالي دزيوا) أي يا أشعة النور ، مع تصفيق خاص ، ثم تتقدم العروس إلى غرفة العُرس المبنية على ضفة النهر على شكل عرزال حيث يكسر مساعد الكاهن قنينة فخارية عند العتبة قبل دخولها ، وفي غرفة العرس تجلس العروس على الأرض وظهرها إلى ظهر العريس ويقترب الكاهن منهما وهو يتلو أدعية خاصة ويدق رأسيهما برفق الواحد بالآخر ثلاث مرات بين غناء الآخرين ، ثم يمر الكاهن بصولجانه على رأس العريس ثلاث مرات ويخرج لتنتهي مراسيم الزواج الدينية.

ولا يمكن للعريس أن يقرب عروسه إلا في ساعة فلكية ملائمة يحددها كشف الطالع الذي يقوم به الكاهن الاكبر ، وبانتهاء الاحتفال يمنع تماس الآخرين بالزوجين حتى يخرجا من البيت إلى العماد في النهر مصطحبين معهما كل أدوات الزواج لتطهيرها في الماء الجاري حيث يقام حفل أخر ليغدو الاقتراب من العروسين مسموحًا دينيًا.

- الصابئة والكواكب الأخرى :

يأتي تكوين العالم من قِبل الكائن الأعلى في كتاب (كنزا ربا) بعدة أشكال ، ويسمى الكائن الأعلى بأسماء متعددة منها "ملك النور" و"رب العظمة" و"الحي العظيم". وهو عندهم خالق عالم الأنوار ، وأول ما خلقه هو الماء ومن الماء النور ، ومن النور الضياء ، ومن الضياء الأرواح (أثري) ووظيفتها السيطرة على الظواهر الطبيعية.

ويتحكم أحد الكواكب في كل يوم من الأيام ، كما يتحكم ملائكة معينون بالأيام وتكون لهم صفات فلكية ، فقرص الشمس (شامس) له بحارة من سبعة أرواح (أثري) نورانيين ، ويقول كتاب (ديوان أباثر) إن الأرواح (الأثري) هي زهير

وزهرون وبهير وبهرون وسار وسروان وتار وتروان ورابيا وطاليان، وبذلك يكون عددهم عشرًا ، وفي هذا الكتاب يظهر المطهر وذمة زورق القمر والأثريون الجوالون بين الكواكب والنجوم مثل رواد الفضاء.

الدين الصابئي المندائي دين قديم اختلطت فيه التأثيرات البارسية والبابلية القديمة بتأثيرات الأديان الموحدة، وقد ظلت كتب الصابئة الدينية بعيدة عن الترجمة حتى قام نفرٌ من شبابهم وشيوخهم بعد أن لمسوا حماس المستشرقين وعلماء الأديان لذلك، فترجموا تلك الكتب عن المندائية والإنجليزية والألمانية والفرنسية، وبذلك اتضحت أسرار هذه الديانة التي كانت غامضة حتى عليهم ومنهم الصابئة قبل غيرهم دلائلها ونصوصها التي كانت قاصرة على الكهان دون غيرهم، ومازالت البحوث حول المعتقد المندائي تتابع للكشف عن أسراره وعلاقته بالأديان الأخرى.

- الناصروثا علوم الفلسفه المندائية

تعرف "الناصِروثا" بأنها : علوم التبحر في الدين والفلسفة الروحانية، عميقة الجذور إلهية حق، علوم الحقيقة الكامنة والمعرفة اللامتناهية وكلمات الحق والصدق الأسمى. جُلبت من كنز عوالم النور الأزلية وأعطيت للنفس التي دخلت الجسد المادي عند إتمام خلقه؛ لتكون لهُ السلاح النوراني الذي به سوف تقاوم الشر والظلام القابع في العالم ألفاني (آلما اد تيبل) العالم الارضي؛ علوم أزلية موجودة بوجود سيد العظمة (الحي العظيم، هيي قدماي) متسربلة بأشعتها وأضويتها الذاتية في سكينة تامة؛ لم يحين الموعد بعد لتخرج من سكينتها، لأن الآدميين لم يخلقوا بعد لاحتوائها. وعندما حان موعد خلق الآدميين نادوا على (الناصِروثا)، فارتفع النداءُ (بالدعاء والتسبيح) عاليًا ليصل الكون الذي هو فوق جميع كل الأكوان وإلى العالم الذي هو فوق جميع كل العوالم لِيصل إلى كنوز النور، وبأمر سيد كنوز عوالم النور (هيي قدمايي، الحي العظيم)، انطلقت (الناصِروثا) وتمددت ملئ الأكوان والعوالم عابرة الزمان والمكان لاحتضان

النفس (النشماثا) وبالتالي احتوائها جسد الطين الفاني... من هنا بدأت رحلة (علوم الناصِروثا) إلى العالم المادي ، وستبقى مع الآدميين لحين خروج أخر نشماثا طاهر من هذا العالم، حين ذاك يأذن (الرب الله العظيم) لها بالعودة إلى بيت أبيها الذي جُلبت منه.

الناصِروثا طريق سهل وطيب لعودة النفس الطاهرة (نشماثا)الى عوالم النور السامية.

ومن وصايا الرب للمؤمنين : **(سلِّحوا نفوسكم بسلاحِ أمضى من الحديد ، سلاح الناصوراثا وكلمات ربكم الصادقة).**

بهذا العلم والتبحر بفلسفته اللاهوتية يكون الناصورائي المؤمن ؛ قد وصل إلى أعلى درجات التصوف "الزهد في الدُنيا" ، ونكرانها ونكران مغرياتها وملذاتها الوقتية المزية، لأن فلسفته الروحانيه قد فتحت أبواب عقله وفكره، وحرَّرته من كل سيطرة وعبودية ممكن أن تلحق به من هذا العالم، بعد أن استطاع تحقيق توازنه المختل ، بين طبيعته الانسانية المادية بما فيها من قوى سالبة المتمثلة بــ"الغرائز والشهوات والحواس" ، وبين طبيعته السماوية النورانية المتمثلة بعناصرها الإيجابية كــ"الحب والعطاء والإيمان" ، واستطاع أن يرسم طريق حياته المثالية التي يحياها في هذا العالم. وطريق حياته هذا سوف يؤدي به إلى الوعي وتفتح طاقاته الباطنية وإمكانياته الإنسانية ، كالعمل والنظام والصبر وبرؤية واضحة تفهم كافة الأمور الحياتية...
ولنا في قول الحي العظيم طريق ينير بصيرتنا :

(باسم الحي العظيم
أحببتُ العدل منذُ أحببتك
وأحببتُ الحقَّ منذُ حببتك
منذُ يوم عرفتك ، عرفتُ أن الدنيا باطلة
وأن جميع نِعمها زائلة

صرتَ أحبّ إلي من أبي وأمي
أحبّ إلي من أخواتي وإخوتي
ومن أبنائي و زوجتي
لم تعُد تهُمني الأموالُ ولا القصور
لم تعُد تهُمني الثيابُ ولا العطور
لا الجاهُ ولا السلطان
إني وجدتُ نفسي.....فمالي وللأكوان)[1]

(باسم الحي العظيم
يا سيدي المالك العالي للنور
الذي عيناه مفتوحتان ، تبحثان عن العدالة
والذي يضع العدالة لهؤلاء الذين يحبونه
وينفذ العدالة على هؤلاء الذين اضطهدونا
وعلى المضطهدين الذين يلاحقوننا
وعلى الشريرين وعلى الغاضبين.
الذين يحتالون لعمل الشر علينا.
إذا كنا نرضيك يا مالك النور العالي
انظر إلى هذه النفس التي تؤمن بك
ومن أجل اسمك حضروا على الأرض واضطهدوا.
أرنا الهواء الطاهر
كي ننسى اضطهادنا الدنيوي
حتى ننسى اضطهاد الأرض
وإغاظة الشريرين والكذابين
قوِّ بصيرتنا وصوتنا ويقظتنا وتسبيحنا
لأننا بهذه الوسيلة نستطيع أن نصلك أيها الحي العظيم
من البداية إلى النهاية)[2]

---

١ كنزا ربا اليمين ـ من نص حب المؤمن للحي
٢ من النص ١٨ من كتاب التعميد

تعتبر بشرية السلالة الاولى لنبي آدم - مبارك اسمه - من أولى السلالات الناصورائية ، ونواة الديانة المندائية من بذرة حكماء أنقياء اجتمعت فيهم كل عناصر علوم الناصِروثا ؛ مما جعلهم يمتازون بالمقدرة الروحانية الفائقة في البصيرة والتعمق الروحي والتبحر في الدين إضافةً للمقدرة الجسمانية والصحية كُشِفت لديهم الكثير من أسرار النفس والذات ، وأسرار علوم السماء والأرض ؛ وممارستهم لهذه العلوم السامية في حياتهم الروحية والعملية فتحت لهم ألابواب اتصال روحانية بين عالمهم المادي والعالم الفوق المادي (النوراني) ما جعلهم على ثقة وإحساس تامين بمعانقتهم للحياة الابدية الخالدة[1].

ويطلق اسم (الناصورايي) على الروحانيين (رجال الدين) الذين يراعون تطبيق الأحكام والأوامر الدينية قبل غيرهم ، والمؤمنون الحقيقيون (النقاة) ؛ فالناصورايي هم الأشخاص الذين يفهمون (الناصيروثا) التي هي فلسفة الديانة المندائية، (كان النبي يحيى (ع) ناصورائيًا وكذلك والداه، والسيد المسيح أيضًا ذو معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم).

وكلمة (ناصورائي) من الجذر السامي (ن ص ر) ويعني (راقب ، حدس ، صان) وفي الأكدية نجد معناها نفسه في طقوس الكهنة الأكديين ، وفي البابلية (nasaru) بمعنى (مراقبو السماء أو حافظو الأسرار) وفي العربية (نصر ، ونظر) وفي العبرية نصر (نطر) فالصيغة المندائية تعود إلى الصيغة الآرامية القديمة العهد ، لذالك لا يمكن أبدًا إرجاع كلمة ناصورائي المندائية إلى المصطلح السرياني (ناصُرايَ، ناصري) أي مسيحي (نصراني)، ومن ناحية أخرى اعتبر الباحث ألماني (ماتسوخ) بحق أن لفظة (ناصورائي، ناصورايا) هي الدليل القاطع على قِدَم الناصورائية المندائية وأصلها.

تتمتع الفلسفة المندائية بخاصية عظيمة تجعلها ثابتة وكريمة ، ومحافظة على نقاء جوهرها لا تخضع لأحكام الزمان والمكان ، ما ان يصيبها اضطهاد ، أو

---

١ كتاب "النبي يحيى بن زكريا نبي الصابئة" : إعداد وترجمة الأستاذ الدكتور صبيح مدلول السهيري

أذى دنيوي المتمثل بقوى الشر، والظلام على مر الدهور والعصور حتى يظن البعض انها قد تزول، تنبعث مجددًا من بين الفوضى والاضطراب، كاشفة عن أشعتها النورانية، وأسرارها العظيمة بكل قوة وفخر، مبشرة أحبابها بالأمل والاطمئنان والإنقاذ الأبدي من الخراب الدنيوي؛ لأنها متجذرة، والجذرُ لا يموت أبدًا.

(مبارك أنت { الناصِروثا } الذي منك تعلم المختارون)[1]

من مواعظ النبي يهيا يوهانا (يحيى بن زكريا) عليه السلام للناصورائيين الصادقين والمؤمنين...

" إذا أصبحت ناصورائيًا، فكلّ فضيلةٍ من فضائلكَ سلاحٌ
يعينُ باهري الصدق أنك تعينهم بالإيمان والاستقامةِ
والمعرفةِ والحكمةِ، وا لتعليمِ، والرجاءِ، والصلاةِ
والتسبيحِ، والصدقةِ، والطيبةِ، والتواضعِ، والإتقانِ
والرأفةِ، والحنانِ، والتبصر، ومحبةِ الحق)[2]

---

1 مقطع من دعاء النبي سام بن نوح (ع)

2 كنزا ربا اليمين - الكتاب التاسع

▪ الإجحاف الفقهي و القانوني بحق الأطفال

في العراق تعيش عدة طوائف تنتمي إلى عدة أديان متآخية مع إخوتهم المسلمين عبر تاريخ مشترك ، وهذه الأديان الموحِّدة مثل الصابئين واليهود والمسيحيين سبقوا الدين الإسلامي بقرون... ولكن في الآونة الأخيرة تمَّ تشريع قانون البطاقة الوطنية من قِبل البرلمان العراقي، وخصوصًا المادة ٢٦ منها، مما أثار حفيظة الأقليات الدينية في العراق ، إذ جاء في هذه المادة : (يتبع الأولاد القاصرين في الدين من اعتنق الدين الإسلامي من الأبوين)... بمعنى إذا خرج أحد الأبوين من دينه وأعلن إسلامه ؛ فإن الأولاد يتبعون الأب أو الأم التي أسلمت، دون اعتراض، وهذا الأمر تعتبره الطوائف غير المسلمة التي تعيش في العراق إجحافًا بحقوقهم ، وتهديدًا خطيرًا لمستقبل التعايش السلمي بين الطوائف المتآخية، وفتح باب لا ينغلق للمتعصبين الذين يحاولون بشتى السبل أسلمة المجتمع العراقي وتهديد الطوائف الدينية المسالمة... وعبَّرت الطوائف عن امتعاضها وقلقها البالغ على مستقبل أبنائها، وترى أن الأبناء يجب أن يبقوا على دينهم إلى أن يبلغوا سن الرشد، ولهم الحق في اختيار الدين الذي يقتنعون ويؤمنون به بدون إكراه، مراعاةٍ لحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين الأديان، وتطبيقًا للآية القرآنية الكريمة ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [1] .

ويذكر بعض فقهاء المسلمين في تفسير الآية القرآنية الكريمة : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [2] ، أن الابن يتبع أباه المسلم أو أُمه المسلمة...

ويعتقد بعض الفقهاء المسلمين أن الطفل يولد على الإسلام، ولكن أبواه يجعلانه على دينهما.

---

١ القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية ٢٥٦

٢ القرآن الكريم : سورة الطور، الآية ٢١

إن التشريع الذي أقره البرلمان العراقي فيما يخص قانون البطاقة المدنية الموحدة وخصوصًا المادة ٢٦ من هذا القانون يتعارض مع الدستور العراقي الحالي، ولو نقرأ المادة ٤٩ من الدستور والتي تنص على أن: (لكل فرد حرية الفكر والضمير والعقيدة) وهذه المادة تتفق مع القانون الدولي في اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ ، فقد جاء في البند الأول من المادة ١٤ : (تحترم الدول الأطراف في الاتفاقية حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين)، وكذلك ورد في البندين الأول والثاني من المادة ١٢ : (تكفل الدول الأعضاء للطفل القادر على تكوين آراءه الخاصة حق التعبير عن ذلك بحرية في جميع المسائل التي تمس الطفل).

كذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي نصت المادة ١٨ منه على (لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم بمفرده أو مع جماعة وإمام الملأ أو على حدة).

إذن القانون الدولي يؤكِّد أن لا إكراه في الدين، ومن حق الطفل عندما يبلغ ويكون راشدًا أن يختار دينه؛ ودون أي إكراه، وأن الله سبحانه وتعالى وهب الإنسان العقل والسمع والبصر، قادر على التمييز بين الحق والباطل حتى يستطيع اختيار الطريق الصحيح.

إن كثيرًا من الإخوة المسلمين المثقفين والتقدميين ينادون بأن الإنسان حُرٌّ في اختيار دينه وعقيدته، ومن حق الطفل أن يختار دينه عندما يبلغ سن الرشد... ولكن هناك إرث إسلامي ثقيل يتمسك به عدد من الفقهاء ورجال الدين لا يستطيعون تجاوزه.

وبشكل عام فإن جميع الأقليات الدينية ترفض رفضًا قاطعًا هذا القرار، وتعده مجحفاً بحقوقهم وحريتهم، ومخالفة صارخة لحقوق الإنسان.

وقد انتقد الكثير من العراقيين ومواطني الدول العربية ودول العالم قانون البطاقة الوطنية الذي أقرَّه مجلس النواب العراقي، فيما يخص المادة ٢٦ بتبعية الأطفال لأحد الأبوين الذي أعلن إسلامه.

ولو نأخذ مثلاً على الإجحاف الذي سيلحق بالأطفال... إذا امرأة صابئية أو مسيحية أو يهودية قد زنت وارتبطت بمسلم وتزوجته، فإن أطفالها يصبحون مسلمين، ولا يحق لأبيهم الرفض... وهنا نتساءل: هل يقبل أي شرع يؤمن بالله الحي القيوم أن تزني المرأة وهي على ذمة رجل أو أن يتم إغواؤها لتطلق زوجها، والزواج من رجل آخر، وتغير دينها، ونتيجة هذا العمل الآثم... ضم أبناء الزوج المسكين من صلبه ولحمه إلى الزاني... هل شرائع الله تسري على فئة وتتغافل عن فئة أخرى؟، وهل يقبل أي شرع يؤمن بالله واليوم الأخر أن يُغْصَب الرجل من الأقليات الدينية بأن يصبح مسلمًا، ويُضُم أبناؤه إلى الدين الجديد بالقوة والإكراه، كما حدث للأسرى العراقيين من الأقليات الدينية الذين أسروا في إيران أثناء الحرب العراقية الإيرانية، وكذلك حالات الخطف وإجبار المخطوفين على اعتناق الدين الإسلامي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، والنكبة التي حلَّت بالصابئة والمسيحيين والإيزيديين بعد احتلال الموصل ومناطق أخرى من العراق بيد المتطرفين الإسلاميين... ثم ماذا عن حقوق الوالدين، وعن الإرث، وصلة الرحم، وغيرها من الأمور التي تدخل المجتمع العراقي في دوامة ومتاهات لم يحسب المشرع العراقي لها ألف حساب.

صحيح أن العراقيين عانوا من المستمسكات الأربعة والتي تتضمن دفتر النفوس (هوية الأحوال الشخصية)، وشهادة الجنسية، وبطاقة السكن، والبطاقة التموينية. وتمَّ اختصار هذه الوثائق ببطاقة وطنية موحدة، ولكن تثبيت فقرة الدين ومن منطلق أن الولد يتبع أيًّا من والديه إذا أسلم، يرى الإخوة الإسلاميون ضرورة هذه التبعية، وأهمية الإشارة إليها في البطاقة الوطنية، وهذه المادة القانونية

الجديدة ولَّدت حالة من الرفض من قبل الأقليات الدينية، التي ترى ذلك إجحافًا وظلماً وتعديًا على حقوقها، وقدمت التبريرات المنطقية والقانونية والفقهية لرفض ذلك، وقد أبدى ممثلو الأقليات في البرلمان العراقي احتجاجهم على هذا القرار المجحف واعتبروه خرقًا للدستور العراقي وللقوانين الدولية المتعلقة بحقوق الطفل والإنسان، والتي وافق العراق عليها وانضم إلى معاهداتها.

إن القرار يعكس مسألة حساسة، وهي أن العراق ليس بلداً ديمقراطيًا، ويتجه إلى التزمت الديني، وتشريع القوانين بدون المرور بالإجراءات اللازمة في تشريعها، والتي تتضمن مطابقتها مع مواد الدستور والقوانين الدولية، والأهم من ذلك تأثيرها على السلم الأهلي، واحترام مكونات المجتمع العراقي... وكل هذه الإجراءات لم تُطبَّق حين شرعوا المادة ٢٦.

إن سماحة الإسلام، وروح التآخي لجميع المكونات والطوائف والأديان في العراق، واحترام المواطنة واحترام حقوق الإنسان... تلزم جميع السياسيين والمشرعين على انتهاج سياسة معتدلة في سنِّ القوانين، طبقًا لما ورد في الدستور والقوانين الدولية، لا كما يريد المتشددون بالعودة بنا للوراء مئات القرون مستندين إلى أحاديث بعض الفقهاء، والتي تجاوزتها البشرية ونحن في القرن الواحد والعشرين، حيث أقرت حقوق الإنسان ورفاهيته وحريته وضمان مستقبله.

إن ما يفعله المتشددون من سَنِّ قوانين مجحفة، وما يقوم به الإرهابيون كانت نتيجته تهجير ملايين العراقيين إلى دول المهجر.

إن احترام حقوق الإنسان في العهد الجديد، ومعالجة أسباب الهجرة القسرية لملايين العراقيين، وسنِّ قوانين معتدلة لا تميِّز بين أبناء الشعب الواحد هو الطريق الوحيد لإنقاذ العراق من محنته، وضمان مستقبله.

▪ إجحاف الأمريكان بحق الطوائف الدينية

بلاد ما بين النهرين ، أو أرض الرافدين ، وتُسمى قديمًا "أرض شنعار... مهدُ الحضارات ، حيث تعاقبت عليها أقوامٌ عديدة ؛ لوفرة مائها واعتدال مناخها وخصوبة أرضها... نشأت عليها الحضارة السومرية والأكدية والبابلية والأشورية والعباسية... ومن هذه الأرض المعطاء ، أرض الخير والخصب والنماء ؛ تعددت الأديان والأثنيات والقوميات ، إخوة متحابون عبر التاريخ ، فهناك المسلمون ، والصابئة المندائيون ، واليهود ، والمسيحيون على اختلاف مِللهم ونِحلهم، وهناك الشبك، والإيزيديون، والكاكائيون، والعلويون، والمجوس. وهناك العرب ، والكُرد ، والتركمان ، وغيرهم... كلهم أبناء وطن واحد عبر التاريخ عاشوا حلوَ الحياة ومُرَّها ، حياة مشتركة ، حتى بعد أن هدم هولاكو المغولي عاصمة الحضارة العباسية ، بغداد ، وأثناء مرحلة الاحتلال العثماني الطويل... كلهم مواطنون عراقيون... إلى أن تأسست الدولة العراقية عام ١٩٢١م ، تحت الانتداب البريطاني ، وشُكلت أول حكومة ملكية دستورية... كان الجميع متساوين بالحقوق والواجبات... ونستطيع أن نقول إن شعب العراق أصبح متساوي مثل أسنان المشط ، ما عدا بعض الهفوات هنا وهناك... أما بالنسبة للأقليات والقوميات المتآخية في زمن حُكم البعث ، بدأت تطفو على السطح الطائفية ، ولكنها نار تحت الرماد ، وخاصة بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية ، ولكن قوة الجيش والأمن ، وقسوة السلطة كانت الأمور مسيطرًا عليها نوعًا ما ، حتى بعد خروج القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١م ، وسقوط المحافظات الجنوبية بيد الثائرين على الحُكم.

بعد حصار جائر امتدَّ لأكثر من عقد من الزمان ، واحتلال القوات الأمريكية الغازية للعراق عام ٢٠٠٣ ، وسقوط الدولة ومؤسساتها ، بحلِّ الجيش العراقي ، وقوات الأمن ، وأعمال النهب والسلب ، والقتل الممنهج من قِبل المحتلين والمتعاونين ، راح ضحيته آلاف العراقيين من الكفاءات وجميع الاختصاصات ،

وانتهاك الحُرمات وسلب الحريات ، وتعمد الأمريكان ومن لفِّ لفهم إثارة النعرات الطائفية بشتى الطُرق والأساليب ، وتشجيع العراقيين على الانضمام إلى التكتلات المذهبية والطائفية ، والانفصال في كيانات على أساس عرقي أو مذهبي ، لتقسيم العراق ، وإدخال العراقيين في أتون حرب داخلية ، وشجعت المنظمات الإرهابية على الدخول إلى العراق واحتلال أرضه وتهجير شعبه.

كانت الطوائف الدينية في العراق هي أضعف الحلقات المتصارعة في البلاد ، التي أصبحت نهبًا مشاعًا للقتلة والمجرمين ، والمتطرفين المتشددين ، وبدلاً من تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة التي وعدت أمريكا وحلفاؤها الشعب العراقي المسكين كما هو الحال في الدول المتقدمة ؛ تعمَّد المحتل زرع الفتنة والفُرقة ، وتأسيس الميلشيات المسلحة ، والتي قامت بأقذر الأدوار من أعمال القتل والنهب والسلب والانتقام والتصفية الجسدية لكل معارض لنهجهم. فأصبح الصابئة المندائيون ، وغيرهم من الأقليات الدينية ، غير آمنين على حياتهم ومالهم وعرضهم ، فاضطر قسمٌ كبيرٌ منهم إلى الهجرة مضحين بحلالهم ومالهم ، وتاركين أرض الوطن ، والأقرباء والأصدقاء ، والأحبة من الأحياء والأموات ، وأسباب الرزق والمستقبل... وحملوا ما خفَّ وزنه وغلا ثمنه ، ناجين بأرواحهم ، إلى دول الجوار... ومن هناك تفرقت العوائل والأهل والأحباب إلى دول العالم في هجرة قسرية مؤلمة ، ذهب ضحيتها آلافٌ من العراقيين ، منهم من غرق في البحار ، أو تمَّ نهشهم على أيدي المهربين المجرمين ، وقطَّاع الطرق ، وسارقي الأعضاء البشرية.

هكذا هي أمريكا ، الدولة التي تدَّعي الديمقراطية وحامية حقوق الإنسان ، ومعها بريطانيا وفرنسا وعدد كبير من الدول الأوروبية وكندا وأستراليا ، قد ألحقوا ضررًا بليغًا بالطوائف الدينية ؛ وخاصة الصابئة المندائيين ؛ وكذلك المسيحيين والإيزيديين ، ولم يستفد من هذا الاحتلال أي فئة دينية أو طائفة ؛ ما عدا الكُرد الذين أمنّوا لهم الحماية ، وتم منحهم الفيدرالية فيما يشبه الانفصال عن الوطن

الأم ، ويحاولون "فدرلة" بقية المناطق في العراق ، وصولاً إلى تقسيمه في النهاية.

وحاليًا نحن الصابئة المندائيون قد أجحف الأمريكان المحتلون بحقوقنا وتاريخنا وبكل موروثاتنا ، مما اضطرنا إلى الهجرة العشوائية في معظم بلدان العالم ، وكطائفة صغيرة في عدد أبنائها ، تجابهنا عدة مشاكل اجتماعية في قلة الزواجات وتباطؤ النمو السكاني والحفاظ على الدين المندائي من الاندثار بعيدًا عن حاضنة الوطن الأم ؛ العراق ؛ مهد هذه الديانة الأصيلة وغرس التوحيد الأول.

نحن نرنو إلى ضمير الشعوب المتحضرة في أمريكا وأوروبا وبقية الدول ، للحفاظ على الإرث الإنساني المتمثل بالأقليات العراقية ، وحث حكوماتهم على مساعدة العراق أرضًا وشعبًا من الظلم الذي لحق به ، وبناء ما تهدم اجتماعيًا واقتصاديًا وبنىً تحتية ، والمساعدة في إرجاع اللُحمة العراقية ، وبث روح الإخوة والمحبة بينهم ، وتضميد الجراح التي خلّفتها الحروب.

نرجو ألا تطول هذه الأمنيات ، وقد مرَّت سنينٌ طويلة ، ولا نعلم ما تخبئه لنا الأيام... والعلمُ عند الله.

▪ مواقف مجحفة تحولت إلى مواقف منصفة

بعد جهودٍ مضنية ومتابعة وعمل دءوب وتحديات، لمدة ثلاث سنوات من عام ١٩٩٧ – ٢٠٠٠م؛ تمَّت ترجمة كتاب (الكنزا ربا) من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، وقد شاركت نخبة ممتازة من أبناء الطائفة في هذا الإنجاز.

ومن المواقف التي صادفتنا، أنه حدث في عام ٢٠٠١ أن توفى أحد كبار السن من المندائيين في أحد أقضية محافظة الأنبار، وعند حضورنا من بغداد لإجراء المراسيم الدينية كما تقتضيها الشريعة المندائية؛ وجدنا رجل دين مسلم ومجموعة من الإخوة المسلمين يحيطون بالرجل يريدون أخذه إلى المسجد للصلاة عليه، ثم دفنه في مقبرة المسلمين... فقلنا إن هذا الرجل صابئي، ونريد إجراء مراسيمنا الدينية عليه، ودفنه في المقبرة الخاصة بالصابئة المندائيين في قضاء أبو غريب.

قال رجل الدين المسلم: أنتم لستم كتابين، بدليل أنكم لا تملكون كتابًا... ومن حسن حظنا أن كتاب (الكنزا ربا) المترجم إلى اللغة العربية قد انتهى طبعه للتو، وقد استلمت نسخة منه وضعتها في السيارة، فقلت لرجل الدين: تمهل مولانا الشيخ، سوف أريك كتابنا المقدس، فسارعت إلى السيارة وجلبت معي الكتاب وسلمته إياه، وفتح الصفحة وقرأ بوثة (سورة) التوحيد، والخاصة بتوحيد الخالق العظيم، وصفاته، وأسمائه... وما ان أكمل قراءتها حتى سارع إلى تقبيل كتاب (الكنزا ربا) ووضعه على رأسه وقال: والله هذا كلام الله... خذوا الرجل فأنتم والله على حق.

وفي عام ١٩٩٨، وكانت الترجمة في بدايتها، وكان لدينا ترجمة لـــ"بوثة" التوحيد قد طبعت باللغة الآرامية المندائية ويقابلها ترجمتها حرفياً باللغة العربية وهي أولى صفحات الكتاب المقدس (الكنزا ربا)... وزارنا في هذا الأثناء في مندي الطائفة البروفسور حسين محفوظ، مستشار المرجعية الدينية في النجف

الأشرف، وكلفنا الأستاذ الفاضل أطال الله في عمره "لعيبي خلف"، بإلقاء كلمة ترحيبية بالضيف في حضور رئيس الطائفة الريش أمة عبد الله الكنزي برا نجم رحمه الله، وأعضاء مجلس الشؤون، وعدد من أعضاء مجلس العموم... ثم قدمنا هذه النسخة المترجمة هدية، فقرأها ثم قبّلها ووضعها على رأسه، وقال: والله أشهد أن هذا كلام منزل.

وفي عام ٢٠٠١ بعد صدور كتاب (الكنزا ربا) باللغة العربية... كنا جالسين في محل صياغة السيد "نزار ياسر" الواقع في شارع النهر في بغداد، وزارنا المؤرخ الموسوعي "زهير أحمد القيسي" رحمه الله، واطلع على الكتاب المقدس وما يحتويه من بوث مباركة فقال: والله وبالله وتالله هذا كلام الله.

وفي عام ٢٠٠٥ خطف المتطرفون شخصية مندائية مهمة، وقد عاملوه بكل قسوة، بحجة أنه ليس من الموحدين، ومن حسن حظه كان يحتفظ في سيارته بكتاب (الكنزا ربا)، فطلب منهم جلب الكتاب من السيارة التي استولوا عليها والإطلاع على محتويات الكتاب... وبعد أن قرأ كبيرهم عددًا من بوث الكتاب، قال: والله إنكم من الموحدين... وتغيرت معاملتهم له بالكامل، وأطلق سراحه.

هذه شذرات من مواقف مرَّ بها أبناء الطائفة، وكان للكتاب المقدس (الكنزا ربا) المترجم إلى اللغة العربية دوراً في إنقاذ الأنفس البريئة، وفيصلاً لتحويل الإجحاف إلى إنصاف.

▪ الأغلبية والأقلية

زهير كاظم عبود

تتردد كلمة "الأغلبية والأقلية" كثيرًا في التصريحات والمقالات التي يكتبها المعنيون بقضايا الدستور والحقوق، حيث يجري تقسيم القوميات والأديان إلى أكثرية وتليها أقلية.

ولا يختلف أحدٌ من كون العراق يتشكل من قوميات متعددة وأديان متعددة أيضًا، وهذه القوميات والأديان تعايشت بانسجام وبمودة ووئام طيلة فترات طويلة من التاريخ العراقي، ولم تبرز في علاقاتها أية شروخ أو فواصل، لولا تدخل السلطات التي أُبتلي بها العراق، وطغى عليها الفكر الشوفيني والشمولي في اعتقادها بأن تغليب قومية على باقي القوميا، أو تغليب دين على باقي الأديان، أو تغليب مذهب على بقية المذاهب، وإطلاق تسمية "الأغلبية والأقلية" ضمن النصوص الدستورية سيساهم في تغييب حقيقة من حقائق الحياة العراقية.

والأغلبية تعني الأكثرية، وتشير ضمن هذا المفهوم إلى القومية العربية، وكما يشير دين الأغلبية وهو الدين الإسلامي الحنيف، وتعني المفردة حق سيطرة الأكثرية على الأغلبية من منطق أن الأكثرية هي التي تحكم.

واستمر العمل بمنهج الأكثرية والأقلية حتى اقترنت كلمة الأقليات بالقوميات الأخرى غير القومية العربية أو الكردية المميزة بثقلها السكاني في العراق، وأصبحت هذه الكلمة لازمة لقوميات تسكن العراق ولها حقوقها الدستورية وواجباتها المنصوص عليها وهي القومية التركمانية والكلدانية والآشورية، كما انسحبت على الأديان التي تدين بها (الأقلية) وهي الديانة المسيحية واليهودية والصابئة المندائية والإيزيدية.

وتضمنت النصوص الدستورية التي تمَّ اعتمادها في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية ولحد صدور قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية؛ تعابير مختلفة تدل على (الأقلية)، منها الطوائف كما وردت في عدة دساتير وكذلك كلمة (الإسلام وغيره من الأديان والطوائف).

إن إشارات خجولة مثل هذه ترد في نصوص الدساتير المؤقتة تعني أن تكريسًا للزعم بوجود مساواة بين القوميات والأديان في العراق حبرًا على الورق دون أن يتم ترجمة وتجسيد هذه الحقوق... ونحن لا نتطرق إلى مسألة حقوق الأديان والمذاهب في ممارستها عقائدها وطقوسها بما لا يتعارض مع النظام العام والآداب، إنما نعني مسألة المساواة بين القوميات المتآخية في العراق.

يتم احتساب حقوق هذه القوميات وفقًا لنسبة أعدادها من مجموع السكان في العراق، وعلى هذا الأساس فأن للقوميات غير العربية والكردية نسبة ضئيلة لا يؤشر مساهمة جدية في حقل المساواة بين القوميات في العراق، والأمر نفسه ينسحب على الدين حيث تشكِّل الأديان الصابئة المندائية والإيزيدية نسبة ضئيلة مقارنة بنسبة عدد المسيحيين والمسلمين في العراق... وعلى هذا الأساس فإن الحق سيتم تجزئته وتقسيمه وفقًا لنسب محددة، وبهذه الطريقة سيتم تغليب قوميات على أخرى، وسيتم تغليب ديانة على أخرى، مما يتنافى مع مبدأ المساواة التي وردت ضمن نصوص الدساتير الأساسية والمؤقتة وبما فيها قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية والذي أكَّد في المادة الثانية عشر أن العراقيين (كافة) - أي بمختلف قومياتهم وأديانهم - متساوون في الحقوق، وبهذا الشكل الذي يُفقِد المساواة معناها الحقيقي، ويجزِّء الحقوق إلى نِسب، سيكون لهذه القوميات والأديان نسبة من التمثيل وجزء من الحقوق بما يتناسب مع هيمنة القوميات والأديان التي تسود الساحة العراقية، وسيكون هذا التمثيل النسبي ليس له تأثير مطلقًا ولا يمكن أن يصل إلى مستوى القدرة في صنع القرار أو المساواة مع القوميات والأديان الأخرى.

ويبدو أن المعاناة التي عانى منها المواطن العراقي طيلة الفترة من تشريع القانون الأساس في العام ١٩٢٥ ولغاية تشريع قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية لم يلتفت إلى هذه الناحية المهمة، وأعني بها مسألة التعايش الحقيقي والمساواة في الحقوق.

إنَّ الإطار الديمقراطي الذي يسعى إليه جميع العراقيين يتشكل في أن يكون للجميع صوتٌ مؤثرٌ ومساهمة إيجابية متساوية في البناء المستقبلي للعراق، فمثلما يكون للعربي وللكردي يكون أيضًا للكلداني وللأشوري والتركماني، ومثلما يكون للمسلم والمسيحي يكون للصابئي المندائي وللإيزيدي ولليهودي هذا الحق أيضًا.

إن إعادة النظر في مفردات الأقليات والأكثرية تدفعنا للتفكير بمعادلة وطنية يتم إنصاف هذه الشرائح التي لم يقلّ نضالها وتضحياتها في سبيل العراق طيلة التاريخ القديم والحديث.

كما أن من حقائق العراق وجود هذه القوميات والأديان والمذاهب والتي اتفقت جميعها على إلغاء سيطرة قومية ما على باقي القوميات، فقد حولتنا السياسة الشوفينية إلى بلد تراجع في كافة مناحي الحياة، وقد آن الأوان أن نركلها إلى غير رجعة، وأن ندفع بإخوتنا من القوميات الأخرى المتفاعلة والموجودة فعلاً في الساحة العراقية، كما ندفع بالأديان العراقية الجميلة والعبقة المتآخية من أجل المساهمة الفعَّالة في رسم معالم الدستور والبرلمان العراقي القادم، بما يحقق ترجمة الحقوق المتساوية فعلاً، إذا كان الهاجس الأساس الذي يدفعنا هو بناء العراق وبدء الخطوات الديمقراطية الأولى، دون أن يكون هدفنا إلغاء الآخر واحتوائه أو السيطرة على السلطة التي لن تدوم لأحد مطلقًا.

النظام الديمقراطي والفيدرالي الذي ننتظر يوجب علينا أن ننظر بمنظار عادل ومتساوي لكل القوميات دون حساب للحجم والنسب والبيانات والخطوط والفوارز، ودون أن نضع فوارق بين الأديان في العراق.

يقينًا إن في هذه الالتفاتة الوطنية وقفة نتجرد فيها من العديد من التراكمات السلبية والمخلفات التي تركتها في نفوس العديد منها التجارب الشوفينية المريرة والثقافة الظالمة في أن تكون كل القوميات تابعة لقوميتنا، وأن تكون كل الأديان تحت سلطة ديننا، والإسلام من هذا براء.

وهي وجهة نظر قابلة للنقاش ومنطلق يمكن أن يخلق لنا أفكارًا أكثر سعة، من أجل العراق الديمقراطي والفيدرالي الذي ننشد، فقد حلَّ علينا زمانٌ جديدٌ حقٌ علينا أن نفكِّر بطُرقٍ ننصف بها إخوتنا الأكراد والتركمان والكلدان والآشوريين وحقٌ علينا أن نقرَّ ونعترف بحقوق مغبونة للصابئة المندائية والإيزيدية منذ زمن طويل، وآن الأوان أن نكشف عنها هذا التراكم الثقيل من الظلم.

▪ الدكتور/ **خزعل الماجدي:**

كاتب نشط له مؤلفات عديدة، وهو من المهتمين بالدين المندائي، وله أبحاث عديدة في هذا المجال، ويرتبط بعلاقات طيبة مع عدد من المثقفين المندائيين... وهذا الكاتب الكبير مهتم بحضارات وادي الرافدين، ومطلِّع على ما أنتجته هذه الحضارات من إرث عظيم، نشأ وترعرع على هذه الأرض الطيبة وما ساهمت به من تقدم البشرية على الأرض. وقد قاده البحث والدراسة المتعمقة في الحضارات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية، والإطلاع على عادات وتقاليد وإيمان هذه الأقوام التي أنتجت هذه الحضارات، ولأنه ابن العراق البار وقريب جدًا من أبناء هذا الوطن، فقد تقرَّب كثيرًا من حقائق كثيرة عن دين الصابئة المندائيين وأقدميته في أرض وادي الرافدين، ووحدانيته بالله... ولكن باعتقادي يحتاج إلى معايشة المجتمع المندائي بصورة أوسع، وحضور مجالسهم الدينية والثقافية، والإطلاع على كتبهم الدينية، ودراسة جوهر الدين المندائي، وقراءة دقيقة لفلسفة الشعائر والطقوس الدينية، ومعايشتها عمليًا، ومناقشة رجال الدين وعدد من المثقفين المطلعين حول الحقائق الغائبة في دراسات الدكتور الماجدي، لتكون الصورة متكاملة الجوانب حول هذا الدين الأصيل، والمؤمنين به من أبناء طائفة الصابئة المندائيين.

استقر الدكتور خزعل الماجدي في هولندا ضمن أعداد كبيرة من العراقيين المهجرين، وهو أستاذ جامعي يُدرِّس في عدد من الجامعات الهولندية، ويلقي محاضرات عديدة في كثير من الدول حول حضارات وادي الرافدين، وأن الفرص مواتية له للإطلاع أكثر على دين الصابئة المندائيين وتراثهم ومعايشهم عن قُرب بحكم تواجد خمسة آلاف مندائي فيها، ولهم مندي (معبد) في مدينة أوترخت الهولندية، ولهم جمعيات ثقافية واجتماعية عديدة في المملكة، يمكن من خلالها الإطلاع والتوسع بالمعلومات عنهم في إطار عمله الأكاديمي والتي لها بصمة واضحة في كتابة التاريخ المجيد للحضارات العراقية المتعاقبة.

يقول الدكتور/ خزعل الماجدي:

منذ صباي، كنت أنظرُ إلى الديانة المندائية باحترامٍ وإعجاب، وكان يدفعني الفضولُ بقوةٍ لمعرفة أسرارها وخفاياها لسبب ما زلت أجهله حتى هذا اليوم، وكان حبي لهذه الديانة مدعاةً لصداقات كثيرة انعقدت مع الزمن بيني وبين أبناء هذه الديانة في العراق، لقد شعروا بحبي لهم، وقد غمروني بالتقدير والاحترام.

ولعل نقطة التحول الإيجابية المهمة، في علاقتي مع هذه الديانة وأهلها، كانت يوم ألقيت محاضرتي (الأصول السومرية للديانة الصابئية المندائية) في نادي التعارف الخاص بهم عام ١٩٩٦ والتي استغرقت أكثر من خمس ساعات، ثم نشرتها في كتابي (جذور الديانة المندائية)، وقد أحدثت المحاضرة، ثم الكتاب ضجةً في الوسط المندائي، وانقسم المندائيون حولهما بين متحمسٍ ومعارض، وصدرت حولهما ردود وبيانات؛ اضطررتُ بعدها إلى إلقاء محاضرة جديدة، في المكان نفسه، لتوضيح ما التبس من القصد.

بعدها ازداد إطلاعي على الدراسات والكتب الموسعة حول هذه الديانة في اللغات الأجنبية ،وعرفتُ الكثير من خفاياها، وتعززت نظرتي السابقة لأصولها الرافدينية، فقد توغلتُ في أعماق نصوصها الدينية والأدبية، وتجلّت لي، يومًا بعد آخر، صورتها الحقيقية، وأدركت أن (المندائية) هي أخر الصفحات المشرقة لحضارة وادي الرافدين قبل الإسلام، لكن جذورها الثقافية كانت تمتد إلى ما قبل السومريين، رغم أن الدراسات الأجنبية تتحاشى البحث في هذه الجذور وتحاول زرعها في أماكن أخرى غير وادي الرافدين.!

لن أبالغ إذا قلتُ إن التراث المندائي هو أول وأخر تراث رافدينيٍّ أصيل، فقد بدأتْ به الحضارات الرافدينية مع الشعب الناصورائي الذي أسَّس مدينة (أريدو) وقد اخترق التاريخ، منذ الألف الخامس قبل الميلاد، بصمتٍ وبصعوبةٍ بالغةً منفيًا هناك على حافات الأهوار وعند فم الخليج حتى تم تدوين أصوله الشفاهية في القرون الميلادية الأولى باللغة المندائية (التي أصبحت لغته في الألف الأول

قبل الميلاد) ووضع هذه الأصول في مخطوطات كثيرة، فُقِد بعضها، وتناوب على إدامتها نُسَّاخ عظماء أوصلوها، بأعجوبة، إلى العصر الحديث.

كان إطّلاعي على التراث السومري والأكدي والآشوري والبابلي قد زودني بعدّة جيدة للخوض في مغاور الديانة المندائية، فقد أضاء لي هذا التراث الكثير من جوانب هذه الديانة التي كان إغواؤها لا يُقاوم، فهي تحملُ، من جهةٍ، ذلك التراث بكلِّ أطيافه وتحمل، في الوقت عينه، لونًا جديدًا هو نزة التوحيد التي تنفرد بها المندائية دون غيرها من صفحات وادي الرافدين.

كان هناك هاجس قوي يدفعني للقول، دائمًا، إن جذور التوحيد الأساسية موجودة في وادي الرافدين، لكني كنتُ أفتقر إلى الأدلة التي تؤكد ذلك، حتى اطّلعتُ بعمق على هذه الديانة، فتأكد ظني تمامًا، حيث أدركتُ أنها كانت ديانة التوحيد السرية في وادي الرافدين، والتي تبلور التوحيد فيها في منتصف الألف الأول قبل الميلاد، وظلت تنمو تحت العقائد الدينية متعددة الآلهة، لكنها لم تستطع تقويضها، لأنها ديانة مسالمة ومحدودة الانتشار، فظهرت ببطءٍ إلى العلن بعد سقوط بابل وتعرّف عليها اليهود والفرسُ والإغريق وأخذوا منها... وسرعان ما أصبحت (المندائية) التي ترجمها الإغريق بصيغة مصطلح (الغنوصية)، سمة العصر الهيلنستي الدينية، ثم الفلسفية... أما أهلها المساكين فكانوا يزدادون عزلةً وفقرًا قرب الأهوار في جنوب العراق.

لقد أعطت المندائية الروحَ للغنوصية التي أنعشت الفكر الهيلنستي، وهي أعظم فترة اختلاطٍ للعقائد العالمية، لكنها لم تُذكر بخير ولم يلتفت أحدٌ إلى أهلها ولم ينصفهم التاريخ، بل أن اليهودية ثم المسيحية تدينان بالكثير لها، لكنها طُويت في ثناياهما وضاع إرثها فيهما.

هكذا تبددت روح المندائية، بصمتٍ، في عقائد الهيلنستية والتوحيدية، وازدادت هذه الديانة عزلةً وغموضًا منذ ذلك اليوم وحتى وقت قريب.

▪ **الترميذا/ عصام خلف:**

يحكى عن حادثة حقيقية وقعت قبل أكثر من ١٠٠٠ عام، مفادها أن أعربيًا تاجرًا جاء يفتشُ عن شيخ الصابئة وكبيرهم، فدلَّهُ الناس على مكانهم... سار ومعه المال والإبل والماشية، إلى أن وجد أحدهم في عمله... سأله:
هل أنتَ صابئي؟
قال الرجل: نعم أنا صابئي.
قال الأعرابي: أنا أفتِّشُ عن كبيركم.
قال الصابئي: وماذا تريد من شيخنا وكبيرنا؟
قال الأعرابي: معي مالٌ كثيرٌ وإبل وماشية، أريد أن أتركها كأمانة عنده؛ لأنني سمعت عن أمانتكم؛ لحين عودتي من رحلة تجارة بعد ثلاثة أيام.
قال الصابئي: وصلت يا أخي، أنا شيخ الصابئة.
قال الأعرابي: أشكرك يا أخي الشيخ، فهل لي تأمين أموالي عندك لمدة ثلاثة أيام؟
قال الصابئي: أبشر يا ضيفنا العزيز.

سافر الأعرابي لتجارته، بعد أن ترك أمواله كأمانة لدى الصابئي... وعاد بعد ثلاثة أيام، فوجد الصابئي تاركًا عمله حارسًا الأمانة...
قال الأعرابي: أشكرك أيها الشيخ الطيب على أمانتك وحرصك على أموالي... وأعطاه بعض المال من أجل ما بذله من جهد وأمانة.
رفض الصابئي أخذ المال قائلاً: أنا الذي أشكرك يا أخي، فأنا لن آخذ المال، لأنني أخذت الأحسن منه.
قال الأعرابي: وما الذي أخذته؟
قال الصابئي: أنت يا أخي الضيف أعطيتني الفرصة لعمل الإحسان لأن هذا محسوبًا لي يوم الحساب، هذا ما تعلمته من ديني.

وقبل أن يغادر الأعرابي (بعد أن شكر صاحبنا الصابئي على كرمه) عائدًا إلى دياره، قال له الصابئي: يا أخا العرب، سألتني عند أول مجيئك عن شيخ الصابئة، وقلت لك في حينها أنا شيخهم لأنك صاحب حاجة... وفي الحقيقة أنا لست كذلك، فأنا أصغر قومي... تفضل لأصطحبك إلى كبيرنا.

فقال الأعرابي: لم يكن كذبًا ما قالوه عنكم، فأنتم القوم الأمناء، الأشراف، الذين يعرفون معنى الطيبة والخير والكرم، فإذا كان صغيركم بهذه الأخلاق والطيبة والكرم وحب الخير، فكيف سيكون كبيركم؟... لقد اغتنيت بمعرفتكم، فإن ما تمتلكونه لهو أغنى وأغلى من كنوز الدنيا كلها.

واستمر الأعرابي قائلاً: لقد سمعت عنكم الكثير...
فردَّ عليه الصابئي: وما الذي سمعته عنَّا أيها الضيف الطيب؟.
قال الأعرابي: قالوا عنكم إنكم إذا مشيتم بالشارع فتسيرون جماعة، وتلبسون ملابس بيضاء متشابهة وعليها عباءة... وإذا صادفكم أحد بمطلب فكلكم تقولون لصاحب الحاجة: أبشر فطلبك عندي... وفي نهاية يومكم يأتي كباراتكم (شيوخكم) ويجمعون ما حصلوا عليه من أموال من خلال أعمالهم في سلّة دون النظر والتساؤل من الذي جلب تلك الأموال وما مقدارها، لأن الأموال التي تجمعونها ملكًا لجميعكم... وعندما يأكل كباراتكم يأكلون بنفس الصحن، وإذا تأخر أحدهم ينتظرونه لحين قدومه ليأكلوا في نفس الوقت... هذا الذي سمعته عنكم يا صابئة.

▪ الصابئة المندائيون في العهد الساساني

إعداد : مؤيد مكلف

زارت مندي الطائفة في بغداد الدكتورة والباحثة (اريكا هنتر) الأستاذة بجامعة كامبرج بتاريخ ٢٨ - ٣ - ٢٠٠١ وهي متخصصة باللغة والديانة المندائية، وألقت محاضرة بعنوان (الصابئة المندائيون في العهد الساساني) حضرها جمعٌ غفيرٌ من مثقفي الطائفة ومن أبناء الطوائف الأخرى أوضحت فيها طبيعة عملها الأكاديمي الذي يتناول الرقي والتعاويذ والأحراز والطلاسم والأواني المندائية القديمة، وقد أشارت إلى الباحثة المندائية (فريال زهرون نعمان) وأطرت عليها بحصولها على شهادة الماجستير في هذا المضمار، كما أشارت إلى أنها قد اشتغلت مع فتاة مندائية اسمها (نادية غانم) في المتحف العراقي عام ١٩٨٩ وقد استهواها البحث عن مضمون الأحراز والأواني المندائية منذ ذلك الحين.

وقالت: إن هذه الأواني المنقوشة تلقي الضوء على تاريخ المندائيين ومناطق سكناهم في الفترة ما بين القرنين السادس والسابع الميلادي، أي في فترة الفتوحات الإسلامية في بلاد الرافدين، وأشارت إلى التنقيبات التي قامت بها جامعة شيكاغو عام ١٩٨٩ في منطقة نيبور "نفر" وعثورها على أعداد كبيرة من الأواني الأثرية التي تكمن أهميتها بتدوين التواريخ عليها، وقالت: إن اللغة التي نقشت الرموز بها هي لغة مندائية، وأشارت إلى العلاقة الوثيقة ما بين المندائية والآرامية، فقد عثر على اللغتين مدونتين جنبًا إلى جنب، وقالت: بأن التاريخ المدون والموثق شيء مهم بالنسبة للباحثين والأثاريين معًا، وتدل بشكل قاطع على تاريخ تدوينها، أي القرن السابع الميلادي، في الوقت الذي كان فيه المندائيون يعيشون ضمن مجموعات كثيرة كالأشوريين والبابليين والكلدان والفرس وغيرهم، وكان تراث الجميع مشتركاً، وبعضهم كان يؤثر في البعض الآخر.

وتعود أهمية الرقي والنقوش إلى أن نصوصًا من كتاب (الكنزا ربا) قد وُجدت عليها، ونستدل من ذلك إلى أن تدوين (الكنزا ربا) قد بدأ قبل ذلك الزمان، وقالت إنه بعد الإسلام طرأ بعض التغيير على هذه النصوص، أما قبل ذلك فلم يطرأ عليها أي تغيير.

وقالت: رغم أن المندائية كانت تتعايش مع غيرها، إلا أنها كانت تتمتع بالحرية وتعيش بسلام مع كافة الأقوام، وكان وضعهم جيدًا.

وقالت: إن بعض المندائيين ربما جاءوا إلى العراق بعد القرن الثاني الميلادي مرورًا بحران، وكان هؤلاء قد اختلطوا مع أقوام عديدة هناك، ففي ذلك القرن أُخرجوا من فلسطين؛ كما قال العلماء والمؤرخون؛ بعد أن مارست السلطات اليهودية ضدهم ضغطًا شديدًا واضطهادا مستمرًا. أما في القرن الأول الميلادي فقد كان هناك صراعٌ حادٌ بينهم وبين اليهود، وكان اليهود آنذاك موجودين في فلسطين والعراق معًا، فكان المندائيون يمثلون ما يسمى "البروتستانت" في العصر المسيحي، أي يمثلون جانب المعارضة. وتضيف: أعتقد بأن المندائيين واليهود كانوا على علاقة وطيدة جيدة، ثم حدث الخلاف بينهم بسبب الأفكار المندائية، خاصة بعد ظهور النبي "يحيى بن زكريا".

وبعد انتقال المندائيين إلى حران وبلاد الرافدين حملوا معهم الكثير من الأفكار التي تأثروا بها، والتي كانت ذات تأثير على عقائد المندائيين بعد هجرتهم، وأشارت من ناحية أخرى -حسب رأيها- إلى أن المندائية نشأت في بلاد ما بين النهرين أصلاً، رغم أن بعضهم قد جاءوا من فلسطين وحران، وتعتقد أنه كان في العراق مندائيون آخرون قبلهم استقبلوا إخوانهم وتأثروا بآرائهم.

وحول (الكنزا ربا) قالت بأنها قد دونت في القرن الثالث الميلادي باللغة المندائية، وكانت قبلاً تُتداول شفاهًا لقرونٍ عديدة، وفيها ما يشير إلى وجود للكيان المندائي في العراق، وقالت: إن الكثير من مقاطع (الكنزا ربا) كانت موجودة على الأواني النذرية منذ ذلك التاريخ.

ثم قالت : إني أعتقد إن المندائية حصرًا هي نتاج وادي الرافدين ، وليس في فلسطين ، وإني أختلف بهذا مع العلماء القائلين بأنها نشأت في فلسطين ، وأقول بأن المندائية نشأت في العراق ، وإن كانت قد تغذت بأفكار وردت من فلسطين أو إنها قد استلهمت تلك الأفكار من المهاجرين من فلسطين وهي لا تخص الطقوس والمفاهيم الأساسية، بل إن لها تأثيرات اجتماعية.

وتقول: إن هناك لغات دينية خاصة عديدة في العراق غير المندائية، ولكننا لا نعرف إلا الشيء اليسير عن بداية اللغة المندائية، ونحتاج إلى تنقيبات كثيرة للكشف عن التواريخ المحددة لهذه التطورات ، خاصة وإن الساسانية كانت مهيمنة على العراق في ذلك الزمان، وقالت : إن تطور الآراء والمعتقدات قد تطلب وقتًا طويلاً حتى وصل إلى الهدف الذي كان ينشده، وهي تتأثر عادة بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية عديدة.

ثم أشارت إلى إنه يوجد في المتحف العراقي الكثير من الأواني واللقى والأحراز المندائية أكثر مما هو موجود في المتحف البريطاني.ثم تطرقت مرة أخرى إلى اللغة المندائية وتساءلت: أن المندائيين تكلموا اللغة المندائية التي هي لهجة آرامية، ولكننا لا نعرف متى نشأت، لأننا لا نعرف السلالات اللغوية قبل السامية ، ففي القرن السابع الميلادي كانت في بلاد الرافدين لهجات سريانية وأشورية وآرامية وغيرها ، لكن الآرامية قد ترجع إلى البابليين ، أي إلى زمن حمورابي ، ومع تطور اللغات تطورت الآرامية كغيرها، والمندائية انتعشت وتطورت بعد انهيار الإمبراطورية الساسانية ، قبل أن تزاحمها العربية بعد انتشار الإسلام.

وردًا على أسئلة حولة (الغنوصية) قالت: إن الغنوصية هي علم وفلسفة وليست دين ، وأشارت إلى مخطوطات (قمران) وقالت : لا يوجد ذكر للمندائيين فيها بل هي قضايا وثائقية كتبت بلغات قديمة عديدة، ولا توجد لها علاقة بالمندائية.
وحول الاسينيين قالت: إنهم ليسوا مندائيين، وإن كانت لهم آراء تشبه المندائية.

- **الأستاذ/ أميـن فعيل حطـاب:**

مربي فاضل من أسرة صابئية مندائية، مرتبطة بأرض الرافدين، وفية لدينها وعاداتها وتقاليدها... درس اللغة المندائية وأتقنها، وخصَّص معظم وقته وجهده للدراسة والترجمة. وحقيقة الأمر برز هذا الرجل في هذا المجال وأصبح مرجعًا مهمًا في ما كتب باللغة المندائية عن الدين الصابئي المندائي.

وربما سائل يسأل لماذا التركيز على ترجمة اللغة المندائية ؟!! ونحن نقول إن اللغة الآرامية المندائية لغة قديمة منذ آلاف السنين، وتمت كتابة الكتب الدينية المقدسة للصابئة بهذه اللغة، وكان الناس يتحدثون بها ويتعاملون معها في حياتهم اليومية، ولكن بعد وصول المسلمين إلى العراق منذ عام ٧١١ ميلادية، وانتشار اللغة العربية، بدأت اللغة المندائية بالانحسار، وقلَّ عدد الذين يتحدثون بها أو يكتبونها، أو يقرأون ما سطرته أيادي الأقدمين، ومع إهمال الحكومات المتعاقبة للعراق في الحفاظ على التراث الإنساني للشعب العراقي، وعدم اهتمام رجال الدين المندائيين والمثقفين بإحيائها؛ برزت مشكلة في الحفاظ عليها من الاندثار، وعليه برزت طاقات مندائية في الآونة الأخيرة تحاول جاهدة إحياء هذه اللغة السامية العريقة؛ لغة الكتب المقدسة... لهذا نحن نعتز بالأستاذ أمين، بعمله في إحياء اللغة.

وقد اضطر إلى الهجرة إلى أستراليا، ولكن من هناك لا زال يمدنا بدراساته وترجماته المتنوعة.

كتب في مجلة آفاق مندائية التي تصدر في بغداد موضوعًا شيقًا حول الشهادة عند الإنسان المندائي:

- التوحيد و الإنسان في الدين الصابئي المندائي

(موجود ملك النور السامي ، موجود ملك العظمة ، موجود عارف الحياة)

(موجود الحي ، موجود سيد سيدي "سيد الوجود" ، موجودة معرفة الحي أو عارف الحياة)

بمعنى أن الله جلَّ وعلا موجود ، لأنه أبديٌّ ليس له بداية ، وسرمديٌّ ليس له نهاية ، وموجود سيد العظمة الذي ليس هناك من أعظم منه ، وموجود عارف الحياة وسيد الوجود في عوالم النور الذي انبعث من ذاته وسبق الوجود.

بعد أن ينال الصابئي الطهارة من الرسم بالماء الحي (الوضوء) يستهل صلاته بقراءة الشهادة كما يقول النص:

(موجود الحي ، موجود سيدي ، موجودة معرفة الحي ، هناك في موطن النور ، بشهادة الحي وبشهادة ملك النور السامي الله العظيم الذي انبعث من ذاته)

ويؤكد على ذلك خاتمة النص:

(لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي)

فالشهادة موجهة لذاتٍ واحدة، ولزيادة الإيضاح: أن الحي العظيم عارفٌ لذاته، بمعنى أن المعرفة حالة له، وهي جوهر وراء كونه ذاتًا موجودًا ، وهذه الحالة لا توجد إلا مع الذات. إذن فالذات واحدة والمحمول أي الصفات المعبِّرة عنه بالجواهر الثلاثة أصول لجوهر واحد قائم بذاته ، والأصول الثلاثة قائمة بالجوهر. هذه الأصول الثلاثة تتفرع منها الصفات الأخرى للحي العظيم، وهذا يعني أن الصفات وجوهٌ وأحوالٌ لذاتٍ واحد، وهو ملك النور السامي الله العظيم الذي انبعث من ذاته ، وبتعبير آخر أن الصفات جميعًا فروع ترجع للأصول الثلاثة لذات الحي العظيم.

ومن الملاحظ أن جميع هذه الصفات في مضمونها الكمال... لذا فالصابئة المندائيون يسمون بيت العبادة بعدة أسماء منها (بيت هيي) أي بيت الحي... (بيت تشليما) أي بيت الكمال... (دور أتاقنا) أي الدار المتقنة... جميعها تعبِّر عن الكمال.

ولو عدنا إلى الجوهر الأول الذي يمثل صفة الخلق المطلق والانبعاث، فالدين الصابئي المندائي أكَّد من أول الأمر وجوب الوحدانية للحي العظيم تأكيدًا جازمًا، فالنصوص تجزم من أقواله كل شيء كان (**بميري كل مندام هوا)**، وتجزم أنه أزلي ليس له بداية، ولا نهاية، وأبدي ليس له نهاية كما في النص: **(لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي) (لا أهوى كث إذلا أهوا ولا هاوكث أذلا هاوي)**. ترجمته الحرفية **(لا يبطل ولا يزول اسمك يا حي يا سيدي يا معرفة الحي)**

(ما كان لأنه ما كان ، ولا يكون لأنه لا يكون)، يضم هذا الجوهر الكثير من صفات الله كالخالق البارئ المبدع الوهاب، لأنه واهب الحياة ورب كل عوالم النور العليا والوسطى والسفلى.

أما الجوهر الثاني الذي يمثِّل صفة السيادة المطلقة، فنصوص (الكنزا ربا) أسهبت في وصفه، مؤكدة على وحدانيته، كما في النص (**ملكا رام ونهوره إلا هادي شراره ، دنفش هيئه وساخا ليثلي**) ترجمته الحرفية: (**ملك النور السامي الله الصمد ذو الحول الشامل لا حدَّ لقدرته**) كما يقول النص أيضًا (**لا صاحبًا له بتاجه ، ولا شريكًا له في صولجانه - بسلطانه - ، من اتكلَّ عليه فلن يخيب ، ومن سبّح باسمه فهو التواب الرءوف الرحيم على كل شيء قدير**) كما وصف النص تاجه وإكليله (**أن ومضات تاجه تنطلق إلى كل مكان وتخرج من بين أوراق تاجه أشعة الضوء والنور والوقار**).

أما الجوهر الثالث... وهو المعرفة المطلقة، فالحي العظيم هو الحليم المدرك البصير الذي لا يُرى ولا يُحد. لذلك فالصابئي المندائي يبجِّل المعرفة، وهي معرفة الحي، لأنها جوهر ذات الحي العظيم. كما تصف النصوص المندائية... أن الله عادل، وأن عدله يقتضي ما دام قد كلَّف الإنسان أن يجعل له القدرة على فعل الخير، بحيث يكون الإنسان هو المحدث لأفعاله، والمسؤول عنها، ولا يكون للحي العظيم دخْل فيها، ولو كان على ذلك لكانت كل أعمال الإنسان في غاية الكمال والإتقان، كذلك خلق الحي العظيم النفس البشرية وجعلها ميالة لفعل الخير ورافضة لفعل الشر، وبالمعرفة يستطيع الإنسان أن يميِّز بين الخير والشر.

- **تعقيب:**

الصابئي المندائي يردد في كل أعماله (**آكا هيي، آكا ماري، آكا منداد هيي**)، وهذه شهادة أن الحي العظيم ملك النور السامي موجود، وأن سيد العظمة موجود، وأن عارف الحياة موجود.

وكثير من الناس أحيانًا تخلط بين هذه الأسماء المبجلة للحي العظيم، وأسماء الملائكة - مباركة أسماؤهم -... فعندما نقول الملاك منداد هيي نقصد الملاك الذي خلقه الحي العظيم، واسمه الملاك منداد هيي، وعندما نقول منداد هيي، نقصد الحي العظيم الله عارف الحياة، وهكذا.

- **الأستاذ/ مؤيد مكلف سوادي:**

شخصية مندائية معروفة... أول من نظم الأحساب والأنساب للصابئة المندائيين ورسم الشجرة الوراثية للعوائل المندائية ويعتبر مرجعًا مهمًا في ذلك... له محاولات جميلة في كتابة شعر وقصص للأطفال بأسلوب شيق جميل... كذلك له ذاكرة قوية في حفظ الشعر الشعبي المندائي والكثير من المواويل العراقية الشيقة... من المثقفين المندائيين، له مقالات عديدة في التراث المندائي وتوثيق كثير من الأحداث...

وهذه إحدى مقالاته عن المندائيين... يقول إن المندائيين من أصول بلاد ما بين النهرين، وأنهم سبقوا السومريين لكنهم لم يتركوا آثارًا تدل عليهم، وهذا يخالف العلم الأركيولوجي للإنسان إذ لابد من وجود آثار خلفها الإنسان مهما كانت قديمة، فالأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير كما يقول المثل العربي.

- آراء في أصل المندائيين

إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ الدينَ اليهوديَ قد ظهرَ عام ١٣٠٠ق.م على يد النبي موسى (ع)، والدينَ المسيحيَ ظهرَ في بداية الميلاد... فهل الدينَ الصابئي المندائي هو أقدمُ دينٍ موُحِّدٍ ظهرَ على الأرض؟ وهل الصابئةُ هُمُ أقدمُ سُكَّانِ العراقِ؟

لقد اختلفَ المؤرخون والمهتمون بالأديانِ القديمةِ بشأنِ منشأ الديانة المندائية وظهور الصابئة، لكنَّ الدلائلَ تُشيرُ إلى أن موطنَ الصابئةِ هو العراق، فيهِ نشأوا، وعلى أديمِ أرضهِ سكنوا، ومن ثم انتشروا في بقاعِ هذه المنطقةِ وخارجِها بعد أن ازدادَ عددُهم. وعلى سهولهِ الرسوبيةِ، وقرب مصبات أنهاره وروافدهِ مارسوا طقوسَ دينهم التي تلتصقُ أصلاً بالمياهِ الجاريةِ، فالاغتسالُ والوضوءُ والصباغةُ (التعميدُ)، والتي هي شعارُ المندائيين، لا تتمُّ إلا في الماء الجاري، ولهذا استقروا دائمًا على ضفافِ الأنهار.

والدينُ المندائيُ قديمٌ جدًا ، يعودُ إلى عهودِ آدم وأولادهِ وأحفادهِ (شيت وانش ونوح وسام وإدريس) ، والدليلُ على هذا ما وردَ في كتبهم الدينية العديدةِ ، وعلى رأسها ، الكتاب الرئيسي (الكنزا ربا) الذي يحتوي على فصولٍ عديدةٍ تبحثُ بالدرجةِ الأولى عن أوصافِ الخالقِ ، وخَلْقِ الأكوانِ ، ومن ضمنها الأرض، ثم خَلْقِ الانسانِ، وهبوطِ النفسِ، ومن ثم عروجِها إلى خالقِها... وفيه وصايا عامة، وكيفية إجراء التعميد، وحوار فلسفي حول الموت والحياة وما بعدَ الموت ، والخير والشر ، وقضايا فقهية تخصُ الدين... وفيهِ ذكرٌ للنبي الأول (آدم) وابنهُ (شيت) ، والطُّوفان ، وغيرها من الأحداث... ويقعُ هذا الكتابُ في حوالي ٧٠٠ صفحة من القطعِ الكبيرِ ، وقد تُرجِمَ إلى لغاتٍ عديدةٍ كالألمانية والإنجليزية وغيرهما، وتمّتْ ترجمتهُ أيضًا إلى اللغة العربية عام ١٩٩٨.

ولقد وردتْ كلمةُ (صابئة) في كتبٍ مقدسةٍ تخصُّ أديانًا أخرى، ففي (التوراة)، وردَ ذكرهم تحتَ اسم (شُبّا)، وفي (القرآن) تحت اسم (الصابئين)، والمقصود بهذه التسمية ، هم الصابئون المندائيون الحاليون... وهناك نقطةٌ مهمةٌ ينبغي تثبيتُها، ألا وهيَ، أن الصابئةَ يُسّمونَ أنفسَهم في كتبهم الدينية باسم (المندائي) أو (المندايي)، ورجال دينهم باسم (الناصورائي) ... كما أن هناكَ مُسمّيات عدة أطلقها عليهم مجاوروهم، وهي صفات مجازية مثل (المغتسلة) و(صابئة البطائح) و(المعمدانيون) و(اليحياويون) و(نصارى يوحنا المعمدان) وهي تسمية بعيدة عنهم، وغيرها من التسميات. وكلها أسماء لِمُسمىً واحدٍ هو (الصابئة).

بقيَ أن نقولَ ، إن بعض المفكرين والمؤرخينَ يقولونَ : إنَّ جنوبَ العراقِ لم يكنْ يَخلو من السكان عند قدومِ (السومريين) إليه واستيطانِهم فيهِ، وإنَّ أقوامًا أخرى قد سَبقتهمُ إلى ذلكَ ، عَرِفوا الزراعةَ ، وتنظيمَ الريِ ، وبناءَ القرى الزراعيةِ، وإعمارَ الأرض ، وغرسَ النخيلِ، وتنظيمَ السدودِ، وتطويرَ حياتهم الاقتصادية بصورةٍ (مَشاعية)... فالمؤرخُ المندائيُ (نعيم بدوي) كثيرًا ما

صَرّحَ في مناسباتٍ عدةٍ، بِأنَّ أقوامًا كانت تعيشُ في جنوبِ العراقِ قبل قدومِ السومريينَ إليه ، ولكنها تختلفُ عنهم ، وقد مَهّدتْ للحياةِ في تلكَ المنطقةِ ، وربما عاشتْ تحتَ أسماء أخرى، قبلَ العصورِ التاريخية... ويقولُ: نحنُ نعتقدُ بأنَّ تلكَ الأقوام ربما همُ أجدادُنا الصابئةُ المندائيونَ ، والذين همُ أهل البلادِ الاصليونَ، وأنهّم غيرُ طارئينَ على هذا الوطن... ويستندُ الأستاذ (نعيم بدوي) في ظنهِ هذا على كتاب (الكنزا ربا) لأنه يشمَلُ في أجزاء كثيرة منهُ على صحفِ أجدادِ المندائيينَ (آدم وشيت ونوح وإدريس وسام)، والذينَ هم أقدمُ بكثيرٍ من السومريينَ وغيرِهم.

ومما يؤيدُ كلام الأستاذ (بدوي)، ما وردَ في كتابِ (مغامرة العقلِ البشري) لـــ (فراس السّواح) ص٢٥، حيث يقولُ: (لقد أثبتتْ الدراساتُ اليومَ، أنَّ أرض (سومر) لم تكن تخلو من السكان قبلَ قدومِ السومريينَ واستيطانِهم فيها ، بل كانت مسكونةً من قبل أقوامٍ ذوي دينٍ ولغةٍ وثقافةٍ عاليةٍ، ونحنُ لا نعرفُ عنهم الكثير ، ولا نعرفُ ماذا أَعطوا للغزاةِ الآسيويينَ السومريينَ... ولكنْ من المؤكدِ هو أنَّ الثقافةَ السومرية قد نَضجتْ من احتكاكِ هذينِ الشعبينِ وتفاعلِهما مع بعضهما في تلكَ الحُقبةِ المبكرةِ من تاريخِ الانسانيةِ). وهؤلاء الأقوام الذين يعنَهيم الاستاذ (السّواح)، همُ في نظرِنا، الصابئةُ المندائيونَ.

ولقد أشارَ المؤرخان العراقيان (طه باقر) و (أحمد نسيم سوسة) إلى ذلكَ وأكدّا في مؤلفاتهما مرارًا ، على أنَّ شعبًا متحضّرًا كان موجودًا في جنوبِ العراقِ قبلَ قدومِ السومريينَ إليهِ.

أمّا بصددِ قِدَمِ الصابئةِ المندائيينَ، فَيُشيرُ بعض المؤرخين المسلمين إلى ذلك... فـــ(الشهرستاني) في كتاب (الملل و النحل) يقولُ: (إنَّ صنفينِ من الموحدّينَ كانا في زمنِ "إبراهيم الخليل" في حَرّان ، هما "الأحناف والصابئة" ، ونحنُ

نعرفُ أنَّ الخليل عاشَ عام ١٩٠٠ق.م، ويعني ذلك، أن الصابئةَ أقدمُ بكثيرٍ من عصرِ "الخليل").

أمَّا المؤرخُ "ابنُ خِلّكان" فيقولُ في نَسَبِ "أبي إسحق الصابي": (إنَّ أبا إِسحق يعودُ نسبةُ إلى "صابئ بن متوشَلّح بن إدريس" الذي كان على دينِ الحنفيةِ الأولى، أو يعودُ إلى "صابي بن ماري" الذي كان يعيش في عصرِ الخليل).

أمَّا الدكتور "رشدي عليّان" في كتابهِ "الصابئون حرانيين ومندائيين" فيقولُ: (إنَّ تعاليم "هرمس" أو "إدريس" الذي هاجرَ وأتباعهُ من بابلَ إلى مصرَ، وهو يحملُ عقيدةَ التوحيدِ، والتي أثمرتْ هناكَ، وصارَ لهُ أتباعٌ كثيرونَ وأنهم كانوا يُسمّون "الصابئة").

ومعنى كل ذلكَ أنَّ الصابئةَ هُمُ من أوائل الشعوبِ التي استوطنتْ العراقَ منذُ القِدمِ، وأنهّم البذرةُ الأولى للفكرِ العراقي القديم، لذلك فهمُ أصحاب الدينِ الأول الموّحِد في التاريخ.

أمَّا بِصدد اللغة التي كان يتحدث بها الصابئة، فهي لغة غير مدوّنة، تعلمّها الإنسان بالتجربة والمران، وعندما حلَّ السومريون في هذه البلاد، ربما كانوا يتكلمون لغتهم الخاصة غير المدوّنة، ثم ابتكروا لغتهم المسمارية بعد ذلك ودونوا بها أفكارهم، وبهذا ظهر عصر الكتابة والتدوين، والذي هو حَدٌ فاصلٌ بين العصور التاريخية وما قبلها... أما بالنسبة للمندائيين فقد ظلّتْ تعاليمهم الدينية تُحفظُ عن ظهر قلب شِفاهًا، وتُتداولُ جيلاً بعدَ جيلٍ، حتى ابتكروا لغتهم الدينية قبل الميلاد بـــ ٣٠٠ عامًا، كما يشيرُ بعضُ المؤرخين، من أجل حفظ أسرارهم الدينية وكتمانها ، في وقتٍ اشتدَّ عليهم فيه الضغط من قبل الزرادشتيين وملوك فارس الذين ناصبوهم العداء، وهذا ليس بالشيء الغريب، فكان العربُ في شبه الجزيرة العربية مثلاً لديهم أدبٌ وشعرٌ ووقائع حربية،

ظلّوا يتداولونه شِفاهًا جيلاً بعد جيلٍ قبل أن يدوّنوه ويعلنوه ويعلقوّنه على جدران الكعبة.

وهكذا تثبتُ الدلائلُ أنَّ الصابئةَ ودينهم عراقيٌ أساسًا، وأنهّم عاشوا في هذه البلاد قبل السومريين، لكنهم لم يتركوا خلفهم آثارًا تدلُّ عليهم، لأن الآثارَ من أختامٍ ورموزٍ ومدوناتٍ إنما ظهرت بعد عصر التدوين... وهناك دلائل أخرى تشيرُ إلى عراقية المندائيين، منها ما دخل لغتهم من مفردات سومرية وأكدية وبابلية، وكذلك تشابه في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية، رغم أن الصابئة قد نأوا بعبادتهم عن عبادة السومريين، لكنَّ السومريين أخذوا عن المندائيين طريقة بناء معابدهم، تلك المتمثلة برسوم قديمة على شكل أكواخ مدّورة.

▪ تعقيب:

كل مندائي حسب اعتقادي يتشرف أن هناك صلة بين المندائيين والسومريين، وأنهم عاشوا معًا وأبدعوا معًا، وأنهم ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية... ويشرفنا أن نكون بقايا السومريين... وهذه آثارنا واختراعاتنا وأمجادنا.

كثيرٌ من الحضارات سادت ثم بادت وتعرضت عبر التاريخ إلى كوارث عظيمة ولكنها تركت آثارًا تدل على عظمتها وحضارتها، ويمكن تفسير حالة المندائيين إما أنهم فعلاً بقايا السومريين وهذه آثارهم... وإما هم أمة لا تؤمن بالماديات لأن الحياة فانية، وتؤمن بالروحانيات... وهذا يدل أنهم تَرَكُوا ميراثًا من الكتب الدينية وحافظوا عليها كل هذه القرون الطويلة لأنها تدوِّن روحانياتهم، ولم يعطوا اهتمامًا للماديات لإيمانهم (**كلّ ما يُصنَع بالأيدي يَتْلَف، وكُلُّ حَيَ يمُوت**)[1].

---

١ كنزا ربا اليمين ـ الوصايا

ورغم أن هذه حقيقة، ولكنها نظرة تشاؤمية للحياة وللعمل، لأن الحياة حلقات ومراحل يكمل بعضها البعض (زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون)...

وأما بسبب الهجرة المتكررة بسبب الحروب والاضطهاد من الأديان التي تمكنت من انشاء دول قوية، فكثرة الهجرة وعدم الاستقرار تشبه إلى حدٍّ بعيد حياة البداوة، وحياة البدو الرُّحل لا تسمح لهم ببناء حضارة أو صروح ومعالم حتى وإن لم يتعرضوا لمذابح وتدمير... فكيف إذن وحالة الشعب المندائي غير المستقر أساسًا والمضطهد من الأديان الأخرى أو منزويًا بعيدًا عن معالم الحضارة في الأهوار مثلاً... ولكن بعد أن استقروا عدة عقود بعد الحرب العالمية خاصةً الثانية، أبدعوا في مجالات العلم والأدب والفن، وأصبحوا أصحاب قيمة اجتماعية عالية ومركزًا مرموقًا في العصر الحديث، كما كان لهم مركز راقي أثناء استقرارهم في زمن ازدهار العصر العباسي وما قدَّمه علماؤهم وأدباؤهم المبدعون.

الأمل كبير الآن بعد أن حطوا الرحال في بلدان الهجرة المتقدمة في كل المجالات ونظموا أنفسهم ورغم وجود خلافات اعتقدها طبيعية لأن الاستقرار مازال في بداياته، وعندما تستتب الامور ويدق حجر الأساس وتنصهر الأفكار البناءة في بوتقة الرحم والدم والمستقبل، ونزرع سويةً بذرة المعرفة التي وهبها لنا الحي العظيم ونسقيها ماء اليردنا النقي الطاهر ونحفز الجينات الكامنة... ستنمو هذه البذرة المباركة... ومع الزمن المستقر والفكر المتقد وعوامل الوراثة والعمل الجاد سيبدع أبناؤنا وأحفادنا، وسيكون لنا بعد جيل وجيلين اسمٌ يشار له بالبنان، ويتباهى أولادنا أنهم مندائيون، وأنهم بُناة حضارات وأهل علم ومعرفة وسريعو التطور.

▪ إجحاف عدد من مثقفي الطائفة:

هناك عدد من أبناء الطائفة لا يتعدون أصابع اليد، يسيئون - بقصد أو بدون قصد - إلى طائفتهم ودينهم، متأثرين بأفكار ديانات توحيدية أو غير توحيدية، معظمها نشأت في بلدان مجاورة أو قريبة إلى بلاد ما بين النهرين، أو نشأت في أحضان وادي الرافدين... وكذلك المثقفون المتأثرون بالأفكار السياسية...

ويمكن تقسيم هؤلاء على قلتهم، إلى ما يلي:

١. الذين تأثروا بالحضارات التي نشأت في بلاد ما بين النهرين وما رافقتها من أديان قديمة، وأفكار الفلاسفة... وبسبب تلاقح الثقافات؛ وجد هؤلاء أن هناك تشابه بين شعائر وطقوس البابليين أو السومريين أو الزرادشتيين والمانويين من الأديان والأفكار التي نشأت في العراق وإيران والهند وشبه الجزيرة العربية، وأكيد أن بعضهم تأثر بالبعض الآخر وأخذ منه وأعطاه... ولهذا يعتقد هؤلاء أن الدين المندائي هو نتاج هذه الحضارات وما استنبطته من أديان رافقت هذه الحضارات.

٢. هناك من تأثر بأحد الأديان الموحدة الأخرى، فاعتنق تلك الديانة بالسرّ، وأبقى ارتباطاته الاجتماعية والعائلية وصلة الرحم ظاهريًا... وهذه تحسها من كتاباته المغلفة بالشك والريبة حول الدين المندائي، وإظهاره للدين الذي اعتنقه سرًّا، فيما يحاول بطريقة ذكية إفهام الآخرين أننا نِحلة أو فئة قريبة للدين اليهودي؛ مثلما تدعي وتروِّج له بعض المنظمات اليهودية من أن الصابئة المندائيين هم الفرقة الضائعة ويجب أن تعود إلى الدين الأم... وهذا إدعاء لا أساس له من الصحة، وهناك من يردد مثل الببغاء هذا الإدعاء.

٣. هناك من تأثر بالأفكار السياسية، والتي تروّج أن الدين حالة غير مرغوبة للتطور والحياة، ويحاول هؤلاء المثقفين السياسيين - بشتى الطرق والوسائل - دفع الشباب إلى نبذ الدين والطقوس الدينية.

هذه الفئات من المثقفين المندائيين ساهمت – بقصد أو بدون قصد – في المحاولات الجارية للإساءة إلى الدين المندائي، وجذب بعض أبناء الطائفة إلى أطروحاتهم، وهي بالتالي تؤدي إلى إضعاف الدين المندائي وهز ثقة المؤمنين به، إضافة لما يتعرضون له من ضغوط كبيرة من بقية الأديان والمنظمات التابعة لها، بما يملكون من موارد مالية ضخمة وإمكانات لوجستية وإعلامية هائلة لدعم عملهم لمحاولات تفتيت الطائفة.

طبعًا هناك أسباب أخرى دفعت الشباب المندائي، والتي أجبرتهم ظروفهم القسرية، وخاصة المهجرين من وطنهم الأول في العراق وإيران، أن يتزوجوا من منتمين إلى أديان أخرى، إما لغرض الحصول على الإقامة في تلك البلدان وطلبًا للعيش والأمان... أو أن المنظمات الدينية ساعدتهم بشكلٍ أو بآخر على تسهيل هجرتهم أو توظيفهم في بلدان المهجر... وطبعًا هناك أسباب أخرى للمروق إلى دين آخر.

كذلك فإن عددًا من المندائيين المهجرين إلى دول المهجر قد يكون الدين المندائي غير معروف في مجتمعاتها، فيدعي مثلاً أنه من أتباع يوحنا المعمدان، أو أنه من جماعة "جون بابتست"، أي من المعمدانيين بداعي الاندماج مع المجتمع الجديد، وبالتالي يقل ارتباطه الحقيقي مع دينه وطائفته المندائية... ولا ننسى ما حدث مع الأسرى العراقيين من الأقليات الدينية في الحرب العراقية الإيرانية، وخاصةً الصابئة المندائيين، حيث أجبرتهم ظروف الأسر القاسية على الإدعاء أنهم مسلمين خوفًا من التفرقة الدينية ومعاملتهم بقسوة، أو إكراههم على الدخول إلى الإسلام ونطق الشهادة وختانهم، كما حدث للكثيرين منهم.

كما لعب ضعف الوعي الديني، وعدم إتقان اللغة المندائية قراءةً وكتابةً، وقلة المعلومات الدينية، والإمكانات المادية المحدودة في النشر والترجمة الدينية؛ وخاصةً في المراحل الزمنية السابقة وقبل أن تبدأ مرحلة الترجمة للكتب الدينية

إلى اللغة العربية في بداية التسعينات من القرن المنصرم، وعدم تخصيص رجال الدين الوقت الكافي لإلقاء المحاضرات الدينية وتنوير أبناء الطائفة حول الدين المندائي... كل هذه العوامل أثرَّت تأثيرًا بالغًا في أبناء الطائفة عمومًا؛ والشباب بصورة خاصة.

وعليه نحتاج من مثقفي الطائفة في هذه الأوقات أن يمدوا يد العون والإسناد إلى أبناء طائفتهم في المساهمة في بناء المجتمع المندائي، والمحافظة على أصالته، وإيجاد الحلول الناجعة لجميع مشاكله بعد الهجرة القسرية إلى دول المهجر.

▪ رجال الدين ، ودورهم التاريخي في الحفاظ على الدين والمندائيين

منذ نشوء الخليقة على الأرض، والإنسان مجبولٌ على الشك والتساؤل والبحث والخوف من المجهول، فهو دائمًا وأبدًا يبحث عن من ينير له العتمة، ليشع الإيمان والأمان في قلبه، فأرسل الحي العظيم الشرائع السماوية إلى الأنبياء والمرسلين لتنظم له حياته، بدءًا من نبينا آدم، وشيتل، وسام، ويهيا يهانا، أخر الأنبياء - مباركة أسماؤهم - ، فأصبحت هناك حاجة ماسة إلى رجال دين مؤمنين، ينشرون العدل والمحبة، وينيرون الطريق للصابئة المندائيين في التوجه إلى الهيي ربي قدمايي لطلب الرحمة والمغفرة وتحقيق الأماني في حياة كريمة هانئة، وتجنيب النفس البشرية الامتحانات القاسية في منفاها الأرضي... وهكذا بدأ عمل المؤمنين الصابرين من رجال الدين في ترسيخ العقيدة والاحتكام إلى قوانينها لتنظيم الحياة الروحية والاجتماعية للبشرية.

والدين المندائي بذرة الأديان الأولى على الأرض، تفتحت أوراقه البيضاء ليشعَّ نورًا أزليًا وبهجة للمؤمنين، وكان نبينا آدم - مبارك اسمه - أول الأنبياء والمرسلين، استلم العهد وكتب ووثَّق رسالة الإيمان لتكون شريعة لذريته لتسير على هداه في نشر المحبة والسلام وعبادة خالق الأكوان.

وهكذا، استمرت الحياة، ورجال الدين المندائيون ماضون في أداء رسالتهم الإيمانية بكل تفانٍ وإخلاص، رغم ما مرَّ بهم من حِقب ودارات تموج بالمآسي والويلات، نتيجة الأطماع والشهوات الدنيوية والتعصب الأعمى، ومجتمعات متخلفة ألِفتْ الظلمة والظالمين.

وها نحن وسط حقبة سوداء تمر على طائفتنا المسالمة وديننا النوراني، وفي أخطر هجمة بربرية زعزعت كيان هذه الطائفة الطيبة، وتفرق الأهل بعيون

حزينة وقلوب منكسرة في أرجاء المعمورة ، لا ذنب لهم إلا أنهم مسالمين ، طيبين ، يحبون الحياة والضياء... ولكن ذلك لا يروق للجهلة والظالمين الذين ساموا طائفتنا العذاب من حقد وضغينة، وقتل وشتيمة، ومن نهب وسلب... فهم غنيمة كما تعلموا ولقنوا بأفكارهم السوداء التي تمازجت مع جشعهم وطمعهم، وكانت النتيجة أن هذه الأمة أصحاب الأرض والتاريخ في مهب الريح.

وهنا يبدأ الدور التاريخي لرجال ديننا الغياري، وهم المؤتمنون على هذه الأمة التي تمر بأوقات عصيبة، وتحتاج من يأخذ بيدها ، بعد أن تفرقت وأصبحت هشة وسهلة الاختراق روحيًا وفكريًا واجتماعيًا ، بتأثير من مجتمعات متعددة، حيث مورست ضدهم شتى الأساليب لتغيير ديانتهم وتراثهم ، وخاصةً عن طريق منظمات وهيئات ذات باع طويل في جذب المحتاجين وضعيفي الإيمان.

لهذا ، فأمام رجال الدين عدة جبهات تحتاج إلى جهود جبارة وخطط رصينة لمواجهتها.

- أولى الجبهات : تعزيز وترسيخ الإيمان في نفوس أبناء الطائفة، وحثهم على الصمود بوجه الشر... فهي معركة تحتاج إلى الديمومة للتواصل والعبور إلى بر الأمان ، وسلاح هذه المعركة هو الإيمان بشريعتنا السمحة ونبل أهدافها وديمومتها، وبها تتوحد القلوب وتتآلف النفوس، ويستطيع رجل الدين أن يكون مؤثرًا لإرجاع القلوب الحائرة نتيجة الصدمات التي تلقاها أبناء الطائفة، أو ارتمائهم بأحضان العوالم المادية ومغرياتها ، أو تأثرهم بالأفكار الإلحادية ... وذلك بأساليب تربوية ورعاية متميزة تحفز الرعية لإحياء التواصل الروحي مع الشريعة والدين، وبث العزيمة في أداء الطقوس الدينية وتعظيم المناسبات الدينية.

- ثاني الجبهات : البدء بكتابة دستور متكامل لشريعتنا من قوانين ترعي شؤون الرعية ، والتي تجيب على كل التساؤلات المشروعة لأبناء الطائفة ، خصوصًا بعد التقدم الهائل في العلوم بمختلف مناحي الحياة، وما يحتاجه

الفرد من شرائع وقوانين تتلاءم مع العقيدة المندائية ، وتواكب التغييرات الهائلة في هذا الزمن لتهدي المؤمنين إلى طريق الحق ورعاية شؤونهم الحياتية والروحية... لقد مرَّت فترة طويلة امتدت لقرون لم تستحدث فيها تشريعات تتزامن مع التغيرات ولا تتقاطع مع الأصول التشريعية للدين المندائي، وهنا يكمن الدور المهم لرجال الدين لإبراز مكنونات هذه الشريعة النورانية وفلسفتها الروحية والمادية ، واستنباط الأحكام من هذا الخزين والاجتهاد من المتوارث من أبنائنا ومعلمينا، ومن روح وعظمة تراثنا، حيث تصبح هذه النصوص الموحدة لجميع أبناء الطائفة لعلاج أي تساؤل أو مشكلة تواجه الرعية في شؤونهم الدينية والدنيوية... إنها مسؤولية كبرى وعلى رجال الدين مواجهتها بكل جهد ومثابرة لأنها ركن أساسي في ديمومة الشريعة والدين، والرد بذلك على كيد الحاقدين بأن عقيدتنا نابضة منذ فجر التكوين.

- ثالث الجبهات : تحرك رجال الدين نحو العوائل المندائية لتحفيزهم نحو التكاتف والتحابب والتلاحم ونبذ الفرقة، بعد الهزات العنيفة التي نالت منهم وتفرق شمل الأهل والأحبة في جميع الدول... وهنا يأتي دور رجل الدين في بث روح العزيمة والقوة والتخفيف من معاناة الغربة ومشاعر الحزن والفراق، وليكون قريبًا منهم يستمع إلى مشاغلهم وهواجسهم وإيجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم، وهذا التواصل يولد حوافز للالتقاء والتوحد ، وهذا ما يبتغيه رجال الدين وما كلفوا به من ، الهيي ربي قدمايي ، لرعاية الدين والمندائيين.

- رابع الجبهات : دحض كل الدعاوى الباطلة لأعداء الدين الصابئي المندائي من الحاقدين والجهلة والمارقين ، فيكفي صمتًا عن ظلمهم وجهلهم... فالسكوت وعدم مقارعة أباطيلهم بالحجة والبرهان هو إثمٌ كبير... ويأتي ذلك عن طريق تفعيل الدراسات اللاهوتية، وتفسير النصوص والبُوث المباركة،

وما تصبو إليه هذه النصوص، ونشر ما ترمز إليه الطقوس المندائية حول فكرة التوحيد في ديانتنا ، وتأثير الفلسفة اللاهوتية المندائية على الأديان والطوائف الأخرى، مثل نشوء الخليقة ، والرشامة (الوضوء)، والدرجات الكهنوتية ، والصباغة (التعميد)، والصوم، واللوفاني (الوجبات الطقسية)، والصدقة، وغيرها المئات مما احتوته البوث والطقوس والتراث المندائي لفائدة البشرية جمعاء.

ويأتي دور رجال الدين في هذا المجال بتكثيف جهودهم في توسيع مدارك أبناء الطائفة الفكرية والروحية نحو عظمة دينهم ، وغنى شريعتهم ، والتصدي للحاقدين والمارقين بهذا الكم الهائل من العلوم والتراث لشريعتنا، لنقول : نحن أول الموحدين على وجه البسيطة، سنبقى كذلك مؤمنين، أيادينا مرفوعة نحو السماء للدعاء للهيي ربي قدمايي لا يفصلنا عنه حجر أو وتد، لا نار ولا قبر وصنم... نعم هذه شريعتنا بياض ونور وضياء.

هذه هي الجبهات التي تنتظر رجال ديننا المؤمنين الصادقين، وهم أهلٌ لها، يتقدمون الصفوف في مهمة صعبة ، ولكن بالإرادة والعزيمة التي لا تفتر يستطيعون تجاوز الصعاب...

والأهم من ذلك...

هل نستطيع نحن أبناء الطائفة مساعدة أنفسنا ، ومد يد العون والمساعدة والمساندة لبعضنا البعض، لنرتقي من جديد، وننسى الجراح والمآسي، ونجدِّد روحنا الوثَّابة نحو الرقي والتألق والضياء... وبذلك نساهم مع رجال ديننا الأوفياء لعقيدتهم في كتابة التاريخ من جديد ؟

الفصل التاسع

الموجز والخاتمة

ليس لطائفة الصابئة المندائيين تاريخ مدون ، بسبب قِدمْ جذورها ، ومرورها بمراحل زمنية مختلفة (دارات) بما فيها من نكبات وحروب ، وتلف واحتراق وفقدان أغلب المدونات التاريخية، بسبب سكن أبناء الطائفة في بيوت مصنوعة من القصب والبردي السريعة الاشتعال ، أو بسبب النزوح القسري من مناطق سكناهم ، وهروبهم بسرعة خوفًا من الإبادة والقتل ، تاركين خلفهم كل شيء ، ولنا شواهد كثيرة في هذا الشأن... وكذلك بسبب عدم اهتمامهم بالحياة اليومية المادية بقدَر اهتمامهم بشؤونهم الدينية وأداء طقوسهم والمحافظة عليها ، فالمندائيون أناسٌ مسالمون يبتعدون عن العنف والقتال قدر الإمكان، ولا يقابلون القوة بالقوة بحكم التعاليم الدينية الصارمة بعدم الاعتداء أو قتل النفس البشرية مهما تكن الأسباب... ولهذا كانوا كثيري التنقل والارتحال ، يفتشون دائمًا عن الأمن والسلام ويبحثون عن أماكن آمنة قريبة من المياه الجارية العذبة مقرًا لسكناهم ، فتعددتْ لهذا السبب أوطانهم ، ولم يفكروا يومًا بإنشاء كيان سياسي لهم لهُ مواصفات الدولة ، وما تحتاجه هذه الدولة من جيش وشرطة حتمًا ستتعامل مع جيرانها باستعمال القوة والقتال من أجل الدفاع عنها أو الهجوم لتوسيع نفوذها، وهذا يتعارض مع العقيدة الدينية المندائية، ولهذا عاش الصابئة في ظل الدول القوية، أو تحت حُكم حاكم عادل أمين قوي... ولهذا لم يتركوا آثار مادية أو تاريخية في أماكن سكناهم إلا القليل ، أما المصادر التاريخية الوحيدة الباقية فهي الكتب الدينية ، وأهمها كتاب (الكنزا ربا) ، وتعاليم النبي يحيى بن زكريا ، أما الكتاب التاريخي الوحيد الذي يتحدث عن هجرات المندائيين فهو كتاب حران كويثا، وهذا الكتاب شبه تاريخي مختلط بين الحقائق والأساطير ، وفيه اضطراب في السرد ، ونتف وإشارات حول تحرك المندائيين وهجراتهم ومعاناتهم.

إذا بحثنا عن الحقيقة فقد كان اسم الصابئة معروفًا لدى العرب في الحجاز ، واليمن قبل الإسلام، وربما اختلطت الأسماء فكانت كلمة (الحنفاء) و(الأحناف) معروفة، وتُشير إليهم على أنهم أناس موحدون لا يُشركون ولا يعبدون الأصنام

والأوثان... وكما قلنا فإنَّ للصابئة المندائيين أسماء كثيرةً أطلقها عليهم مجاوروهم ، والأحناف واحدٌ من هذه الأسماء ، وكان أشهر الشخصيات من الأحناف عند ظهور الدعوة الإسلامية ، هم : عمرو بن زيد بن نفيل ، قيس بن ساعده، أمية بن الصلت، زهير بن أبي سلمى، ورقة بن نوفل. وغيرهم الكثير.

إن أصل الصابئة ومنشأهم هو وادي الرافدين منذ آلاف السنين ، ولمَّا كان عددهُم كبيرًا ، وتنقلاتهم مستمرة في منطقة الشرق الأوسط لغرض الاستقرار والتجارة والعمل عن طريق المهن اليدوية التي برعوا فيها عبر التاريخ؛ انتشر دينهم حتى وصل إلى مصر على يد الشيتيين (أبناء وأحفاد النبي شيتل) ، وهناك من يقول حسب المصادر المندائية إن سفينة نوح قد رَستْ على قمة جبل قردون في شمال العراق قرب مدينة حران التاريخية ، وأنشأوا هناك حضارة امتدت إلى عصر الدولة العباسية، وبرز فيها علماء وأدباء مثل ثابت بن قرة، أبي إسحاق الصابي، البتاني، وغيرهم الكثير... ومن مدينة حران هاجر الكثير من الصابئة إلى وسط وجنوب العراق ، إلى مناطق المياه البهية، على ضفاف دجلة والفرات والكرخة والكارون، ومناطق أهوار الجنوب.

بينما آخرون يذكرون أنهم الأحناف الذين ظهرَ فيهم نبي الله إبراهيم الخليل الذي ولد في مدينة أور السومرية بين المندائيين، ودعا إلى مبدأ التوحيد الذي يؤمن به الصابئة المندائيون، ولكن اختلفوا معهُ عندما خُتِنَ لمرضٍ في غلفتهِ، كما أن النبي إبراهيم الخليل عليهِ السلام دعا إلى عبادة الخالق عبادةً خالصة دون أيّ وساطة حتى الملائكة النورانيين مثلاً ، الذين يعتبرونهم الصابئة المندائيون مسبحين للحيّ العظيم ويأتمرون بأمرهِ.

ورأيٌ آخر يرجِّح أنهم بقايا السومريين عندما اشتدت عليهم الخطوب ، اندفعوا إلى أعماق الأهوار بزوارقهم طلبًا للأمان والحياة بعيدًا عن القتال والصراعات، لأنهم لا يؤمنون بالقتال ولا يقرونه ، ودينهم يأمرهم التمسك بالناصوراثا ، أي الإيمان العميق ، والصبر على الخطوب مهما اشتدت عليهم فبإيمانهم القوي ، وطاعتهم لتعاليم الحيّ العظيم سيكون حارسهم وحاميهم وسَيدفع عنهم الظلم.

ولِقِدم هذه الطائفة تعدد أنبياء الصابئة المندائيين عبر تاريخ البشرية، وكما قلنا وكررنا أنهم يعتبرون أنفسهم جذر التوحيد الأول ، وأن آدم (ع) رأس السلالة البشرية ، وأول أنبيائهم ، وهو أول صابئي مندائي دعا إلى هذا الدين ، وأن الملاك المبجل مندادهيي (جبرائيل الرسول) علمهُ التوحيد والوصايا والأسماء والإيمان ليكون مندائيًا مؤمنًا ، وهو أول من نزلت عليهِ تعاليم كتاب (الكنز العظيم) وسموها (صحف آدم)، ثم تتابعت هذه الصحف فنزلت على شيتل ، وسام، وإدريس، ويحيى بن زكريا (يهيا يوهانا) عليهم السلام.

كثير من الدراسات والبحوث المتنوعة تحدثت عن أصل الصابئة المندائيين ، ومنشأهم ، والمصادر الأساسية لهذه البحوث والدراسات اعتمدت على الكتب الدينية المندائية المكتوبة باللغة الآرامية المندائية، وقد تُرجمت أغلب هذه الكتب إلى اللغة العربية، وبعض اللغات الحية الأخرى، وكذلك اعتمد بعض الباحثين على الآثار من اللقى والفخار ، والمقابر المكتشفة على مسارات الهجرة التي تكتشف بين الآونة والأخرى والتي تخص هذه الطائفة، ولكنها غير كافية في الوقت الحالي للإجابة على جميع الأسئلة حول ما يخص تاريخ هذه الطائفة.

وبسبب عدم تدوين التاريخ المندائي؛ كثرت الاحتمالات وتعددت، ولكون الكتب الدينية والشعائر والطقوس تهتم بالجانب الروحاني وتبتعد عن الجانب المادي، لهذا تبقى كل الاحتمالات قائمة وخاضعة للدراسة والبحث والاجتهاد... وتبقى الآراء المختلفة بين أنهم من أصل رافديني أو فلسطيني، أو مصري، أو من حران، أو غيرها من المناطق، وهناك دلائل وشواهد، ولكن أقوى الدلائل هي في بلاد ما بين النهرين، وهناك من يجتهد من المؤرخين والمستشرقين فيقول إنهم كانوا في فلسطين، وسكنوا قرب ضفاف نهر الأردن، وفي حوض البحر الميت، مع أقوام أخرى عديدة، وكان نبي الله يحيى بن زكريا يعمِّد الناس في نهر الأردن ، وقد عمد السيد المسيح ، وقد اكتشفت عدة كهوف في الآونة الأخيرة كانت مخصصة لإجراء طقوس التعميد وتعود لزمن النبي يحيى، وقد

نُكِبَ المندائيون بعد وفاة نبيهم يحيى، وقام اليهود بمجزرة رهيبة في عام ٧٠ ميلادية، حيث قتلوا فيها أعدادًا كبيرة من الصابئة المندائيين، وتذكر لنا المصادر أن ثلاثمائة وستين رجل دين مندائي قتلوا في هذه المجزرة، فاضطر الباقون منهم إلى الرحيل من فلسطين إلى بلاد ما بين النهرين، واستقروا على ضفاف دجلة والفرات والكرخة والكارون طلبًا للأمان.

قبل الوصول إلى الخاتمة لا بد من موجز تعريفي بالصابئة المندائيين لإعطاء فكرة مختصرة عن هذا البحث الموسع الموسوعي الذي يتضمن حاليًا جزئين أساسيين: الجزء الأول (دائرة معلومات موجزة)، والجزء الثاني (الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف)، وهناك أجزاء أخرى لشرح تفاصيل موسعة عن هذه الديانة التوحيدية، ليطلع عليها الباحثون والمثقفون بعد أن غَمطَ حقوقها عدد من الكتاب والمؤرخين عبر التاريخ، بسبب قصورهم عن التدقيق والتحميص والمتابعة الأمينة الصادقة، ونقلهم معلومات مشوشة، إمَّا كتبها مغرضون حاقدون، أو بسبب عدم بذلهم الجهود الصادقة لمعرفة حقيقة هذا الدين التوحيدي الذي يعتبر أساسًا لكل الأديان التوحيدية التي أرسلها الله إلى عبادهِ الصالحين بواسطة أنبيائهِ ورسلهِ الأكرمين.

▪ مقدمة تعريفية بالصابئة المندائيين

١- المقدمة

ظلَّ التاريخ والفكر المندائي بعيدًا نوعًا ما عن البحث المعمق والتقصي بسبب التكتم، والخوف من الجدال الديني وخاصة رجال الدين الأفاضل وتكتمهم على الكتب الدينية المدونة أساسًا باللغة الآرامية المندائية، وكذلك عزوف مثقفي الطائفة عن الخوض في هذا المجال، عدا شذرات بسيطة هنا وهناك، وكان الدافع الأساسي لذلك العزوف أن الدين المندائي ليس تبشيريًا، وأن الصابئة المندائيين لا يتقبلون غيرهم للدخول في دينهم، ولا يتزوجون ولا يزوجون من الأديان الأخرى، ولهذا انزوت الطائفة بما تملكه من كنوز ربانية عن باقي الملل والنحل.

إن من أوائل الذين بحثوا في أمور هذه الطائفة هم بعض المستشرقين الغربيين، ولكن عندما يتصفح القارئ أو الباحث كتب هؤلاء المستشرقين لا يجد ما يشفي غليله عن التاريخ والفكر المندائي، وإنما معظم كتبهم إما ترجمات لكتب دينية، أو شرح لطقوس وشعائر دينية معتمدة في الصباغة (التعميد)، أو اللوفاني (طعام الغفران)، أو الزواج، أو والوفاة، أو مراسيم تكريس رجل دين، وغيرها من الشعائر.

لقد كتب بعض المثقفين شيئًا عن التاريخ المندائي، ولكنها شروحات سطحية وتمَّ وضع احتمالات ليس لها أدلة دامغة، وأفكار متكررة ليست مؤكدة، بداياتها غير موثقة ونهاياتها سائبة، ولا تستند إلى مصادر موثوقة منصفة، وما زالت أصدق الوثائق وأدقها هي الكتب الدينية المندائية حصرًا.

لقد آن الأوان أن يكتب التاريخ بدقة وأمانة وحيادية اعتمادًا على الوثائق والآثار المادية في مناطق تواجدهم عبر التاريخ في بلاد ما بين النهرين،

ومصر ، وفلسطين ، وإيران ، وسوريا ، والأردن ، والسعودية ، وكذلك متاحف العالم والجامعات العالمية ، وما أفرزته حضارة ما بين النهرين ، والحضارة الفرعونية في مصر ، وتاريخ أورشليم ، ومدينة حرّان ، وحضارة ميَّ شان (محافظة ميسان الحالية) ، وما ذكرته كتب التاريخ ، والتركيز على الصحيح منها و تسليط الضوء على الكاذب منها وتفنيد ما جاء فيها من تشويه وافتراء ، وإظهار الحقيقة بالأدلة والبراهين.

وكذلك الاهتمام بالتاريخ المعاصر للطائفة ، وقراءة المستقبل المنظور إن أمكن ذلك ، بدءًا من مجلس التولية ، وتقييم التشكيلات الحالية التي تقود الطائفة في كافة المجالات ، ومناقشة الهجرة الأخيرة للطائفة وأسبابها ودوافعها ، وايجابياتها وسلبياتها، وتوثيق ما جرى لنربط الأحداث سابقًا وحاضرًا ونستفيد من التجارب المريرة للهجرة مستقبلاً ، ولماذا كل هجراتنا قسرية ؟!! ولماذا فيما مضى من الزمان اندفعنا إلى أعماق الأهوار ، وهي مناطق موبوءة متخلفة عن مظاهر الحضارة والتطور ، وضيعنا قرونًا عديدة لم تسنح خلالها الفرصة لأجدادنا القيام بإنجازات مهمة سوى المحافظة على أنفسهم ودينهم.

حاليًا تغير الحال وفَهمنا الدرسّ ، واتجهنا في هجرتنا القسرية أيضًا إلى العالم الحُّر ، واخترنا أكثر البلدان تطورًا وتحضرًا وديمقراطية.

الآن فُتحت أمام الطائفة وأجيالها الصاعدة آفاق العلم والمعرفة والتكنولوجيا والتطور في جميع المجالات ، فلنبدأ بوضع الخطط والبرامج لنهضة الطائفة ووضع بصمتها من جديد ، وتحفيز الجينات العبقرية التي طالما أنتجت لنا عباقرة ومفكرين في قديم الزمان ، لتتحرر من جديد وتنتج لنا حلقات جديدة من العلماء والأساتذة والباحثين ، لنعيد أمجاد آل قرة ، وآل الصابي ، وآل سام ، وآخرين ، لنكون موضع احترام وتقدير هذه الأمم.

٢- الغايـة والهـدف

تدوين دائرة معلومات مختصرة عن الصابئة المندائيين تفيد المكتبة والباحث عن معلومات صادقة أمينة، وتحفظ التراث الإنساني من العبث والتزوير.

إن الذي شجعني ودفعني للخوض في هذه الدراسة، أني واحدٌ من أبناء الطائفة، فهم أهلي وعشيرتي، تعلمت أدق التفاصيل عنهم بشكل مباشر، وكان معلمي الأول جَدِّي يوسف سالم رحمه الله، وكان من وجهائهم وله إطلاع واسع على الدين المندائي.

في بداية التسعينات أصبحتُ عنصرًا فعالاً في مجالسهم وتشكيلاتهم، وتمَّ انتخابي رئيسًا لمجلس الشؤون العام للطائفة في بغداد، ورئيسًا للجنة ترجمة الكتب الدينية من اللغة الآرامية المندائية إلى اللغة العربية، فوضعتُ الخطط والبرامج بمؤازرة إخوتي في المجلس لإنجاز كثير من المشاريع، أهمها ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) - الكنز العظيم، وبعد الهجرة القسرية إلى السويد، تمَّ انتخابي رئيس الجمعية المندائية في مدينة اسكلستونا، ومن ثم تم انتخابي سكرتير مجلس عموم الطائفة في السويد، وأدناه نبذة مختصرة عن الموضوع:

- أولاً : الصابئة المندائيون والتاريخ

الصابئة المندائيون لم يدوِّنوا تاريخهم وفكرهم، بسبب تكتم رجال الدين، واحتفاظهم بأسرار الكتب الدينية، واهتمامهم بالحياة الروحية، أضف إلى ذلك ان الدين الصابئي ليس تبشيريًا، حيث لا يتقبلون غيرهم، ولا يتزوجون ولا يزوجون لأبناء الأديان الأخرى، وهناك أسباب أخرى أهمها :

١- الكتب الدينية دونت باللغة الآرامية المندائية.

٢- كثرة الهجرة والارتحال طلبًا للأمان، وعدم انشائهم دولة عبر التاريخ.

٣- صعوبة استيعاب مفاهيم الدين المندائي، وطقوسه، وعقيدته، وفكره، وعزوف المثقفين منهم عن المتابعة والبحث، ماعدا شذرات قليلة عن التاريخ

المندائي ، ولكنها شروحات سطحية واحتمالات ليس لها أدلة دامغة ، وأفكار متكررة ليس مؤكدة، بداياتها غير موثقة ونهاياتها سائبة ولا تستند إلى مصادر موثوقة، ولهذا فأن أدق المصادر وأصدقها هي الكتب الدينية المندائية حصرًا.

٤- عامل الخوف والتوجس عندما يكونون تحت حماية دين آخر أسسَ دولة قوية.

وبشكل عام لم ينصفهم الكُتَّاب الأولون وعدد من المعاصرين لأنهم لم يكونوا مع الأسف محايدين، ولم يَطلِعوا على كُتُبُهم الدينية، والغوص في عقيدتهم، ولم يعيشوا معهم لنقل الحقائق على أرض الواقع.

- ثانيًا : التسمية

الاسم المحبب لنفوسهم: الصابئة المندائيون ، وكلمة (صابئة) متأتية من الفعل الآرامي صبأ مصدره مصبتا ، أي المغتسلة الذين يعمدون أو يصبغون بالماء الحِّي الجاري، لأن كل طقوسهم وشعائرهم الدينية تقام بالماء الجاري، وبوجود النور ، لأنهما عنصرا الحياة والوجود ، والصابئون تعني المصطبغين بالماء الحِّي الجاري، بنور الحق والتوحيد والإيمان.

أما كلمة مندائيون، تعني المعرفيون، لأنهم عَرَفوا خالقهم الله بالعقل والمعرفة، وآمنوا بما أنزله عليهم الحِّي العظيم من الصحف الأولى، وما بعثه من أنبياء صالحين: آدم، وشيتل، وسام بن نوح، وإدريس، وإبراهيم، ويحيى بن زكريا، مباركة أسماؤهم... ويسمى معبدهم (مندي) ويعني بيت المعرفة والذي يجمعهم للتعبد للخالق العظيم، وإقامة الطقوس الدينية التي تكرس لعبادته.

- ثالثًا : المنشأ والأصل

العالم الأرضي بعد ثلاثين جيلاً (الجيل ألف عام أو ١٠٠٠٠ سنة) أخذ بالسيف والوباء ، وبقى رام وزوجته رودْ ، وبعد خمسة وعشرين جيلاً أخذ العالم

الأرضي بالحريق، وبقى الرجل شورباي وزوجته شرهبيل، وبعد خمسة عشر جيلاً أخذ العالم بالطوفان، وبقى الرجل سام وزوجته نوهوريتا، وبعد ست أجيال بنيت أورشليم (الحصن).

تذكر لنا الكتب الدينية المندائية في بوثة الطوفان (غرق العالم) أن سفينة نوح علية السلام بعد أن هدأ الطوفان، جنحت على هامة جبل قردون والذي يقع في شمال بلاد ما بين النهرين، قرب مدينة حرَّان، التي هاجر لها لاحقًا نبي الله إبراهيم الخليل وسماها على اسم أخيه هاران، وفيها استقر المندائيون، وبعد حين من الزمن انحدر خلقٌ منهم جنوبًا إلى المياه البهية وعاشوا على ضفاف دجلة والفرات والكارون والكرخة، وتفرعات هذه الأنهر، وعلى سواحل حوض البحر الميت قرب مصبات الأنهار.

وهناك بحوث وكتب دينية مندائية تؤكد أن أصولهم من بلاد شنعار (بلاد ما بين النهرين)، وكانوا موجودين عندما تأسست الحضارة السومرية والبابلية، ولهذا يعتقد بعض الباحثين أنهم بقايا السومريين.

كذلك كان لهم وجود في شبه الجزيرة العربية، وسموهم الأحناف (على ملة إبراهيم)، الذي دعا إليه نبيهم إبراهيم (ع) ولكنهم اختلفوا معه، لأنه دعاهم إلى عبادة الله عبادة خالصة، دون الملائكة النورانيين، وبالمقابل قالوا له: لا نعترف بنبي من البشر مثلنا. بعدها أصاب نبي الله إبراهيم مرض في غلفته، فاضطر إلى الاختتان، وهذا عندهم حرام، لأن الله خَلَقَ الإنسان كاملاً، فهاجر مع عائلته وأنصاره من المندائيين إلى حران، ومنها إلى فلسطين، ثم عبروا إلى أرض الكنانة... وبرأيي هذا هو الرأي الأرجح، والذي يرجحه كثير من الباحثين. وفي الحالتين فهم أصلاً من بلاد ما بين النهرين، وهذه حقيقة أؤيدها، ولا يختلف عليها اثنان على ما أعتقد.

والصابئة هم الأحناف، والأحناف هم الصابئة، واختلافهم مثل اختلاف الكاثوليك عن البروتستانت وكلاهما مسيحيين، ولست متأكدًا من ذلك وواثقًا بشكل جازم ودقيق رغم تأكيد عدد من الباحثين على ذلك

- رابعًا : صابئة حران وصابئة البطائح

صابئة حران سكنوا مدينة حران، والتي تقع الآن ضمن حدود الدولة التركية، وأسَّسوا فيها حضارة راقية، نبغ فيهم علماء وأدباء ومنهم آل قرة، وآل صابي، وتفوقوا بالعلم والأدب والطب والرياضيات والفلك.

أما صابئة البطائح، وهم سكنة وسط وجنوب العراق، وجنوب غرب إيران.

وصابئة حران وصابئة البطائح كلاهما على دين واحد، وكتاب واحد، وتعاليم واحدة، ولهم نفس الأنبياء، ونفس الشعائر والطقوس، والفكر والعقيدة، وأنسابهم ممتدة، وهذه حقيقة نقرها ونؤمن بها.

- خامسًا : أنبياؤهم

آدم، وشيتل (شيت)، وسام بن نوح، ودنانوخت (إدريس)، وإبراهيم، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا).

- سادسًا : أركان الدين المندائي

التوحيد، الصباغة (التعميد)، الصوم، الصلاة، الصدقة.

- سابعًا : أهم الكتب الدينية

(كنزا ربا) - الكنز العظيم، دراشة أد يهيا (تعاليم النبي يحيى)، القلستا، حران كويثا، سيدرا نشماثا، ألف ترسر شياله، الدواوين وعددها ٢٤ ديوان.

- ثامنًا : الصابئة المندائيون والغنوصية

الغنوصية لها فلسفتها التي تقر بوجود الله المتعالي، ووجود الله الصانع الذي تدركه الحواس... والتعرف على الله المتعالي يتم من خلال الإحساس، ومواجد القلب.

أما المندائيون فيؤمنون بوجود الله الحِّي القيوم الذي لا يشاركه أحد ، وليس له والد ولا ولد ، يحيطهُ الملائكة الأثريون الذين بأمره يأتمرون ، خَلقَ كل شيء ، وبأمرهِ كان كل شيء... وأن الحِّي العظيم يُدرَكُ بالحس والعقل ، وبما أنزله من تعاليم سماوية ، وما بعثه من أنبياء ورسل ، وأن النشماثا (النفس البشرية) هبة من الخالق العظيم من عالم الأنوار ، وأن هذه الدنيا فانية (أرض تيبل) ، والإنسان بأعماله وحسناته.

بسم الحي العظيم : (**كُلُّ ما يُصنَعُ بالأيدي يفسد ، وكلُّ حَيَ ، إن عكازكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكأون ، فانظروا إلى ماذا تستندون)**[1].

بشكل عام العرب يفرقون بين الواقع والخيال ، ولهذا يؤمنون أن يكون هناك وسيطٌ بينهم وبين خالقهم مثل الغرانيق (النصب والتماثيل) زمن الجاهلية ، أو الأولياء الصالحين والأئمة المعصومين ، يتشفعون زلفى بهم إلى الله. في بداية الأمر اعتبروا الوسطاء بينهم وبين الله غاية ، وبمرور الزمن تحولوا إلى وسيلة بسبب النسيان.

- تاسعًا : التوحيد والوصايا

بسم الحَّي العظيم : (**أسبحك ربي بقلبٍ طاهر ، أيها الحي العظيم ، المتميز عن عوالم النور ، الغني عن كل شيء ، نسألك الشفاء والظُّفر ، وهداية الجنان ، وهداية السمع واللسان ، ونسألك الرحمة والغفران ، آمين يا ربنا ، يا رب العالمين)**[2] **والحي مزكى**

بسم الحِّي العظيم : (**هوّ الحَّي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم... هُوَّ الأزلي القديم ، هو السمعُ والقولُ والبصرّ ، الشفاءَ والظَفَرْ ، والقوة والثباتْ ، مَسَرة القلب وغفران الخطايا. هو العظيمُ الذي لا يُرى ولا يحدْ ، ولا شريكَ لهُ في**

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا" اليمين ـ الوصايا

٢ بوثة من كتاب "الكنزا ربا"

سلطانه ، من يتكل عليه فلن يخيبْ ، ومن يسبح باسمه فلنْ يَستريبْ ، ومن يسألهُ فَهوَ السميع المجيبْ ، ما كان لأنه ما كان ، ولا يكون لأنه لا يكون ، خالدٌ فوق الأكوان وأمامهُ الملائكةُ ماثلون بأضويَتهِم يتألقونْ ، ساجدين خاشعين شاكرينْ) [1]

- عاشرًا : الخلق والتكوين

كتاب (الكنزا ربا) - القسم الأيمن ، يبيِّن لنا عملية الخلق والتكوين للعالم النوراني في خمسة أيام (البرونايا) الأيام البيضاء أو كما تُسمى عند العامة بأيام البنجة ، في أروع ما يكون من الإعجاز الرباني ، فقد تجلى بها الحَّي العظيم الخالق المتعالي ، ربّ العظمة ، ملك النور السامي ، عارف الحياة ، ذو الرائحة الزكية ، الجميل الذي ليس له مثيل ، خالق كل شيء جميل ، وخالق جمال الوجود. وتحدث عن الخلق للعالم الأرضي في ست أيام ، واليوم السابع هبشبا (يوم الأحد) كان راحة ، بأدق التفاصيل وأوضح ما يكون ، تحدث فيه كيف بسطت الأرض ، وكثفت ، وكيف رفعت السماء ، وكيف منحت الشمس ضياء والقمر نور والنجوم بهاء ووضعِتْ كلٍ في مدار ، وكيف جرت الأنهار وتفتحت الأزهار وأنبتت الأشجار ، وكيف خلق آدم وحواء.

- حادي عشر : الماء والتعميد

الحياة ، الماء الحي ، البهاء ، النور حلقات مترابطة بين عالم النور والعالم الأرضي. الماء نشأ في عالم النور وجُلِبَ إلى العالم المادي الأرض ، فبعد أن كان الماء الحي كان النور ومنهما جاءت الحياة ، وأن الحياة تكونت من الماء والنور بقدرة ملك النور السامي ، وما من طقس أو شعيرة دينية مندائية يمكن أن تجرى بدون وجود النور والماء الحي ، لأن الحياة عبارة عن نور وماء حي.

- ثاني عشر : النشماثا

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا"

(الكنزا ربا) - القسم الأيسر يحدثنا بإسهاب عن النشماثا (النفس) ، ولم أجد هكذا تفصيل في كل الكتب السماوية المنزلة ، وباختصار شديد أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي : (الجسد ، النفس ، الروح) ، ولأن الجسد جُبلَ من الطين من العالم الأرضي ، بينما النشماثا جلبت من عالم الأنوار. و(الكنزا ربا) بقسميه يرمز إلى استمرارية الحياة، فبعد الحياة المادية توجد حياة روحية في عالم الأنوار.

- ثالث عشر : الهجرة وإفرازاتها

الصابئة المندائيون قوم مهاجرين عبر تاريخهم ، والأسباب تكمن في عقيدتهم الدينية التي ترفض استعمال السلاح وقتل النفس البشرية مهما تكن الأسباب ، وكان لزامًا عليهم الهجرة من مكان إلى آخر للحفاظ على حياتهم ودينهم.

- رابع عشر : الاسم الديني (الملواشة)

لكل فرد مندائي اسم ديني ، بالإضافة إلى الاسم المدني الذي يحمله في بطاقة الهوية الشخصية، و بدون الملواشة لا تجرى للمندائي أي طقوس دينية.

- خامس عشر : العلاقة بين الصابئة المندائيين والديانات السماوية الأخرى

المندائيون يحترمون كل الديانات السماوية ، ويؤمنون بالكتب المنزلة ، وبأنبياء الله أجمعين ، وبالحساب والثواب ، وبالعمل الصالح والآخرة ، ولقد تأثرت الديانات السماوية بالدين الصابئي المندائي ، وتأثروا بها.

- سادس عشر : تقييم الصابئة المندائيين من قبل الأوائل والمعاصرين والمستشرقين

بشكل عام لم يصيبوا كبدَ الحقيقة ، لعدم إطلاعهم على كتبهم وتراثهم ، ولأنهم لم يعايشوهم ، ومن ناحية أخرى كان الصابئة كتومِينْ حتى لا يدخلوا في جدالات هم في غنى عنها ، ولأن كتبهم قد دونت باللغة الآرامية المندائية التي

لا يجيدها إلا القليل من أبنائها، ولكون الدين المندائي غير تبشيري، وانزوائهم في أعماق الأهوار لأزمنة طويلة.

- سابع عشر الهدف والغاية

رغم معوقات البحث والصعوبة البالغة بالبحث والتقصي لأسباب عديدة ذكرناها ورغم أنه لحد الآن لم يجرؤ أحد على كتابة تاريخهم وفكرهم وعقيدتهم بسبب شحة المصادر، وعلى الرغم من أن المؤرخين الأوائل وكثيرًا من المعاصرين، وعددًا من المستشرقين لَمْ ينصفوهم ويعطوهم حقهم، وأن أغلبهم نقل المعلومات واحدًا بعد الآخر من مصدر واحد دون تدقيق وتحقيق في هذه المعلومات وتبيان الصحيح والخاطئ منها كما أوضحنا ذلك بالتفصيل... رأيت من المفيد؛ بل من واجبي؛ أن أوضِّح في هذا البحث كثيرًا من الحقائق، وأن أُدوِّن دائرة معلومات مختصرة عندما يطلع عليها القارئ أو الباحث يجدْ ضالته بأمانة وحيادية وصدق وضمير...

وقد جسدت :

١ أن الصابئة المندائيين قومٌ موحدون، يؤمنون بالله الواحد الأحد، وبملائكته النورانيين الذين يسبحونه وينفذون وصاياه وتعاليمه، ويؤمنون بالناصوراثا (الإيمان العميق)، وبالنشماثا (النفس والروح)، ويعتبرونها أقوى شيء في الوجود... وأنهم أقدم الأديان السماوية الموحدة.

٢ أنهم يؤمنون بما أنزل الله عليهم من كتبه المقدسة، وبأنبيائه والمرسلين، وباليوم الأخر، وبالحساب والثواب والعمل الصالح.

٣ خلال تاريخهم الطويل لم يؤسسوا دوله لأنه يتعارض مع عقيدتهم الدينية، وإيمانهم بالناصوراثا إيمانًا عميقًا، ونبذهم للعالم المادي (أرض تيبل).

٤ يمجدون الله وملائكته الذين يأتمرون بأمره، وهم وسطاء بينهم وبين خالقهم، ولا يدعُون مع الله أحدًا، ولا يتشفعون بأولياء أو رجال دين صالحين مهما كانت مرتبتهم الدينية وكراماتهم.

٥ أنبياؤهم آدم، وشيت، وسام بن نوح، وإدريس، وإبراهيم، ويهيا يهانا، عليهم السلام أجمعين، وكتابهم المقدس (الكنزا ربا) - الكنز العظيم، وهناك كتب دينية أخرى تضم تعاليم ومواعظ وشروح وتراتيل دونت باللغة المندائية، ويطبق رجال الدين ما وردَ فيها من أحكام وأوامر وتعليمات لإجراء الطقوس والشعائر الدينية.

٦ المحرمات عندهم كثيرة وكلها تقريبًا مذكورة في شرائع الأديان السماوية الأخرى.

٧ منشأهم الأصلي في العالم النوراني، حيث يؤمنون أن العالم النوراني والملائكة مندائيون، وهم ذرية آدم (ع)، وأن الله خلق آدم مندائيًا، وعلمه الإيمان والوصايا.

٨ أنهم أثروا وتأثروا بالأديان السماوية الأخرى، ويشتركون مع المسلمين بالتوحيد والوضوء والصلاة والصدقة، ومع المسيحيين بالتعميد والصوم والتعاليم، فعندما تقرأ كتاب (الكنزا ربا) وتعاليم النبي يحيى كأنك قرأت الإنجيل، وكذلك مع اليهود بالصوم والصلاة والتوحيد، لكن اليهود ادعوا أنهم شعب الله المختار وأن الله جلَّ جلاله يكلمهم ويوجههم بشكل مباشر وكأنه واحد منهم، ويعتبرونه ربَّ اليهود، ويقولون إن الجنة والنار في هذا العالم لا غير.

٩ هناك اختلاف بين الصابئة المندائيين وبين الغنوصية التي تؤمن بمعرفة الله بالقلب بينما الصابئة يؤمنون بمعرفة الله بالحس والعقل.

١٠ الصابئة هم الأحناف، والأحناف هم الصابئة، ولكن نبي الله إبراهيم الخليل (ع) دعا إلى عبادة الله عبادة خالصة، ولكنهم يقولون إن الله جلَت قدرته بعث جبريل ليبلغ النبي محمد (ص) رسالته، وبعثَ منداد هيي ليبلغ آدم تعاليمه.

١١ ورد ذكر أنبياء الصابئة في القرآن والإنجيل ، وكذلك وَرَدَ ذكر الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ﴿ **إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾[1] في القرآن الكريم، وكذلك ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾[2].

وذكرَ إنجيل متّى نبيهم يحيى بن زكريا بأحسن الكلام (**لم يقم بينَ المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان**)، وكذلك في إنجيل لوقا (**أنهُ بينَ المولدين من النساء ليس نبيٍ أعظمَ من يوحنا المعمدان**)

وذكرهُ الرسول الكريم محمد (ص) في أحاديثه (كلُّ بَني آدم يأتي يَوَمَ القِيامَةِ ولَهُ ذَنبٌ إلا ما كانَ منْ يَحيى بن زَكَريّا)

وحين نقرا تعاليم ومواعظ النبي يحيى بن زكريا -مبارك اسمه- وسيرة حياته، وكيفَ عَمَّد السيد المسيح ، نرى عظمة هذا النبي المبجل ، والعظمة لله جلّ جلاله، ومن يَطلع على كتاب دراشة يهيا يهانا (تعاليم النبي يحيى) كأنه أطلع فعلاً على ما ذكر في الأناجيل من قصصهِ وأحاديثه.

- ثامن عشر : التوصيات

١ ضرورة تدوين التاريخ المندائي ، والعقيدة المندائية بما تحمله من أفكار ، بأمانة وصدق وحيادية، ولنبدأ من الآن بفكرٍ نيِّر وأيادٍ أمينة ونفوس نقية مؤمنة بالحق والإنصاف.

٢ توزيع أعداد كبيرة من الكتاب المقدس (كنزا ربا) النسخة العربية المتعمدة (نسخة بغداد) على الباحثين والمفكرين ، والمراكز البحثية المختصة بالعلوم الإنسانية والتاريخية والدينية، ليطلعوا على هذا السفر العظيم.

---

[1] القرآن الكريم: سورة الأعلى، الآيتان ١٧-١٨

[2] القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية ٦٥

٣ إنشاء كلية الدراسات المندائية، لتخرج أساتذة ورجال دين أكاديميين قادرين على البحث والتأليف والترجمة، وحضور المؤتمرات العالمية.

٤ البدء بتأسيس مركز للدراسات والبحوث والترجمة المندائية، مع رفدها بمكتبة متكاملة تضم جميع المصادر البحثية والكتب الدينية المندائية والأديان السماوية الأخرى، والكتب والوثائق للطوائف الأخرى التي تأثرت بالفكر والعقيدة المندائية، مثل الديانة المانوية، والكاكئيين، والبكداشية، والمولودية، والإيزيديين، والدروز، لتسهيل الأمر على الباحثين والدارسين.

٥ من الضروري الانفتاح الفكري والثقافي أمام المجتمعات الأخرى، ونبذ السرية والكتمان فيما يخص الدين المندائي، وبدأ مرحلة الحوار والمناقشة حول الدين والعقيدة المندائية، فليس هناك شيء البتة في الكتب والطقوس الدينية يخيف أو يمس الآخرين بسوء لا سامح الله، أو أنه مخالف بما أمر به الحي العظيم من أوامر ونواهي تخص المؤمنين الموحدين.

٦ إعداد بعثات أثرية متخصصة للبحث عن آثار وتراث الصابئة المندائيين في المناطق التي تواجدوا فيها عبر التاريخ، والتنسيق مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) ومع الدول المعنية لهذا الغرض، وتمتلك الطائفة كوادر راقية في مجال التنقيب والآثار.

٧ دراسة الهجرة وإفرازاتها، ولملمة الشتات، والمحافظة على اللغة العربية كلُغة أم، وإتقان اللغة الإنجليزية، والاستفادة القصوى من إمكانات البلدان المتقدمة في إنشاء جيل جديد متسلح بالعلم والمعرفة، وقد أثمرت السنوات المنصرمة في ظهور عدة كفاءات علمية وطبية وأدبية هي امتداد طبيعي لحقبٍ زمنيةٍ ازدهرت بعلماء الصابئة أمثال ثابت بن قرة وأبو إسحاق الصابي والعالم عبد الجبار عبد الله... وغيرهم الكثير.

٨ دراسة إمكانية أن يكون ماء الإسالة الصالح للشرب، ماءً جاريًا حيًا، مراعاة لتطور الحياة وللضرورة القصوى خاصة في أيام الشتاء القارص وتجمد الماء في دول المهجر.

٩ أقترح أن يكون المسؤول عن فحص بكارة البنات المتزوجات من اختصاص المراكز الطبية حصرًا.

ومن الله الحَي العظيم التوفيق.

المندائيون أثرٌ مِنْ آثار التاريخ الحي، فبدلاً من أن ينبش علماء الآثار في الأرض وباطنها عن معرفة تاريخ البشرية وتراثها، فنحن الصابئة المندائيون يتجسد بنا تاريخ البشرية. فهم جذر التوحيد الأول، وقد تعاقب عليهم عدد من الأنبياء والرسل آدم، وشيتل، وإدريس، وإبراهيم، وسام، ويهيا يهانا، مباركة أسماؤهم، ولهم كتبهم وشرائعهم، وطقوسهم التي يقدسونها، والتي بقت على ما هيَّ عليه منذ قديم الزمان.

الدين الصابئي المندائي بدأ في عالم الأنوار، فالحي العظيم خلقَ الملائكة الأثريين مندائيين، كذلك في العالم الأرضي خلق الحي العظيم آدم وحواء وذريتهم مندائيين، وعلمهم التوحيد والوصايا كلها، وعبادة الحيّ الواحد الأحد، وأنزلَ عليهم أول التعاليم، وبعث لهم الأنبياء تباعًا، تم تسميتهم في بادئ الأمر بالمعلمين، أو الوعاظ، أو الرعاة، أو الناصورائيين، لأن النبي في معتقدهم يجب أن يكون ملاكًا لا بشرًا مثلهم. وبعد وفاتهم وعروجهم إلى عالم الأنوار ليحيوا حياة ثانية أبدية كملائكة أثريين، يصبحون أنبياء. فالاعتقاد السائد أن المعرفة الربانية إنما يأتيهِ هييِّ قدمايي لعبادهِ الصالحين المختارين الصادقين (بهيرا زدقا)، إمَّا وحيًا، أو إلهامًا، وذلك هو صوت الحيَّ القديم (شوت هييِّ قدمايي)، أو فيضًا سماويًا، أو بواسطة رسل نورانيين، وهذا الاعتقاد على ما يبدو كان سائدًا عند الأسلاف الذين عاشوا في تلك الأماكن.

يعتبر آدم رأس السلالة البشرية، وأول الأنبياء. جُبِل من الطين الأحمر، ومن الدم والمرارة، وأسرار الكون، ونزلت له نشماثا من عالم الأنوار، بأمر من الحيّ العظيم، حملها إلى أرض تيبل الملاك منداد هيي بعد أن أخذها من النظير (الدموثا) آدم كسيه، وبارك الهيي قدمايي في ذرية آدم وزوجته حواء. وحين كبر أبناء آدم وأصبحوا في سن الزواج، أرسلت البنات إلى عالم مشوني گشطه ليتزوجن، وجيء ببنات من عالم مشوني گشطه ليتزوجن أولاد آدم. ولهذا الابن يسمى باسم أمه (الاسم الديني) التي تجرى له كل الطقوس بهذا الاسم، لأن المرأة جاءت من عالم النقاء والطهارة، وأن حواء خلقت من جسم آدم، ولربما لأن الأم هيَ الوحيدة التي تعرف هذا ابن من !!؟ وهذه فلسفة مندائية لا يوجد مثيلها في الأديان السماوية الأخرى، لذلك أخطأ الفيلسوف الشاعر أبو العلاء المعري، صاحب ديوان سقط الزند وصاحب رسالة الغفران حين قال :

إذا ما ذكرنا آدم وفعالهُ وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا أنَّ النَّاس من نسلٍ فاجرٍ وأنَّ جميع الخلق من عنصر الزنا

وتذكر لنا بعض النصوص أنه يوجد اثنان من كل شيء، وبهذا لكل إنسان شبيه (دموثه) في العالم العلوي، ولدى الوفاة تخرج النشماثا من الجسد، وتذهب إلى الشبيه (الدموثا)، وهذه فلسفة عميقة.

يؤمن الصابئة المندائيون أن العالم العلوي تم خلقه في خمسة أيام (البرونايا) وهي أيام بيضاء : ففي اليوم الأول انبعث هييّ قدمايي ملك النور السامي، وفي اليوم الثاني انبعث ربُّ العظمة (ماري دربوثا)، وفي اليوم الثالث انبعث عارف الحياة (منداد هييّ)، وفي اليوم الرابع انبعث الحق الكامل، وفي اليوم الخامس بدأت الحياة في عالم الأنوار بعد أن تفجرت الينابيع بالمياه الحية العذبة الصافية، وجرت اليردنا السماوية، وانبثقت الحياة الملائكية... ولهذا تعتبر الأيام الأربعة كأنها يوم واحد بيضاء، ولا تعد هذه الأيام الخمسة من السنة المندائية، لقدسيتها. انبعث ملك النور السامي من ذاتهِ فانبعث منهُ الطاقة والنور

والضياء والحرارة الحية، لأنه الرائحة الطيبة والصوت السني، والكلمة التي بِها خَلَقَ كلَ شيء (بقوله كان كل شيء)، وهوَ الجمال كلهُ، جمال الهيئة وجمال الوجود، وخلَقَ كل شيء جميل في هذهِ الأكوان.

قلنا إن كثيرًا من المؤرخين أجحفوا بحق الصابئة المندائيين وبتسميتهم وانتسابهم وتوحيدهم، ومن الأخطاء التي وقعوا فيها تسمية الصابئة بالأسينيين، نسبة إلى طائفة الأسينيين التي سكنت مع أقوام متعددة في حوض البحر الميت، ورغم وجود اختلافات جوهرية بينهم وبين الصابئة المندائيين، ولكن بسبب تشابه الملابس، وبسبب ارتماسهم بالماء الجاري، وبسبب إجراء المراسيم الدينية في النهار، نسبوا المندائيين لهم، أو نسبوا إلى المندائيين للتشابه بينهم في الطقوس والشعائر، ومشاركتهم العيش في نفس المنطقة. اضطرَ الأسينيون في مراحل من حياتهم أن يعيشوا حياة الانزواء والابتعاد ليعيشوا بسلام وأمان بعيدًا عن ظلم اليهود والرومان الحاكمين في أورشليم... وكلمة الأسينيين تعني في اللغة اليونانية (القداسة)، أو (الطهارة)... ويذكر أن عددهم في ذلك الزمان بحدود ٤٠٠٠ نسمة، ولكن بعد ذلك اختفى ذكرهم إلى أن جاء عام ١٩٤٧ م عندما اكتشف أحد الرعاة خربة قمران، وفيها عدد من اللفائف والمخطوطات المحفوظة في جرار محكمة في داخل الكهوف في الجانب الغربي من البحر الميت... كما تم اكتشاف مخطوطات قبطية في نجع حمادي بمصر عام ١٩٤٥ والوثيقة الدمشقية التي لها علاقة بالموضوع، فتوالى على دراسة ذلك عدد كبير من الباحثين على تلك المخطوطات التي يعود عمرها إلى ٢٠٠٠ سنة ميلادية لوجود معلومات مهمة ومثيرة عن هذه الطائفة وعلاقتها بالطوائف الأخرى التي عاشت بقربها مثل الصابئة، واليبوسيين، والحسح، والكنعانيين، والصدقويين، والسامريين وغيرهم، هذا الموضوع أصبح مثار جدل العلماء والباحثين للتوصل إلى الحقائق ومعرفة أصل الأديان، والذي سيحدث ثورة في فهم الديانات وتاريخها. ومازال الاختلاف بين الباحثين قائمًا في أصل الأسينيين وهل هم طائفة قمران أم لا، لأن كثيرًا من المخطوطات تحفظت عليها

المؤسسة اليهودية وأخفتها لأنها تلحق ضررًا بهم وبالمسيحية عمومًا ، وطبعًا كثير من الباحثين شَبَهَ الأسينيين بالصابئة المندائيين ، لكونهم لا يجرون مراسيم التعميد إلا في النهار ، عدا أيام البرونايا (البنجة) الأيام الخمسة البيضاء التي لا تحسب من عمر الزمن ، والتي خلق بها العالم العلوي. ورغم وجود التشابه بين الطائفة المندائية والأسنية ، ولكن هناك أيضًا اختلاف بينهما في كثير من النواحي ، ولربما تأثرت طائفة بأخرى بحكم المكان والعيش المشترك في ذلك الزمان. ان الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة ، وترجمة بقية المخطوطات ، وإطلاع العلماء والمختصين على جميع الوثائق والمخطوطات التي تم العثور عليها ، وبدون التحفظ على قسم منها ، فهذه المخطوطات ملك للبشرية جمعاء ، وليست مُلك فئة أو طائفة معينة ، وما تحتويها من معلومات وأسرار تفتح جميع الطلاسم ، وتظهر الحقيقة.

ادعت دائرة الآثار الدينية ووزارة السياحة الأردنية ، أنها عثرت في وادي الخرار شرق نهر الأردن ، وهي القرية التي يسكنها النبي يوحنا المعمدان ، والتي تسمى بيت عنيا ، وتسمى باللغة الآرامية المندائية (بيت أنيا) ومعناها بيت الفقير ، أو الإنسان المتواضع ، وقد عمد السيد المسيح في هذا البيت... ويذكر أن وزارة السياحة الأردنية رَوَجَتْ كثيرًا للمكان الذي عمد فيهِ النبي يهيا يهانا السيد المسيح ، وذكروا أن هناك حوضًا كبيرًا يتصل بمدرجات كثيرة ، ويجهز بالماء من خلال أنابيب صخرية ، ربما كان يستعمل للتعميد في أيام الشتاء القارص ، وكذلك وجدوا عشرات من الجرار المكسورة والتي تستعمل في مراسيم الزواج المندائي ، وكما هو معروف أن المندائيين ونبيهم يهيا يهانا كانوا يتعمدون بالماء الجاري العذب في نهر الأردن وروافده لأداء طقوسهم الدينية ، والظاهر أن الغاية هو الربط بين اكتشاف مخطوطات قمران وبين اكتشاف الحوض الذي يعمد فيه النبي يحيى بن زكريا الناس بالماء ، وما زالت الدراسات مستمرة والتنقيبات مستمرة للعثور على معلومات أوسع تكشف للباحثين معلومات هم بأمس الحاجة لها لمعرفة حقيقة هذه الطوائف والأديان.

- **مقدمة للخاتمة**

عندما يريد الباحث أن يبحث موضوعًا معينًا عن الصابئة المندائيين يجد صعوبة بالغة بحصوله على المصادر المطلوبة، وعندما يحاول الاستعانة بأبناء الطائفة يجد أن جلَّ اعتمادهم على الكتب الدينية المكتوبة باللهجة المندائية إحدى اللغات الآرامية الشرقية، وتجد هناك قلة نادرة من يجيد هذه اللغة القديمة، ومع هذا هناك عدد قليل من الكتب قد ترجمت إلى العربية، وأهمها (الكنزا ربا) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين.

فالمندائيون أثرٌ مِنْ آثار التاريخ الحية، يعتبرون أنفسهم جذر التوحيد الأول ، وقد تعاقب عليهم عدد من الأنبياء والرسل من آدم، وشيت، وإدريس، وإبراهيم، وسام بن نوح ، ويحيى بن زكريا... ولهم كتبهم وشرائعهم وطقوسهم التي يحترمونها ويقدسونها.

من الصعوبة أن يعرف الباحث مؤسس الديانة المندائية، ولكن همْ يقولون إن دينهم بدأ في عالم الأنوار ، عندما خلقَ الحي العظيم الملائكة الأثريون وجعلهم مندائيين، بعدها خلقَ آدم وحواء وذريتهم مندائيين، وعلمهم التوحيد والوصايا، وعبادة الله الواحد الأحد، وأنزل عليهم أول التعاليم صحف آدم وشيت، وبعث لهم الرسل والأنبياء تباعًا.

حرَّم الدين الصابئي المندائي الختان على الذكور والإناث، وتغيير ما خلقه الله الذي خلقَ الإنسان كاملاً، فجاء في (الكنزا ربا) ﴿**يَا أَصْفيائِي ، أيُها المُؤمنُون : إنَّ الَّذينَ يَسْجُدُونَ لأدُونَاي ، وَيُحَرِّفُونَ النِّدَاءَ الْأَوَّل قَدْ أَلَّفُوا لَهُمْ كِتَابًا ، لَا تَكُونُوا مِنْهُمْ ، وَلَا تَخْتَتِنُوا ، وَلَا تَسْلُكُوا طَرِيقَ الَّذِينَ عَلَىٰ كَلَامِهِمْ لَا يَثْبُتُونْ**﴾[1]، وقد أكدت الكتب الدينية المندائية على الشروط التي يجب توفرها في رجال الدين المندائيين بكافة مراتبهم الدينية وصلاحياتهم ، والمساعدين في أداء الطقوس

---

١ بوثة من كتاب "الكنزا ربا" اليمين ـ الوصايا

الدينية (الشكندا) أن يكونوا في تمام الخلقة بدون نقصان ليكون الجسم غلافًا جميلاً نظيفًا للنشماثا (النفس) لأداء الطقوس والشعائر الدينية لأبناء طائفتهم، لهذا يحرص المندائيون على النظافة والمحافظة على الجسم من كل التشوهات، ويتطابق مع جاء في القرآن الكريم ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾[1].

وكذلك توجد محرمات كثيرة في الدين المندائي ، فقد جاء في كتاب (الكنزا ربا): ﴿ **وحَرّمَنا عَليكُمْ الدمَّ والمَيتَ والمُشَوه والحامِل والحائض والتي أجهضَتْ والكاسِر والجارح وكلُ ما مَسَهُ حيوان مفترس**﴾[2]

ومن خلال مطالعتي لنصوص كتاب (الكنزا ربا) لم أجد شيئًا بخصوص تحريم أكل لحم البقر، ولكن رجال الدين يذكرون أنه تمَّ تحريمه في كتب دينية أخرى.

القرآن الكريم كلام الله قد اعترف بالدين الصابئي المندائي دينًا سماويًا، ونزلت ثلاث آيات بينات في سورة البقرة، وسورة الحج، وسورة المائدة، وتذكر السيدة عائشة أن الرسول محمد (ص) كان له مجلسٌ مع سلمان الفارسي، فقد كان صابئيًا مندائيًا من الأحناف، ترك قومه في الأهوار وشَدَّ الرحال إلى الجزيرة العربية و كان متبحرًا في الدين الصابئي، وليس غريبًا أن تطلق كلمة مُسلمين على من أتبعوا الرسول محمد (ص)، فهذه الكلمة وردت في كتاب (الكنزا ربا) قبل آلاف السنين وتأتي بمعنى المؤمنين بالله وكصفة لقوم التوحيد الأول ﴿ **يا شلماني ومهَيمني ، يا مهَيمني وشَلماني ، لا تفيخون من مملايخون** ﴾ وترجمتها ﴿**أيها المسلمون المؤمنون، وأيها المؤمنون المسلمون، لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدكم الله عليه**﴾ ، وكذلك النص ﴿ **كرسي إترَصْ لرَبْ زيوا ، وَرَبْ زيوا يتب إلّي... إترَصْ لقْدَامي تَّشليما اد لشَلمَّاني مشَلِملُن**﴾ وترجمته ﴿ **ثبتَ عرش لربْ الضياء جالسٌ على عَرشِهِ ، مثبت قَدامه الجزاء الذي يجازي به المسلمون** ﴾ ،

---

[1] القرآن الكريم: سورة التين، الآية ٤

[2] القرآن الكريم: سورة الأعلى، الآيتان ١٧-١٨

وكذلك النص ﴿ **طوبى لعباد الحق المسلمين المؤمنين... طوبى للمسلمين المبتعدين عن السوء** ﴾.

كثير من الباحثين والمترجمين يترجمون كلمة شلماني إلى الكاملين ﴿ **أيها الكاملون والمؤمنون، وأيها المؤمنون والكاملون**﴾، وهذا خطا لا يغتفر في الترجمة فالبشر ليسوا كاملين، والكمال هو للحي العظيم الله والذي بكماله يقتدي البشر المؤمنين.

إنَّ تكتم الصابئة المندائيين وانغلاقهم على أنفسهم، وعدم ترجمة كتابهم المقدس (الكنزا ربا) في العصور الخوالي وكان أبناء الطائفة من خيرة المترجمين في كثير من اللغات في عصر الدولة الساسانية والدولة العباسية، مما ضيع عليهم الفرصة للتعريف بدينهم ، وجعلَ الكثيرين يعتقدون فيهم اعتقادات شتى... والحقيقة أنهم قومٌ يوحدُون الله ويسبحونه ويعظمونه، وهم قومٌ مسالمون يحبون عمل الخير.

والدين الصابئي يحث المندائيين على الزواج، فقد وردَ في (الكنزا ربا) :

بسم الحيّ العظيم : ﴿ **أيها المندائيون زوجوا أولادكم وزوجوا بناتكم ليزداد عددكم ولتبتهج بكم الدنيا ، وليعتني بعضكم ببعض عناية العيون بالأقدام ، ولا يترك أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم ، ولا تكونوا كالنبات الرديء يشرب الماء ولا يعطي الثمر** ﴾.

لقد تأثر السومريون والبابليون بالدين المندائي، وهناك تشابه في بعض الطقوس ومنها بناء كوخ من القصب والبردي، ويتم فرشه بالحصران، ويطلونه بالطين، ويكون بابه باتجاه الشمال، وكذلك يلبسون الملابس البيضاء (الرستة) في أداء طقوسهم الدينية.

وكذلك يتشابهون في كثير من المحرمات ومنها تحريم حلق اللحية وشعر الرأس وخاصة لرجال دينهم.

وفي اعتقاد الديانة البابلية والمندائية أن الروح بعد خروجها من الجسد تبقى تحوم بين البيت والقبر لمدة ثلاثة أيام قبل غروبها.

وهناك نوع من التشابه بين الخلق والتكوين عند المندائيين وما وردَ عند البابليين في ملحمة (الأنيوما ايليش).

والخلاصة أن الصابئة المندائيين طيف جميل من أطياف الشعب العراقي، لهم جذور سحيقة في أرض الرافدين، يتكلمون باللغة الآرامية المندائية، وهي لغة شرقية سامية؛ لغة آدم وشيت وإدريس وسام وإبراهيم ويحيى بن زكريا، ولازالوا يلبسون الملابس البيضاء (الرستة) كأسلافهم من الأنبياء والمؤمنين، وهم وفق عقيدتهم وشعائرهم لا يذبحون حيوانًا أو طيرًا محللاً للذبح إلا وفق رسوم طقسية، لكي لا يتحمل الإنسان خطيئة ذبح هذا الحيوان، ومن ثم يقرأون بوثة الاستغفار لما قام به من عمل.

وقد عرفنا أن أهم شعائر الدين المندائي وأركانه هي التوحيد والصباغة (التعميد) والصوم والصلاة والصدقة، ويقدسون الحياة والنور والماء الجاري. والصلاة عندهم بعد الوضوء (الرشامة)، أما البراخة فهي قراءات لعدة بوث على أن يكون المصلي قد توضئ وفق مراسيم، وعليه أن يتجه إلى الشمال جهة باب عالم الأنوار... والصدقة عندهم مهمة وواجبة، وهيَ زادهم عند عروجهم إلى عالم الأنوار (الجنة) لأنها من الأعمال الصالحة التي يحبها الله... والصوم صومان: صوم صغير مدته ستة وثلاثون يومًا موزعة على أيام السنة ويمتنعون فيه عن تناول اللحوم وذبح الحيوانات المحللة للذبح، والامتناع عن تناول أي شيء فيه روح. أما الصوم الكبير فهو صوم العقل والقلب والضمير، أي أن لا يرتكب الصابئي المندائي أي خطيئة في حياتهِ، والامتناع عن كل الفواحش والمحرمات، والى كل ما يسيء إلى علاقة الإنسان بربهِ، وينزه حواسه ويديهِ وقلبه وعقله ورجليه ويبعدها عن الخطيئة.

والمحرمات في الدين الصابئي المندائي كثيرة ومتعددة ومنها :

الكفر بالله ، القتل ، السرقة ، الغش ، الكذب ، شهادة الزور ، خيانة الأمانة ، التصرف السيئ، الزنا بكل أنواعه واللواط وعمل الفواحش، السجود لغير الله، عبادة الأصنام والأوثان والكواكب والأفلاك والبشر والنار ؛ وكل شيء ما خلا الخالق العظيم ربّ الناس أجمعين ، السحر والشعوذة، قتل الحيوان أو إيذائه أثناء ذبحه، الدم والميت والحامل والحائض والتي أجهضت والمشوه والكاسر والجارح، الأعمال التي تلحق بالإنسان أي ضرر ، البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى، التفاخر بإعطاء الصدقة والحديث عنها، الربا وربا الربا، تلويث الأنهار والطبيعة، الانتحار والإجهاض المتعمد، القسم أو الحلف بالباطل، شهادة الزور ، الحنث باليمين، معاشرة الزوجة أثناء الحيض، الامتناع عن الزواج من قبل الرجل والمرأة، عدم الانجاب بذرية صالحة بدون سبب ، الختان ، شرب الخمر والكحول وكل ما يذهب العقل ويؤذي الروح والجسد، يحرم الزواج من المحارم وتشمل : الجدة والأم وزوجة الأب والأخت ، وزوجة العم والخال ، والعمة والخالة والابنة ، وزوجة الأخ (بعد طلاقه منها أو وفاته) ، وأخت الزوجة وهي على ذمتهِ ، وبنات الأخ والأخت ، وبنات زوجة الأب. وكذلك الزواج والتبني من أتباع الديانات والطوائف الأخرى ، وخروج الصابئي المندائي عن دين الحيّ العظيم... وهناك محرمات كثيرة أخرى.

أما عن الميراث فالرجل والمرأة متساويان في كل شيء ، لا فرق بين ذكر وأنثى في نصيب كل منهما من الميراث، ويتم توزيع الحصص بالتساوي، وفي حالة وجود أفراد لم يبلغوا سن الرشد (١٨ عام) فيعهد بالميراث المخصص لهم إلى الابن الأكبر لحين بلوغهم السن القانونية، ويخضع الصابئة المندائيون الآن إلى قوانين الدول ودساتيرها في مثل هذه الأمور القانونية.

ومكان العبادة يسمى عندهم المندي أو المندى، جمع منادي، وهو بيت العلم والمعرفة وإجراء الطقوس والمراسيم الدينية، وتكريس رجال دين جدد ، وأن

يوم الأحد هو يوم مبارك ومقدس عندهم، وتقام فيه الطقوس والشعائر الدينية، وتعقد فيه مراسيم الزواج.

أما درجات رجال الدين فهي :

١. الشكندا : الحلالي أو مساعد رجل الدين في إتمام الطقوس الدينية، ومنها تهيئة طعام الغفران (اللوفاني)، ونحر الحيوانات المحللة شرعًا، وحمل جنازة المتوفى، وغيرها
٢. الشوليا : طالب العلم أو المرشح لتكريسه إلى رتبة ترميذا بعد تعلم مبادئ الدين واللغة المندائية قراءة وكتابة، والخضوع إلى مراسيم خاصة، حيث يقوم بتلاوة كتاب سيدرا اد نشماثا بأجمعه عن ظهر قلب، ويمر بفترة اختبارات روحية لمدة سبعة أيام لا ينام فيها، ويتم تلقينه سلسلة من الرموز الروحية، ويمتحن من قبل رجال الدين الذين يقومون بطقس التكريس.
٣. الترميذا : يقوم بالطقوس الدينية ومنها الصباغة، وعمل اللوفاني (طعام الغفران) للمتوفين من أبناء الطائفة، ومساعدة رجل الدين بدرجة الكنزبرا أو الريش أمة بمراسيم عقد الزواج، وكذلك يقوم الترميذا المختص (الأبيسق) بعقد الزواج للثيب.
٤. الكنزبرا : يكون رجل الدين بهذه الدرجة متقنًا لأداء الطقوس والمراسيم الدينية، وقادرًا على شرح كتب الدين، وله قابلية الزعامة، وكمشرع، وله الحق في اختيار رجال دين وطراستهم (مجموعة مراسيم دينية لترقيتهم من درجة إلى أعلى)، وعقد طقوس الزواج.
٥. الريش أمة : وهوَ أعلى درجة كهنوتية ينالها رجل الدين بعد تكريسه سبعة رجال دين، وهو بمثابة قائد الأمة، والمحافظ على الدين المندائي، والذي يبت في الأمور الدينية للطائفة، وقد بلغ هذه الرتبة كل من الريش أمة عبد الله الكنزبرا نجم -رحمه الله- والريش أمة صلاح جبار طاووس، والريش أمة ستار جبار حلو -أطال الحيّ الأزلي بعمرهما- في العصر الحديث.

٦. الرباني : وقد بلغ هذه الرتبة نبي الله يهيا يهانا – مبارك اسمه – ولم يبلغها أحد غيره.

ومن الضروري جدًا أن يكون رجال الدين من أصول عائلية معروفة (حلالية بالوراثة) أي لم يرتبكوا خطيئة خلال حياتهم أو حياة أجدادهم وجداتهم، وليس فيهم نقص بدني أو عقلي، أو مرض لا يرجى شفاؤه مثل البرص، والجذام، ونقص المناعة، والسل، وأن يكون متزوجًا، أو يتزوج من باكر، ومن عائلة حلالية.

إذن المندائية من الديانات الموحدة والتي تؤمن بالله الواحد الأحد، المبعوث من ذاته (الاهيا اد من نافشي أفرَش) (الله الذي أنبعَثَ مِنْ ذاتِهِ)، غير محدود الأسماء والصفات والقوة والإرادة. لذلك يسمونه (هييّ ربي الحيّ)... وكذلك يقرأون (بسم الحيّ العظيم) في بداية أي عمل، لأن الحيّ هوَ جميع الحياة، والحياة بأكملها هيَّ الحيّ، ولقد جاء نص في كتاب دراشة اد يهيا (تعاليم النبي يحيى) : ﴿ **مَلعُونٌ ومخزي مَنْ لا يَعرِف ولا يَعْلَم بأن ربُنا هوَ مَلِك النُور السَامِي الواحد الأحد** ﴾

إننا لا نستطيع أن نعرف كينونته وماهيته إلا بالعقل والإحساس والمنطق، فلا حياة دون صانع هذه الحياة ﴿ **ربَنا لَكَ نَدعُو، وباسمك نُسَبِح، فامنَحَنا وضوحَ الرؤيا، وسهل لنا أمورنا، وهِبْ لنا من لدنكَ الهدوء والسكينة لأنفُسِنا** ﴾.

عبر التاريخ أُطلِق على الصابئة المندائيين تسميات متعددة، منها :

- المندائيون : أي العارفون لدين الحق والموحدين رَبّ العالمين.
- الصابئون : أي الصابغون بالماء الجاري، مشتقة من الفعل الآرامي المندائي (صبا)، بمعنى غطس، ارتمس، غط في الماء العذب الجاري.
- المغتسلة : أي الذين يتطهرون بالماء الحي، من كثرة استعمالهم للماء العذب الجاري للتطهر والتنظيف.

- شلماني : أي المسالم من الكلمة الآرامية المندائية (شلم) سلم مسلم المنقاد إلى الله مطلقاً.
- أبني نهورا : أي أبناء النور، حيث يؤمن الصابئة أن أصلهم من عالم الأنوار وقد وردت التسمية في الكتب الدينية.
- المصبتيين : جاءت من كلمة (مصبتا مة صبوتة) الآرامية المندائية، وتعني الصابغ المتعمد بالماء.
- أبناء الكشطا : وتعني أبناء العهد أو أصحاب الحق، وهي صفة أطلقت عليهم في الكتب الدينية.
- الصَبَّه : وهي الكلمة التي يطلقها عليهم مجاوروهم، وجاءت من كلمة (صَبو) الآكدية، وتعني سكبَوا الماء على جسدهم، أو غطَوا في الماء أثناء أداء طقوسهم الدينية، وكلمة (صبو) يتداولها العراقيون بكثرة في حياتهم اليومية مثل صبو الشاي، صبو سقف البيت، صبو الأكل، صبو الماء، وغيرها الكثير.
- وهناك تسميات أخرى أطلقت عليهم، ولكن الاسم الدقيق والمتعارف عليه والمحبب إلى نفوسهم، واسمهم الرسمي هوَ (الصابئة المندائيون) وتعني : المتعمدون والعارفون بوجود ووحدانية الحَيّ العظيم.

والإنسان في العقيدة المندائية يتكون من العناصر التالية :

١ الجسم (بغرا) : وعاء النشماثا (النفس)

٢ الروح (رواها) : وتمثل الغرائز والفعاليات.

٣ النفس (نشماثا) : وهي هبة الخالق عز وجلّ إلى الإنسان وجوهرته.

أما أسس الإيمان في دين الصابئة المندائيين فهي :

الإيمان بوحدانية الخالق. الإيمان بأن عالمنا هو جزء صغير جدًا من خلق الهيي ربي قدمايي. الإيمان بوجود خير يسعد البشرية، وشر متربص بها، وهم

يتصارعان في هذه الحياة، والنجاة من الشر وأعوانه هو الإيمان بعظمة الحي العظيم وملائكته الأطهار. الإيمان بوجود الحياة الأخرى، عالم الأنوار والسعادة الأبدية، ودخول هذه العوالم السرمدية من قبل الإنسان تأتي بواسطة أعماله الحسنة وطهارته وعفته، وتحسب له يوم الميزان. الإيمان بالمعرفة لأنها الطريق الموصلة إلى ربِّ الأكوان. الإيمان بأن أنبياء النور هم رسل للهيي ربي قدمايي، بعثهم للأمة المندائية على مدى التاريخ من أبونا آدم إلى أخر الرسل يهيا يهانا، مباركة أسماؤهم.

– من أين جاءت تسمية الصابئة المندائيين

من يطلع على الكتب الدينية المندائية لا يجد ذكر لكلمة الصابئة، أو الصابئين، أو الصابئون أو، الصبه. وإنما يجد صفات كثيرة مثل المندائيين، أبناء النور، الأصفياء، الناصورائيين، وغيرها كصفات لهم، وهناك تسميات أخرى... وكذلك هناك تسميات وصِفات أطلقها عليهم مجاوروهم أو كتاب التاريخ، مثل المغتسلة، السابحة، الصابغين، أهل الكشطا (أهل العهد أو الحق)، اليحياويين (نسبة إلى النبي يحيى)، وهكذا... أما كلمة الصابئة فقد أطلقها عليهم القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات. وقسمٌ من العرب يفسِّرون هذه الكلمة من ترك دينه، أي دين أجداده، واتبع ديناً آخر.

المندائيون لم يتركوا دينهم وتبعوا ديناً آخر... وعندما نادى الرسول محمد (ص) إلى اتباع الإسلام ديناً... قالوا لهُ: لقد صبأت يا محمد، وكانوا ينادونه بالصابي.

والمسلمون يقولون نحن أحناف، وعندما سأل الشاعر المعروف أمية بن الصلت الرسول الكريم محمد (ص) من أين جئت بهذا الدين يا محمد ؟! قال إنه الحنفية، حنفية إبراهيم الخليل... فقال أميه بن الصلت: إني سبقتك إليها، لأنه كان حنفيًا أي من الأحناف المنتشرين في شبه الجزيرة العربية.

ويقول عدد من الباحثين إن الأحناف والصابئة حالة واحدة، ومذهب واحد... فهل يا ترى سموا بالصابئة لأنهم لم يتبعوا النبي إبراهيم الخليل الذي نادى أن يعبدوا الله عبادة خالصة دون وسيط، أم أنهم اتبعوا إبراهيم الخليل في بداية دعوته ثم ارتدوا عنه عندما طلب منهم التخلي عن الملائكة كوسطاء بينهم وبين الخالق، أو بسبب ختان النبي إبراهيم ونزوله دينيًا بسبب مرض في غلفته... ليس هناك دلائل مؤكدة في الوقت الحاضر، وقسم من الباحثين والمؤرخين يعتقدون أن اطلاق اسم الصابئة عليهم لأنهم من أتباع صابي بن شيت بن آدم.

ولكن من المؤكد أن كلمة الصابئة مشتقة من الفعل الآرامي المندائي (صَبا) التي تعني غطس، ارتمس، غط، اغتسلَ في الماء العذب الجاري، وهو ما يقوم به أبناء هذا الدين من فعاليات وطقوس دينية في الماء الجاري، وصبْ الماء فوق رؤوسهم وأجسادهم أثناء الصباغة، والرشامة (الوضوء) وقد أطلق عليهم كلمة (صبه) من مجاوريهم من الأقوام الأخرى كصفة على قوم، وكلمة صَبْ ومشتقاتها تستعمل لحد الآن وبكثرة من قبل العراقيين... وعليه أصبحت التسمية من طرفين، الكلمة الأولى وهي (الصابئة) أطلقها عليهم المجاورون من الأقوام الأخرى، وتم ذكرهم بهذه الصفة في القرآن الكريم، أما الكلمة الثانية (المندائيون) هي صفة القوم كما ذكرتها لهم كتبهم الدينية المقدسة، ولهذا اعتمدوا على تسمية الصابئة المندائيين... وحاليًا لا يمكن التخلي عن أي من هذه الصفتين أو المسميين، لِمَا لهما من دلالة تاريخية ودينية لا يمكن الاستغناء عن إحداهما، ولا سيما أنهم عرفوا بهما من قِبَل مليار ونصف مسلم، وعاشوا بين العرب منذ مئات القرون، وعرفوهم بهذه التسمية، والكثير منهم يجهلون كلمة المندائيين الواردة في الكتب الدينية المقدسة، التي تعني العارفين، أو أهل المعرفة، أو عرفوا دين الحق بالعقل والمعرفة الذي سبق الإيمان. وهكذا يتم التعريف بهذه التسمية، وهناك من يعترض على بقاء تسمية الصابئة لأنها وردت من الموروث الإسلامي ويعتبرونها أسلمة، وهذا غير صحيح، ولكن الحق يقال إن الصابئة المندائيين عاشوا مع إخوانهم المسلمين في بيئة واحدة،

وتأثروا بهم وبثقافتهم وبكثير من الصفات والقيم والمثل والعادات والتقاليد ، مثلما تأثر المسلمون بالعقيدة والموروث الصابئي عبر مئات القرون ، لأن الثقافات تتلاقح وتؤثر وتتأثر بعضها ببعض ، وينهل الجميع من التراث الإنساني من الشعوب المتجاورة ، لا سيما وأن المنطقة منبع ومهد لجميع الأديان السماوية الموحدة بالله ، و تمكن الصابئة عبر هذا المزيج من الثقافات والأديان من المحافظة على الصفات الاصيلة لدينهم وطقوسهم وشعائرهم ، وكتبهم الدينية المقدسة ، ولكن من الطبيعي أن يتأثروا بالعادات الاجتماعية ، والتراث المشترك بالمعايشة والتاريخ المشترك والمصير الواحد.

– الصابئة المندائيون غرس التوحيد الأول

قلنا إن كل الأدلة تثبت أن الدين الصابئي المندائي هو غرس التوحيد الأول ، وهو نبع ومهد الأديان السماوية ، وأن أركان هذا الدين الأساسية تتمثل بالتوحيد بالحي العظيم ، والتعميد ، والصوم ، والصلاة ، والصدقة ، وهي الأركان الأساسية تقريبًا لكل الأديان السماوية الأخرى ، وتفرد الصابئة المندائيون بأن أول أنبيائهم هو أبونا آدم رأس السلالة البشرية ، وتبعه شيتل (شيت) ، وإدريس (دنانوخت) ، وسام بن نوح ، ويهيا يهانا (يحيى بن زكريا) ، وهناك من يؤكد على ذكر النبي إبراهيم الخليل المذكور في (الكنزا ربا) باسم بهرام ربا ، أي إبراهيم الكبير ، وقد أنزل الحي العظيم الصحف الأولى أو السيادر على أنبياء الصابئة وجمعت هذه الصحف بالكتاب المقدس (الكنزا ربا) (الكنز العظيم).

ويذكر الحي العظيم ملك النور السامي في الكتاب المقدس بكل اجلال وتعظيم ، وبأسمائه الحسنى : باسم الحيّ العظيم : ﴿ **يا ربَّ الأكوان جَميعًا ، مُسَبحٌ أنتَ ، مُباركٌ ، مُمجّدٌ / معظَّمٌ ، موقرٌ ، قَيوم ، العظيمُ السّامي. ملكُ النورِ السّامي ، الحنانُ التوابُ الرؤوفُ الرّحيم. الحي العظيم... لا حدَّ لبهائه. ولا مَدى لضيائهْ... المنتَشرةُ قُوّتُه. العظيمةُ قُدرَتُه... هو العظيمُ الذي لا يُرىَ ولا يُحد... لا شريكَ لَهُ في سُلطَنهِ. ولا صاحبَ لَهُ في صولجانِه** ﴾. والحيّ مزكى.

لقد وردت إشارات واضحة في الكتب السماوية للأديان الأخرى ما وردَ في كتاب (الكنزا ربا) المقدس من تعظيم ربّ السماوات والأرض ، وقداسة أنبيائهم وتعظيم ذكرهم ، حيث ذكرَ في إنجيل لوقا ومتي (الحق أقول لكم ، لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان...).

وقد ذكره الرسول الكريم محمد (ص) بكل خير ومحبة حيث قال : (ما من أحد من بني آدم إلا أخطأً أو هَمَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا).

وذُكرَ في آية من سورة البقرة :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إليه مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1].

وذُكِرَ نبيُ الله يحيى بن زكريا في سورة مريم :

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[2]. بمعنى كتاب (الكنزا ربا) وتعاليمهُ بقوة يحيى.

وفي سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾[3].

كذلك ما جاءَ في سورة الأنعام من ذكرِ للأنبياء المبجلين إبراهيم، نوح، زكريا، يحيى وكل أنبياء الله الصالحين :

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٢٨٤

٢ القرآن الكريم: سورة مريم، الآية ١٢

٣ القرآن الكريم: سورة النساء، الآية ١٣٦

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[١].

كذلك في سورة العنكبوت :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٢].

بمعنى على الجميع أن يؤمنوا بما أنزلهُ الله عليهم مِن كتب مقدسة، تدعو إلى التوحيد من أهل الكتاب، ومنهم الصابئة المندائيين، وكتابهم المنزل الذي يدعو إلى توحيد الخالق الله ملك النور السامي.

وذُكِرَ في سورة آل عمران :

﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣].

وفي سورة الأنعام هناك دلالة قوية على الدين الصابئي المندائي وكتاب (الكنزا ربا) حيث جاء في الآية رقم ١٥٦: **﴿ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾**[٤].

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآيات ٨٣ ـ ٨٦

٢ القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية ٤٦

٣ القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآيتان ١١٣ـ ١١٤

٤ القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٥٦

حيث فسَّر عدد من الفقهاء والمفسرين أن الطائفتين هم الصابئة المندائيون واليهود ، وأن الآية الكريمة تتحدث عن كتابي (الكنزا ربا) والتوراة ، لأن الأخوة المسيحيين يؤمنون بكتاب التوراة ، ويسمونه العهد القديم ، وقد ألحقوا الإنجيل بالتوراة ، وسموه الكتاب المقدس ، قبل ظهور الإسلام ، ويعتبرون أنفسهم مكملين للدين اليهودي ، وهذا يعني أن الكتب التي يتحدث عنها القرآن في هذه الآية هي كتاب (الكنزا ربا)، والكتاب المقدس لليهود والنصارى.

الفصل العاشر

معوقات البحث

عن الصابئة المندائيين

في الحقيقة والواقع من يدخل في مثل هذا النفق التي تعددت مداخله ومخارجه، وضعف النور فيه فأصبح غير واضح المعالم ولا يقودك دليل غير عقلك وضميرك وبعض المصادر المتوفرة المتضاربة بين الإنصاف والإجحاف والاختلاف... فأنت في هذا النفق في تَيهْ تتوجس الطريق، وأحيانًا تقول هذا الطريق الذي يوصلني فتجده مغلقًا، فتغيره باتجاه آخر فتلقى العثرات، فتغير الطريق فتجد التفاهات، فتبدل الطريق فتلقى التطرفات والتشددات واللعنات... تحاول أن توازن الأمور، بين الأولين والمستشرقين والمعاصرين، فيصعب عليك الأمر وتظل في حيرة من أمرك: هل تستمر في هذا الموضوع الشائك الذي لا تجني منه سوى النقد والعتب والمشاكل التي أنت في غنىَ عنها؟... فأنا لستُ رجل دين ولستُ فَقيهًا؛ رجل علماني مهني، عمل لمدة عقدين ونصف في مجالس الطائفة في العراق والسويد، واستقى الكثير من المعلومات من رجال الدين ومن المهتمين بالشأن المندائي ومن قراءة المصادر والكتب الدينية، والإطلاع على ما كتبه الأولون والمعاصرون والمستشرقون على اختلاف ثقافاتهم وتوجهاتهم ومذاهبهم وصدقهم وأمانتهم وحياديتهم... ولقد تربيتُ وسط عائلة مندائية لها سعة إطلاع بالدين المندائي، وتثقفتُ في مضائف جديَّ: يوسف سالم بنحيتان ومكلف سوادي. ونقطة التحول الرئيسية يوم نصبت رئيسًا للجنة العليا المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس كنزا ربا (الكنز العظيم) وكتاب دراشة أد يهيا يوهانا (تعاليم النبي يحيى بن زكريا) يوحنا المعمدان، وملازمتى للمترجمين الأستاذ الدكتور صبيح مدلول الخميسي والأستاذ الدكتور يوسف متي قوزي والصياغة اللغوية للشاعر المفلق عبد الرزاق عبد الواحد على مدى ثلاث سنوات متتالية، وحضوري كل المناقشات والمحاضرات وإطلاعي على كل شاردة وواردة واحتكاكي بالأساتذة المتخصصين في هذا المجال في العلوم... أكسبنى كمًّا من المعلومات وجعل لدي خلفية معلوماتية دونت معظمها للاستفادة منها عند الحاجة.

حقيقة الأمر أنا رجل علم متخصص في هندسة الطيران، سنحت لي الفرصة بعد التقاعد والهجرة القسرية إلى أوروبا للحصول على شهادة الدكتوراة في العلوم السياسية، وتهيأت لي فرصة أخرى للحصول على شهادة الدكتوراة في الدراسات المندائية... وربَّ سائل يسأل : ما علاقة هندسة الطيران بهذه الاختصاصات والدراسات ؟... الهندسة مجال عملي وتخصصي، بينما هذه هوايات لتوسيع دائرة معلوماتي لأني وجدت متسعًا من الوقت عليَّ أن أشغلهُ... وهكذا استثمرت الفرص ودخلت الأبواب التي فُتحت أمامي لأشبع طموحي وأستفيد وأفيد.

وها أنا أُسَخِّرُ ما تعلمتهُ وخزنتُه قدر طاقتي وإمكاناتي لأفيد، وخير الناس من نفع الناس... فأدخلت نفسي في هذا النفق الطويل بإرادتي، وإني أعلم أن الكثيرين يخشون الدخول فيه لحساسيته ولتضارب المعلومات واختلاف وجهات النظر، وتقاطع البحوث والاجتهادات وشحة المصادر وتكرار المعلومات بسبب النقل غير المسؤول ومجافاة الدقة والحيادية والإنصاف لدى الكثيرين بسبب التعصب الديني، أو نقلهم معلومات من غيرهم على علاتها دون تدقيق وتمحيص لتسهيل الأمور عليهم، غير مبالين بالأمانة العلمية والأخلاقية والتاريخية، وغير آبهين بالضرر الذي قد يلحق بالمندائيين جرَّاء هذا التقييم المجحف غير الأمين، وهم يعلمون أن هؤلاء القوم الطيبين المسالمين يعيشون وسطهم، ومن المكن جدًا معاشرتهم والإطلاع على حقيقة إيمانهم وتوحيدهم وكتبهم وطقوسهم وشعائرهم وجوهر دينهم التوحيدي، ولربما هذا الباحث كان جده أو جد جده صابئيًا مندائيًا أو جدة جدتهُ، وغيرَّت دينها لظروف قاهرة أو لقناعات، أو بسبب الغزوات والفتوحات، أو هروبًا من الجزية، أو للحصول على مكسب أو منصب... بمعنى أنه من أصول مندائية... والله أعلم.

من الطبيعي أن الباحث وهو يخوض في لُجة هذه الأمواج وهذا التوهان في هذا النفق الطويل الكثير الشعب والممرات والنياسم الوعرة؛ أن يخطأ أو يصيب،

فإن أخطأ فأراه معذورًا ، بسبب عدم صدق المصادر ودقة المعلومات... وإن أصاب بسبب المعايشة والتدقيق والتمحيص فلهُ الثواب.

وقد كتبت الكثير وحذفت الكثير ، وأَعدتُ كتابة بعض المواضيع عدة مرات... وعدّلتُ بعضها ، وعلقت على بعضها ، وعقبت على بعضها ، لاختلاف آراء الباحثين والمؤرخين والكُتَّاب على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، فإنك لتجد فقيهًا يقول إنهم من الموحدين ويفسِّر الآيات القرآنية تفسيرًا منصفًا ، وعندما يتبوأ مركزًا دينيًا في الدولة ؛ يُغيِّر رأيه ويفسِّر الآيات وفق ما تقتضيه مصالحه أو إرضاءً للآخرين المتزمتين.

المهم ، هناك من شجعني أن أبدأ بتدوين هذه الموسوعة ، وهناك من حذرني... وفعلاً بدأت بالجزء الأول فأنجزتهُ ، ولكن لم أدفعهُ للطباعة... وباشرت بالجزء الثاني فأكملتهُ ، وقرَّرتُ البدء في طباعته ، والله الساتر... كما أنجزتُ فصولاً كثيرة من الجزء الثالث... ومازلت مستمرًا ، مندفعًا تارة ومتوجسًا تارة... وحسبي الله الحي العظيم الذي قدَّرني على هذا... فهذه قدرتي واجتهادي راجيًا المغفرة من رب العالمين... ورضا الناس... متجاوزًا الكثير من المعوقات ، متخطيها بالصبر والدراسة والسؤال والإطلاع ، أو تركها ثم العودة إليها بعد حين... فإذا أردت أن تحفر نهرًا وصادفك تلٌّ صخريُ يعيق سريان الماء ؛ فعليك إما أن تغيِّر المسار كما تفعل الطبيعة ، أو تلفَّ حوله ، أو تتجاوزه لحين تهيئة المعدات والجهد اللازم فتعود إليه... وأنا أحاول أن أحفر ساقية في أرض هناك من يراها صخرية ، وهناك من يراها ترابية ، وهناك من يراها بين هذا وذلك... وأنا هكذا رأيتها مرةً سهلة ميسورة ومرةً صعبة معسورة... ولكني توكلت على الحي العظيم ربي ورب الناس وهيأت أدواتي وجمعت ما قدرني الله وإمكاناتي والأصدقاء من مصادر متاحة ، وبدأت أبحر في المشوار ؛ أو قل بدأت بحفر الساقية بالمعاول المتوفرة... وبتشجيع الأخوة الأصدقاء الطيبين بدأت العمل ، وكلما تعبتُ أرتاح قليلاً ، وعندما تتزاحم الأفكار في خاطري

أدوِّنها أولاً بأول، حتى لو كنت في عز نومي توقظني؛ فأذهب لمكتبي وأدونها، وشيئًا فشيئًا تجمعت المعلومات، فالبحر مداده من نُقط.

وكنت دائمًا أتذكر حين نحضِّر للدراسات العليا في مجال هندسة الطيران، كنا ستة طلاب مغتربين من جنسيات شتى، وكان مشروعنا المشترك الطائرات المسيرة (Drons)، وفي السبعينات كانت المصادر المتوفرة حول هذا النوع من الطائرات بدون طيار قليلة جدًا، والأساتذة المتخصصون نادرين جدًا... وعملنا نحن الستة كلاً على حدة، أنا استعنت بالمصادر الإنجليزية والروسية، وصديقي الجزائري استعان بالمصادر الإنجليزية والفرنسية، وكان أنانيًا غير متعاون، يبخل بالمصادر والمعلومات. المهم. أنا أنجزت المشروع والرسومات والحسابات، وتهيأت للمناقشة، وكذلك الباقين، وكان أول المناقشين عبد الحميد الجزائري صديقي، وفي مقدمة حديثه قال: إن هناك معوقات عمل كثيرة أهمها عدم توفر المصادر، لذلك فمشروعي غير متكامل بسبب شحة المعلومات، وأحتاج لمزيد من الوقت لأرضى عن هذا المشروع... فقالت له اللجنة، خذ من الوقت ما يكفيك وسنؤجل امتحانك للسنة القادمة... أراد أن يبرر أو يعلِّل، قالوا له: انتهى وقتك... ونادوا اسمي، فتقدمتُ، فسألني رئيس اللجنة: هل أنت حاضر؟... نعم سيدي حاضر... هل كنتَ تعاني من معوقات... قلتُ: كلا... يعني معلوماتك كاملة ومصادرك جيدة... نعم سيدي... وكان في خاطري غير هذا الكلام، ولكني تعلمت الدرس من صديقي الجزائري الضحية، فاسترسلتُ بالنقاش وتفوقتُ وحصلتُ على امتياز؛ وهذا تقدير من الصعب الحصول عليه في علوم الطيران...

لهذا أردتُ أن لا أذكر معوقات العمل، ولكني ليس أمام لجنة امتحان، ومن الضروري أن أكون أمينًا صادقًا فيما أكتب أو أقول، ولأنير الدرب للآخرين لكي يتجاوزوا تلك المعوقات، أو لكي لا ييئسوا إذا صادفتهم.

أرجو الاستفادة من هذه المعلومات وسنعمل على تطويرها في الأجزاء اللاحقة، ومن الضروري جدًا الإطلاع على الجزء الأول ليتكامل العمل والمعلومات وتكون الفائدة أكبر وأوسع.

- **أهم معوقات البحث عن الصابئة المندائيين :**

يلاقي الباحث في الدراسات المندائية معوقات شتى ، تؤثر في عمق البحث ودقته والتوسع بالمعلومات أهمها :

١- تكتم رجال الدين على المعلومات، وعدم البوح بها وبتفاصيلها، وخاصةً إذا كان الباحث من ديانة أخرى ؛ رغم الانفتاح المحدود حاليًا ، فوجدتها فرصة مواتية باعتباري واحد منهم ، وأعرفهم حق المعرفة ، وقد عملت معهم سنين طويلة ، وكنتُ رئيسًا لمجلس شؤونهم ، ورئيسًا للجنة العليا للترجمة ، ورئيسًا للجمعية المندائية في أسكلستونا (السويد)، وسكرتير مجلس العموم في السويد ، وعلاقاتي طيبة مع الجميع وخاصةً رجال الدين والمثقفين... وهذا ما يسر عليَّ أمورًا كثيرة ، وسهّل الحصول على معلومات وفيرة ساعدت في إعداد هذا البحث، وفي إعداد دائرة معلومات جيدة عن الصابئة المندائيين.

٢- معظم الكتب الدينية مدونة باللغة المندائية (لغة آرامية شرقية قديمة) ، أغلبهم لا يجيدها قراءةً وكتابة، وعليك وهذه الحالة أن تستعين برجال الدين؛ أو قل بعض رجال الدين.

٣- صحيح هناك مستشرقون وأوائل ومعاصرون كتبوا عن الصابئة المندائيين، ولكن هناك اختلافات واجتهادات كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان ، أفكار غريبة لا تمت بصلة للمندائية... لهذا تحتاج إلى وقت طويل لتميز بين الصحيح والضعيف، وجميعهم أخذ بعضهم من بعض دون أن يميزوا الخطأ من الصواب إلا ما ندر... وهذه مشكلة عويصة تواجه الباحث.

٤- دائمًا الحضارات القديمة والأديان القديمة تُعلق بها كثير من الأفكار والآراء والاجتهادات والإضافات من مؤرخين حاقدين أو متطرفين أو لمرضٍ في نفوسهم... والصابئة المندائيون عبر التاريخ كانت لهم مشاكل عديدة مع الديانات الأخرى باعتبارهم دين قديم وغير تبشيري ورجال دينهم كتومين حتى على أتباع هذا الدين، مثلهم مثل نخلة عمرها موغل في الزمن لم تشذب أو لم تسعف ولم تلقَّح، ورغم أنها نخلة مباركة لأن فيها وجه الله لأنك من أي جهة تنظر لها لا يتغير المنظر... ولهذا على الباحث أن يبذل جهودًا مضنية ليرى هذه النخلة على حقيقتها، وقد حاولتُ جاهدًا أن أراها على حقيقتها بالاجتهاد والإطلاع والمشاورة والنقاش والاحتكاك برجال الدين ووجهاء الطائفة المتقدمين بالسن والمثقفين، وكل المصادر المتيسرة تقريبًا.

٥- من حسن الحظ أني واحد منهم ترعرعت وتربيت في أحضانهم وفي قلب مجتمعهم واطلعت على عاداتهم وحقيقتهم، فهم أهلي وهم عشيرتي، تعلمت منهم أمورًا كثيرة على مدى أكثر من ستين سنة، لذا فإني أحسُّ بأحاسيسهم وأفهم كل ما يقولون وبما يفكرون، وأفهم الطقوس والشعائر الدينية وأحس بها، كذلك إشرافي على ترجمة الكتاب المقدس كنزا ربا (الكنز العظيم) و دراشة أد يهيا (تعاليم النبي يحيى) أضافت لي الشيء الكثير من الفهم والمعلومات بحيث أرى نفسي في كثير من الأحيان عند المناقشات مصدرًا مهمًا من المصادر، ولقد أغنيت ذلك بالمطالعة والمتابعة والبحث والتقصي. مما ذلَّل كثيرًا من المعوقات وسهَّل أمور هذا البحث، بحيث أن الذي يطلع عليه سيكّون فكرة ممتازة عن الصابئة المندائيين لأنه بحث شامل يحتوي على معلومات مفيدة.

٦- هناك مصطلحات ومسميات مندائية من الصعوبة أن تجد ما يقابلها باللغة العربية، فارتأيت أن أكتبها كما هي، وتلك حالة اضطرارية الغاية منها المحافظة على الكلمة وما تعنيه، مثل نشماثا، يردنا، وناصروثا، وغيرها.

٧- هناك بعض الشعائر والعادات والتقاليد الموروثة جيل عن جيل، حاليًا يريد المثقفون والشباب؛ وخاصةً في المهجر؛ تطويرها أو تطوير قسم منها... ولأن كثير من المندائيين البسطاء يعتبرونها شيئًا مهمًا من الدين لأنهم غير مطلعين على التاريخ المندائي ولا على الفكر المندائي لأنه أساسًا لا يوجد تاريخ مكتوب ولحد الآن الفلسفة المندائية لا يفهمها إلا بعض رجال الدين وعدد قليل جدًا من المثقفين، فإلى الآن لم يجرؤ أحد على تفسير (الكنزا ربا) رغم أنه تُرجم إلى اللغة العربية منذ عام ٢٠٠٠ ميلادي.

٨- الباحث في الدين المندائي؛ وخاصةً إذا كان من الصابئة المندائيين؛ يتوجب عليه أن يكون دقيقًا أمينًا صادقًا، وإلا تعرَّض للنقد، وأحيانًا للتهجم عليه من أقرب الناس إليه، ولهذا تلاحظ عزوف المثقفين عن الخوض في هذا المجال.

٩- يعتقد رجال الدين المندائيين أن الفكر المندائي والتراث المندائي حكرٌ لهم، وهم وحدهم لهم الحق بالاجتهاد والتفسير وإعطاء الرأي، لأنهم ناصورئيين وغيرهم سوادية، رغم أن بعض رجال الدين لا يملكون الثقافة التي تؤهلهم لذلك.

١٠- اجتهد كثير من علماء المسلمين الأوائل وقسم من المعاصرين اجتهادات بعيدة كل البُعد عن الحقيقة، وفسَّروا الأمور نقلاً عن غيرهم، دون أن يجتهدوا ويطلعوا على الكتب المندائية أو يقرأوا كتابهم المقدس ويتعمقوا فيه.

▪ خاتمة:

هذا الكتاب يعتبر الجزء الثاني من الموسوعة المندائية الموسوم (الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف)... يحتوي على آراء وأفكار لعدد من المؤرخين والكُتَّاب منهم من الأوائل، ومنهم من الباحثين المستشرقين، ومنهم من المعاصرين من مختلف الملل والنحل، ومنهم صابئة مندائيون؛ منهم من رحلوا، ومنهم محدثون... الكثير من هؤلاء الكتاب على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم منهم من أصاب ومنهم من خاب، منهم من استقى معلوماته من مصادر تقترب من الحقيقة بقدر، ومنهم من كتب على السماع أو النقل من مصدر غير موثوق أو شبه موثوق... منهم من حاول أن يكتب بصدق وأمانة، ومنهم غير المحايد الذي جانب الصدق والأمانة... منهم من تأثر بكتابهِ المقدس وجعله مقياسًا يقيس به ويقيِّم الأمور على أساس الكفر والإيمان، والصدق والكذب... في هذا الكتاب تمَّ مقارنة ما كتبه هؤلاء المؤرخون بالحقيقة والواقع وبما ورد بالكتب الدينية المندائية، وبحقيقة ايمان الصابئة المندائيين بما ورد من نصوص في كتبهم وما يمارسونه من عبادات صادقة وأمينة ودقيقة في حياتهم اليومية ومناسباتهم الدينية، والتطبيق العملي لأركان دينهم في التوحيد والتعميد (الصباغة) والصوم والصلاة والصدقة... باعتباري واحد منهم، تربيت بينهم، ونهلت من تعاليمهم وقرأت كتبهم، وعشت أفراحهم وأتراحهم، وطبقت طقوسهم وشعائرهم، فإني أحسُّ بهم بكل جوارحي وكل مشاعري، فهم يعيشون في دمي وقلبي، وأنا من رحمهم ودينهم، وأقرب لي من حبل الوريد ومن شريان القلب، بصدقهم وأمانتهم وحبهم لكل الناس وعبادتهم الصادقة الأمينة للحي العظيم تسبيحًا وتمجيدًا وتعظيمًا وتوحيدًا وتقديسًا، ويسمونه بأسمائه الحسنى التي

وردت في كتابهم المقدس (الكنزا ربا)، لا يعرفون الإساءة لأحد، ويؤمنون بكل الأنبياء والرُسل والكتب التي أنزلها الله على أنبيائه منذ بدء الخليقة ، ولا يفرقون أبدًا بين الناس على أساس الدين أو المذهب أو اللون أو الشكل، الكل عبَّاد الله، والكل خلقهم الله من آدم رأس السلالة البشرية، وخلق آدم من الطين الأحمر (الصلصال) ومن الدم والمرارة وأسرار هذا الكون، وبعث فيه النشماثا (النفس)، وعلمه التوحيد والوصايا والأسماء كلها، وأمره أن يعبد خالقه ويلتزم بتعليماته.

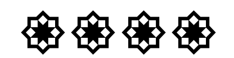
اطلعتُ بعقل متفتح على الكثير مما كُتب عن الصابئة المندائيين، من المنصفين والمجحفين، ممن أصابوا كبد الحقيقة، ومن اقتربوا نوعًا ما منها، كل حسب فهمه واجتهاده وحبه أو حقده أو حياده.

طبعًا أنا لست رجل دين، ولا أدَّعي أني مستوعب بشكل كامل للأديان المقارنة، ولكن لأنِّي واحد منهم عشت في وسطهم وتربيت بين أحضانهم في عائلة مؤمنة بهذا الدين التوحيدي الذي يدعو للمحبة والألفة والتسامح والإيمان بالله ورسله وكتبه ، وعملت بجد في مؤسساتهم لسنين طويلة على مدى ثلاثة أجيال ، وتبوأت مناصب قيادية، منها رئيس مجلس شؤون طائفة الصابئة المندائيين، وسكرتير مجلس عموم طائفة الصابئة المندائيين ، ورئيس جمعية مندائية لدورتين ، ورئيس اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس (الكنزا ربا) (الكنز العظيم) وكتاب تعاليم النبي يحيى (دراشة أد يهيا)، وحصولي على شهادة الدكتوراة في الدراسات المندائية، وإطلاعي على مجموعة كبيرة من المصادر ، ومناقشاتي المستمرة مع رجال الدين الأفاضل وعدد من المثقفين المندائيين، وإلقائي لعدد من المحاضرات في هذا المجال، وحضوري المستمر

في مجالسهم ومناسباتهم الدينية... كل هذا أهلني بقدر وقناعة للخوض في هذا المضمار الصعب... وأرجو من الله (الحي العظيم) أن أكون قد وفقت في ذلك على قدر تعبي واجتهادي وحيادي وصدقي وإيماني...

وهذا ما قدرني الله عليه، ومنه التوفيق.

د. بشير عبد الواحد يوسف



▪ مصطلحات الكتـاب

الكلمة	معناها
هيي	الله
النشماثا	النفوس
الدموثا	المثيل (النظير)
المسقثا	عروج النفس
الأثريون	ملاك (سادن باب الجنة)
أباثر	الملائكة
صورائيل	عزرائيل
منداد هيي	عارف الحياة
المطراثي	محطات الحساب
عالم الأنوار	الجنة
الناصوراثا	الإيمان العميق
كشطا	العهد ، الميثاق
يردنا	الماء الجاري النظيف
الرشاما	الوضوء
البراخا	الصلاة
الزدقــا	الصدقة
كنيانه	لقب
الملواشة	الاسم الديني

▪ مصادرالكتاب

م	المؤلف	المصدر
١	–	القرآن الكريم
٢	–	الكنزا ربا
٣	–	الإنجيل
٤	–	التوراة
٥	أنيس زهرون	تعاليم يهيا يهانا
٦	الليدي دراور	الصابئة المندائيون
٧	أمين فعيل حطاب	يهانة في النصوص المندائية
٨	أبكار السقاف	الدين في شبه الجزيرة العربية
٩	أبو الفضل الألوسي	تفسير روح المعاني
١٠	الطبرسي	مجمع البيان في تفسير القرآن
١١	أبو يوسف القاضي	كتاب الخراج
١٢	أنستاس الكرملي	كتاب أديان العرب وخرافاتهم ، ومجلة الشرق
١٣	أبو الفرج الأصفهاني	الأغاني
١٤	أحمد غسان سبانو	هرمس الحكيم
١٥	المسعودي	مروج الذهب
١٦	الشريف الرضي	ديوان الشريف الرضي
١٧	ابن حزم	الفصل في الملل والأهواء والنحل
١٨	ابن أبي صبيعة	عيون الأنباء في طبقات الأطباء
١٩	القزويني	آثار البلاد وأخبار العباد

٢٠	النويري	نهاية الأرب في فنون الأدب
٢١	الطباطبائي	الميزان في تفسير القرآن
٢٢	إبراهيم السامرائي	مخطوطة عن النبي يحيى
٢٣	السهروردي	المطاراحات
٢٤	اللجنة المشرفة	قصة ترجمة الكنزا ربا
٢٥	ابن عبد ربه	العقد الفريد
٢٦	شمس الدين الذهبي	سيرة أعلام النبلاء
٢٧	بشير عبد الواحد يوسف	مذكرات خاصة
٢٨	جواد علي	تاريخ العرب قبل الإسلام
٢٩	جواد علي	المفصل في تاريخ العرب
٣٠	حامد السعودي	حقيقة الصابئة المندائيين
٣١	جورجي كنعان	تاريخ الله
٣٢	طــه باقــر	مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة
٣٣	ياقوت الجموي	معجم البلدان
٣٤	سيد قطب	ظلال القرآن
٣٥	علي بن عبد الواحد	مقدمة ابن خلدون وتاريخه
٣٦	فؤاد جميل	في بلاد ما بين النهرين
٣٧	خالد ميران	شخصيات مندائية في التاريخ المعاصر
٣٨	محمد الفرحاني	أقوام تجولت بينها فعرفتها
٣٩	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني	كتاب الملل والنحل
٤٠	محمود شكري الألوسي	بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب
٤١	محمد نمر مدني	الصابئة المندائيون ، العقيدة والتاريخ
٤٢	مؤيد سوادي	مذكرات شخصية

٤٣	سعدي السعدي	معرفة الحياة (ترجمة)
٤٤	عزيز سباهي	أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية
٤٥	قيس السعدي	أبو إسحاق الصابي
٤٦	رشيد الخيون	الأديان والمذاهب في العراق
٤٧	رائد حسون بقال	الصابئة المندائيون ، نبذة تعريفية
٤٨	كامل مصطفى الشيبي	الصلة بين التصوف والتشيع
٤٩	يوسف حراني	البنية الذهنية لحضارة المشرق
٥٠	رافد الشيخ عبدالله	كتاب المسقثا (ترجمة)
٥١	عدد من المجلات	إصدارات مندائية
٥٢	عماد الصباغ	الأحناف
٥٣	حامد نزال السعودي	حقيقة الصابئة المندائيين
٥٤	عبد الرزاق الحسني	الصابئة المندائيون
٥٥	سلمان حرفوش	صابئة القرآن وصابئة حران
٥٦	الترميذا عصام الزهيري	الدين الأول
٥٧	أحمد راشد صالح	مندائيو أورشليم والمنقذ المنتظر
٥٨	مجلة آفاق مندائية	مواضيع متعددة
٥٩	فراس السواح	مجموعة إصدارات
٦٠	رشدي عليان	الصابئون حرانيون ومندائيون
٦١	خزعل الماجدي	أصول الناصورائية المندائية في آريدو وسومر
٦٢	خزعل الماجدي	جذور الصابئة المندائيين
٦٣	أبو العلاء المعري	رسالة الغفران

المؤلف في سطور

- الدكتور بشير عبد الواحد يوسف.
- وُلِد في مدينة العمارة (محافظة ميسان) في ١٢-٨-١٩٤٣م وانتقل مع أهله في نفس العام إلى مدينة البصرة وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارسها.
- حصل على الشهادات:

١- بكالوريوس هندسة طيران.

٢- ماجستير هندسة طيران.

٣- دكتوراه علوم سياسية.

٤- دكتوراه دراسات مندائية (أديان مقارنة).

- للمؤلف كتب مترجمة وكتب علمية:

١- بناء هيكل الطائرات ومنظوماتها.

٢- بناء محرك الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٣- صيانة الطائرات النفاذة ومنظوماتها.

٤- رئيس اللجنة المشرفة على ترجمة الكتاب المقدس لطائفة الصابئة المندائيين (الكنز العظيم).

٥- حكايات صغيرة: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٦م

٦- الصابئة المندائيون بين الإنصاف والإجحاف: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٧م

- البريد الإلكتروني : bashir_1208:yahoo.com



(+2) 01288890065 / (+2) 02 27283004

www.shams-group.net